

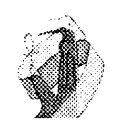
١٥ ملفات السينما

العناصر النمطية في السينما المصرية



تأليف : أ.د نبيل راغب
تقديم : أ.د مدكور ثابت

وزارة الثقافة



المركز القومى للسينما

رئيس المركز

أ. د. محمد كامل القليوبى

المؤسس المشرف على ملفات السينما

أ. د. مدكور ثابت

الإخراج والإشراف الطباعى :

محمد السيد

تصميم الغلاف :

يوسف راغب

سكرتارية تنفيذية :

يوسف حسن

خطوط الغلاف :

عبد الرحيم شحاتة

إشراف مالى وإدارى :

عبد المعبود النفيلى

مدينة الفنون شارع الهرم – جيزة – ج. ع. م. تلغرافيا سينيفيلم – فاكس : ٥٨٥٤٧٠١(٢٠٢) تليفون : ٥٨٥٤٨٠١



أصدر المركز القومى للسينما هذا الكتاب بتدعيم
مالى كامل من قطاع شئون الإنتاج الثقافى

برئاسة أ. عاطف منصف

دار الزعيم للطباعة الحديثة

٢٠ شارع فاطمة رشدى الهرم ت : ٥٨٧١٤٣٤

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/١٨٣٠

فصول الدراسة

د. نبيل راغب وبحث النمطيات في خامس الفرضيات

بقلم أ. د. مدكور ثابت

لقد توالت من قبل فرضياتنا التى اعتدنا طرحها حول الفيلم المصرى، لتلازم ما أصدرناه من مباحث ودراسات التأريخ للسينما المصرية ، فما أن تسلمنا من الأستاذ الدكتور نبيل راغب بحثه هذا الذى عكف لأكثر من عام فى إعداده ، وما أن تحقق به الرقم (١٥) فى سلسلة مشروعنا الطموح "ملفات السينما" ، حتى تحولت فرحتنا ببلوغ هذه المرحلة إلى ثقة فى الغد القادم ، وهنا يهمنى بداية أن أتوجه بالتحية إلى الزميل العزيز الأستاذ الدكتور محمد كامل القليوبى الرئيس الحالى للمركز القومى للسينما ، الذى شرفنى بإصدار أوامره الإدارية بأن تستمر إجراءات طبع هذا الكتاب الذى كنا منكبين على إعداده للطباعة ضمن سلسلة "ملفات السينما" التى شرفت بإصدارها فى فترة رئاستى السابقة للمركز القومى للسينما ، قبل انتقالى لرئاسة الرقابة على المصنفات الفنية ، كما زاد من إعزازى وتقديرى أن أصر سيادته على أن يظل اسمى مقترناً بصفة "المؤسس المشرف على ملفات السينما" وهو الأمر الذى يشير إلى نبل العلاقات الرائعة بين الزملاء والأصدقاء ، كما يعلى من قيم العمل فوق كل اعتبار ، بما من شأنه تحقيق الموضوعية المنشودة فى مجالات العمل ، وبما يجسد نموذجاً للقدوة .

وعليــه فــإننى أجــدد الدعــوة للبــاحثين والمهتميــن لإعــداد أوراقهــم ومباحثهم التـى مـن شـأنها أن تنضـم لاحقاً إلـى "ملفـات السـينما" التـى كـان هدفنـا الأول مـن تأسيسـها هـو تعويـض النقص الحـاد فـى المـواد والدراسـات المنهجيـة اللازمـة لإعـادة التـأريخ للسينما المصريـة .

وهكذا يـأتى هـذا المجلـد الـذى بيـن أيدينـا علـى قمـة الجهـد البحثـى الـذى يبـذل خصيصـاً لنفـس هـذا الهـدف ، إذ يحقـق الأسـتاذ الدكتـور نبيـل راغـب مثـالاً رائعـاً فـى انكبابـه علـى إنجـاز هـذا العمـل منـذ بـدأ فكرتـه مـروراً بـالتخطيط لـه وحتـى إخـراج نسـخته الخطيـة الأخـيرة ، دون أن يبتعـد لحظـة واحـدة عـن مسـار "ملفـات السـينما" ووفـق كـل مـا نسـتهدفه معـاً فـى دراسـتنا لتـاريخ الفيلـم المصـرى ، والـذى بسببه كـان حماسـنا لفكـرة هـذا المجلـد البحثـى منـذ اللحظـات الأولـى لطرحهـا ، لأنهـا لا تبتعـد ، وإنمـا تندفـع إلـى صميـم مـا توجهنـا لبحثـه فـى ملفـات السـينما .

لقـد قدمنـا دعوتنـا لكـى يبـادر الآخـرون بطـرح الفرضيـات البحثيـة حـول السـينما المصريـة وأفلامهـا ، بينمـا انصبـت الفرضيـات التـى طرحناهـا مـن ناحيتنـا علـى "نمطيـات" يتسـم بهـا الفيلـم المصـرى عـبر تاريخـه ، ولا نجـد غضاضـة هنـا مـن تكـرار الإشـارة إليهـا ، حتـى يتضـح اتسـاق مبحـث الدكتـور نبيـل راغـب وفرضيتـه مـع مجمـل التوجـه البحثـى الـذى نسـتهدفه لهـذا المشـروع التـأريخى ، وأيـاً كـان الاختـلاف أو الاتفـاق حـول مجريـات البحـث - أو الأبحـاث - وكـذا النتـائج أو حتـى طبيعـة صياغـة أى فرضيـة مـن الفرضيـات التـى تعـودت - شـخصيا - طـرح مقولاتهـا لتكـون متاحـة علـى مـائدة البحـث فـى اتجـاه إثباتهـا أو رفضهـا فيمـا يتعلـق باتجاهـات وأنـواع وشـرائح الفيلـم المصـرى خـلال تـاريخ إبداعـه وصناعتـه ، كمـا سـوف تسـتمر دعوتنـا لطـرح العديـد مـن الفرضيـات الأخـرى عـن السـينما المصريـة ، علـى

أن تتصب كل منها كالعادة على زاوية مختلفة ، رغم استهداف منطوقها لصفة شمولية فى هذه السينما ، إذ وبينما تتصب كل منها على زاوية جديدة لابد وأن تتكامل مع الأخريات ، حيث تمثل الواحدة منها مدخلا خاصا بها للنظر منه ، وبحيث لا تلغى الزوايا والمداخل الأخرى وإنما تعتمد عليها بالتكامل معها ، وفيما يلى نكرر العرض لتذكرة موجزة عما طرحناه منها وحول كيفية تكاملها :

الفرضية الأولى (حول أفلام الحركة) :

جاءت فرضيتنا الأولى فى مقدمتنا لملف " أفلام الحركة فى السينما المصرية " (الملف رقم ٤ - تأليف سمير سيف) وفيها ذهبنا إلى أنها الشريحة المدخل إلى دراسة بقية شرائح السينما المصرية ، ليس فقط بسبب غلبتها فى أحيان كثيرة من حقب الإنتاج السينمائى المصرى ، أو بسبب اتسامها دائما بالنجاح الجماهيرى ، وإنما لسبب أكثر شمولية ، إذ أنها فيما أرى شخصيا تعتبر النموذج الأكثر تركيزاً لنوع إطار المعالجة الدرامية الذى تتحرك داخله معظم شرائح الفيلم المصرى الكلاسيكية الأخرى ، فهو الإطار المبنى على التلاعب الإبداعى بوسائل التأثير الدرامى التى تشمل التشويق والمفارقة والمفاجأة .

الفرضية الثانية (منوال المعالجة الدينية) :

وجاءت فرضيتنا الثانية فى مقدمتنا لملف "صورة الأديان فى السينما المصرية" (الملف رقم ٧ - تأليف محمود قاسم) والتى تربط بين أسباب نجاح منهجية السينما المصرية فى تعاملها المباشر مع "الموضوع الدينى" وبين استخدامها لذات المنهجية -سعيا لنجاحها أيضا- عند تعاملها مع "الموضوعات غير الدينية" بما أصبح يجسد الخبرة الرئيسية فى تاريخ

السينما المصرية ، حيث انعكس على "تميط" العديد من ظواهرها ، من قبيل تلك التنويعات النمطية على الدور الذى يلعبه "القدر" فى المنحى "الميلودرامى" الجياش الذى طبع اتجاها بأكمله على وجه السينما المصرية عبر كل تاريخها .

الفرضية الثالثة : (محور هيكل/كريم وتيار فيلم زينب) :

وكانت قد جاءت فرضيتنا الثالثة أيضا فى ذات المقدمة السابقة ، وهى عن الريادة والسيادة الكبرى لتيار ما أسميته "زينب" (الفيلم) والذى عنيت به "محور هيكل / كريم ، ومحلاها عيشة الفلاح على الشاشة المصرية" من حيث ريادته التأثيرية على ما اتسم به التيار الأساسى للسينما المصرية منذ نشأتها ، وهو تيار يبدأ أصلاً من الأديب محمد حسين هيكل ، مثلما يبدأ تجسيده السينمائى عبر صنوه محمد كريم ، فمنذ ظهرت زينب هيكل صامتة على شاشة محمد كريم ، مر أكثر من عقدين من الزمن على نوع السينما المصرية التى تشربت بروحها ، والتى يمكن أن توجزها باللحن والكلمات أغنية عبد الوهاب "محلاها عيشة الفلاح" التى تعادل كل أغانى واستعراضات السينما المصرية حتى لحظة ظهور " العزيمة " الذى يرسم مجرد بادرة لصورة سينمائية مصنوعة وفقا لتفاصيل الواقع ، دون أن تنفى تواصل تيار هيكل / كريم ، حتى عبر كمال سليم نفسه ، ورغم وجود ربع قرن يفصل بين إنجاز كريم لزينب الصامت وبين إخراجه له ناطقاً ، إلا أن نظرته فى الصامت إلى الحياة عامة ، وإلى صورة الفلاح والريف خاصة ، لن تفترق فى الجوهر عنها فى الناطق ، إلى درجة أننا نذهب فى فرضيتنا إلى تطابقهما فى "الغنائية !!" رغم صمت الأول ، ولا عجب فى مثل هذا التوصيف ، لأن الغنائية كانت متحققة هناك عبر غنائية النظرة إلى الحياة ، وبما لا يختلف عن غنائية النظرة / الناطقة فى زينب

الثانى ... بل وفيما بعد ذلك سنجد أن كل ما يبدو أنه مغاير لتيار هيكل وكريم ، إنما لا يعدو كونه مجرد تنويعات فى داخل نفس الإطار ، وعندما يحدث ما يبدو أنه التطور من قبيل ما تظهر عليه سينما عز الدين ذو الفقار إنما لا تخرج فى حقيقتها عن ذات الترددات .

الفرضية الرابعة (حول سينما الفودفيل / الكوميديا والغناء) :

وعلى سبيل التمهيد لفرضيتنا الرابعة ، نشير إلى أنه بالمقابل لغنائية النظرة الفنية إلى الحياة حتى لو لم يتضمن العمل الفنى غناءاً ملحوناً ، وفق ما أشرنا إليه فى فرضية التيار المسمى محور هيكل / كريم ، فإن غنائية الأداء الملحن والذى يتضمن الأغانى المصحوبة بالموسيقى ، هو ما تشير إليه فرضيتنا الرابعة حول قيام السينما المصرية على أكتاف مسرح الفودفيل وتنويعاته التى نجد شروحها لدى مؤرخى ونقاد المسرح المصرى، وحيث نجد أنفسنا أمام فرضية جديدة نضيفها للبحث فى الفيلم المصرى ، والتى أوردنا صياغتها قياساً على سابقاتها الثلاث ، بنص ما نتصورها به فيما يلى :

"إن الفودفيل بعناصره هو الذى يشكل "عالم العمل الفنى" فى السواد الأعظم من الأفلام المصرية وفقاً للعقد العرفى السائد بين السينما المصرية وجماهيرها العربية .."

ومن الطبيعى أن نفهم المقصود "بعالم العمل الفنى" باعتباره "العالم المصنوع" بالأداة السينمائية داخل الصورة وأصواتها ، وهو ما يدخل فى إطار "اللعبة" المتفق سلفاً على لعبها مع الجمهور ، خلال ما أسميته فى أبحاثى "الافتراض الفنى" الذى يتحقق بما نعتبره "العقد العرفى المسبق" بين هذا الجمهور والشاشة .

أما هذه الغنائية المباشرة فهى ما تعودت شريحتها فى السينما المصرية أن تخرج إلينا كذلك بغنائية النظرة إلى الحياة ، أى بما لا يجعلها بعيدة عما طرحناه من فرضية سابقة ، بل وليست ببعيدة – وإنما متكاملة – مع غيرها من الفرضيات التى كما ذكرنا تشكل مداخلاً وزوايا على خط دائرة مستديرة تنظر كل منها إلى نقطة واحدة فى مركز الدائرة هى الفيلم المصرى .

فمثلاً ستتأكد لنا فرضية تيار هيكل وكريم ، من حيث تكاملها مع زوايا الفرضيات الأخرى ، عندما نجدها مستقطبة لملامح ومداخل أخرى للمعالجة الفنية التى باتت تتقولب بها غالبية الأفلام ، من قبيل استقطابها للمدخل الذى طرحنا فرضيته عبر شريحة أفلام الحركة ، كذلك الاستقطاب للمدخل الذى طرحنا فرضيته حول التصور الفيلمى النابع من تعاليم العقيدة الدينية فى المعالجات الدرامية ، وحيث نجد أيضا مدخل الفرضية التى طرحناها عن سينما الفودفيل فى تقديمنا فيما يتعلق "بالكوميديا والغناء" حيث لم يعد ثمة انفصالاً فيما تطرحه مختلف هذه الفرضيات . ومن هنا يصبح رصد هذه الفرضيات والبحث فى إثباتها عبارة عن أطر نظرية لرصد نمطيات السينما المصرية ، حتى وإن كانت تسمية "التنميط" هذه مجرد تسمية ضمنية فيما توصفه فرضياتنا باعتباره تنميطاً نظرياً .

لذا وعندما يتركز الملف الجديد الذى اضطلع بإنجازه أ. د. نبيل راغب حول "العناصر النمطية" فى الفيلم المصرى ، فإنما يأتى ملفاً واضحاً مباشراً فى انكبابه الحيوى على الكشف والرصد التطبيقى لأمثلة تلك العناصر وإبراز تكرارها الذى يمنحها صفة النمطية ، ومع إخضاعها للتقييم من منطلق نمطيتها هذه ينهج الدكتور نبيل راغب منهجاً ثابتاً فى الحفاظ دوماً على مبدأ التدليل بالأمثلة والنماذج الواضحة من الأفلام تدليلاً

مباشراً، أى بما يمنح هذه المباشرة سمة الصلابة فى مواجهة مجرد "الافتراضات" النظرية .. وهنا تبرز تلك المباشرة باعتبارها فى ذاتها فرضية جديدة ، ونرى - من وجهة نظرنا - أنها قد أصبحت فرضيتنا الخامسة القائلة بأن: "الفيلم المصرى فى غالبيته فيلم نمطى" .

وعند هذا الحد من التقديم لمحور هذا الكتاب وموقعه من "ملفات السينما" لا أرى داعياً للاستطراد فى العرض لمحتوياته ، إذ يتكفل الملف بأن ينطق بمكنونه ، خاصة وأن مؤلفه كاتب له تاريخه وباعه فى مجالات النقد والبحث ، ومن ثم يصبح دورنا الآن مقتصر على التنويه أو الإشارة بالملحوظات حول كيفية قراءتنا لهذا الملف الهام .

وأول ما نرى التنويه إليه ، هو أن هذا المبحث قد انصب فى الأساس على نمطية " المعالجات " فى صياغة المواقف والشخصيات ، رغم أن الكتاب يحمل عنواناً أشمل هو "العناصر النمطية" ، وتقتضى الأمانة هنا أن نتبع ذلك بتنويه آخر هو أن مؤلف الكتاب يعى تماماً أن هناك عناصر أخرى سينمائية تدخل فى إطار هذه النمطية ، إذ هو نفسه القائل فى مقدمته :

"تمثلت العناصر النمطية فى السينما المصرية بصفة عامة فى الموضوعات والمضامين والأفكار والتيمات التى تناولتها عبر ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن العشرين . وقد أدت بدورها - بصفة خاصة - إلى تفريعات نمطية أخرى سرت فى أساليب المعالجة الفنية ، وصياغة الشكل الفنى ، وتكوين الشخصيات ، سواء أكانت رئيسية أم ثانوية ، وتحديد الأماكن ، وهندسة المناظر ، وتصميم الديكورات ... الخ "

وأهم ما نخلص إليه لدى وقوفنا عند هذا التنويه ، هو الدعوة إلى مواصلة البحث والرصد لنمطية هذه العناصر السينمائية الأخرى التى حرص الدكتور نبيل راغب على الإشارة إليها ، من قبيل : المناظر السينمائية ، المونتاج ، التصوير ، الصوت .

من ناحية أخرى يمكننا أن نتوقف عند خمسة ملحوظات تشكل تفكير الدكتور نبيل راغب لدى بحثه فى هذا الموضوع المنصب على نمطيات الفيلم المصرى ، وهى الملحوظات التى يعيها المؤلف وعياً تاماً من خلال مجريات دراسته بما تؤكده سطور مقدمته كما يتضح فيما نورده عنه هنا :

أولاً : مشكلة التداخل النمطى :

وهو ما يرد واضحاً محدداً بقول د. نبيل راغب عندما يكتب : "ومن العقبات التى واجهت هذه الدراسة أن العناصر النمطية فى السينما المصرية – بصفة عامة – متشابكة ومتداخلة لدرجة أنها تشكل شبكة عنكبوتية أو أخطبوطية ، بحيث يصعب فى كثير من الأحايين فصل عنصر عن آخر" .

ثانياً: مع فرضيتنا الخامسة :

وينطلق منهج دراسة د. نبيل راغب من وجهة نظر أساسية تلتقى مع فرضيتنا الخامسة القائلة بنمطية الفيلم المصرى فى غالبيته ، وهو المفهوم الذى نجده واضحاً فى سطوره ، مثل قوله :

> " لكن من الصعب تقسيم تاريخ السينما المصرية إلى مراحل متبلورة منذ بدايتها فى العشرينات ، إذ يمكن تتبع العناصر التى بدأتها عزيزة أمير ووداد عرفى وإبراهيم لاما وتوجو مزراحى ، فى أفلام العقد الأخير من القرن العشرين. أى أن

هذه المرحلة النمطية والمليودرامية استمرت ثلاثة أرباع قرن ، ولا تزال قادرة على المواصلة بلا ملل. لكن أجراس الخطر دقت أخيراً مع الأزمة المستحكمة التى أمسكت بخناق السينما بعد انحسار دور العرض ، والسيادة شبه المطلقة التى يمارسها التليفزيون والفيديو والشبكات الفضائية " .

ثالثاً : نحو سينما تكون أو لا تكون :

وهى القناعة التى يؤكد د. نبيل راغب على إيمانه الكامل بها عبر قوله : "ولا يمكن للسينما المصرية أن تواجه تحديات القرن الحادى والعشرين ، المحلية والعالمية ، بهذه العناصر النمطية ، الفكرية والفنية ، فى عالم أصبح قرية صغيرة ، ليس على المتفرج سوى أن يضغط على زر كى يرى أمامه فى لمح البصر الإبداعات السينمائية العالمية التى لا تتوقف عن التجدد والتطور والانطلاق إلى آفاق مبهرة. ولذلك ليس من المبالغة ، القول بأن السينما فى مصر وفى الدول النامية بصفة عامة قد دخلت مرحلة أن تكون أو لا تكون . والسينما المصرية – بصفة خاصة – تملك من المواهب والقدرات والطاقات والخبرات ما يؤهلها لمواجهة هذا التحدى إذا ما استغلتها على أفضل وجه ممكن" .

رابعاً : وسينما مصرية طليعية :

ويعبر د. نبيل راغب عن رؤيته الحقيقية لتاريخ السينما المصرية عندما يؤكد على الخط المواكب لما هو نمطى بقوله : " لكن هذا لا يعنى أن هذه العناصر النمطية كانت قاعدة لا تقبل الاستثناء ، فقد أثبتت السينما المصرية قدرتها على إنتاج أفلام غير نمطية وتصل إلى المستوى التجريبى والطليعى " . ويبنى على هذه الرؤية توجهه فى البحث :

" ولذلك كانت هذه الدراسة – خاصة الفصل الأخير منها الذى يدور حول الأفلام غير النمطية – دعوة لتجديد دماء السينما المصرية التى ننقدها بدافع حبنا لها وحرصنا عليها. فهى سينما رائدة بمعنى الكلمة ، ليس على مستوى السينما العربية فحسب، بل السينما العالمية أيضا ، إذ أنها بدأت بعدها بسنوات قليلة فى الربع الأول من القرن العشرين. وهى سينما قادرة على اجتياز أزماتها ، خاصة عندما تحطم القوالب النمطية ، وترتبط بصميم المجتمع الذى تنبع منه وتتفاعل معه ، وتنطلق لفتح آفاق جديدة فكراً وفناً " .

خامساً : قسوة الناقد المحب للسينما المصرية :

وفى هذه الملحوظة نتوقف عند أروع ما يتحلى به ناقد يبحث فى سينماه التى يواجهها بالتمرد عليها ، وهو موقف يعيه د. نبيل راغب وعياً كاملاً ، بل ويحرص على تأكيده بعباراته المباشرة منذ اللحظات الأولى لكتابه عندما يذكر :

" وقد يبدو هذا التحليل النقدى قاسياً فى بعض الأحايين ، لكننا ندرك أن السينما المصرية بكل ثقلها الفنى والحضارى تستطيع أن تصمد للنقد وأن تستوعبه وتصحح مسيرتها نحو الآفاق التى تليق بعراقتها. وبرغم ما ورد فى هذه الدراسة من نقد لا يهادن ولا يلتقى فى منتصف الطريق ، فذلك لأن السينما المصرية تشكل جزءاً عضوياً فى فكرنا ووجداننا وثقافتنا وحضارتنا ، لا يمكن غض الطرف عنه بأية حال من الأحوال ... إن صورة السينما المصرية الرائدة فى العالم العربى والشرق الأوسط

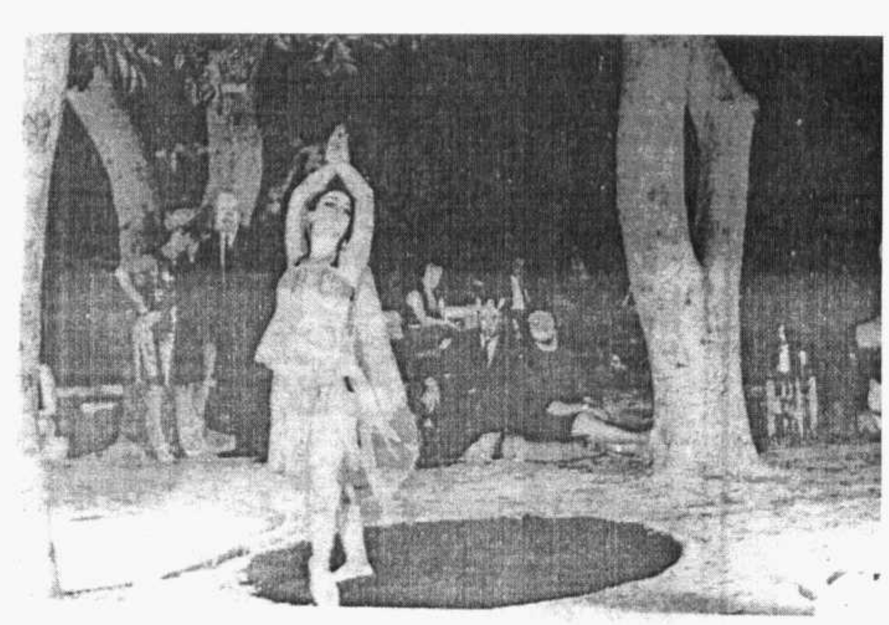
بأسره ، ليست بالقتامة التى قد يظنها بعض المتحمسين لها ، أو التى يحاول أن يشيعها بعض المتربصين بها . فقد أبدعت عبر مسيرتها الطويلة سلسلة من الأفلام غير النمطية التى تشكل علامات مضيئة بل وساطعة على طريقها ، وإذا كانت هذه الدراسة بمثابة رصد وتحليل نقدى للمضمون الفكرى فى السينما المصرية ، فهذا يرجع إلى قدرتها على تصحيح مسيرتها بين الحين والآخر ، واستيعابها لكل الجهود النقدية الحريصة على تعميق مسيرتها وتطويرها وليس مجرد استيعابها ، فهى ليست سينما وليدة وهشة ، يخشى عليها من معاول النقد التى يمكن أن تتحول إلى معاول لهدمها ، بل هى سينما وطيدة وراسخة وقادرة على الاستفادة من كل التوجهات النقدية ، ولذلك فإن أية محاولة لاستغلال هذه الدراسة فى ضرب السينما المصرية ، والإقلال من شأنها ودورها الريادى مصيرها الفشل المحتوم ، فالقوى لا يخشى كشف سلبياته سواء أمام نفسه أو أمام الآخرين ، وذلك كى يتخلص منها ، طلباً للمزيد من الإيجابيات والإنجازات الجديدة" .

هكذا تصلنا جدلية موقف الدكتور نبيل راغب من السينما المصرية ، أى تلك الجدلية التى تتضمن ناقداً قاسياً بأشد ما تكون القسوة ، كما تتضمن عاشقاً مغرماً بسينماه المصرية ينشد لها غداً أحلى وأروع ، وهو بهذا المنحى الموضوعى إنما يمثل الموقف والحلم الكائن فى أعماق كل من يبغى للفيلم المصرى مستقبلاً جديدا .. ومن ثم لا تبقى إلا مبادرات التقييم الجاد لما أسفر عنه مثل هذا البحث .

إذن ، وكعادتنا فى النهاية : مثلما أننا لم نصادر على تقديم رأى أو توجه نقدى لدى إصدارنا لهذا الملف - أو غيره - فإننا كذلك ندعو لمراجعة ما تضمنه هذا الملف - وغيره أيضا - آملين أن تتحلى أية مراجعة مما ندعو إليه بأهداف الإنارة والكشف والاكتشاف لأن موقفنا الأساسى هو مع " الإنارة " هنا أو هناك ، ودون أن نصادر على ما هو آت ، بل ندعو إلى المواصلة والاستكمال ، آملين ألا توقفنا عثرات أو إحباطات .

أ. د. مدكور ثابت

يناير عام ٢٠٠٠



شهيرة

في " صورة " إخراج مدكور ثابت



فيلم " صورة " إخراج مدكور ثابت



لقطة من فيلم " صورة " إخراج مدكور ثابت

شكر وتقدير

لم يكن لهذا الكتاب أن يرى النور بدون المساعدات الجليلة التى تلقيتها من السادة الأجلاء الذين تحمسوا له طوال مدة تأليفه ، وفى مقدمتهم المخرج الطليعى والمُنظر السينمائى الكبير الأستاذ الدكتور مدكور ثابت رئيس المركز القومى للسينما وأستاذ الإخراج بالمعهد العالى للسينما ، والذى لم يتوقف عن الاتصال بى وإدارة الحوارات المثمرة والشيقة حول كل مرحلة من مراحل تأليف الكتاب ، مما منحنى قوة دفع متجددة مكنتنى من الانتهاء منه فى زمن يعتبر قصيراً بالنسبة لحجمه .

كما أخص بالشكر العميق المهندس عفت سعد الناشر القدير الذى أهدانى نسخة من الثبت الأكاديمى المرموق الذى أنجزه كل من منى البندارى ومحمود قاسم ويعقوب وهبى ، وهو "موسوعة الأفلام العربية " ، وذلك بعد نفادها من السوق ، إذ بدون هذه الموسوعة ومادتها العلمية القيمة ، لما كان لهذا الكتاب أن يصدر بهذا الشكل . وأيضاً الناقد والفنان السينمائى الدكتور ناجى فوزى الذى لا استطيع أن أوفيه حقه من الشكر لمساعداته الجزيلة لى .

كذلك لابد أن أذكر بالعرفان والتقدير الفنانة التشكيلية وسام بشير أمينة متحف محمد محمود خليل ، والتى لم تتوان لحظة فى الاتصال المثمر بالمكتبات والمراكز العلمية المتخصصة ، لإمدادى بالمواد العلمية التى ساهمت فى إثراء هذه الدراسة .

أما زوجتى الإعلامية نبيلة داود فكانت كعهدها دائماً فى كل كتاب أصدرته ، مصدراً متجدداً من الحماس المتدفق ، ومنبعاً صافياً من الإيمان القوى بكل ما أنجزه .

إليهم جميعاً أتقدم بكل العرفان والتقدير ، فقد رصعت بصماتهم صفحات هذا الكتاب .

نبيل ،

مقدمـــة

تمثلت العناصر النمطية فى السينما المصرية بصفة عامـة فـى الموضوعـات والمضامين والأفكار والتيمات التى تناولتها عبر ما يقرب مـن ثلاثـة أربـاع القرن العشرين . وقد أدت بدورها - بصفة خاصة - إلـى تفريعـات نمطيـة أخـرى سـرت فى أساليب المعالجة الفنية ، وصياغة الشكل الفنـى ، وتكويـن الشـخصيات ، سـواء أكانت رئيسية أم ثانوية ، وتحديد الأماكن ، وهندسة المناظر ، وتصميم الديكـورات ... الخ . لكن هذا لا يعنى أن هذه العناصر النمطية كانت قاعدة لا تقبل الاستثناء ، فقد أثبتت السينما المصرية قدرتها على إنتاج أفلام غير نمطية وتصل إلى المسـتوى التجريبى والطليعى ، وأثبتت أيضا أنه ليست هناك عناصر نمطية فى حد ذاتها ، إذ أن النمطية تكمن فى أسلوب المعاجلة الفكرية والفنية لهـذه العنـاصر التـى يمكـن أن تصبح غير نمطية على الإطلاق إذا ما عولجت بمنظور غير نمطى .

وقد أدت المعالجة السينمائية النمطية إلى قوالب محفوظة عن ظهر قلـب فـى مجال صياغة المشـاهد وتتابعهـا وسـياقها الدرامـى ، مثـل المشـاهد شـبه المسـرحية الزاخرة بالحوارات الطويلة ، والفقرات التى تعظ المتفرجين بأسلوب شـبه مباشـر ، والصدف التى يقحمها المؤلـف لكـى يوجـه مسـار الأحـداث وجهـة قد لا تتفـق مـع تسلسله المنطقى ، مما يؤدى إلى الافتعال والتلفيق والنهاية السعيدة التى قـد ترضـى المتفرج مؤقتا ، لكنها لا تحترم عقله على المدى الطويل ، فليس ضروريـاً أن يلتئـم شمل المحبين وأن ينتصر الخير على الشر ، خاصة إذا كانت طاقة الشر عاتية فى مواجهة عناصر خيرة هزيلة . وأيضـا الصـراع النمطـى بيـن العاطفـة والواجـب ، وسوء التفاهم الذى يحمل الألفاظ معانى تختلف بل وتتناقض بين المتكلم والمستمع ، وكذلك المعانى المزدوجـة ، واللعب علـى الألفـاظ ، والنكـات اللفظيـة ، والمواقـف الهزلية التى يتحول فيها الممثلون إلى نوع من المهرجين الذين يستخدمون الوسـائل النمطية فى الإضحاك دون إثارة فكر الجمهـور وقدرتـه علـى التـأمل ، أو المواقـف

الميلودرامية التى تبالغ - سواء على مستوى الكلمة أو الحركة - فى استدرار دموع الجمهور وإثارة أشجانه فى مواجهة المأساة العاتية التى تمر بها الشخصيات، بهدف أن يتعاطف معها دون تفكير أو تأمل أيضاً . كذلك كان البناء الدرامى للفيلم تحت رحمة فواصل الرقص الشرقى ، والأغانى التى تعطل تطور الأحداث ، برغم أنه يمكن توظيفها دراميا فى دفع عجلة الأحداث . وقد دعم الاقتباس ومحاكاة الأفلام الأمريكية على وجه الخصوص ، العناصر النمطية ، لأن المؤلفين كانوا يميلون إلى اقتباس العناصر والمواقف التى عودوا الجمهور عليها ، وليس لأن الجمهور كان يريدها منذ البداية ، ولذلك فإن مقولة " الجمهور عاوز كده " هى مجرد حجة يتذرع بها بعض السينمائيين حتى لا يحملوا أنفسهم مشقة استكشاف الجديد .

وبطبيعة الأمر فإن المعالجة النمطية لا تقتصر على عنصر دون آخر فى بناء الفيلم ، فالشخصيات - مثلا - لا بد أن تكون نمطية بدورها . وما على المؤلف أو المخرج سوى أن يستدعيها من أفلام سابقة لكى تؤدى نفس المواقف " الافيهات " التى اعتادها الجمهور الذى يمكن أن يحاكى هذه " اللازمات " فى حياته اليومية على سبيل التفكهة . من هذه الشخصيات النمطية الجاهزة للاستخدام والتوظيف شخصية الشرير ، والعذول ، والولد الشقى ، والبنت الحلوة المدللة ، والبنت المغلوبة على أمرها ، والسنيد والحماة ، ونجمة الإغراء ، والعاشق الولهان ، والخدم والخادمات ، والباشا الصارم أو " الهلاس " ، والطبيب أو الدكتور النفسانى الذى لا ينهض تشخيصه على أساس علمى ، والفلاح الساذج الجاهل ، والعمدة ، والخفير ، وابن البلد ، وبنت البلد ، وضابط الشرطة ، والمأذون ، والموظف البيروقراطى ، والمعلم ، والفتوة ، وزعيم العصابة ، والبدوى ، والسكير ، والمدمن ، والبربرى ، وبنت الليل ، والراقصة ، والمطرب ، والموسيقار ، والخواجه اليونانى ، ووكيل النيابة ، والقاضى ، والمخبر السرى ، والنصاب المحتال ، والمدرس ، والممثل ، ومعبود النساء ، والمجاهد الوطنى ،

والفتاة المتحررة العصرية ، والمرأة المحبطة ، والأرملة ، والمراهق ، وسى السيد ، والأعمى ، والأبله ، والفنان ، والأخرس ، والبهلول أو الدرويش أو العبيط ، ورجل الدين ، والمرأة الجبارة ، والمتهم البرىء ، والزوج المشغول عن زوجته بعمله ، والعشيق والعشيقة ، والابن غير الشرعى ، والقواد ، والأب المتزمت ، ورجل الأعمال الكبير ، والمليونير ، وأقران السوء ، والمطلقة ، والمجنون ، والمنحوس ، والمرابى ، والإقطاعى ، والإرهابى ، والعاطل ، والمهرب ، والوصولى ، والمشلول ، وذو العاهة ، والرهينة ، ، وصاحبة العصمة ، واليتيم ، والمحلل ، والمتصابى ، والمثقف البائس ، والثورى ، وثرى الحرب ، وصائدة الرجال ، والانتهازى ، والكذاب ، وابنة الجيران ... الخ .

وكان من الطبيعى أن تتواجد هذه الشخصيات النمطية فى أماكن ومناظر وخلفيات نمطية أيضا مثل الحارة ، والقصر ، والملهى الليلى (الكباريه) - برغم أن المصريين نادرا ما يترددون على البارات والكباريهات التى يندر وجودها فى مصر أصلاً - وبيت الدعارة ، والتخشيبة ، والسجن ، والفندق ، وقسم الشرطة ، والقطار ، والحقل ، والحديقة ، والشاطئ أو الساحل أو البلاج ، والآثار القديمة ، والنيل ، والصحراء والبادية ، والقرية ، والمدينة ، والحى الشعبى ، والحى الأرستقراطى ، والبدروم ، والسطوح ، والمقابر ، والأكواخ ، والخرائب ، والكهوف ، وملجأ الأيتام ، ومستشفى الأمراض العقلية ، ودار الأحداث ، ووكر العصابة ، والجراج ، والمحكمة ، والمستشفى ، والمقهى ، والنادى ، وناصية الشارع ، والدكان أو الوكالة ، والمصلحة الحكومية ، والجامعة ، والمدرسة .. الخ

ونظرا لأن ميل المنتجين السينمائيين للاعتماد على المناظر النمطية الداخلية كان نتيجة لتكلفتها الأقل من المناظر الخارجية ، فقد كانت لها الغلبة فى أفلام كثيرة ، لدرجة أن بعض الأفلام كانت تصور فى شقق أو فنادق بالكامل . لكن الموضوعات والمضامين النمطية كانت القاسم المشترك فى كل هذه المناظر

والمواقع بمختلف أنواعها ، مثل الحب والزواج ، الفقر والغنى ، الخير والشر ، الوعظ والمضمون الأخلاقى ، والتسلق الطبقى ، والجشع المادى ، وكيد النساء ، والخيانة الزوجية ، والحمل سفاحاً ، والاغتصاب ، وصراع الأجيال ، وشرف البنت ، والتضحية ، والظلم ، والانتقام ، واستيقاظ الضمير ، والعقم ، والزواج العرفى ، والإرهاب ، وأزمة السكن ، والطلاق ، والعقد النفسية ، والصدمة العاطفية ، والصراع بين التقاليد المصرية والأجنبية ، والأحلام والكوابيس ، والأسر المفككة ، والعدالة الشعرية التى تكافئ الخير وتعاقب الشرير .

وكانت هذه البوتقة النمطية التى انصهرت فيها معظم عناصر الفيلم ، قد أدت إلى غياب الفكر السينمائى ، وانفصال السينما عن المجتمع الذى يمكن أن يمدها بالأفكار الجديدة ، وبالتالى اجترار الأفكار القديمة ، ومحاكاة السينما الأمريكية الصادرة عن مجتمع يختلف شكلاً وموضوعاً عن المجتمع المصرى ، ودخول بعض السينمائيين مجال التأليف والكتابة برغم أنهم لا يمتلكون ناصية هذا الفن ولا يدركون أسراره ، بحيث أصبحت عناصر التأليف والكتابة مجرد ورق معروف مسبقاً ، لكن يعاد تفنيطه مع كل فيلم جديد .

ولذلك كانت هذه الدراسة - خاصة الفصل الأخير منها الذى يدور حول الأفلام غير النمطية - دعوة لتجديد دماء السينما المصرية التى ننقدهابدافع حبنا لها وحرصنا عليها . فهى سينما رائدة بمعنى الكلمة ، ليس على مستوى السينما العربية فحسب ، بل السينما العالمية أيضاً ، إذ أنها بدأت بعدها بسنوات قليلة فى الربع الأول من القرن العشرين . وهى سينما قادرة على اجتياز أزماتها ، خاصة عندما تحطم القوالب النمطية ، وترتبط بصميم المجتمع الذى تنبع منه وتتفاعل معه وتنطلق لفتح آفاق جديدة فكراً وفناً ، وترفض محاكاة فيلم سبق أن نجح جماهيرياً ، لأن المحاكاة هى الخطوة الأولى نحو التنميط ثم التحجر . وإذا كان من حق الفنان السينمائى أن يتخذ من التقاليد الفنية التى أرستها الأفلام السابقة قاعدة انطلاق له ،

بشرط أن يضيف إليها ولا يقتصر على محاكاتها ، فليس من حقه أن يكرر المضامين والموضوعات والتيمات والأفكار التى جسدتها هذه الأفلام لأنها أصبحت ملكاً لها ، إذا أدرك أن الحياة كفيلة بإمداده دائما بالدماء الجديدة التى تجعل فيلمه ينبض بحياة خاصة به .

إن لغة السينما ، لغة غنية وخصبة وحافلة بحيل وأساليب وأشكال فنية لا يمكن حصرها ، وقادرة على تجسيد القضايا الملحة والمصيرية للمجتمع المعاصر ، والتى تمس حياة الناس فى الصميم . وهى قضايا واهتمامات لا يمكن تهميشها بالأسلوب الذى لجأ إليه عدد كبير من كتاب السينما ، فكانت النتيجة أن المجتمع نفسه قام بتهميش مثل هذه الأفلام ، وجعلها مجرد أداة للفرجة والتسلية ، وليست للتفاعل والتطوير والتجديد والانطلاق إلى آفاق جديدة .

والسؤال الذى يطرح نفسه بقوة على الكتاب السينمائيين وهم مقبلون على الآفاق البعيدة والعميقة للقرن الحادى والعشرين هو : هل ستستمر السينما المصرية فى اجترارها لهذه العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية ؟ خاصة تلك التى لا ترتبط ارتباطاً عضوياً أو حميماً بالمجتمع المصرى مثل الانتحال والتنكر والتشابه ، والاغتصاب ، وفقد الذاكرة والجنون ، والعصابات والمخدرات ، والإدمان والسموم البيضاء ، واليانصيب ، والوصايا والثروات المفاجئة ، ومآسى بنات الليل ، والانتحار ، والتضحية بدون مبرر .. الخ .

إن مصر تمتلك من المواهب والقدرات والإمكانات والخبرات والتجارب والتاريخ الطويل والتراث العميق ما يؤهلها لمواصلة الريادة السينمائية فى العالم العربى ، وهو الدور الذى لم تتخل عنه منذ العشرينيات من القرن العشرين . ومن هنا كان حرص هذه الدراسة على هذا الرصد التحليلى للأفلام التى استسلمت لهذه العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية ، كنوع من المرآة أو الخريطة التى تجمع الملامح جنباً إلى جنب ، فتبدو الصورة واضحة ومكبرة ، حتى يدرك السينمائيون

طبيعة الطرق المسدودة أو الدوائر المفرغة أو المتاهات الجانبية التى يمكن أن تشتت طاقاتهم ومواهبهم وإمكاناتهم فيما لا يجدى . وقد يبدو هذا التحليل النقدى قاسيا فى بعض الأحايين ، لكننا ندرك أن السينما المصرية بكل ثقلها الفنى والحضارى ، تستطيع أن تصمد للنقد وأن تستوعبه وتصحح مسيرتها نحو الآفاق التى تليق بعراقتها .

وبرغم ما ورد فى هذه الدراسة من نقد لا يهادن ولا يلتقى فى منتصف الطريق ، فذلك لأن السينما المصرية تشكل جزءاً عضوياً فى فكرنا ووجداننا وثقافتنا وحضارتنا ، لا يمكن غض الطرف عنه بأية حال من الأحوال ، وتأثيرها العميق والمستمر على كل طبقات المجتمع وفئاته ، لا يمكن حصره ، خاصة بعد أن تحول التليفزيون إلى أداة لتوصيلها . ولذلك فهى تصوغ العقل ، وتشكل السلوك ، وتصنع الوجدان بأسلوب لا ينافسها فيه من أجهزة الثقافة والإعلام والفن سوى التليفزيون الذى وضع نفسه فى خدمتها . ونحن لا نريد أن تتحول العناصر النمطية التى استلهمها السينمائيون من اتجاهات سينمائية أجنبية إلى سلوكيات جماهيرية بين طبقات الشعب. فالمفروض فى الفن أن يبلور الحياة ويجسدها حتى يعمق وعى الجماهير بها ويمكنهم من التعامل معها بأساليب أفضل ، لكن أن تتحول الحياة إلى محاكاة لأنماط وسلوكيات واردة من مجتمعات لا تناسب تراثنا وطبيعتنا وشخصيتنا القومية ، فهذه ظاهرة كفيلة بمسخ هذه الشخصية ، وتغييب هذا الوعى .

وهذه الظاهرة غير الصحية واضحة فى العناصر النمطية التى تتمثل فى الانتقام والقتل والعنف بصفة خاصة . فلاشك أن السينمائيين فى شتى أنحاء العالم - وليس فى مصر فحسب - يقبلون على هذه التوابل الحريفة ، لإدراكهم أن المتفرج العادى الذى يعيش حياة روتينية ، يحتاج بين الحين والآخر ، إلى جرعة من الإثارة تطرد عن حياته الرتابة وعن نفسه الملل ، لكن المشكلة أن السينما الأمريكية بعناصرها النمطية الطاغية على السينما العالمية ، قد تطرفت فى التركيز

على عناصر العنـف والقتل والانتقام بهدف منح الجماهير أكبر قدر ممكن من الإثارة ، خاصة بعد أن تطورت الحيل والتكنولوجيا السينمائية إلى درجة أوشك الفكر السينمائى عندها على الاندثار والتلاشى . إنها سينما لا تريد من المتفرج أن يفكر ، وإذا تركته يفكر فلابد أن يفكر على طريقتها وبأسلوبها ، أى بعد أن تقوم بغسيل مخه وتغييب عقله .

وحاولت السينما فى بلاد كثيرة أخرى - وليس فى مصر فحسب - محاكاة السينما الأمريكية حتى لا تتخلف عن الركب ، وإن كانت وسائلها فى الإقناع الفنى متواضعة للغاية إذا ما قورنت بالإمكانات الأمريكية الهائلة . كذلك فإن هذه البلاد نسيت أن مظاهر العنف والقتل والانتقام تختلف من مجتمع إلى آخر ، وأن النموذج أو النمط الأمريكى خاص بالمجتمع الأمريكى ، وإن كان زاخراً بكثير من التطرف والافتعال والمبالغة التى قد لا تكون شائعة بهذا الشكل فى المجتمع الأمريكى نفسه ، وخاصة أنه عنف مادى وجسدى ، فى حين أن العنف النفسى والوجدانى يمكن أن يكون أكثر إثارة وأعمق تأثيراً من مجرد الضربات والجرائم والدماء المهدرة .

ومن العقبات التى واجهت هذه الدراسة أن العناصر النمطية فى السينما المصرية - بصفة عامة - متشابكة ومتداخلة لدرجة أنها تشكل شبكة عنكبوتية أو أخطبوطية ، بحيث يصعب فى كثير من الأحايين فصل عنصر عن آخر . والفصل الأول من هذه الدراسة والذى عنوانه " أفلام جمعت فأوعت " دليل على عجزنا عن فض الاشتباك بين العناصر النمطية التى احتشدت بها هذه الأفلام ، لكننا فى الفصول التالية لجأنا إلى التركيز على العنصر النمطى الذى يشكل العمود الفقرى للفيلم ، وتسكينه فى الفصل الذى يحمل عنوانه ، مع الإشارة طبعاً إلى العناصر النمطية الأخرى التى تنبع منه أو تصب فيه أو ترتبط به بطريقة أو بأخرى .

هنا يمكن أن يطرح سؤال نفسه على عقل القارئ : وما العيب فى معالجة موضوعات الانتقام ، والقتل ، والعنف ، والاغتصاب ، والحمل سفاحاً ، والانتحال ، والخيانة الزوجية ، والعقد النفسية ، وفقد الذاكرة ، والجنون ، والمخدرات ، والإدمان ، والسموم البيضاء ، والدجل والشعوذة ، والصدف ، والمفاجآت ، والوصايا ، وبنات الليل ، والانتحار ، والفوارق الاجتماعية والتسلق الطبقى ، والزواج العرفى ، والمحلل ... الخ ؟! أليست الحياة زاخرة بأمثالها ؟! أليس من حق الفنان السينمائى أن يعالج ما يتراءى له من موضوعات ومضامين ؟! وبالطبع فإن الإجابة على هذه التساؤلات هى " نعم " بلا جدال . فمن حقه أن يفعل هذا ، بل من واجبه أن يؤدى هذه المهمة التنويرية والإبداعية .لكن عندما تتحول هذه الموضوعات والمضامين والتيمات إلى عناصر نمطية من خلال المعالجة النمطية ، فإن فن السينما برمته يتحول إلى مجرد أوراق للعب لا يملك اللاعب سوى تفنيطها أو ترتيبها لعله يكسب " بنطاً " جديداً ، وربما خسر كل ما معه من أوراق . ومهما كان اللاعب ماهراً فإنه لن يستطيع أن يأتى بأوراق جديدة تثير دهشة المتابعين أو تفتح أمامهم آفاقاً لم تخطر ببالهم ، ذلك لأن عدد الأوراق معروف ومحدود ، فى حين أن السينما تملك آفاقاً لغوية وتعبيرية تحسدها عليها الفنون الأخرى . فهى خلطة سحرية أو بوتقة عجيبة تنصهر فيها عدة لغات لتكون فى النهاية لغة خاصة بها تمتلك من الأبعاد والأعماق والإيحاءات واللمحات والألوان والأضواء والظلال والأصوات والألحان والصور والرموز والاستعارات والتقابلات والمفارقات ، ما تعجز عنه لغة الأدب بمفردها أو لغة المسرح أو لغة الموسيقى أو لغة الفن التشكيلى ، إذ أنها استوعبت كل هذه اللغات لتمنح العالم لغة فنية ليس لها نظير فى قدراتها التعبيرية التى لا حدود لها . والسؤال الذى يطرح نفسه بقوة هنا ويرد على السؤال السابق هو : أليس حراماً أن نترك كل هذه اللغة الثرية والخصبة المتدفقة ، لندور فى فلك عناصر نمطية وأفكار مستهلكة ؟!

وكما أكدنا فى هذه الدراسة أكثر من مرة ، فإننا لا نقصد بهذه العناصر أو الأفكار أنها نمطية فى حد ذاتها ، لأنه لا جديد تحت الشمس فى هذا المجال منذ أن وعى الإنسان هذه الحياة . لكن الخطورة تكمن فى المعالجة النمطية المحدودة بزوايا أو وجهات نظر أو رؤى أو مفاهيم محدودة وضيقة ، هى بمثابة قوالب جامدة تصب فيها هذه العناصر أو الأفكار بحيث تبدو معظم الأفلام فى النهاية متشابهة . وهذا يعنى أن مشاهدة فيلم يدور حول عنصر نمطى معين ، تغنى عن معظم الأفلام التى عالجت نفس العنصر ، فى حين أن السينما العالمية فى الدول المتقدمة تنتقل من مرحلة إلى أخرى ، ومن موجة إلى أخرى لتجدد أدواتها الفنية ومناهجها الفكرية ، حتى تواكب اهتمامات الناس ، وتجسد طموحاتهم واحباطاتهم ، آمالهم ، وآلامهم ، وتفتح أمام أعينهم نوافذ جديدة تمكنهم من استيعاب تيارات الحياة وتلمس معالم المستقبل .

لكن من الصعب تقسيم تاريخ السينما المصرية إلى مراحل متبلورة منذ بدايتها فى العشرينيات ، إذ يمكن تتبع العناصر التى بدأتها عزيزة أمير ووداد عرفى وإبراهيم لاما وتوجو مزراحى ، فى أفلام العقد الأخير من القرن العشرين . أى أن هذه المرحلة النمطية والميلودرامية استمرت ثلاثة أرباع القرن ، ولا تزال قادرة على المواصلة بلا ملل . لكن أجراس الخطر دقت أخيراً مع الأزمة المستحكمة التى أمسكت بخناق السينما بعد انحسار دور العرض ، والسيادة شبه المطلقة التى يمارسها التليفزيون والفيديو والشبكات الفضائية . ولا يمكن للسينما المصرية أن تواجه تحديات القرن الحادى والعشرين ، المحلية أو العالمية ، بهذهالعناصر النمطية ، الفكرية والفنية ، فى عالم أصبح قرية صغيرة ، ليس على المتفرج سوى أن يضغط على زر كى يرى أمامه فى لمح البصر الإبداعات السينمائية العالمية التى لا تتوقف عن التجدد والتطور والانطلاق إلى آفاق مبهرة . ولذلك ليس من المبالغة ، القول بأن السينما فى مصر وفى الدول النامية بصفة عامة قد دخلت مرحلة أن تكون أو لا تكون . والسينما المصرية – بصفة خاصة –

تملك من المواهب والقدرات والطاقات والخبرات ما يؤهلها لمواجهة هذا التحدى إذا ما استغلتها على أفضل وجه ممكن .

وهناك مفارقة قد تكون غائبة عن الأذهان وهى أن النمطية تتعارض بطبيعتها مع الإثارة ، إذ أن كل شيء تقريباً يكاد يكون معروفاً لدى المتفرج بطريقة مسبقة تضعف من درجة الإثارة إلى حد كبير . ومع ذلك يحرص السينمائيون النمطيون على شحن أفلامهم بأكبر قدر ممكن من الإثارة ، وهم فى إطار هذه المفارقة العجيبة واهمون لأن الإثارة لا يمكن أن تكون نمطية بأية حال من الأحوال ، وإلا فقدت صفتها الجوهرية وخاصيتها الأساسية . ولذلك تتحول المشاهد التى يظنون أنها فى قمة الإثارة إلى مجرد تحصيل حاصل فى نظر المتفرجين . ذلك أن المتفرج المواظب على مشاهدة الأفلام يعرف حيلها ومفاجآتها وصدفها وحلول مشاكلها مسبقاً . وكان يمكن أن تكون عناصر الإثارة والتشويق مقنعة وصادقة ومتجددة ، لو توغل الكتاب والمخرجون فى الدوافع السيكولوجية التى تجعل الإنسان يسلك على نحو معين ، والأسباب الاجتماعية والاقتصادية التى تشكل رؤيته للآخرين ، وإن كنا لا ننكر أن الأفلام غير النمطية قد توغلت فى هذا المضمار ، لكننا نتمنى ألا تكون أقلية وسط أغلبية كاسحة من الأفلام النمطية . ولعل هذا يرجع إلى عدم اهتمام مؤلفين ومخرجين كثيرين بدراسة الخلفية العلمية والعملية والبيئية والفكرية للشخصيات والأحداث والمواقف التى يتناولونها فى أفلامهم .

وقد أثبتت هذه الدراسة أن سلاح السينما المصرية الوحيد لتحطيم سطوة هذه العناصر النمطية ، يتمثل فى الدراسة العلمية والتحليل الفكرى لأبعاد القضايا والتيمات التى تتناولها أولا ، ثم يأتى بعد ذلك دور الصياغة الفنية والدرامية بكل ما تنطوى عليه من عوامل الجذب الفكرى والإثارة الوجدانية ، بعيداً عن الصدف المفتعلة التى يجد فيها كثير من كتاب السينما حلولا للمشكلات أو العقبات التى قد

تعتور مسار الأحداث ، أو المآزق التى قد تقع فيها الشخصيات . فهى قادرة على تحويل مجرى الأحداث طبقاً لمزاج المؤلف أو المخرج أو الجمهور . ولذلك لا تدخل الأحداث فى الأفلام المصرية فى طرق مسدودة أبداً ، لأن الصدفة كفيلة بفتح ثغرة واسعة فى جدران هذه الطرق بحيث تمر فيها الشخصيات بمنتهى الارتياح والسعادة ، فى حين أن هذه الطرق المسدودة هى قمة الاحتكاك الدرامى الذى يستغله المؤلفون والمخرجون المبدعون فى توليد نتائج جديدة ومشوقة ومثيرة من أسباب سابقة وقد تكون نمطية .

إن جوهر الصراع الدرامى يكمن فى توليد الأحداث وتطويرها من داخله ، وليس فرضها عليه من خارجه ، ذلك أن الصدفة هى عنصر دخيل يفرضه الكاتب أو المخرج على سياق الأحداث من عنده كى يضمن له الاستمرار لأنه عاجز عن منحه قوة الدفع النابعة منه . ونظراً لأنها عنصر سهل وجاهز للاستعمال دائماً ، فقد كانت الأداة المفضلة عند مؤلفين ومخرجين كثيرين ، يستخدمونها بوعى أو بلا وعى ، تجنباً لإعمال الفكر وقدح زناده ، والحرص على المصداقية الفكرية والفنية التى تحترم عقل المتفرج مهما كان نصيبه من الثقافة أو العلم متواضعاً . ولاشك أن تجنب الصدف والمفاجآت المفتعلة والتحولات غير المنطقية ، يشكل تحدياً للمؤلفين ، والمخرجين لابد أن يواجهونه وإلا سيواصلون الدوران فى الدائرة الضيقة والخانقة لهذه العناصر النمطية .

وتعتبر الشخصية الشريرة من العناصر النمطية التى يكاد الجمهور يحفظها عن ظهر قلب لأنها شخصية واضحة وصريحة إلى حد كبير ، فهى تحكى عن خططها ومؤامراتها بلا حرج أو حساسية ، خاصة مع المقربين منها ، بل وتكاد تشرح للجمهور تفاصيل هذه الخطط والمؤامرات مباشرة ، بحيث لا تحتاج لحل ألغازها وكشف أعماقها . فالقتل - بطريقة أو بأخرى - هو الحل الحاسم والسريع للتخلص من الخصم ، حتى يتفرغ الشرير لخطوته التالية وهكذا . أما الحدود بين

الشر والخير فواضحة ومحددة مثل الحدود بين الأبيض والأسود بلا ألوان أخرى فيما بينهما ، وبالتالى لا درجات بينهما أيضاً ، وذلك على الرغم من أن النفس البشرية زاخرة بالتناقضات التى قد تمزج بين الخير والشر فى لحظة واحدة داخل الشخص نفسه . فالنفس البشرية أكثر تعقيداً وغموضاً من هذه البساطة المخلة بوعينا العميق بها ! وخاصة أن الجمهور يعلم مقدماً أن الشر مهما بغى وتجبر فإن هزيمته فى نهاية الفيلم أمام الشخصيات الخيرة ، مهما كانت هزيلة ومتهافتة ، هزيمة مؤكدة ، حتى لو كانت الهزيمة مضادة لقانون السبب والنتيجة بكل حتميته التى لا يستطيع الإنسان أن يهرب منها ، والتى ترفض أية صدفة أو تلفيق أو افتعال . وإذا تحولت الشخصية الشريرة - ولا نقول تطورت - من الشر إلى الخير نتيجة درس قاس تلقنته ، فإن التحول يتم بسرعة عجيبة كأنها شخصية آلية ، تم الضغط على زر داخلها فتحولت من الشر إلى الخير . أى أنه تحول وليس تطوراً ينطوى على صراع نفسى بين شد وجذب .

والصراع فى معظم الأفلام ليس صراعاً بين قوى متضادة ، تجسيداً لسنة الحياة الإنسانية وجوهر النفس البشرية ، بل هو صراع منحسر فى الدائرة الضيقة والمحدودة للصراع المباشر بين الخير والشر ، ولم يخرج عن نطاقه فى أحايين كثيرة ، فى حين أن تفاعلات الصراع الدرامى والفكرى أكثر وأعمق من ذلك بمراحل ، وذلك من خلال الجدليات التى لا تتوقف بين الأضداد على اختلاف أنواعها ، بل إن هذه المتناقضات تجرى فى داخل الإنسان الفرد الواحد ، وليس بالضرورة بينه وبين الآخرين ، وهو الصراع النفسى الذى لم تركز عليه السينما المصرية إلا فى حالات قليلة . ونظراً لأن الصراع الدرامى كان صراعاً فى الأساس بين الشخصيات الشريرة والشخصيات الخيرة ، فقد واكبت الشخصية الشريرة النمطية مسيرة السينما المصرية منذ بدايتها ولا تزال مستمرة بمواصفاتها النمطية حتى الآن .

ولذلك آن للسينما المصرية وهى تدخل القرن الحادى والعشرين أن تنفض يديها من الشرير النمطى الذى لا يعانى من أى وخز للضمير ، ولا أى صراع نفسى ، ويخطط لارتكاب الشر كأنه الشيطان نفسه . إن الغوص فى أعماق الشخصية الشريرة يستدعى الدراية الواعية بعلوم النفس والاجتماع بل والاقتصاد والسياسة أيضاً . فهذه الشخصية لا تأتى من فراغ ، ولا تولد شريرة ، بل غالباً ما تدفعها ضغوط المجتمع إلى الانحراف إلى طريق الشر ، عندما تجد طريق الخير مسدوداً فى وجهها . وفى هذا المجال متسع لجميع المؤلفين والمخرجين بحيث يصولون ويجولون فيه دون خوف من الوقوع فى براثن العناصر النمطية الخانقة التى حفظها الجمهور عن ظهر قلب .

والظاهرة الجديرة بالرصد والتحليل أن معظم العناصر النمطية فى السينما المصرية ، كانت بمثابة قضايا هامشية للغاية بحيث لا تمس صميم المجتمع المصرى وجوهره ، بل أعاقت الأفلام عن التفاعل الحى والمثمر مع تيارات المجتمع ودواماته التى لم تخض فيها سوى الأفلام غير النمطية التى أفردنا لها الفصل الأخير من هذه الدراسة التى أثبتت أن السينما المصرية لا تزال تملك من قوى الدفع والتطوير ما يمكن أن تنطلق بها إلى آفاق لم تبلغها من قبل ، لو حرصنا على ترسيخ هذه القوى الإيجابية وتحويلها إلى طاقات خلاقة ومتجددة دائماً .

إن صورة السينما المصرية الرائدة فى العالم العربى والشرق الأوسط بأسره ، ليست بالقتامة التى قد يظنها بعض المتحمسين لها ، أو التى يحاول أن يشيعها بعض المتربصين بها . فقد أبدعت عبر مسيرتها الطويلة سلسلة من الأفلام غير النمطية التى تشكل علامات مضيئة بل وساطعة على طريقها . وإذا كانت هذه الدراسة بمثابة رصد وتحليل نقدى للمضمون الفكرى فى السينما المصرية ، فهذا يرجع إلى قدرتها على تصحيح مسيرتها بين الحين والآخر ، واستيعابها لكل

الجهود النقدية الحريصة على تعميق مسيرتها وتطويرها وليس مجرد استمرارها ، فهى ليست سينما وليدة وهشة ، يخشى عليها من معاول النقد التى يمكن أن تتحول إلى معاول لهدمها ، بل هى سينما وطيدة وراسخة وقادرة على الاستفادة من كل التوجهات النقدية . ولذلك فإن أية محاولة لاستغلال هذه الدراسة فى ضرب السينما المصرية ، والإقلال من شأنها ودورها الريادى مصيرها الفشل المحتوم . فالقوى لا يخشى كشف سلبياته سواء أمام نفسه أو أمام الآخرين ، وذلك كى يتخلص منها ، طلباً للمزيد من الإيجابيات والإنجازات الجديدة . أما الآخرون الذين يدارون سلبياتهم ونقاط ضعفهم حتى يظهروا بمظهر الرواد الطليعيين ، فإن تاريخهم القصير فى الإنتاج السينمائى ، وأعمالهم المتناثرة التى لم تترك بصمات واضحة على مسرة السينما العربية ، فكفيلة بفضح ادعاءاتهم الجوفاء . أما معالم الطريق التى شقتها السينما العربية فتتمثل فى الأفلام المصرية غير النمطية التى تم إنتاجها منذ الثلاثينيات وحتى نهاية التسعينيات .

ورغم القضايا المحلية التى جسدتها هذه الأفلام غير النمطية ، فإنها لاقت صدى ملحوظاً ومرموقاً عند عرض هذه الأفلام خارج مصر والمنطقة العربية ، سواء فى المهرجانات أو أسابيع الأفلام المصرية أو السوق التجارية العالمية . فقد أثبتت هذه الأفلام أن الطريق إلى العالمية لابد أن يبدأ بالمحلية . أما محاكاة النماذج والأنماط العالمية منذ البداية ، فمن شأنه أن يؤدى إلى مسوخ مشوهة لابد أن تسقط فى الفجوة السحيقة التى تفصل بين المحلية والعالمية . والسينما التى تنسلخ من هويتها القومية والمحلية ، تفقد شرعيتها الفكرية والفنية لأنها ستكون حينئذ سينما لقيطة . ولذلك كانت الأفلام التى حرصت على هويتها المصرية ، وحرصت فى الوقت نفسه على بلورة هذه الهوية بأسلوب فنى ناضج ووعى سينمائى عميق ، بمثابة الدليل العملى على قدرة السينما المصرية على إفساح مكانة مرموقة لها على خريطة السينما العالمية ،

المهندسين أول يوليو ١٩٩٩ **نبيل راغب**

الفصل الأول

أفلام جمعت فأوعت

كانت العناصر النمطية التى فرضت نفسها على معظم الأفلام المصريـة منذ البدايـة فـى الربـع الأول مـن القـرن العشـرين ، بمثابـة القوالـب الجـاهزة التـى يتـم استدعاؤها بين الحين والآخر لتوظفيهـا سـواء فـى مجـال الموضـوع أو الحبكـة أو الشخصيات أو المواقف أو مواقع التصوير . وبرغم هذه القوالب التى كـانت بمثابـة القيود التى كبلت انطلاق السينما المصريـة إلـى الآفـاق الجديـرة بهـا ، فإنهـا كـانت تملك الحيوية والقدرة على الاستمرار والمواصلة ، بل وأنها أنتجت عدداً من الأفلام غير النمطية التى تصل أحياناً إلى المستويات التجريبية والطليعية ، وهو عدد يربـو على مائة وأربعين فيلماً ، أى بمعدل فيلمين كل عام ، إذا ما وزعنا هذا العدد علـى ثلاثة أرباع القرن التى عاشتها حتى الآن . ولذلك خصصنا الفصل الأخير من هـذه الدراسة لرصد وتحليل هذه الأفلام غير النمطية .

أما هذا الفصل الأول من هذه الدراسة فـيركز الرصـد والتحليـل والنقد علـى الأفلام التى حرصت على جمع كل التوابل التجارية التى بدأت بها السينما المصرية مسيرتها ، ثم تحولت بفعل التكرار والاجترار إلى عناصر نمطية جاهزة للاستعمال الفورى الذى يغرى الكتاب السينمائيين بالكسل العقلى والفكرى ، إذ أنها توفر عليهم مشقة البحث عن أفكار جديدة ، والالتحام بقضايا المجتمع ، واستشراف آفاق جديـدة

سواء على مستوى المضمون الفكرى أو الشكل الفنى . ففى البداية كانت محاكاة للأنماط السينمائية الأمريكية ، لكنها بمرور الوقت أصبحت قوالب جاهزة بصرف النظر عن افتقارها للمصداقية الفكرية أو الفنية .

وجدير بالذكر أن هذه العناصر النمطية ليست قاصرة على السينما المصرية ، بل هى موجودة وراسخة فى أفلام دول رائدة فى الإنتاج السينمائى مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، وروسيا (الاتحاد السوفييتى سابقاً) ، وفرنسا ، وإنجلترا ، وألمانيا ، وإيطاليا .. الخ . ذلك أن السينما بطبيعتها فن وصناعة وتجارة . لكن الخوف من استشراء هذه العناصر النمطية ، كان يؤرق دائما السينمائيين الجادين خشية أن تتحول السينما إلى مجرد صناعة وتجارة فحسب . ومن هنا كانت الدراسات النقدية والتحليلية التى تقف بالمرصاد لكل بوادر التنميط الذى يمكن أن يصل فى بعض الأحيان إلى القولبة الجامدة والمتحجرة ، والتى تدعم وترسخ فى الوقت نفسه كل الإنجازات الرائدة فى مجال الابتكار والتجديد وضخ دماء جديدة فى عروق السينما . ولحسن الحظ فإن السينما المصرية لا تخلو من هذه الإنجازات التى تتجلى فى بعض أعمال هنرى بركات ويوسف شاهين وصلاح أبو سيف ، وفى كل أعمال شادى عبد السلام و مدكور ثابت على سبيل المثال لا الحصر .

ولاشك أن الاستخدام أو التوظيف المبتكر لأى عنصر نمطى ، ينفى عنه نمطيته فى الحال . فالمضامين والموضوعات والأساليب والأشكال ملك لجميع المبدعين . لكن منهم من يأخذها ويستخدمها كما هى دون تغيير للمنظور أو الزاوية أو الضوء ، ومنهم من يعيد صهرها وصياغتها بحيث تبدو جديدة كل الجدة . وتكمن الخطورة فى أن تتحول هذه العناصر النمطية إلى قيود تعوق المسيرة السينمائية من الانطلاق ، ذلك أن هذه العناصر ذاتها يمكن أن تتحول إلى رؤى جديدة وآفاق رحبة ، إذا ما تسلح السينمائيون بالأدوات الكفيلة بذلك . وهى

العناصر التى تتمثل فى الانتحال والتنكر والتشابه ، والاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً ، والقتل والانتقام ، والأمراض والعاهات ، والعقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون ، والخيانة الزوجية ، والعصابات والمخدرات والإدمان ، والأحلام والرؤى والأرواح والجن والسحر والشعوذة ، والصدف والمفاجآت غير المبررة واليانصيب والوصايا والثروة المفاجئة ، والدعارة وبنات الليل ، والنصب والاحتيال والتزييف والتآمر وتلفيق التهم والشائعات ، والانتحار والتضحية لوجه الله ، والماضى المشين ، والخطف والابتزاز والتهديد ،والفوارق الاجتماعية والتسلق الطبقى ،والزواج السرى والعرفى والمحلل ، وغيرها من العناصر التى يمكن إعادة إنتاجها فى ضوء غير تقليدى ومن منظور جديد .

والسينما المصرية مؤهلة لهذا المنظور الجديد بحكم ريادتها العريقة والراسخة للسينما العربية ، إذا أنها سبقت السينما فى بلاد عربية عديدة بعقود عديدة ، ولا تزال السينما العربية تحبو كطفل وليد فى أعقاب السينما المصرية برغم العناصر النمطية التى قد تنوء بحملها فى مسيرتها . ولا يمكن إدراك أبعاد هذا المنظور الجديد وأعماقه ، إلا بعد استكشاف أبعاد المنظور القديم النمطى وأعماقه ، حتى يمكن التخلص من السلبيات وتدعيم الإيجابيات والانطلاق إلى الآفاق المنشودة .

بدأت أبعاد المنظور القديم النمطى فى التبلور والرسوخ منذ الثلاثينات بستة أفلام دفعة واحدة ، كان أولها " معجزة الحب " للمخرج إبراهيم لاما عام ١٩٣٠ . كان من تأليفه وإنتاجه ، وتمثيل بدر لاما ، وثريا رفعت ، ومنسى فهمى ، وبطل حمل الأثقال مختار حسين . وفيه يعالج موضوع الحب فى مواجهة الفوارق الطبقية وتضحية الحبيب من أجل سعادة المحبوب ، وذلك من خلال شخصية بدر الدين الموسيقار الذى يعيش مع صديقه الرياضى مختار فى بنسيون . يتعرف على سميحة ابنة الثرى مصطفى بك وتتحول الصداقة إلى حب يرفضه الأب تماماً بل

ويهرع إلى تحديد موعد زفافها إلى الثرى كامل بك . ويسلك بدر الدين سلوك " الجنتلمان " فيقتنع بمنطق الأب ويقرر الانسحاب من حياة سميحة ، حتى لا يهدد مصلحتها فى الزواج من كامل بك ، فهو لا يحب أن يعقد الأمور التى تتطور بعد ذلك بحيث تظهر الفرق بين الجوهر الأصيل والمظهر المزيف ، ولا تضيع تضحية بدر الدين هباءً . فيحدث أن تسطو عصابة من اللصوص على قصر مصطفى بك ، ويرهبونه ليدلهم على مكان خزانة النقود . فى الحال يتعرى كامل بك ويبدو على حقيقته ، إذ يتخلى عن مساعدة الأب حتى لا يعرض نفسه لأية مشاكل ، وذلك فى الوقت الذى يهرع فيه بدر الدين وصديقه مختار لإنقاذ الأب وإنقاذ العزبة من حريق مدمر . وتتصاعد الأحداث بأسلوب ميلودرامى أصبح من العناصر النمطية فى السينما المصرية بعد ذلك ، إذ يصاب بدر الدين بالعمى نتيجة لخوضه فى ألسنة النيران . ولا تتوقف التضحية عند هذا الحد ، بل يواصل بدر الدين وفاءه بعهده للأب فيصر على معاملة سميحة بجفاء ، ولا يتحلل من عهده إلا عندما يرى فيه الأب زوجاً مثالياً لابنته ، ويبارك زواجه منها . وإذا كانت المصائب لا تأتى فرادى فى الميلودراما ، فكذلك الأفراح ، إذ إن إحدى شركات المدونات الموسيقية تقبل على بدر الدين لنشرها بعد أن كان قد فشل فى ذلك . ومن المعروف أنه لا توجد فى مصر مثل هذه الشركات ، مما يؤكد لنا المصادر الأجنبية التى استقت منها القصة . ثم تصل سعادة البطل إلى قمتها عندما يشفى ويعود إليه بصره ، إذ لابد أن ينتصر الخير على الشر فى النهاية بحصول البطل على مكافأته ، خاصة الزواج من محبوبته . وهو النمط الأمريكى الذى فرض نفسه على السينما فى معظم أنحاء العالم منذ بدايتها المبكرة نظراً لجاذبيته الناتجة عن النهاية السعيدة التى استمرأها الجمهور وهو خارج من دار السينما .

فى فيلم " أنشودة الفؤاد " عام ١٩٣٢ ، من إخراج ماريو فولبى ، وسيناريو استيفان روستى وإدمون نحاس ، وحوار خليل مطران ، وتمثيل جورج أبيض ،

ونادرة ، وعبد الرحمن رشدى ، تبرز عناصر نمطية جديدة ، تتمثل فى الدور الشهير الذى تلعبه الراقصة ، والصدمة النفسية التى تؤدى إلى الموت ، والوصية التى تتركها الشخصية الراحلة . فالثرى أمين باشا يلتقى براقصة أوربية يحبها وتقيم معه فى قصره حيث يسكن إلى جواره إبراهيم بك وشقيقه حسنى المتزوج من نادرة . وكالعادة التى جرت بعد ذلك فى أفلام يصعب حصرها ، فإن حسنى بك يهيم حباً بالراقصة التى سرعان ما تستجيب له ، ويهجر زوجته التى تشكوه لأخيه إبراهيم الذى يحاول إقناع الراقصة بالابتعاد عن طريق حسنى . لكن الأمور تصل إلى حد الاشتباك فى معركة يصاب فيها إبراهيم بالعمى كما حدث من قبل فيلم إبراهيم لاما " معجزة الحب " . ويحدث أن تنجب نادرة مولودتها حين يلقى البوليس القبض على زوجها حسنى ، فلا تتحمل الصدمة وتموت بعد أن توصى أمين باشا بتربية ابنتها .

فى فيلم " أولاد مصر " ١٩٣٣ الذى ألفه وأخرجه توجو مزراحى يبرز عنصر الفارق الطبقى والاجتماعى ، والأزمة النفسية أو الصدمة التى تؤدى إلى فقد الذاكرة والتى أصبحت قاسماً مشتركاً بعد ذلك فى أفلام كثيرة . فى الفيلم يتخرج أحمد طالب الهندسة بامتياز يشجعه على التقدم لطلب يد دولت أخت حسنى زميله فى الدراسة ، إلا أن والدها يرفضه بسبب الفارق الاجتماعى . ولم يتصور أحمد أن مهنة والده كعربجى ستقف حائلا دون تحقيق أمله طالما أنه أصبح مهندساً . يصاب بأزمة نفسية وينقل للمستشفى بعد أن فقد ذاكرته دون مبرر علمى أو سبب موضوعى لذلك . ولا تتخلى عنه دولت وشقيقها حسنى بل يبذلان كل ما فى وسعهما لمساعدته كى يجتاز محنته . وفى النهاية تتكلل مساعيهما بالنجاح ويتم شفاؤه ، ويتزوج من دولت بعد أن يرضخ والدها .

فى عام ١٩٣٣ أيضاً ألف أحمد جلال وأخرج فيلم " عندما تحب المرأة " وقام ببطولته مع آسيا ومارى كوينى التى قامت بالمونتاج . وفيه تبرز تيمة الفتاة

التى تتورط مع حبيبها فيهجرها ويتركها هى وابنها لمصير غامض . وتصبح ذات ماض مريب وغير مشرف تحاول إخفاءه بقدر الإمكان . وتتفاقم الأمور حتى تصل إلى درجة ارتكاب جريمة القتل . ذلك أن أمينة تتورط مع الشاب الذى تحبه لكنه يهجرها بعد أن تلد طفلها مراد . تتزوج من هاشم وتخفى عنه سرها بعد أن عهدت بطفلها إلى صديقتها أم إبراهيم لترعاه . وعندما يبلغ مراد العاشرة من عمره ترسله أمه إلى أوروبا . وتمضى الأيام ويعود ليقابل نادية ويعجب بها دون أن يعلم أنها محتالة متواطئة مع عشيقها رمزى فى جرائمه . كذلك تعترف أمينة لابنها بماضيها فيقرر العودة إلى أوروبا بعد أن تهديه أمه عقداً من اللؤلؤ . وتظن نادية أن مراد قد اكتشف حقيقتها فتطلب منه أن يصفح عنها بعد أن أحبته بصدق . ويحدث أن تقتل الأم ويتهم مراد بارتكاب الجريمة لوجود العقد معه بعد أن يتعرف عليه هاشم . ويصر مراد على كتمان الحقيقة حفاظاً على سمعة أمه الراحلة فى حين تبذل نادية أقصى ما فى وسعها لتبرئته إيماناً منا أن الحب يصنع المعجزات .

فى العام التالى ١٩٣٤ ألف أحمد جلال وأخرج فيلم " عيون ساحرة " ، وفيه يقدم الملهى الليلى الذى أصبح مكاناً نمطياً فى السينما بعد ذلك ، ثم ينتقل منه إلى عالم السحر والأرواح كى يثبت أن الحب هو أعظم قوة سحرية يمتلكها الإنسان . ففى الملهى نقابل المغنية دليلة التى تقع فى غرام سامى الذى يعرض عنها ، وبعد ذلك يصاب فى حادث ويموت . لكن حب دليلة له لا يموت وتنجح فى إحيائه بقوة سحرها وتخرجه من قبره . وبذلك سجل أحمد جلال ريادته فى إبداع الفيلم الذى يتخذ من الفانتازيا مضموناً له ، إذ نجد سامى يفهمها أنه لا يمكن أن يعيش إلا إذا أدمجت فى جسمه روح شخص يحمل علامة خاصة فى رقبته . وتوظف دليلة سحرها فتستشير كرتها البلورية السحرية التى تدلها على بائعة يانصيب فى رقبتها نفس العلامة . تحشد دليلة كل سحرها لتستخرج روحها وتمنحها للشاب الذى تعود إليه الحياة ، لكنه يعيش شارداً ذاهلاً بعد أن أصبحت روح الفتاة تعيش فى جسدها

وجسده فى آن واحد . فهما يفرحان ويحزنان معاً ، يعيشان ولابد أن يموتا معاً . فقد وحدت الروح بينهما وجعلت حبهما رابطة أبدية . تحاول الساحرة إرجاعه ، لكنها تفشل عندما يتغلب سلطان الحب على قوة السحر .

فى عام ١٩٣٥ أخرج ألكسندر فاراكاش فيلم " بواب العمارة " من تأليف بديع خيرى ، وبطولة على الكسار وفتحية محمود وكوكا وبشارة واكيم ، ويبرز نمط البواب والخادمة واللصوص ، وأيضاً تيمة الانتحال أو التقمص أو التنكر فى شخصية أخرى ، وهى التيمة التى تعتبر من أشهر العناصر النمطية فى السينما المصرية . نقابل عثمان بواب إحدى العمارات ، الذى يحب الخادمة فلة . ويحدث أن يسطو اللصوص على العمارة فيتهم عثمان بالإهمال ويطرد من عمله . ومن المفارقات غير المنطقية بعد ذلك أنه يعمل فى خدمة رجل أعمال أمريكى يطلب منه انتحال شخصية الخطيب فى حين أن مظهره لا يمكن أن يقنع الخطيبة بذلك ، فمن المستحيل أن يبدو أمريكياً .كذلك تعمل فلة فى خدمة الرجل الأمريكى ، وتفاجأ بغراميات عثمان مع الخطيبة . تثور لذلك لكن سرعان ما تظهر الحقيقة ، وتحل النهاية السعيدة التقليدية بزواج الأمريكى من خطيبته ، وعثمان من فلة .

فى عام ١٩٣٦ أخرج توليو كارينى فيلم " أنشودة الراديو " قصة وحوار بديع خيرى ، وبطولة نادرة وبشارة واكيم وأحمد علام . وفيه تبرز تيمة الخيانة الزوجية التى فرضت نفسها على أفلام كثيرة فى عقود متتابعة حتى الآن ، وكذلك تيمة الانتحال والتنكر فى شخصية أخرى ، من خلال شخصية عبده الموسيقى المغمور المتزوج من نادرة ذات الصوت الجميل والتى تساعده فى عمله ، لكن أرباحها قليلة . ولذلك يقرر أن يقدمها للإذاعة - التى كانت قد افتتحت حديثاً - حتى يستغل مواهبها على نطاق واسع . ويحدث أن يلاحق أحمد ، أحد تلاميذ عبده ، نادرة بحبه فى نفس الوقت الذى يضطر فيه عبده للسفر إلى عمه المريض لعله يرث بعضاً من ماله لكنه يشفى . ويصل عبده خطاباً عن خيانة زوجته ،

فيتفتق ذهنه عن إيهام الجميع بأنه مات منتحراً ، ويختفى ثم يتنكر فى هيئة شخص آخر . وكانت نادرة قد انهمكت فى العمل بالإذاعة لحاجتها الشديدة للمال . ويستغل أحمد انتحار زوجها فيتقدم لطلب يدها لكنها ترفضه احتراماً ووفاءً لذكرى زوجها . عندئذ يتأكد عبده من إخلاص زوجته وحبها له فيعود إليها .

فى عام ١٩٣٩ يعود إبراهيم لاما لإخراج فيلم زاخر بكل العناصر النمطية والتوابل التجارية : الاغتصاب ، محاولة فاشلة للقتل والانتقام ، الهروب من السجن ، البحث عن كنز ، الصدفة المحضة ، الانتحال والتخفى ، استيقاظ الضمير ، ثم الانتحار . إنه فيلم " الكنز المفقود " الذى يعتدى فيه الشاب الثرى سامى بك على زينات ابنة ناظر العزبة . وعندما يعلم أخوها بذلك يقرر قتل سامى لكنه يخطئ الهدف ويقتل أخته ، ويتم القبض عليه لكنه بعد فترة يستطيع أن يهرب من السجن ويختفى عند عمته بالريف حيث يتعرف على الشيخ بشير الذى يخبره عن وجود كنز بالبحر ، يعثر عليه بعد جهد . وتشاء الصدفة أن يتزوج من فتاة نكتشف أنها شقيقة سامى . ثم يسافر إلى الهند لمدة عشرين عاماً ، يعود بعدها متنكراً فى شخصية مهراجا ليشترى الأراضى الشاسعة . يتقابل مع سامى ويعرفه بنفسه ، فيستيقظ ضمير سامى ولا يحتمل وزر حياته لدرجة أنه ينتحر .

أما فى عقد الأربعينيات فقد تدفق سيل من الأفلام التى حرصت على تجميع أكبر قدر ممكن من التوابل النمطية ، خاصة أنه العقد الذى شهد الحرب العالمية الثانية وما بعدها حين برزت الطبقات الجديدة التى حققت امتيازات اقتصادية طارئة ، وكانت فى مقدمتها طبقة أغنياء الحرب وغيرها من الفئات التى امتلكت المال والثروة ولم تكتسب القيم الثقافية والوعى الحضارى ، ونظرت إلى الفن على أنه مجرد تسلية حسية عابرة لإزجاء وقت الفراغ بعيداً عن مشاكل الفكر والتنوير . وبحكم أن السينما فن جماهيرى ، فقد كان من الطبيعى أن تلبى رغبات المتفرجين الجدد . وكانت السينما خير ترويح للنفوس التى أنهكتها الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى ترتبت على الحرب التى لم يكن لنا فيها ناقة ولا جمل.

في عام ١٩٤٠ ألف أحمد جلال وأخرج فيلم " فتاة متمردة " الذى جمع فيه بين التسلية والغناء والرقص والإثارة والصدمة والميلودراما . فيه تعيش درية مع أمها التى تغنى وترقص فى ملهى دون علم ابنتها . وتتعرف على شاب يملأ قلبها حباً وسعادة ، ويطلب من أخيه أن يخطبها له . لكن الأخ يكتشف بالصدفة عمل الأم فيرفض القيام بالمهمة ، بل ويخبر درية بالحقيقة . وتصعيداً للإثارة وتعميقاً للصدمة تصاب الأم بشلل . تسعى درية إلى الحصول على عمل لكنها لا توفق ، فتضطر إلى أن تحل محل أمها فى الملهى لتغنى حتى توفر المال اللازم لعلاج أمها . وبالأسلوب الرومانسى الذى أشتهر به العصر فإن الشاب الذى أحب درية يقع صريع المرض بدوره لابتعاده عنها . ويهرع أخوه لمقابلة درية كى يخبرها بمحنة أخيه ، لكنها كانت قد تركت الملهى واحترفت مهنة الحياكة بعد وفاة أمها . وعندما يعرف ما وقع لها يدرك إلى أى مدى كانت شريفة ومازالت ، وكذلك أمها برغم طبيعة المهنة التى احترفتها . وكعادة معظم الأفلام المصرية يأتى الزواج كنهاية سعيدة لكل آلامها . ولم تكن درية فتاة متمردة كما يوحى العنوان التجارى الجذاب ، بل كانت فتاة طيبة ومكافحة ولم تتمرد على أى وضع .

وفى عام ١٩٤٣ ألف أحمد جلال وأخرج فيلم " ماجدة " الذى يعد نموذجاً لتوليف معظم العناصر النمطية فى فيلم واحد ، مثل هروب فتاة فى ليلة زفافها ، وشروع عريسها فى الانتقام بادعائه الموت والدخول فى مصادفات ومفارقات قد تكون غير مقنعة لكنها تهدف إلى الإثارة بأى ثمن . يبدأ الفيلم بهروب ماجدة فى ليلة زفافها وتصميم زوجها على الانتقام من خلال ادعاء الموت والتخفى والإيعاز بطرد أبيها من عمله ، مما يؤدى بأبيها إلى طردها من البيت . ثم تأتى الصدفة النمطية لتقابل فى طريقها سيدة تدعوها إلى بيتها الذى يتضح أنه يدار للدعارة . ويتصادف مرة أخرى أن يهاجم البوليس المنزل ويقبض عليها . وتمضى فترة العقوبة ، وعندما تخرج من السجن تعلم بموت أبيها . ونظراً لأن المصائب لا تأتى

فرادى فإن أمها تواجه مرضاً خطيراً . وتبحث ماجدة عن عمل ، فتعمل مغنية ، ويعود الزوج إلى مصر باحثاً عن زوجته بعد أن تجرى له عملية تجميل . فهو لم ينسى رغبته الحارقة فى الانتقام منها ، وذلك بإذلالها بماله ووسامته ، وتعذيبها بالحب والغيرة ثم السخرية والتهكم منها بعد ذلك . لكنه عندما يعثر عليها يطغى عليه حبه القديم لها فينسى الانتقام ويغفر لها .

أما يوسف وهبى فقد أخرج فى الأربعينيات ثلاثة أفلام : " أولاد الفقراء " ١٩٤٢ ، و " بنات الريف " ١٩٤٥ ، و " الفنان العظيم " ١٩٤٥ أيضاً . وكلها حافلة بالعناصر التى أصبحت نمطية فى السينما المصرية . ففى " أولاد الفقراء " يرفض فؤاد باشا مساعدة أخيه بعد إفلاسه فى البورصة . يتخلى زكى عن ابنة عمه حسنية بعد أن اعتدى عليها . يعود الأخ لمعى من بعثته فى الخارج . تتزوج حسنية من إبراهيم وتنجب طفلتها . وكالعادة يشك الأب فى نسبها فيهجر حسنية حتى تضطر للعمل راقصة فى ملهى ، كما تعمل ابنتها المريضة بالسل مغنية . عندئذ يستيقظ ضمير زكى ويعالج ابنته ، لكننا نفاجأ بلمعى وهو يخنقها لتخليصها من عذاب مرضها ثم يهرب !! وفى النهاية تستطيع حسنية بمساعدة إبراهيم أن تعثر على لمعى !

وفى فيلم " بنات الريف " الذى ألفه يوسف وهبى وأخرجه مثل معظم أفلامه ، يعمل أبو الفتاة الريفية سنية فى عزبة محسن بك الذى يعتدى عليها بعد أن وعدها بالزواج . يهديها خاتماً ثميناً لكنه فى حقيقة الأمر يخطط للتخلص منها ، إذ أنه يتهمها بسرقة الخاتم ويقبض عليها وتودع السجن حيث تلد ابنها . وتمر السنوات ، ويكبر ابنها ويتهم فى قضية سطو وقتل . وتشاء الصدفة - كالعادة - أن يكون القاضى هو محسن الذى يتعرف على سنية ويطلب منها الغفران بل ويستقيل من عمله . وتتصاعد الأحداث المثيرة التى تصبح دموية عندما يقتله إبراهيم ابن عم سنية انتقاما لشرف العائلة بعد أن قام بالدفاع عن ابنه الجانى الحقيقى .

وفى فيلم " الفنان العظيم " يحشد يوسف وهبى المواقف بأحداث إطلاق النار ، والانهيار المالى ، والمرض ، وتهريب المخدرات ، والمطاردة ، والعملية الجراحية من خلال شخصية بطله نبيل رشدى الممثل المشهور الذى يحب مديحة ابنة صادق باشا التى تبادله مشاعره ويتفقان على الزواج ، لكن شقيقها يرفض زواجها من ممثل ويطلق عليه النار مما يؤدى إلى القضاء على مستقبله كممثل . ومع ذلك يتزوج مديحة التى تحمّل كل هذه الآلام لأجلها . لكن أحواله المالية تسوء ويضطر إلى السكن فى حجرة صغيرة هو وزوجته وابنته المريضة . ولا يتخلى عن مثاليته فيشعر أنه يظلم مديحة ولذلك يفكر فى إعادتها مرة أخرى إلى منزل أبيها الباشا . وتهديه الحيلة إلى إقناعها بأنه يخونها مع امرأة أخرى . وبالفعل تنجح حيلته لينطلق بعد ذلك فى أرض الله الواسعة فيصبح مهرجاً فى سيرك ، ثم ينضم إلى عصابة من مهربى المخدرات . وفى مطاردة لحرس الحدود يصاب بطلق نارى مرة أخرى بعد حادثة شقيق مديحة . وتجرى له جراحة لاستخراج الرصاصتين القديمة والحديثة . وتبتسم الدنيا له مرة أخرى فيعود إلى المسرح ويبدأ رحلة مجده بمساعدة صادق باشا والد زوجته .

فى العام نفسه (١٩٤٥) قدم كمال سليم فيلماً غريباً من تأليفه وإخراجه بعنوان " ليلة الجمعة " . وتكمن غرابته فى أنه لا يمت بصلة إلى المجد السينمائى الذى حققه فيلمه الشهير " العزيمة " عام ١٩٣٩ ، والذى كان رائداً فى تحطيمه للقوالب النمطية التى بدأت فى فرض نفسها على السينمائيين . ويبدو أن المنتجين – خاصة أغنياء الحرب منهم – الذين دخلوا ميدان الإنتاج السينمائى بهدف الربح فى أثناء الحرب العالمية الثانية أو بعدها ، اطمأنوا لإعادة إنتاج الأنماط التى اعتادها الجمهور ولا داعى للمغامرة غير المحسوبة بهدف استكشاف آفاق سينمائية مبتكرة ، مما أدى إلى مد تجارى جرف فى طريقه مخرجين ومؤلفين واعدين من طراز كمال سليم الذى قدم فى " ليلة الجمعة " زوجاً مستقيماً يخضع لإغراء شريكه

الذى يعرفه براقصة تدفعه إلى تعاطى الخمر حتى يثمل فتعود به إلى بيته وتدعى أمام عمه الثرى أنها زوجته ، ويتصادف أن عمه هذا لم يتقابل مع زوجته من قبل ، ولذلك يهنئ ابن أخيه على حسن اختياره ، بل ويهبه جزءاً من ثروته الضخمة . ومن الطبيعى أن تظهر الزوجة الحقيقية التى تحاول تبين الأمر لكن الظروف لا تساعدها ، بل تتعقد الأمور التى تصل إلى انفصال الزوجين . عندئذ يشعر الشريك بالذنب لأنه تسبب فى كل هذا ، ويسعى جاهداً لإصلاح المشاكل التى تسبب فيها . وتأتى النهاية السعيدة كالعادة عندما ينجح فى إعادة ثروة العم ، ورأب الصدع الذى وقع بين الزوجين ، وإبعاد الراقصة عن طريقهما .

ومن الواضح أن العنوان نفسه " ليلة الجمعة " يوحى بدلالات جنسية وترفيهية لابد أن تجد صدى عند جماهير التسلية التى برزت مع الحرب ، فى حين أن عنوان " العزيمة " يدل على القيم الإيجابية والإنسانية التى بلورها الفيلم فى بناء درامى جعله نقطة تحول مضيئة على الخريطة السينمائية ، والتى رفعت من شأن العمل الحر ، والصمود فى وجه الظلم ، وقيمة العمل فى حد ذاته بصرف النظر عن مستواه الاجتماعى والاقتصادى ، والتفاؤل بانتصار الإرادة الإنسانية . وهذا المضمون الراقى تجسد فى فيلم اكتملت له الأساليب الفنية والدرامية التى جعلته يصمد لاختبار الزمن .

فى عام ١٩٤٥ أيضاً قدم نيازى مصطفى فيلم " البنى آدم " الذى مزج فيه بين الفانتازيا الخيالية المسلية والأحداث الميلودرامية النمطية ، من خلال شخصية رجل متوسط الحال له ابنة شابة وطفلان وثلاثة حمير . يسافر الأب ويوصى ابن صديقه بأسرته . وسرعان ما يحاول الشاب التقرب من الفتاة إلا أنها تصده فيسرق الطفلين والحمير الثلاثة حتى يجبرها على الرضوخ له . ولا تملك الأم سوى أن تدعو الله أن يجعل من الحمير الثلاثة ثلاثة رجال ، وتحدث المعجزة وينقلبون إلى بندق ولوز وسوسو وينجحون فى إنقاذ الطفلين . ونظراً لأن مستشفى الأمراض

العقلية من الأماكن النمطية المفضلة فى السينما المصرية ، فإن الرجال الثلاثة يصرون على أن أصلهم حمير بحيث يتم إيداعهم فيها . وتتصاعد الأحداث الميلودرامية عندما تعترف الابنة لأمها بما حدث ، وتطلق الرصاص على الشاب لكنها تصيب الأم ، مما يؤدى بها إلى الجنون الذى يعد أيضاً من التيمات النمطية الأثيرة إلى نفوس السينمائيين المصريين . وتدخل المستشفى ، فى حين يموت الأب العائد . وبرغم كل هذه الفواجع فإن النهاية السعيدة تطل علينا عندما تتزوج الفتاة بعد شفائها . ويطلب الثلاثة من الله أن يعيدهم مرة أخرى حميراً لأن عالم الحيوانات أكثر سعادة ورأفة من عالم البشر .

وقد تجلت هذه الفواجع فى فيلم " قتلت ولدى " الذى أخرجه جمال مدكور فى عام ١٩٤٥ أيضاً ، والذى تقع فيه للدكتور سامى حادثة يصاب على أثرها بالشلل . ويعرض على زوجته سهام الطلاق حتى لا يظلمها دون ذنب جنته ، لكنها ترفض التخلى عنه . يطلب سامى من أخيه فؤاد أن يعتنى بسهام فيتكرر لقاؤهما . وبمرور الأيام تنشأ بينهما علاقة غير شريفة ، تكون نتيجتها أن تحمل سهام . وعندما يعلم سامى بهذا العار ينتحر . وقد أصبح الانتحار بعد ذلك من التيمات النمطية فى السينما المصرية وتتصاعد الأحداث الميلودرامية فيتهم كل من سهام وفؤاد بقتله ويقدمان للمحاكمة لكنهما ينالان البراءة . ويعود فؤاد إلى أمه ومعه سهام لكنها لا تنسى ما جرى فتقوم بطردهما من منزلها .

وفى عام ١٩٤٥ أيضاً أخرج إبراهيم عمارة فيلمه " الزلة الكبرى " الذى جسد فيه مظاهر الانهيار الأخلاقى والاغتصاب والشقاء ثم الانتحار وذلك من خلال رجل فاسد الأخلاق جنى على ولده فحرمه من حبيبته التى تزوجها هو ثم تركها تسقط فى هاوية الاستهتار الخلقى . ولا تتوقف جرائمه عند هذا الحد بل يعتدى على عفاف ابنة خادمه المخلص بحيث أصبح مصدراً لشقاء كل من اتصل به . وفى النهاية يعترف بجرائمه التى لا يكفر عنها إلا بالانتحار . وعلى الرغم من أن

القصة والحوار من تأليف القصصى والروائى يوسف جوهر الذى يعتبر من نجوم جيل نجيب محفوظ ، إلا أنه لا يبدو أنه لا مهرب من الحتميات التجارية التى فرضت على التأليف السينمائى مثل هذه العناصر النمطية التى اعتادها الجمهور الذى لم يكلف نفسه مجرد مناقشة مصداقيتها .

فى نفس العام أيضاً أخرج محمد عبد الجواد فيلم " قصة غرام " الذى كتب قصته والسيناريو والحوار كمال سليم الذى شاركه أيضا فى الإخراج إذ إن اسمه كتب بعده فى إعلانات الفيلم . وإذا كان الفيلم ينسب أساساً لمحمد عبد الجواد ، إلا أنه يدل على أن فيلم " العزيمة " كان فلتة أو استثناء من القاعدة التى سار كمال سليم على نهجها بعد ذلك . فقد جمع فى الفيلم كل العناصر النمطية والمواقف الميلودرامية الصارخة عندما يفقد كل من جلال وهدى والده الذى يوصى عليهما شريراً ظالماً ، يستبد بهما ويستولى على ثروة الفتاة . يتحملان أذاه حتى يكبرا ثم يحاولان الهرب من بطشه لكن الظروف لا تساعدهما ، إذ يطاردهما ويصاب جلال بطلق نارى يعوقه عن مواصلة السير . ثم تقع هدى فى قبضة شرير آخر يتزوجها ويضطهدها محاولا إرغامها على إعطائه توكيلها حتى يطالب بثروتها من الوصى . وعندما ترفض يعذبها فترضخ له . وتشاء الصدف أن تعثر على أخيها جلال الذى يصبح عرضة لتآمر زوجها مع الوصى بهدف القضاء عليه فتشاء الصدف مرة أخرى أن يقتل كل منهما الآخر دون قصد ، ويلتئم شمل الأسرة مرة أخرى .

وإذا رجعنا إلى عام ١٩٤٣ ، فإن الفيلم الذى أخرجه عبد الفتاح حسن وكتب له السيناريو بعنوان " حب من السماء " ، يمثل نمطاً فريداً لجمعه معظم وأهم التيمات التى تركت بصماتها واضحة على خريطة السينما المصرية ، والتى بلورتها أفلام الأربعينيات التى سبق رصدها . ففى هذا الفيلم نقابل فتاة حسناء تدعى سامية لكنها مصابة بالشلل . ومع ذلك يقع فى حبها مهندس عاطفى ، لكنها ترفض

عرضه لإحساسها أنه يشفق عليها . ولكى تتخلص منه بطريقة لا تجرح مشاعره ، فإنها تغريه بالزواج من ابنة عمها برغم أنها فتاة مستهترة . وبحكم أن الخير لابد أن ينتصر ، فإن طبيباً كبيراً يتقدم لعلاج سامية فتشفى فى حين تظل ابنة العم فى استهتارها برغم زواجها من المهندس الذى ينتهى به الأمر إلى ضبطها متلبسة بخيانته . وتتصاعد الأحداث الميلودرامية التى تعتمد على الصدفة كالعادة ، فيصاب الزوج فى حادثة يفقد فيها بصره ، لكنه يتقدم لطلب يد سامية بعد طلاقه من ابنة عمها . وإمعاناً فى تصعيد الأحداث فإنها ترفضه . ومع مرور الأيام لا يهدأ الصراع العاطفى الذى يجعلها فى النهاية تعدل عن موقفها ويتزوجان ليصل الفيلم إلى النهاية السعيدة النمطية .

وإذا انتقلنا إلى النصف الثانى من الأربعينيات ، فإن محمد كريم يقدم فى عام ١٩٤٦ فيلم " دنيا " الذى يصور حياة فتاة تسجن خمس سنوات لقتل وليدها الذى أنجبته من شاب يغرر بها ثم يهجرها ، وبعد انتهاء فترة السجن تخرج وكلها تصميم على الانتقام منه . وبالفعل تلتقى به دون أن تصارحه بموضوع سجنها . ويقبل هذه المرة أن يتزوجها مما يدخلها فى دوامة الصراع ما بين حبها ورغبتها فى الانتقام منه . فهى تحاول أن تنسى الماضى بعد أن تأكدت من حبه الجارف لها . لكن أم الشاب تكتشف الماضى الحقيقى للفتاة فتضيق بزواجهما وتنغص على ابنها حياته . هنا تبرز المثالية الميلودرامية النمطية عندما تقرر الفتاة التضحية بحبها حتى لا تكون سبباً فى نكبة كبيرة تلحق بأسرة الشاب ، فتنتحر لتضع حداً لحياتها . أى أن الفيلم جمع عناصر التغرير والاغتصاب والقتل والسجن والحب والانتقام والماضى المشين والتضحية والانتحار .

وبحلول عقد الخمسينيات شهدت السينما المصرية تياراً عاتياً من العناصر والتيمات والموضوعات والمضامين والشخصيات والأماكن النمطية التى احتشدت فى أفلام تجاوزت الخمسين فى عددها ، وبرع فى إخراجها فنانون راسخون من

أمثال حسن الإمام ، وعز الدين ذو الفقار ، وأحمد ضياء الدين ، ومحمد عبد الجواد ، وأحمد كامل مرسى ، وحسن الصيفى ، وكمال عطية ، وإبراهيم عمارة ، والسيد زيادة ، وأحمد بدرخان ، ، ونيازى مصطفى ، وهنرى بركات ، ومحمود ذو الفقار ، وزهير بكير ، وإلهامى حسن ، وفطين عبد الوهاب ، ويوسف وهبى بطبيعة الأمر .

وإذا كان بعض هؤلاء المخرجين قد غير اتجاهه بعد ذلك واكتشف آفاقاً جديدة ، أو مارس أكثر من لون وأسلوب فى آن واحد مثل أحمد كامل مرسى ، وهنرى بركات ، وفطين عبد الوهاب ، وعز الدين ذو الفقار ، ومحمود ذو الفقار ، وإبراهيم عمارة ، فإن منهم من ظل مخلصاً بل ومستمتعاً بالتنويع على هذه العناصر النمطية ، خاصة الميلودرامية منها ، دون أن يفكر فى هجرها إلى غيرها . ويأتى فى مقدمة هؤلاء المخرجين حسن الإمام ، وأحمد ضياء الدين ، وحسن الصيفى ، وزهير بكير ، ونيازى مصطفى إلى حد ما .

استهل حسن الإمام عقد الخمسينيات بفيلمه " أسرار الناس " الذى أخرجه عام ١٩٥١ ، وفيه يتهم شاب فى جريمة ما ، يدخل السجن بسببها . وعندما يخرج يضمنه صاحب فرن ويقاسمه حياته ، لكنه ينصب شباكه حول زوجة الرجل الثرية ، ويدبر لصاحب الفرن تهمة ليلقى به فى السجن . تهرب الزوجة وتضل الابنة فى طريقها لكن رجلاً طيباً يلتقطها . ويدور الزمن دورته وتلتقى الابنة بالأم دون أن تعرفها . ويواصل الشرير إجرامه بإصراره على استغلال الابنة بل والاعتداء عليها ، مما يدفع الأم إلى الانتقام منه وإلقاء مادة كاوية على وجهه ثم تقتله ، ثم تهرع إلى منزل زوجها السابق لتشهد زفاف ابنتها وتموت بينهم ، بحيث يمتزج الحزن بالسعادة ، والألم بالفرح .

وفى عام ١٩٥٢ أخرج حسن الإمام فيلمين " زمن العجايب " و " أنا بنت مين " ، جمع فيهما كل ما تيسر من التوابل النمطية التى أغرم بها جمهور

الخمسينيات على وجه التحديد . فى الفيلم الأول نقابل امـرأة تتطلـع للـثراء فتستسلم لثرى كهل يتزوجها . وهى لها ابنة من رجل آخر لكنها تنكر بنوتهـا ، وهـو أيضـاً له ابن وابنة من زوجة سابقة . وتتفاقم الأمور عندما ينغمس الكهل فى لعب القمـار ويترك الحبل لزوجته الجامحة على الغارب فتصادق شاباً يطمـع فـى ثـروة زوجهـا فيبتزه ويخطط للتخلص منه حتى ترث زوجته . وكانت الخطـة أن تتظـاهر الزوجـة بحب ابن الكهل حتى يصاب الأب بصدمة يموت بسببها !! وكأنها صدمة مضمونـة مائة فى المائة . ثم يعتدى ابن الزوج على ابنة الزوجة التى تحمل منه لتضع طفـلاً تودعه الملجأ . ثـم تتدخـل الصدفـة المحضـة كالعـادة فيحـدث أن تتبنـى الطفـل ابنـة الكهل . وتقتل السيدة زوجها فى حين يتنكر لها عشيقها بل ويحاول اتهامها بـإحراز مخدرات ليتخلص منها . ونظراً لأن الشر لا يهادن الشر فإنها تواجهـه فـى معركـة شرسة تقتله فيها وببساطة شديدة تتهم ابنتها بقتلـه . عندئـذ يـترافع عنهـا ابـن الكهـل الذى يتصادف أن يكون محامياً ، وتعترف الأم بالحقيقة فيقبض عليها ويحكم بـبراءة الابنة .

وفى فيلم " أنا بنت مين " فيقرر جلال ابن أحد أصحاب المحـاجر أن يـتزوج نعمت ابنة أحد العمال ، فهو يحبها بل ومارس معها الجنس . لكن أباه يرفض لأنـه بدد أموال ابنة أخيه زيزى ولذلك يتحتم عليه أن يتزوجها ليتجاوز ورطته . وعندمـا يحين ميعاد الولادة تلجأ نعمت إلى رجل طيب يساعدها على ذلك . وبالفعل يـتزوج جلال من زيزى بعد أن يعتقد أن نعمت ماتت . ونظراً لأن " مسير الحـى يتلاقـى " بالصدفة طبعا ، فإن أبو جلال يعلم بأمر حفيدته ، ويوعـز لحـامد ملاحـظ العمـال بخطفها على أن يقوم برعايتها ، لكنه يسىء معاملتها . وبعد سنوات يستيقظ ضمـير والـد جـلال فـيروى لابنـه الحقيقـة . وإذا كـان لابـد مـن القضـاء علـى الشـر مهمـا استفحل ، فالحل موجود وسهل وسريع وحاسم إذ يُقتل حامد فى حادث سيارة ، ثـم تهـل النهـاية السعيدة النمطـية عندما يهتدى جـلال إلـى مكـان نعمـت وابنتـه ويعـود

بهما ، وتتوقف البطلة عن التساؤل : " أنا بنت مين " ؟! ، إذ أن قضية النسب التائه أو المشكوك فيه تأتى فى مقدمة العناصر النمطية فى تلك الفترة ، وإن كانت قد توارت بعد ذلك فى السبعينيات .

وفى عام ١٩٥٣ يقدم حسن الإمام فيلمين أيضاً : " بائعة الخبز " و " حب فى الظلام" . وقد حشدهما كعادته بالأحداث الميلودرامية النمطية كإشعال الحريق ، والإصابة بالجنون ، وفقد الذاكرة ، وملجأ الأيتام ، والانتحال والتنكر ، ومرض القلب ، ومحاولة القتل ، والاعتراف بالجريمة ، ونهب الأموال ، ورهن المصاغ ، والربا ، والسرقة ، والهروب ، والاتهام الظالم ، والإصابة بالعمى ثم استرداد البصر .. الخ .

فى فيلم " بائعة الخبز " يموت الزوج ويترك زوجته خديجة وطفليها نعمت وسامى فتذهب لتعيش مع قريبة لهم ، وإذ بالمصنع الذى كان زوجها يعمل فيه يحترق وتتهم خديجة بحرقه !! ثم نكتشف أن هذه الجريمة من تدبير الريس عبد الحكيم بعد أن ترفض خديجة الزواج منه . فتصاب بحالة جنون وتودع فى المستشفى لمدة عشر سنوات تظل فيها فاقدة الذاكرة . ويتكرر الحريق لكنه فى المستشفى هذه المرة ، ورب ضارة نافعة !! لأن الحريق يعيد إليها ذاكرتها ، فتبدأ رحلة البحث عن نعمت وسامى ، ذلك أن بحث الوالدين عن الأبناء أو الأبناء عن الوالدين فى مقدمة التوابل النمطية التى لم تفقد جدتها لمدة طويلة . نكتشف أن نعمت تربت فى ملجأ أيتام وقد وقعت فى حب شاب يدعى مدحت ، فى حين أصبح سامى محامياً ، ولا يعرفان أن أمهما خديجة تعمل بائعة خبز فى فرن باسم حميدة ، كما يتخفى عبد الحكيم تحت اسم غريب بعد أن تزوج وأنجب ابنة مريضة بالقلب . وتشاء الصدف كالعادة أن تتعرف نعمت على ابنة " غريب " أو " عبد الحكيم " بحكم اسمه القديم ، لكنه يواصل اتهامه الكاذب ويؤكد لابنته أن أم نعمت هى التى أحرقت المصنع بل ويحاول قتل خديجة ، لكنها تنجو بل وتكتشف

شخصيته الحقيقية أى الريس عبد الحكيم الذى يعترف فى النهاية ببراءتها فى حين تموت ابنته المريضة بالقلب .

فى فيلم " حب فى الظلام " يقدم حسن الإمام أرملة أنجبت شابين أحدهما مستقيم والآخر ابن زوجها الثانى ، ويجسد الشر المحض فينهب أموال أمه وأخيه ، فتضطر الأم لرهن مصاغها لدى مرابية يتعامل معها الابن الثانى أيضاً ، ويصمم على سرقتها . وعندما يحضر الابن الأول ليسترد مصاغ أمه ، يتصادف أن يتسلل الأخ الثانى فى الوقت نفسه لمنزل المرابية ويقتلها ويهرب . وتحاول الجارة أن تستنجد بأهل المنزل فلا تجد أمامها سوى الابن الأول فتظنه القاتل وتصرخ لكنها تسقط من أعلى السلم وتفقد بصرها . يؤنبه ضميره ويتزوجها على سبيل التكفير عن ذنبه لكنه يراوغها فى إجراء العملية . وترفض الاستكانة لمراوغته فتجرى العملية فى أثناء غيابه وتسترد بصرها . وعندما يعود زوجها تفاجأ وتتهمه بقتل المرابية . لكن الصدف تتدخل مرة أخرى ويظهر الشحاذ الذى رأى الحادث ليشهد على براءته .

ومن السهل رصد أصداء رواية " الجريمة والعقاب " للروائى الروسى ديستوفسكى فى فيلم " حب فى الظلام " الذى يبدو أن حسن الإمام كان معتزاً به لدرجة أنه أعاد إخراجه فى عام ١٩٨٧ تحت اسم " حب فوق البركان " . وهذا يدل على انه اتخذ من هذه التوجهات النمطية والميلودرامية منهجاً رفض أن يتخلى عنه طوال حياته . قد نختلف معه لكننا لا نملك سوى احترام التزامه بما اقتنع به قناعة شخصية ومنحه أسلوبه الذى تميز به .

فى عام ١٩٥٧ قدم حسن الإمام فيلم " لواحظ " الذى يلعب فيه لعبته المفضلة التى تدور حول النسب المشكوك فيه ، وحياة الكباريهات والسجون ، والخطف ، ومقاومة الاغتصاب والقتل ، والإنقاذ فى آخر لحظة ، وذلك من خلال شخصية لواحظ التى تعمل مغنية بأحد الكباريهات . تذهب لزيارة أمها بمستشفى السجن

حيث تعترف لها بأنها ليست ابنة المعلم عزب بل هى ابنة رجل ثرى تزوج بها سراً ثم هجرها . وتطلب من البوليس حمايتها من أعوان المعلم عزب المسجون أيضاً . وتشاء الصدف أن يكون الضابط المسئول هو ابن الرجل الثرى من زوجة ثانية . وعندما يثبت للأب أن لواحظ هى ابنته ، يطلب من ابنه كتمان الأمر حتى لا تغضب أمه ، لكنه فى الوقت نفسه ينقذها من عزب بتشغيلها خادمة عنده ، خاصة بعد أن خرج عزب من السجن وشرع فى البحث عنها . وبالفعل يواجه الرجل الثرى ويطالبه بتسليمه لواحظ ، لكنه يرفض ، فتكون النتيجة أنه يخطفها ويحاول اغتصابها إلا أنها تقاومه وتقتله فى الوقت الذى يصل فيه الضابط مع رجال الشرطة لإنقاذها .

وفى العام التالى (١٩٥٨) قدم حسن الإمام فيلم " عواطف " الذى يدور حول الابن أو الأخ غير الشرعى فى إطار أسرة مكونة من زوج وزوجته وابنتهما الشابة التى تعمل رئيسة لجمعية نسائية لمساعدة الفقراء ، وتتلقى خطاباً تفهم منه أن لها أخاً غير شرعى من أمها ولدته قبل أن تتزوج من أبيها . تخفى الخطاب عن أمها وتذهب إلى أخيها غير الشرعى لتتعرف عليه ، فيقدم لها أوراقاً تثبت بنوته ويطالبها بدفع مبلغ من المال مقابل تسليمها هذه الأوراق . تضطر لرهن مجوهراتها لتنقذ سمعة أمها وحتى لا يعرف زوجها شيئاً عن الموضوع . وكالعادة تدخل الأحداث فى مسار جديد ليست له علاقة بالمسارات السابقة إذ يتعرف رجل وفتاة على الزوجين باعتبارهما شقيقين ، وتتوطد العلاقة بين الأربعة ، فتحب الفتاة الزوج فى حين يحاول الرجل إيقاعه فى مآزق مالية ويعمل على تزويجه منها طمعاً فى ثروته . يعلم بسر الزوجة ويوهم الزوج بأن زوجته تخونه ، ويدعى لزوجته أنه مسافر ثم يفاجئها مع أخيها الذى ينتحر فى الحال ، فى حين تعجز الزوجة عن تبرئة نفسها حتى لا تفضح أمها .

وفى الخمسينات أيضاً يأتى عز الدين ذو الفقار بعد حسن الإمام فى قائمة العناصر النمطية بثلاثة أفلام : " سلو قلبى " ١٩٥٢ ، و " وفاء " ١٩٥٣ ، و

" امرأة فى الطريق " ١٩٥٨ . فى الفيلم الأول يربط الحب بين فتاة من أسرة عريقة وممثل ناجح ، لكن تبعاً للتقاليد التى تعتبر الفن نوعاً من الوصمة ، والتى تكررت فى أفلام كثيرة ، والتى يتمسك بها رب الأسرة ، فإنه يرفض أن يتزوج ابنته ممثل ، بل يتفق مع الممثل على أن يضحى بحبه ويوهم ابنته أنه متزوج من صديقته الراقصة ، وأنه يطمع فى ثروتها ، أى التضحية المثالية الفجة بلا مبرر على طريقة غادة الكاميليا . وبالفعل توافق الفتاة على الزواج من ابن عمها ، لكنها تكتشف الحيلة التى دبرها أبوها مع الممثل الذى دفع ثمن تضحيته الفجة ففقد مجده الفنى وتهالك على الخمر . ونظراً لأن المصائب لا تأتى فرادى فإن زوجها يصاب بالشلل فتقوم على تمريضه حتى يشفى بقدرة قادر ، فى حين تتدهور صحتها نتيجة لصدمتها النفسية ، ومع ذلك تشجع الممثل على استعادة مجده الفنى . وعندما يقف الزوج على حقيقة هذه العلاقة فإنه يطلق زوجته لتحل النهاية السعيدة بالتئام شمل الحبيبين .

فى فيلم " وفاء " تنشأ أمينة فى جو من الحرمان والفقر . تصاب بمرض فتنقل إلى مستشفى الدكتور جاسر حيث يعنى بها ابن الدكتور كمال برغم أن فقرها لا يتيح لها سوى دخول مستشفى قصر العينى . ولا تشفى من مرضها فحسب بل ينمو الحب بينها وبين الطبيب الشاب الذى يتزوجها برغم اعتراض أبيه . ثم يصاب كمال فى حادث يبعده عن العمل فتضطر أمينة إلى البحث عن مورد للمعيشة فلا تجد سوى وظيفة فى خدمة عادل الشاب الأعمى . وسرعان ما تنتهز ابنة عم كمال الفرصة للإيقاع بينهما فتخبر كمال أن زوجته تخونه ، وتنجح المؤامرة فيطلقها ويعود مع ابنته إلى منزل أبيه . ويحدث أن يسافر عادل إلى أوربا للعلاج الذى ينجح ويسترد بصره كما يحدث فى معظم الأفلام ، وعندما يعود إلى مصر يعلم بمأساة أمينة فيذهب لكمال ويعترف له بالحقيقة الدامغة على شرف زوجته وإخلاصها له . لكن لابد للأمور أن تتفاقم نحو تصعيد ميلودرامى جديد ، وخاصة

أن الصدفة جاهزة كالعادة للقيام بدورها ، فيحدث أن تصاب أمينة فى حادث فيجرى لها كمال عملية لإنقاذ حياتها ، ثم تأتى النهاية السعيدة النمطية حين يعود كمال ليواصل حياته مع حبيبة عمره أمينة .

فى عام ١٩٥٨ قدم عز الدين ذو الفقار فيلم " امرأة فى الطريق " المستوحى من الفيلم الأمريكى " صراع تحت الشمس " للمخرج كينج فيدور . ولذلك كان جو الصحراء والبرارى جواً غير نمطى على الإطلاق برغم بعض الأحداث النمطية التى تتمثل فى دس السم ، والديون الباهظة ، والبصر المفقود الذى تكرر كثيراً فى أفلام عز الدين ذو الفقار ، وكذلك الخيانة الزوجية والقتل والخنق . فالمعلم فرج يملك ورشة صيانة ومحطة بنزين ملحقة بمنزله الذى يعيش فيه مع ابنه حسنين وزوجته لواحظ ، وهى راقصة غجرية لعوب تتزوج من حسنين الذى لا تحبه حتى تكون بالقرب من أخيه الأكبر صابر الذى تحبه ولا يعيرها التفاتاً . ويصل المعلم منصور ليتوسط لصابر عند أبيه الذى طرده ولا يحتمل رؤيته لأنه ابن المرأة التى دست السم لزوجته الثانية . ولا يتوقف صابر عن محاولاته لكسب ود أبيه فينقذه بسداد الديون التى تحاصره ، فى حين تحاول لواحظ إغراء صابر وتلاحقه بفتنتها . ويحدث أن يفقد الأب بصره لسقوط سيارة عليه وهو يصلحها نتيجة لخطأ من حسنين الذى يقرر السفر بحثاً عن عمل . لكن الأب يفاجأ بعلاقة صابر ولواحظ ويخبر حسنين بخيانة زوجته . يحاول حسنين قتل صابر لكن لواحظ تقتله فما كان من صابر إلا أن يخنقها .

فى الخمسينيات أيضاً أخرج أحمد ضياء الدين أربعة أفلام من نفس النوع النمطى : " نافذة على الجنة " و " بعد الوداع " عام ١٩٥٣ ، ثم " قرية العشاق " ١٩٥٤ ، و " دعونى أعيش " ١٩٥٥ . فى الفيلم الأول : " نافذة على الجنة " ، وهو فى الحقيقة نافذة على الجحيم ، نقابل فتاة يتيمة من أسرة عريقة لم تجد حناناً عند أبيها المنطوى على نفسه ، فوجدت تعويضاً عنه فى شخص توفيق الكاتب فى

دائرة والدها . تثق به لكنه يخدعها ويعتدى عليها ويسرق أباها ويهرب . ولا يبلغ الأب إلا عن جريمة السرقة فحسب خوفاً من الفضيحة . وبعد انتهاء فترة حملها تلد طفلة عمياء فتودعها عند سيدة لترعاها . وبالصدفة تقع فى غرام شاب ، يطلب يدها لكنها تهرب منه ، فيصاب بصدمة نفسية تؤدى إلى تدهور صحته . ثم يتوفى أبوها وتتراجع عن موقفها من الشاب وتقبل الزواج منه . لكنها فى يوم عقد القران تفاجأ بتوفيق يدخل حاملاً ابنتها وهو يحاول تهديدها . يعرف العريس حقيقة موقف الفتاة التى أحبها فيسامحها ويتزوجها وتستعيد ابنتها ، ويتم القبض على توفيق لجريمة سرقة الأب .

فى فيلم " بعد الوداع " تقع أمينة التى لا عائل لها تحت وطأة بطش زوجها سليم الشرير الذى يطلقها وتتكر لها وهى حامل . لكن العناية الإلهية لا تتخلى عنها فيعطف عليها زوجان ، ويذهب ثلاثتهم لزيارة أهل الزوج ، لكن الفواجع تتواصل فيموت الزوج والزوجة فى حادث ، ويفهم أهل الزوج بطريق الخطأ أن أمينة هى زوجة ابنهم ، فتنساق لسوء الفهم هذا لأنهم لم يروها من قبل . وبالفعل تسعد بالحياة معهم . وتشاء الصدف أن يعلم سليم بسرها فيحاول ابتزاز أموال العائلة ، بل ويحاول أن يعيدها لعصمته طمعاً فى ثروة الطفل . تحاول أن تقتله وأن تهرب من حياتها ، لكن زوجة سليم الأخرى تسبقها وتقتله بالفعل على سبيل الانتقام . وينتهى الفيلم بسعادة البطلة مع ابنتها !!

أما فى فيلم " قرية العشاق " فإن أحمد ضياء الدين يصور قصة حب الفلاح عبد الرحيم لجارته فاطمة التى ينوى الزواج منها . لكن التوابل النمطية سرعان ما تتدخل ويتعرف عبد الرحيم على شهيرة ، من بنات المدينة - ابنة صاحب حدائق الفاكهة بالقرية . وسرعان ما يتورط معها ويعدها بالزواج إصلاحاً لخطئه ، لكن عندما يتحدد موعد القران ، فإنها تهرب مع عشيق لها . فيعود عبد الرحيم إلى فاطمة ويتزوجها وينجبان طفلاً . وعلى الرغم من أن شهيرة تتزوج من عشيقها ، فإنها تحاول التودد لعبد الرحيم لكنه يصدها بحزم فتقتل ابنه ببساطة . وعندما

تذهب فاطمة وعبد الرحيم للقائها ، تظن شهيرة أهما حضرا للانتقام فتطلق رصاصة طائشة تصيب الزوج ، وتعترف بقتل طفله ثم تحاول الهرب مع ابنها إلا أنها تلقى حتفها فى الطريق ، فتعطف فاطمة على وليدها وتأخذه لترعاه . وإذا عرفنا أن القصة والحوار من تأليف قاص متمكن هو أمين يوسف غراب ، لأدركنا أن الطوفان التجارى للعناصر النمطية أقوى من أن يقاومه أى أديب مهما كان راسخ القدم ، وهو ما حدث لنجيب محفوظ ، ويوسف السباعى ، ويوسف جوهر ، وعبد الحميد جودة السحار ، وإحسان عبد القدوس ، وثروت أباظة ، وإبراهيم الوردانى ، وفتحى غانم ، وسعد مكاوى ، وصالح مرسى ، وفتحى أبو الفضل ، سواء أخذت الأفلام عن قصصهم ورواياتهم المنشورة أو قاموا هم بأنفسهم بالتأليف خصيصاً للسينما .

أما فيلم " دعونى أعيش " لأحمد ضياء الدين ، تدير أرملة لعوب مقهى فى منطقة البترول بالسويس وتعيش معها أختها الصغيرة نعمات . وبرغم أن الموقع الجغرافى غير نمطى لكن الأحداث سرعان ما تتدفق فى قناة العناصر النمطية ، فتحب الأرملة رجب الذى يعمل سائقا فى حين أنه يطمع فى أختها الصغرى . وعندما تعرف الأرملة تهم بقتل نعمات التى تلجأ إلى مهندس بالشركة يصحبها معه إلى الصحراء ، ويعتزم الزواج منها إلا أن أخاه الأصغر حسام يقابلها ويعجب بها فتقع فى حبه . وعندما يعلم أن أخاه الأكبر يحبها ، يضحى ويتخلى عنها لتتم خطبتها إليه ، مما يجعل رجب يستشيط غيظاً فيقتل المهندس ، ويتعاون مع الأرملة فى إخفاء معالم الجريمة بإشعال بئر البترول ، ويرهب نعمات كى تدلى بشهادة كاذبة، فتهرب إلى حسام . وتتفاقم الأمور عندما يدب الخلاف بين الأرملة ورجب نتيجة لتمسكه بنعمات ، وتضطر الأرملة إلى أن تطلق النار على رجب . ويصل رجال الشرطة للقبض على القاتلة وإعادة الأمور إلى مجاريها .

ساهم أحمد بدر خان أيضاً فى الخمسينيات بفيلمين من النوع النمطى هما : " الشرف غالى " ١٩٥١ ، و " العروسة الصغيرة " ١٩٥٦ . فى الفيلم الأول تعمل خادمة لدى رجل ثرى يحاول أن يعتدى عليها فتصده وتقاومه بعنف لدرجة أنها تظن أنها قتلته فتهرب من قريتها . تلتقى بصاحب فرقة متجولة بالقاهرة وتعمل مطربة بها . وبعد فترة تصبح مشهورة وتتقابل مع شاب عائد من أوروبا ويتفقان على الزواج . تذهب معه إلى قريته ليحصل على موافقة أسرته . وكما يتصادف دائماً تفاجأ بأنه ابن سيدها الذى حاول اغتصابها من قبل . كذلك تحاول أمه أن تبعده عنها بعد أن تسببت فى فقدان بصر أبيه عندما قاومته وظنت أنها قتلته . يراجع الشاب نفسه قبل الإقدام على الزواج منها إلا أن الأب يستيقظ ضميره ويعترف لابنه بالحقيقة ويوافق على زواج ابنه منها .

أما فيلم " العروسة الصغيرة " وهو قصة وسيناريو وحوار يوسف جوهر ، فإن أحمد بدرخان يحشده بالعناصر النمطية التى اعتادها الجمهور والتى تمثلت فى شخصية الموظف الفقير كامل ، السعيد بحب زوجته وطفلته ، لكن صاحب الشركة يطمع فى زوجة كامل ويغازلها فتصده . وعندما يعلم زوجها بما حدث من المدير يثور ويحاول الاعتداء عليه فيطرده من عمله . وتتوالى الفواجع فتصاب الطفلة بمرض شديد ، كما تصادف الزوجة فناناً شاباً يستدرجها إلى أحد المطاعم ، حيث يتصادف أن يراها زوجها ويعتقد أنها تخونه . وتؤثر الاختفاء عن كل من تعرفهم خاصة بعد وفاة طفلتها وإصابتها بالسل . أما زوجها فيدمن الخمر ويعمل فى السوق السوداء . وتتدهور أحوالها وقد تحولت إلى طاقة من الحقد والانتقام ، فتتقرب من صاحب الشركة لكى تنقل له عدوى مرض السل ، ثم تنتقل بعد ذلك إلى الفنان الشاب . وتعود الصدفة مرة أخرى بصورة مأسوية عندما يتقابل الزوج مع إحدى نساء الليل فيدعوها إلى سيارته ، فإذا بها زوجته التى تصعق للمفاجأة فتقفز من السيارة وتموت بين ذراعيه وهو فى ذهول .

أما المخرج أحمد كامل مرسى الذى اشتهر بالأفلام التى تعالج قضايا ومشكلات الأسرة المصرية البسيطة ، فقد أدلى بدلوه أيضاً فى الخمسينيات ، مساهماً فى تأكيد العناصر النمطية التى يبدو أن وطأتها كانت أقوى من أن تقاوم ، وذلك فى فيلميه " طيش الشباب " ١٩٥١ ، و " الميعاد " ١٩٥٥ . فى الفيلم الأول تلحق سميحة بمدرسة داخلية ، وبعد تخرجها تحب أحد رواد ملهى أبيها ، وهو من الأثرياء الفاسدين .وفى الوقت نفسه يحبها مدرس البيانو الرقيق المهذب وينصحها بالابتعاد عن هذه الحياة الفاسدة لكن بلا جدوى . وتتفاقم الأمور عندما يفاجأ الأب ابنته وهى بين أحضان هذا الفاسد ، فتقوم مشاجرة بين الاثنين تنتهى بمقتل الشاب وفقد الأب لبصره . ومع ذلك تحل النهاية السعيدة بزواج مدرس البيانو من سميحة .

فى فيلم " الميعاد " تبدأ الأحداث بداية غير نمطية عندما يشترك المهندسان نظمى وكمال فى مكتب هندسى ، لكنهما يختلفان فى وجهة نظرهما تجاه قضية شرف المعاملة . لكن سرعان ما تجتاح الفيلم حمى النمطية والأحداث غير المنطقية فينفصلان ويحددان يوماً بعد مرور خمس سنوات لتقدير ثروة كل منهما ، ذلك أن مسارات الحياة ليست رهاناً بهذه البساطة . المهم أن حالة كمال تبقى كما هى ، فى حين يستولى نظمى على مبلغ من خطيبته ثناء كانت قد سرقته من خزينة المحل الذى تعمل فيه . يقبض عليها وتسجن ، ويتفق نظمى مع ممول ثرى لتأسيس مكتب هندسى . يتقابل سعيد سكرتير كمال مع نظمى ويدعى أن كمال قد اصبح من أصحاب الملايين . وتتوالى الأحداث الميلودرامية التى تقحم عملية الانتحار فى السياق فيقوم كمال بإنقاذ فاطمة ابنة الممول الثرى من الانتحار . ثم يفرج عن سناء وتبحث عن نظمى كى تنتقم منه ، فتسرق الوثائق التىتدينه . وتتفاقم الأمور كما تتفاقم بين المجرمين – وليس بين المهندسين !! - فيقتل نظمى سكرتيره ويحاول قتل كمال إلا أنه يقع فى قبضة رجال الشرطة كى تهل النهاية السعيدة النمطية بزواج كمال من فاطمة .

فى نفس العام (١٩٥٥) قدم حسن الصيفى فيلمه " عرائس فى المزاد " الذى حشده بأحداث الجنون والهروب ليلة الزفاف . ففيه يريد أب جشع أن يزوج بناته الثلاث من أثرياء حتى يضمن لنفسه دعامة مالية متينة ، لكن كبراهن تهرب مع مكوجى وتتزوجه ، وهى الحمى التى اجتاحت الأفلام المصرية فى أعقاب ثورة يوليو التى شوهت صورة الأثرياء ، وجعلتهم رمزاً للجشع والفساد والاستبداد ، وامتلأت الأفلام بالهاربات مع المكوجى والحوذى وسائق التاكسى والإسكافى .. الخ. فى حين أن الأحلام الواقعية للبنات لا يمكن أن تنحصر فى هؤلاء الكادحين . أما الابنة الثانية فتمثل عنصرين من أهم العناصر النمطية : الانحراف ثم الجنون . أما الثالثة فتعمل سكرتيرة فى شركة ، وتتفق مع زميلها المهندس على الزواج ، لكن أباها كان قد اتفق مع تاجر ثرى على زواجها منه . ولذلك تهرب الفتاة ليلة زفافها وتتزوج من زميلها الشاب المهندس ، فيسارع الأب إلى المحكمة للتفريق بينهما !! ، إلا أن المحكمة توافق على زواجهما حتى يختم الفيلم بالنهاية السعيدة .

فى عام ١٩٥٩ واصل حسن الصيفى إخراج أفلامه النمطية الزاخرة بأحداث التورط والحمل وأقران السوء ومحاولة القتل والإنقاذ والندم والاعتراف بالذنب وإصلاح الخطأ ، وذلك فى فيلم " احترسى من الحب " الذى يخطب فيه الشاب حسن ليلى ، ويصبح ثرياً بعد أن آلت إليه ثروة أبيه بصفته وارثه الوحيد . وتسافر ليلى مع شقيقها أحمد لتعيش معه فى الإسكندرية ، فى حين يلتف أقران السوء حول حسن حتى يستنزفوا ثروته . وكالعادة النمطية يغرر حسن بخطيبته التى تكتشف أنها حامل ، لكنها تخفى عن شقيقها ، خاصة أن حسن قد غير رأيه ورفض الزواج منها وغادر البلاد . عندئذ تضطر ليلى لقبول الزواج من صديق شقيقها الذى يمثل نمطاً سينمائياً فقط لأن الشاب المصرى العادى لا يقبل الزواج من مثيلاتها . المهم أن ليلى تهجر البيت وتهرب بعارها ، فيلحق بها أخوها محاولاً قتلها ، لكنها تنقذ وتنقل إلى المستشفى وكالعادة أيضاً يستيقظ ضمير حسن ويندم ويقرر العودة لإصلاح الخطأ بالزواج أخيراً من ليلى حتى يختتم الفيلم بالنهاية السعيدة .

وفى الخمسينيات أيضاً يقدم محمد عبد الجواد أكبر قدر ممكن من العناصر النمطية فى فيلمين " قليل البخت " ١٩٥٢ ، و " كدبة أبريل " ١٩٥٤ . وبرغم أنهما من بطولة إسماعيل يس بحيث نتوقع أن يكونا من الكوميديا الخفيفة أو الفارص المرح ، فإنهما زاخران بالوشاية ، وادعاء الماضى المشين ، والخداع ، وفقدان الثروة ، ودخول مستشفى الأمراض العقلية ، والموت نتيجة الصدمة ، والصدفة ، والتبنى ، والاحتيال ، والوقيعة ، والكذب . ففى الفيلم الأول يعيش حسين فى الإسكندرية ، ويتعرف على المغنية بلبلة فيحبها وينوى الزواج منها إلا أن إلهام ابنة خالة بلبلة تدعى أن لها ماضياً ولذلك فهى توافق على الزواج منه فيتخلى عنها . يموت والد حسين بعد أن يفقد ثروته . وعندما يعرض حسين على إلهام الزواج ترفض بعد أن يفقد ثروته ، فى حين تحاول إلهام إيقاع منير ابن عم حسين فى شباكها ، لكنها تفشل وتنهار وتدخل مستشفى الأمراض العقلية . ويسافر حسين إلى السودان ليعيش غارقاً فى آلامه ، ثم تموت بلبلة متأثرة بصدمة هجر حسين لها ، وعندما يعود بعد فترة طويلة يصادف ابنة بلبلة التى تبناها الأستاذ عصفور ، فيسعد بذلك ، ويبارك زواجها من خطيبها .

أما فى " كدبة أبريل " فتقل حدة الأحداث الميلودرامية ، إذ أن مؤلف القصة والحوار هو بديع خيرى . فالفيلم عبارة عن مباراة بين شابين للحصول على قلب راقصة ، إذ يخطط الزوج ليحتال على مال زوجته التركية ليفوز على منافسه فى حب الراقصة ، فيتظاهر بالانتحار مدعياً أن له ابناً من زوجة سابقة متوفاة وأنه لا يستطيع الإنفاق على تربيته . تتأثر الزوجة وتتعهد بتربية الابن . تسأله عن اسم ابنه فيكذب ويبلغها باسم منافسه فى الحب ، ثم تضبط فى جيبه صورة الراقصة فيدعى أنها ابنة صديقه من زوجة أخرى . كما يكتشف أن هناك علاقة بين ابنته وابن منافسه . يتقدم لطلب يدها فيرفض والدها ، كما ترفض زوجته أيضاً هذه الزيجة لاعتقادها أن الخطيب هو ابن زوجها . وفى النهاية ، يوضح الزوج لزوجته التركية حقيقة أكاذيبه ، وتأتى النهاية السعيدة بزواج الفتى من الفتاة .

في عام ١٩٥٣ قدم المخرج الذى اشتهر بأفلام الكوميديا الراقية الخفيفة الظل فطين عبد الوهاب فيلماً يدل على أنه نادراً ما يوجد مخرج يستطيع أن يهرب من طوفان العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية التى تربعت على عرش السينما المصرية عقوداً متتالية . فقد قدم فيلم " عبيد المال " الذى يبدأ بنشاط لعصابة تهريب مخدرات اشترك فيها وحيد ومنصور الذى يدخل السجن بسبب جريمة قتل ، فيودع أمواله وزوجته أمينة أمانة لدى صديقه وحيد الذى يخونه مع زوجته ويبددان أموال منصور . وعندما يقترب موعد خروجه من السجن ، يتحايل وحيد على الثرى جلال ويزوجه من أمينة . ثم يحاول قتل جلال ليستولى على أمواله إلا أنه ينجو ولكن يفقد بصره . يخرج منصور من السجن فى حين ينجح وحيد فى إقناع ابنة صديقه فتحية أن تحل محل زوجة جلال لتشابه صوتيهما بعد أن يوهمها أن زوجة جلال ماتت دون أن يعلم وأن وجودها معه نوع من العلاج النفسى ، إلا أن فتحية تعترف لجلال بالحقيقة . وتشاء الصدفة أن يرتد البصر لجلال عندما يصيبه وحيد فى رأسه بعد أن يضبطه وهو يسرق أمواله . وينتهى عنصر الشر بقتل منصور ووحيد كل منهما للآخر ، وتأتى النهاية النمطية بزواج جلال من فتحية .

كذلك يقدم المخرج عباس كامل الذى اشتهر بالأفلام المرحة والاستعراضية الخفيفة فيلم " فى صحتك " ١٩٥٥ الذى يبدو من عنوانه أنه ينتمى لنفس النوعية ، لكننا نكتشف أنه زاخر بالإدمان ، والاغتصاب ، والإجهاض الذى يؤدى إلى الموت ، والإصابة بالتسمم ، والاختلاس الذى يؤدى إلى الطرد من الوظيفة ، والموت نتيجة لحادث سيارة ، والانتقام ، وفقدان البصر ، والقتل . والظاهرة المثيرة للدهشة أن الفيلم من تأليفه أيضا وهو المخرج المشهور بأفلام التسلية والمرح . ففيه يقع رب أسرة متوسطة الحال فى يد زملاء من مدمنى الخمر يتآمرون عليه ليضموه إلى صفوفهم . وبالفعل يعتدى أحد زملائه على ابنته ثم تموت إثر عملية إجهاض ، كما يموت أحد أبنائه إثر وجبة سامة . ويهرب أحد

أبنائه خوفاً من عقابه بعد أن يفقد النقود التى كان سيشترى له بها خمراً . وتتوالى الفواجع فيفقد وظيفته لاختلاسه أموال الشركة ثم تصدمه سيارة وهو مخمور فيموت . وتصمم أرملته على الانتقام من زملائه فتتسبب فى أن يفقد أحدهم بصره ، ثم تلقى هى حتفها .

فى فيلم " أهل الهوى " ١٩٥٥ للسيد زيادة نقابل فتنة الراقصة اللعوب التى لا تعرف فى الدنيا سوى الحصول على المال ، فتتخذ لنفسها عشيقاً ثرياً ، تعيش معه هى وشقيقها . وعندما تسافر إلى سوريا لأعمال فنية تصادف رجلاً أكثر ثراءً من عشيقها فتتزوجه . يقدم شقيقها لعشيقها امرأة أخرى شبيهة بفتنة ، ويرى الزوج صورة زوجته فى الصحف فيظن أنها تخونه مع عشيقها فيحاول قتلها ولكنها تقع من الدور العاشر فتموت . والفيلم قصة وسيناريو وحوار السيد زيادة ، مثله فى ذلك مثل مخرجين كثيرين امتلكوا فرصة الكتابة للسينما لكنهم لم يمتلكوا موهبة هذه الكتابة .

فى فيلم " السماء لا تنام " ١٩٥٢ يقدم إبراهيم عمارة مجموعة من الشخصيات المنمطة والأحداث الكئيبة التى تنتهى نهاية سعيدة بقدرة قادر . فجمال مهندس شاب يعمل عند شكرى بك المقاول الثرى الذى لا يعرف الشرف . وهو على علاقة بنادية سكرتيرة شكرى . ثم تتقابل زينات زوجة شكرى بجمال فتعجب به لكنها تكتشف علاقته بنادية فتهددها بطردها من العمل . ثم تعترف نادية لجمال بأن شكرى اعتدى عليها فيواجهه بذلك فيثور عليه ويطرده من العمل . يسافر إلى الإسكندرية ويعمل مع الحاج صابر .تلاحقه زينات مع أحد أعوانها توفيق ، وتنقلب السيارة بهما بعد انهيار كوبرى قام ببنائه شكرى ، وكانت النتيجة الإفلاس والسجن ، ثم تقدم زينات على الانتحار لانصراف جمال عنها ، وتنقل إلى المستشفى . وبرغم كل هذا فإنهما يتزوجان فى النهاية بعد أن يتم إنقاذها .

فى عام ١٩٥٦ قدم زهير بكير من تأليفه وإخراجه فيلم " وهبتك حياتى " الذى يفقد فيه شقيقان أهلهما ، فيتبنى أحدهما رجل طيب من أهل الحى حتى يصبح طبيباً ، ويتبنى الآخر أحد الحواة ، فيصبح مجرماً يرأس عصابة لخطف الأطفال ، ويتزوج ابنة الحاوى ، وهى بطلة مسرح استعراضى .وبعد فترة يقرر التخلص من زوجته بقتلها لكى يرث ثروتها ويتزوج عشيقته . تصاب وينقلها إلى عيادة طبيب يهتم بعلاجها ويشعر كل منهما بالحب نحو الآخر . ويضيق الزوج برعاية الطبيب لها دون أن يدرى أنه أخوه . ينقلها للعلاج بالمنزل ويحضر عشيقته لتمثل دور الممرضة لكى تقوم بوضع قطرات من السم فى دوائها بهدف قتلها . يخطف الزوج ابن الطبيب فى حين يكتشف الطبيب أنه أخاه يسرع مع الزوجة إلى وكر العصابة . يصاب الطبيب عندما يعلم أنه شقيقه فلا يقاوم الشرطة ، ويطلق زوجته ويطلب من شقيقه أن يتزوجها .

فى فيلم محمود ذو الفقار " نساء محرمات " ١٩٥٩ ، تبدأ محاسن فى السيطرة على توفيق ، وسرعان ما تعجب بقريبه أحمد وتتودد إليه لكنه يصدها ويقع فى حب ابنتها ليلى . يتقدم لخطبتها ، فيوافق توفيق لكن محاسن ترفض وتشتعل الغيرة فى قلبها . تحاول حفيظة قتل أحمد لكنه يتمكن من خنقها ، ثم يصاب توفيق بالشلل نتيجة ما حدث ، وتعود حفيظة لتعيش مع توفيق ويتخذان ليلى ابنة لهما .

أما عقد الستينيات فيفتتحه يوسف شاهين بفيلمين مليئين بالعناصر النمطية والأحداث الميلودرامية : " نداء العشاق " ١٩٦٠ ، و " رجل فى حياتى " ١٩٦١ ، إذ يبدو أنه لم يكن قد عثر على لغته السينمائية المتميزة بعد ، برغم أن بوادرها كانت قد ظهرت فى " صراع فى الوادى " عام ١٩٥٤ . وبالتالى ترك نفسه لينجرف مع طوفان العناصر النمطية . ففى " نداء العشاق " تعانى الغازية ورد من

غيرة زوجها التى تدفعه لقتل أحد أفراد الفرقة . وتطرد من القرية وتعمل فى أحد محالج القطن حيث تقع فى حب العامل عبده الذى يبادلها مشاعرها . وفى الوقت نفسه يحبها حامد الذى يخطط للتخلص من عبده والزواج من ورد . يحاول صاحب المحلج الاعتداء على ورد ، فتقاومه وتقتله بسكين ، فيتهم عبده بأنه القاتل . يغادر عبده القرية مع ورد فى حين يحرق حامد خيام العمال بحثاً عنهما ، وأخيراً يهتدى إليهما ويقتلهما ويتم القبض عليه .

ولعل عنصر المكان هو العنصر غير النمطى الذى نجح يوسف شاهين فى تحقيقه إذ ابتعد عن المشاهد الداخلية الخانقة داخل الكباريهات والملاجئ ودور الأيتام والأحداث وغرف النوم والمدارس الداخلية والسجون وأوكار العصابات وكهوف الجبل ..... الخ ، وأكثر من المشاهد الخارجية فى أرجاء القرية والحقول والمحلج وخيام العمال .. الخ . وهو ما اتبعه تقريباً فى فيلم " رجل فى حياتى " الذى يتسبب فيه المهندس حمدى بدون قصد فى تعطيل عربة إسعاف فى الطريق تحمل والد نادية المصاب والذى يموت . تكن له نادية الكراهية ويفشل حمدى فى استرضائها . ثم تشاء الصدف أن يصيبها على الشاطئ بالديلسوار فتفقد بصرها لكن علاقته تتوطد بها بعد أن ينقذها من الغرق ويتزوجان دون أن تعلم حقيقته ويرزقان بأشرف . يضطر حمدى للسرقة لإجراء عملية جراحية لنادية . يتم القبض عليه وتنجح العملية ، وتفشل نادية فى معرفة مكانه . تتزوج من طبيب سرعان ما يموت !! بعد مرور سنوات يتدرب أشرف فى مكتب حمدى وما أن يذكر اسم والدته حتى يفاجئه بأنه والده ويلتئم شمل الأسرة .

كما يشارك حسن الإمام فى افتتاح عقد الستينيات بفيلم " أنى أتهم " ١٩٦٠ الذى يحمل بصماته النمطية والميلودرامية المتميزة . فى هذا الفيلم يربط الحب بين نعيمة وابن عمها صلاح الذى يتخرج فى الجامعة ويعمل صحفياً . ثم سرعان ما تبدأ الفواجع بحادث يقع لنعيمة تصاب على أثره بالشلل ، كما يُطرد والدها صابر

من عمله على أثر مشادة بينه وبين المهندس حامد المستهتر الذى استطاع أن يغرر بسعاد أخت صديقه عباس وكيل النيابة . يطالبه عباس بإصلاح خطئه فتقوم مشادة بينهما تنتهى بقتل حامد وهروب عباس ، يُتهم المعلم صابر بالجريمة بعد أن أثبت التقرير أن حامد قُتل برصاص آخر . يثير صلاح عطف الرأى العام لعلاج نعيمة بالخارج !! تتبرع بالمبلغ سيدة مجهولة ، يتضح أنها سعاد التى تعترف بأنها القاتلة ! يستقيل عباس ليعمل محامياً ويدافع عن صابر ثم يتولى الدفاع عن أخته سعاد ضحية القتيل ، ويتم الإفراج عن صابر .

فى فيلم " أنا وبناتى " ١٩٦١ ، سيناريو وحوار وإخراج حسين حلمى المهندس ، تبدأ الأحداث فى جو أسرة مصرية صميمة ، توحى بأن الفيلم سيتجنب العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية التى لا تتولد عادة من ظروف الأسرة العادية . لكن سرعان ما تتفاقم الأمور فى النصف الثانى من الفيلم الذى يدور حول أب له أربع بنات ماتت أمهم ، وقد بلغ هو سن المعاش . وفى أثناء بحثه عن وظيفة يصاب بكسر فى ساقه ، وتعانى البنات من صعوبة تدبير معيشتهن . ويهدى التفكير إحداهن إلى احتراف الغناء لجمال صوتها ، والثانية تعمل مانيكان ، والثالثة تمارس كتابة القصة ، والرابعة تدير شئون البيت . وتنجح الثانية فى عملها لكنها تتعرف على شاب يغتصبها . ويخرج الأب من المستشفى ويصعق عندما يعرف ما جرى أثناء غيابه لدرجة يدفعه فيها اليأس إلى هجر أسرته . وتتوالى الفواجع فتحاول الثانية الانتحار ، وتصاب إحداهن فى حادث وتموت . لكن الفيلم ينتهى بالتئام شمل الأسرة مرة أخرى بعودة الأب وبناته الثلاث لبدء حياة جديدة .

شهد مطلع الستينيات فيلما نمطيا آخر لحسام الدين مصطفى عام ١٩٦٠ بعنوان " رجال فى العاصفة " ، برغم أن مواقع التصوير لم تكن فى أماكن نمطية داخلية ومغلقة بل دارت الأحداث بين جبل عتاقة والبحر الأحمر حيث يعيش رضوان المحولجى ويعيش بجانبه مساعده أحمد وزوجته هدى . وفى الجبل يختبئ

سليم المجرم الذى تتردد عليه بين فترة وأخرى عشيقته عزيزة التى تتقابل مع رضوان ، فى حين يحثها سليم على إغرائه ليتزوجها ثم يقوم بقتله . لكنها تعجب بأحمد وتنجح فى استمالته . ويصاب رضوان بالصمم ، وتفشل أولى محاولات سليم لقتله . وتبلغ عزيزة الشرطة عن مكان سليم . ويحدث أن يسترد رضوان سمعه على أثر حادث لكنه لا يفصح عن ذلك . وتغرى عزيزة أحمد لقتل رضوان ، لكن المحاولة تفشل ويعترف له أحمد بكل شيء ، ويواجه سليم عزيزة بغدرها ويشتبك مع رضوان وأحمد . وفى النهاية تقتل عزيزة ويصاب أحمد ويصل رجال الحدود ويقتلون سليم بعد مطاردته .

أما عبد الرحمن شريف الذى بدأ حياته مساعداً لحسن الإمام ، فإنه يرسخ عناصره النمطية الميلودرامية ، ويؤكد تقاليد أستاذه فى فيلم " عودى يا أمى " ١٩٦١ ، بل ويضيف إليها مزيدا من التوابل التى اعتادها الجمهور بحيث تتحول الشخصيات إلى مخلوقات قادمة من عالم غريب لا يعرف سوى العلاقات الدنسة ، والاغتصاب ، والاعتداء بهدف القتل ، ثم الإصابة بالشلل ، والزواج العرفى . والظاهرة المثيرة للعجب أن هذه القصة من إعداد الكاتب التقدمى أحمد عباس صالح !! والتى تدور حول رأفت المهندس المتعلق بأمه نعمات المتسلطة التى يعيش معها هو وزوجته زينب التى تكتشف أن هناك علاقة بين نعمات وزميل زوجها حسين ، فتذهب إليه وترجوه أن يقطع علاقته بحماتها . يوافق لكنه يحاول الاعتداء عليها فى حين تدخل نعمات وتضربه بتمثال على رأسه . ويتم القبض على نعمات التى تبرر موقفها بأنها فى حالة دفاع عن شرف ابنها بعد أن اكتشفت علاقة آثمة بين زوجته وصديقه . وبالفعل يطلق رأفت زينب ، وتصاب ابنتها بشلل ، فيقترح عليها الدكتور عمر أن تحضر كممرضة لرعايتها . ويفرج عن نعمات بعد قضاء مدة العقوبة وتطرد زينب من

المنزل . لكن نعمات تصاب فى حادثة ويزورها حسين بعد إصابته بالشلل !! فيعترف لرأفت بالحقيقة وهى أنه كان زوجاً لأمه بعقد عرفى . وينتهى الفيلم بموت الأم فى حين يستعطف رأفت زينب لتعود إليه .

أما حسين صدقى فقد أخرج فى عام ١٩٦١ فيلم " أنا العدالة " الذى جمع فيه معظم العناصر والتوابل النمطية ، برغم أنه اشتهر فى معظم أفلامه التى كان يكتبها ويخرجها ، بنشر القيم الإيجابية والأخلاقية حتى لو لجأت شخصياته إلى الوعظ والإرشاد والخطابة المباشرة ، وتجنب مشاهد العنف والقتل والانتقام والجنس بقدر الإمكان . لكنه فى هذا الفيلم يستعرض معظم هذه المشاهد ، وإن أكد فى الفيلم أن أحداً من الشخصيات لن ينجو من العقاب الصارم والمصير المحتوم ، لكن بعد أن استمتع الجمهور بمشاهدة الأحداث والمواقف التى اعتادها من قبل لكتاب ومخرجين لم يدعوا الإصرار المباشر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فى هذا الفيلم تقضى تسع شخصيات ليلة رأس السنة فى قصر الثرى منير عزت الذى يتخلف عن مقابلتهم لعذر قهرى لكنه أمر خادمه بإدارة جهاز التسجيل لتسليتهم والترفيه عنهم . وإذ بمنير من خلال التسجيل يخاطبهم بشخصياتهم الحقيقية . فهناك فتحية الأرملة التى تكثر من سهراتها خارج المنزل ، وخادمتها ترتبط بعلاقة آثمة مع السائق وتحمل منه سفاحاً ، فى حين يجاملها صديقها الدكتور مدحت ويجرى عملية إجهاض للخادمة تؤدى إلى موتها . أما أحمد المحامى الذى يحب فتحية فيحصل على البراءة لها ولمدحت . وهناك أيضا ماهر العجوز الثرى الذى يقع فى حب الراقصة إلهام التى تصده فيصاب بالجنون !! فى حين تتعاون الراقصة إلهام مع عصابة لتجارة المخدرات ، وتتسبب فى قتل شاب ساذج . وينتهى الفيلم بأن يتوعدهم جميعاً بالقضاء عليهم فى هذه الليلة مع بداية العام الجديد !!

نعود إلى العناصر والتوابل النمطية الصريحة في فيلم " القصر الملعون " لحسن رضا عام ١٩٦٢ ، ويبدو أنه سعى لإخراج فيلم من أفلام الرعب على طريقة هيتشكوك ، ولكن التوليفة السينمائية المصرية النمطية سيطرت على الأحداث والشخصيات بحيث جعلته أقرب إلى حسن الإمام منه لهيتشكوك . يبدأ الفيلم بثرى مشلول الساقين يدعى فهمي . ويطلب من المحامي حسن أن يحرر له وصية يقر فيها بحرمان شقيقته نجية من الميراث حفاظاً على نصيب ابنته يسرية . وعندما يطلب منه المحامي التوقيع على الوصية ، يتراجع عن رأيه بعد أن يلاحظ علامات الجنون على ابنته !! فهي تحاول قتل أبيها في الظلام ، مما يثير دهشة حسن وتساؤلاته فيتحرى عن سر هذا التحول فيشتبه في نجية ومرسي خادم القصر لأن لهما مصلحة في ذلك . لكن الأمور تتضح إذ أن شقيق فهمي التوأم يخرج من السجن ، فيحل محل شقيقه بعد أن يسجنه في قاعة سرية بأسفل القصر ليقتله في الوقت المناسب (على طريقة : " سجين زندا " !!) . لكن الخطة تفشل بسبب مراقبة حسن وزميله للأمور لكي تحل النهاية السعيدة لكل من حسن ويسرية بعد أن يربط الحب بينهما .

ولم تسلم " ألف ليلة وليلة " من عدوى العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية عندما تعرض لها حسن الإمام بالإخراج في فيلم " ألف ليلة وليلة " عام ١٩٦٤ الذي يدور حول شخصية حسن الشحات الحاوي في الأسواق مع ابنه الصغير الذي يكتشف أن أمه تخون أباه مع جوان اللص ، فيقتله العشيق لكنه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة يبوح لوالده بالسر . ويواصل حسن حياته فيتزوج من امرأة أخرى تشاركه بصوتها الجميل في أعماله . لكنه في الوقت نفسه لا ينسى الانتقام من جوان الذي يصبح تاجراً ثرياً ويدبر مكيدة لحسن فيدخله السجن . ويعرض عليه الحاكم الظالم أن يقتل أمير البلاد مقابل حصوله على حريته وتعيينه وزيراً في

المملكة لكن خطته تفشل ، ويكتشف حسن أن الحاكم هو ابن جوان ، فينتقم من الاثنين فى حين يقع الأمير فى حب ابنته ويتودد إليها ويتزوجها .

فى فيلم " الاعتراف " ١٩٦٥ ينتقل سعد عرفه بالجمهور إلى مواقع غير نمطية حيث الشمس والفراغ والهواء الطلق فى سفاجة . لكن الموقع غير النمطى لم يؤد إلى عناصر ومواقف غير نمطية . فالفيلم زاخر بالخيانة الزوجية والانتقام والغرق والدعارة والانتحار ، إذ تبدأ الأحداث بقصة حب رومانسية بين أحمد ونوال منذ الصغر ، وتفاجأ نوال برحيل أحمد من القاهرة إلى سفاجة ليستقر هناك . وعندما تنقطع أخباره عنها تتزوج من أخيه الأكبر إبراهيم ، ويسافران لزيارته حيث تنفرد به نوال وتستفسر منه عن سبب تخليه عنها ، فإذ به يفاجئها بحقيقة أمها عزيزة التى هجرت أباها عباس بعد أن اكتشف خيانتها له مع شلبى . وينتقم منه عباس بأن يصحبه فى قارب ، وفى محاول لإغراقه يموت الاثنان فى حين تحترف عزيزة الدعارة . وعندما تثور نوال على احمد ، لا تتحمل الصدمة وتنتحر . وهذا يدل على أن المكان فى معظم الأفلام كان مجرد خلفية زخرفية لشغل الفراغ ، ولم يكن له دور وظيفى وعضوى فى نسيج الأحداث وتشابكها ، بحيث يمكن نقلها إلى مكان أو موقع آخر دون أن تتأثر أو تفقد دلالات فكرية ودرامية متعددة .

فى نفس العام (١٩٦٥) يقدم محمد عبد الجواد توليفة من العناصر النمطية عنده فى فيلم " الرجل المجهول " الذى يتنافس فيه شابان : رشوان ابن العمدة وحامد الشاب المكافح ، على حب صفية لكن أباها يرفض زواجها من حامد لظروفه المادية الصعبة ، وذلك برغم حبها له . ويتفق مع العمدة على موعد الزفاف . ويطمع رشوان فى سعدية شقيقة حامد ، ويحاول اغتصابها . وتشاء الصدفة أن يسطو اللص أحمد على المنزل ويفاجأ بهما ويشتبك مع رشوان فيقتله

بطريق الخطأ . ويتهم العمدة حامد بارتكاب الجريمة ويحكم عليه بالإعدام . وتستعطف سعدية أحمد كى يعترف وينقذ أخاها فيوافق .

أما فطين عبد الوهاب فكان قد تألق فى الستينيات بأفلامه الكوميدية المرحة التى أحدثت ثقباً كبيراً فى جدار العناصر النمطية الكئيبة . لكن يبدو أنه وجد أن توافر هذه العناصر التى اعتادها الجمهور فى فيلم يحمل بصماته ومفارقاته المثيرة للضحك ، يمكن أن يضرب عصفورين بحجر : النمطية والكوميديا ، إذ سيرى الجمهور عناصره المعتادة فى ضوء كوميدى ساخر . وهذا ما حققه فطين عبد الوهاب فى فيلمه " أكاذيب حواء " الذى تتزوج فيه وفاء من كمال بعد أن تعتقد أن زوجها نشأت قد مات لاختفائه عنها عدة سنوات . لكن سرعان ما ينشغل عنها كمال بأصدقائه وسهراته ، وعندئذ تخطط لتلقنه درساً ، إذ تتفق مع الشاب عليوة على أن يدعى أنه نشأت الذى يرجع بعد أن تعود إليه ذاكرته . وبذلك يصبح زواجها من كمال باطلاً ومن حق نشأت المزيف أن يعيدها إلى عصمته . لكن الأمور تنقلب رأساً على عقب عندما تفاجأ وفاء بعودة نشأت بالفعل . وتكتشف أن حياتها معه كانت قاسية وتعيسة ولذلك تطلب منه الطلاق . وتتجلى أخلاقه الانتهازية عندما يساومها على مبلغ من المال يمنحه له كمال الذى يعاهد وفاء على توفير حياة زوجية سعيدة لها .

وشهد عقد الستينيات ظاهرة فريدة من نوعها لم تحدث منذ الثلاثينيات عندما تعرضت عزيزة أمير وبهيجة حافظ للإخراج السينمائى . فقد أخرجت ماجدة فى عام ١٩٦٦ فيلماً من إنتاجها وبطولتها بعنوان " من أحب " وبرغم اللمسات الأنثوية الواضحة فى السيناريو والإخراج ، خاصة فيما يتصل بالبطلة ، إلا أن الفيلم زاخر بالانهيار والانتحار ، والإفلاس ، والوهم الكاذب ، إذ يبدو أن هذه العناصر كانت بمثابة الأدوات الفكرية والفنية التى لا يمكن تجاهلها . ففى الفيلم تقع ليلى ابنة مظلوم باشا فى حب طارق لكنه يتزوج من صديقتها نيفين . فلا تجد مفراً من أن

تتزوج من سمير الذى يموت عندما يجتاح مرض الكوليرا البلاد . كما ينهار طارق بعد عودته من حرب فلسطين وينتحر أبوه لأنه شارك فى توريد الأسلحة الفاسدة . وتتوالى الفواجع فتفقد ليلى ثروتها فى البورصة ولا يتبقى لها سوى قطعة أرض تعمل على استصلاحها . تواصل حياتها وتتزوج من شريف . ثم تموت نيفين وتدرك ليلى أنها تعيش فى وهم منذ سنوات طويلة لأن طارق لم يحب سوى نيفين . وبمرور الأيام تشعر بالحب نحو شريف الذى يعود بعد اشتراكه فى حرب السويس . لكن لا بد أن نسجل للمخرجة ماجدة أنها ضمنت فيلمها ثلاثة أحداث غير نمطية ، تمثلت فى وباء الكوليرا ١٩٤٧ ، وحرب فلسطين ١٩٤٨ ، وحرب السويس أو العدوان الثلاثى ١٩٥٦ ، وخاصة أن السينما المصرية عجزت عن تقديم تاريخ مصر سواء القديم أو الوسيط أو الحديث منه .

أما فى عقد السبعينيات فكان للمخرج حسام الدين مصطفى نصيب الأسد فى الأفلام التى ولفت أكبر قدر ممكن من العناصر النمطية والميلودرامية . صحيح أنه حرص على أن يختار مواقع وخلفيات جديدة وغير نمطية ، لكن الأحداث والمواقف والشخصيات سارت على نفس النهج النمطى الذى تحول مع الزمن إلى قوالب جاهزة لصب وصياغة أية قصة جديدة . ففى فيلم " الأشرار " ١٩٧٠ يقتبس فيلم " الطيب والشرير والقبيح " للمخرج الإيطالى سيرجيو ليونى الذى صنع مجد كلينت استوود ، وإن كان فيصل ندا قد ذكر اسمه بصفته صاحب القصة والحوار ، فى حين أن السيناريو لحسام الدين مصطفى . فى الفيلم يطمع المهرب حاتم فى حصيلة الدولارات التى يشاركه فيها عرفان وضياء . وتتصاعد الأمور بحيث يصيبه عرفان إصابة خطرة ويهرب مع ضياء ، فى حين ينقله شاب يدعى خالد إلى المستشفى . يكتشف حاتم وضياء بأن الدولارات مزيفة . ثم يعترف عرفان لخالد ولابنته زهرة قبل وفاته بمكان الدولارات الحقيقية فى

مقابر العلمين . يهدد حاتم زهرة وخالد بالقتل فيعترفان له بالمكان . بعد العثور عليها يطمع فيها عرفان فيقتل ضياء ، إلا أنه ينفجر فيه لغم ويموت.

فى عام ١٩٧١ يقدم حسام الدين مصطفى فيلماً زاخراً بعمليات القتل والجنس والإصابة بالعمى برغم أنه مأخوذ عن قصة عذبة ليحيى حقى . إنه فيلم " امرأة ورجل " الذى يتنافس فيه عاملان فى أحد المحاجر ، جاسر ومتولى ، على حب حميدة التى تفضل جاسر ، مما يؤدى إلى نشوب معركة بين الرجلين ، تنتهى بمصرع متولى أثر سقوطه من مكان عال ويدخل جاسر السجن متهماً بقتله . تنتهى مدة عقوبته ويدبر لقتل إسماعيل زوج نرجس اللعوب حتى يتمكنا من الزواج برغم معرفته بسمعتها وعلاقاتها المتكررة السيئة ، ويساعدها شيخ الخفر خميس . ويصاب جاسر بالعمى أثناء انفجار فى المحجر . ويصبح عاطلاً يعز عليه نفسه ويثور فتهرب منه نرجس وتلجأ لخميس فيقتلهما .

فى عام ١٩٧٢ قدم حسام الدين مصطفى فيلم " ملوك الشر " الذى يعاهد فيه شفيق أبو الليل مهرب المخدرات نفسه أن يتوب ويتفرغ لتربية ابنه حمادة بعد نجاح العملية الجديدة التى يستعد لها . يعلم منافسه المعلم الحوت بأمر العملية فيحاول إفساد كل خططه ، وتقع معركة بين الطرفين يموت على إثرها الحوت ، ويبدأ رجال الشرطة فى التحقيق ، وبعد مطاردات بين رجال الشرطة وأبو الليل وعصابته ، يتم القبض عليهم .

فى عام ١٩٧٤ قدم حسام الدين مصطفى فيلم " العمالقة " الذى يدير فيه سليم مكتباً لتفريغ السفن من شحناتها بميناء الإسكندرية ، ويعانى من باهر الذى يحتكر جميع العمليات . ويعمل صديقه حمادة مصمماً للأزياء فى حين يعمل صديقهما شلبى مندوباً للتأمين . تفاجأ شهيرة بباهر الذى يعترف لها أنه ليس أباها !! لأن أباها الحقيقى هو توفيق الذى دخل السجن فى طفولتها فتزوج هو من أمها ويستولى

على الشركة ، وعندما يهدده توفيق بإفشاء أمره يقتله . يحتجز شهيرة فى مخبأ ويقرر الزواج منها ولكن الأصدقاء الثلاثة ينقذونها لأن سليم يحبها .

فى عام ١٩٧٥ قدم حسام الدين مصطفى فيلم " نساء ضائعات " الذى يشرف فيه الدكتور ماجد على علاج ياسمين المريضة بالقلب والتى تتعلق به فيضطر إلى أن يستجيب لها ويخفى عنها أمر خطبته . تتحسن حالتها النفسية ويقع ماجد فى حبها بالفعل . وتكشف مايسة لياسمين عن علاقتها بماجد وتطلب منها الابتعاد عنها . تنهار ياسمين وتترك المستشفى ، ويثور ماجد على مايسة ويفسخ الخطبة . يتعرف على شهيرة التى تخفى عنه أمر زواجها . تطلب الطلاق من زوجها الذى يضبطها فى شقة ماجد فيقتلها ، ويتهم ماجد بارتكاب الجريمة ولكن تثبت براءته ويعود لياسمين .

ولا يمر عقد السبعينيات دون أن يضع حسن الإمام بصمته النمطية عليه والتى تتمثل فى عناصر الحرمان من الميراث ، والاختلاس ، والسجن ، والخطف ، والملهى الليلى ، والتبنى ، والانتحار ، والهروب ، والقتل ، والسرقة ، والانتحال ، وذلك فى فيلمين من تأليفه وإخراجه وهما " بنت بديعة " ١٩٧٢ ، و " القضية المشهورة " ١٩٧٨ .

فى الفيلم الأول يتزوج محمود من الفتاة الفقيرة بديعة ، فتحرمه أمه من الميراث . يضطر محمود إلى الاختلاس من خزانة الشركة التى يعمل بها ويسجن . تنهار بديعة عندما يقوم شابان بخطف طفلها . وتضطر للعمل فى أحد الملاهى الأهلية ، وتحاول أن تتبنى رضيعة من الملجأ لتعوضها عن طفلتها لكن النقيب أحمد يقنعها بأن وضعها الاجتماعى يحول دون ذلك . وعندما يعرض أحمد عليها الزواج تخشى على مستقبله منها فتختفى من حياته ثم تنتحر .

أما فى فيلم " القضية المشهورة " فإن المجرم المدعو بالجسر يقتل الثر ياسين وسعدية زوجة خادمه إبراهيم ويسرق أمواله وعقداً ثميناً من سعدية كانت قد

حصلت عليه كهدية لها من والدة ياسين . يصل إبراهيم بعد هروب الجسر ، ويفاجأ بالجريمة وإذ بطفلته نعيمة تشهد على أنه الجانى ، فيحكم عليه بالسجن ، ويتبنى المحامى بهجت الطفلة نعيمة . وهو التبنى الذى يتكرر كثيراً كعنصر نمطى فى معظم الأفلام الميلودرامية برغم أن الشريعة الإسلامية لا تبيح التبنى ، مما يشير إلى المصادر التى يتم الاقتباس أو التمصير منها . وتمر السنوات ثم تشاء الصدف كالعادة أن تتردد نعيمة على نفس السجن لتستكمل بحثها الجامعى ، ويقع فى يدها ملف إبراهيم وتكتشف حقيقته ، فتتمسك بأبوته . ثم ينتحل الجسر شخصية ياسين أمام حفيظة الكفيفة وابنته سميرة اللتين تظنان أنه ما يزال مسافراً ، لكن حفيظة تشك فيه وتبلغ رجال الشرطة ، ويقع فى قبضتهم عندما يهدى سميرة نفس العقد المسروق .

فى عام ١٩٧٢ جدد نادر جلال التقاليد التى أرساها أبوه الرائد السينمائى أحمد جلال والتى أصبحت بعد ذلك العناصر النمطية التى رسخها عدد غير قليل من المخرجين ، فى مقدمتهم حسن الإمام وحسين حلمى المهندس ومحمد عبد الجواد وعباس كامل وغيرهم . فقد أخرج لأبيه قصته " غدا يعود الحب " بنفس العنوان ، بعد أن كتب لها السيناريو والحوار . ففى الفيلم تتعرف الأرملة ألفت بالمهندس سامى الذى يطمع فيها فيغتصبها وتحمل منه . وعندما تلجأ إليه ليحل لها المشكلة ، يعمل جاهداً على التخلص من الجنين الذى يرفض أكثر من طبيب إجراء العملية فتحاول ألفت الانتحار ويموت الجنين . وفى الوقت نفسه يستيقظ ضمير سامى ويدرك أنه يحبها حباً صادقاً فيعود إليها ليتزوجا ، ويلتئم الشمل عندما تحل النهاية السعيدة .

وإن كان عام ١٩٧٢ قد شهد عرض فيلم " بنت بديعة " لحسن الإمام ، وعندما يعود الحب " لنادر جلال ، فقد شهد أيضاً فيلم " العاطفة والجسد " لحسن رمزى ، والشيطان والخريف " لأنور الشناوى ، و " شباب يحترق " لمحمود فريد ،

و " من البيت للمدرسة " لأحمد ضياء الدين . وهى كلها أفلام دارت حول نفس العناصر النمطية والميلودرامية : الأزمة المالية ، الطائرة المحترقة ، الدعارة ، عودة الغائب أو الميت ، الانتحار ، السجن ، الابتزاز ، القتل ، الوصية ، الغيرة ، التخفى ، الهروب من العدالة ، الاغتصاب ، التورط ، الموت ، الانهيار ، الصدف غير المتوقعة أو غير المنطقية .

فى فيلم " حسن رمزى " العاطفة والجسد " الذى ألفه وأخرجه ، يتفق الدكتور أحمد مع هدى على الزواج بعد عودة والدها من السفر ، لكنه يفاجأ بتحديد سفره إلى لندن ، لينال درجة الدكتوراه . ثم تنهار هدى عندما يموت أبوها نتيجة لأزمة مالية . وعندما يتحدد موعد عودة أحمد تحترق الطائرة بركابها . عندئذ تستغل صديقتها دولت ظروفها السيئة ووحدتها فتقودها إلى الخطيئة كحل مثالى !! لكنها تبلغ عن دولت فيتم القبض عليها وعلى شركائها . ثم تقع المفاجأة غير المبررة كالعادة ، فإذ بأحمد يعود بعد أن نجا من الموت ، وتكتب له رسالة تشرح فيها أسباب تورطها وسقوطها ، وعندما يهرع إليها تكون قد شرعت فى الانتحار وتلفظ أنفاسها بين يديه فى موقف ميلودرامى نمطى !!

فى فيلم أنور الشناوى " الشيطان والخريف " ، تنتهى مدة عقوبة نعيم وسرعان ما يتفق مع زوجته دلال على ابتزاز أموال نرجس أرملة وصفى الذى تسبب فى إدخاله السجن . يتزوجها ويحاول قتلها لكنها تنجو ، ويتهم سائقها عزيز بارتكاب الجريمة ويحكم عليه بالسجن خمس سنوات لكنه يهرب . يطلع نعيم على وصية وصفى عند المحامى ويفاجأ بأنه كتب ثروته كلها لنادية زوجة عزيز والتى تعمل فى خدمة وصفى منذ الصغر . يتودد إليها نعيم ويجبر عزيز على أن يطلقها بعد أن يهدده بالتبليغ عنه . لكن دلال تشعر بالغيرة وتثور على نعيم ، لدرجة أنها تصيبه إصابة خطيرة ، ومع ذلك يتحامل على نفسه ويقتلها قبل أن يلفظ أنفاسه .

فى فيلم محمود فريد " شباب يحترق " الذى كتب له السيناريو والحوار محمد أبو يوسف عن قصة " غرباء فى البيت " لجورج سيمنون ، يتضح أن السبب فى اقتباس مثل هذه القصة أنها زاخرة بالعناصر النمطية التى اعتادها الجمهور المصرى . ففى الفيلم يربط الحب بين نادية والصحفى أحمد ، ثم تبدأ الأحداث غير المنطقية عندما تطلب منها صديقتها جينا أن تخفى زوجها حسن فى منزلهم دون أن تبدى لها الأسباب فتوافق ببساطة تصل إلى درجة السذاجة والبله ، لولا أن جوكر صديق جينا يحذر نادية من حسن لأنه مجرم هارب من العدالة . تفيق من غفلتها وتواجهه بحقيقته وتقوم بطرده لكنه يحاول اغتصابها ، فتطعنه بسكين فى ظهره ، ثم يتضح أن حسن لم يمت من طعنة نادية بل كان زميله كمال هو القاتل لأنه يطمع فى الذهب الذى سرقه حسن واحتفظ به لنفسه . وعندما تتضح الحقيقة ، يفرج عن نادية وتتزوج من أحمد حتى تتحقق النهاية النمطية التى لا يسأم منها المخرجون والكتاب .

فى فيلم " من البيت للمدرسة " لأحمد ضياء الدين ، تتعرف الطالبة سهير بعصام وتتعلق به ، كما تتعرف أيضاً على ممدوح ، ويتكرر لقاؤهما فى حين يرفض عمه زواجهما فهى متوسطة الحال . تتورط مع عصام الذى يتخلى عنها فتتكتم الأمر على ممدوح ، وتكتب خطاباً لعصام تستعطفه فيه ليتزوجها ، لكنها تتركه فى كراستها ليقع فى يد مدرستها !! وتتفاقم الأمور كالعادة لتصل إلى مستواها الميلودرامى عندما تحدث مشادة بين سهير وعصام وتقتله بدون وعى وتهرب ، وذلك فى حين تصل مدرستها لإقناعه بالزواج منها ويتم القبض عليها ، وتعترف سهير بالحقيقة . كما تكتشف أمها أن رئيس المباحث هو أبوها المنفصلة عنه ، والذى يستقيل ليدافع عن ابنته لكنها تموت !! وينهار ممدوح .

وكان المخرج سعد عرفة قد افتتح السبعينيات هو أيضاً بفيلم عبارة عن كبسولة من العناصر النمطية وإن كان قد أضاف إليها بعداً سيكولوجياً . هذا الفيلم

هو " اعترافات امرأة " عام ١٩٧١ ، الذى تعانى فيه المحامية نادية من عقدة نفسية منذ طفولتها عندما تشاهد أباها يخون أمها مع عشيقته ثم يحاول صديقها الرسام عصام أن يغتصبها ، لكنها تقاومه . تتزوج من حسين لكن عقدتها تحول دون ممارستها الحياة الزوجية الطبيعية معه فيطلقها . ثم تتوطد علاقتها بأحمد زميلها فى مكتب المحاماة ، فيعرض عليها الزواج لكنها تتردد خوفاً من تكرار الفشل .

وفى السبعينيات أيضاً قدم عاطف سالم فيلمين زاخرين بالعناصر النمطية والميلودرامية " ومضى قطار العمر " ١٩٧٥ ، و " وضاع العمر يا ولدى " ١٩٧٨، برغم تألقه من قبل فى أفلام أسرية أصيلة ومصرية صميمة تعد علامات مضيئة على طريق السينما المصرية مثل " السبع بنات " ، و " أم العروسة " ، و " الحفيد " . لكن يبدو أنه لا نجاة لأحد من طوفان العناصر النمطية . ففى فيلم " وضاع العمر يا ولدى " تتورط فاطمة فى علاقتها بعباس وتنهار عندما تكتشف أنه لص . وتحاول الانتحار ولكن الدكتور أحمد ينقذها بقدرة قادر . تعترف له بما حدث لكن طبيعته السمحة الملائكية !! تجعله يتزوجها وينجبان سمير . ثم تنتهى مدة عقوبة عباس ويتصل بفاطمة ليسلمها خطاباتها وصورها . يحاول اغتصابها فتستغيث ويصل رجال الشرطة . ويتراجع زوجها عن سماحته ويطلقها ويتخلى عنها الجميع فتضطر إلى العمل فى ملهى ليلى . وعندما يحاول عباس ابتزاز أحمد بمطالبته بمبلغ من المال مقابل عدم إفشاء سر فاطمة لسمير ، تقتله فاطمة . وتشاء الصدف كالعادة أن أحمد يعترف له بحقيقتها ، ويتم الحكم ببراءتها ويلتئم شمل الأسرة !!،

وكان فيلم " وضاع العمر يا ولدى " ١٩٧٨ امتداداً طبيعياً لنفس العناصر النمطية التى جسدها عاطف سالم من قبل فى " ومضى قطار العمر " ١٩٧٥ ، والذى ينجح فيه عبد العظيم باشا فى إقناع بيومى بواب قصره بأن يحمل جريمة القتل التى يرتكبها ابنه محسن مقابل تربية أولاده !! وبالفعل يحكم عليه بالمؤبد . ثم

تنتحر زوجة بيومى بعد أن يغتصبها محسن ، وتموت أمه وابنه الصغير من الإهمال . وعندما تنتهى مدة عقوبة بيومى ، تفاجئه جارته أم فتحى بما حدث وأن الابن الأكبر محمد قد تربى فى منزل الباشا مع محسن ، أما سعاد فلا يعلم أحد عنها شيئاً . وبعد بحث شاق وطويل يعثر بيومى على سعاد التى تعمل فى منزل للدعارة ، فيصطحبها لمنزل أم فتحى ويوصيها برعايتها . ثم يسرع إلى منزل الباشا ليقتل محسن انتقاما منه ، فإذا بمحمد يطلق الرصاص على بيومى دون أن يعلم أنه ولده .

أما حسن يوسف فقد أخرج فيلمين : " الجبان والحب " ١٩٧٥ ، و " كفانى يا قلب " ١٩٧٧ عن قصتين لموسى صبرى الذى يبدو أنه جرب كتابة القصة على طريقة جحا أولى بلحم ثوره ، إذ أنه يبدو خالى الذهن تماماً من أصول كتابتها وممارستها ، ومع ذلك صادف ما كتب هوى عند حسن يوسف لدرجة أنه أخرجها وأنتجها أيضاً . ويبدو أن هذا الهوى كان نتيجة لسير القصتين على النهج التقليدى للعناصر النمطية السينمائية : التورط فى العلاقة الجنسية ، الشك ، الانتحار ، الطرد من الوظيفة ، الخيانة ، الانحراف المخدرات ، التهريب ، الانتحال والتنكر .

فى فيلم " الجبان والحب " يتعرف مجدى طالب الطب المكافح على زوجة أستاذه الدكتور فكرى ، والتى تعجب به وتتوسط لزوجها ليلحقه بالعمل فى عيادته ، وإذ بهما يتورطان فى علاقتهما . وتعانى سعاد من وقوعها بين شقى الرحى " زوجها و عشيقها " الذى يساوره الشك نحوها فتنتحر . وعندما يكتشف فكرى خيانته ، يطرده من عيادته . ثم يتحول بقدرة قادر إلى مصلح اجتماعى عندما يصادق زميلته سميرة التى تعيش ظروفاً مادية قاسية تدفعها إلى الانحراف ، ويحاول جاهداً أن يصلحها ويعيدها إلى طريق الشرف لكنه يفشل . ومع ذلك تتزوج من أستاذه الدكتور فكرى !! يتخرج مجدى ويصبح طبيباً مشهوراً . ثم تدخل الأحداث فى مسارات ليست فيما بينها أية علاقات عندما تقع مهلبية جارة

مجدى فى حبه وتصارحه بذلك ، لكنه يبتعد عنها بعد أن تتوطد علاقته بزوجها ، عندئذ تقرر الوقوف بجانب زوجها المقبوض عليه فى قضية مخدرات !! وتتوالى الأحداث فتلجأ سميرة لمجدى بعد طلاقها من فكرى بحيث يبدو أنه كان فى الإمكان أن تستمر الأحداث إلى ما لا نهاية !!

أما فى فيلم " كفانى يا قلب " فتبدو الأحداث والمواقف والعناصر النمطية سمك ، لبن ، تمر هندى . إذ تتزوج فوزية من التاجر الميسور عمار لتتخلص من فقرها وتزمت والدها وأخيها . ثم بدون مناسبة تلجأ لكاتبها المفضل وصفى رئيس تحرير إحدى المجلات لتعمل فى الصحافة فيوافق !! (يبدو أن هذا كان لمجرد أن موسى صبرى كان رئيساً للتحرير) . وبعد حين وبدون مناسبة أو سبب أيضاً تتجه إلى التمثيل وتصبح نجمة مشهورة ، لكنها لا تكتفى بالشهرة والمجد السينمائى بل تتعاون مع المنتج بيضون فى عملية تهريب ماس من بيروت ، وهناك تتعرف على أمين وتقع فى حبه ، لكن القبض عليها كان مصيرها ، ثم يتضح لها أن أمين هذا ما هو إلا المقدم سامى الذى يراقبها . وتنال جزاءها ، وعندما تنتهى مدة عقوبتها ، تجد زوجها وابنتها فى انتظارها بحيث تحل النهاية السعيدة بالتئام شمل الأسرة .

أما عن فيلم تيسير عبود " ليالى لن تعود " ١٩٧٤ فحدث ولا حرج . فهو توليفة نموذجية من الخيانة الزوجية ، والموت فى حادث سيارة ، والاغتصاب ، والاختفاء ، والقتل ، إذ يتقدم حسين للزواج من ليلى ، وتشاء الصدف كالعادة أن منى زوجة أبيها رضوان كانت على علاقة به قبل زواجها !! ثم نفاجأ مرة أخرى برضوان وهو يلقى مصرعه فى حادث بسيارته من تدبير حسن . وتعلم منى بزيارة ليلى لحسين فى منزله فتلحق بها فى الوقت الذى يحاول فيه الاعتداء على ليلى التى تختفى فى حجرة بالداخل ، فتثور عليه منى ، وتفهم ليلى كل شىء عن علاقتهما ، ولا تكتفى بذلك بل تقتله أيضاً . ثم تتعرف منى على عادل ويتفقان على الزواج ، لكن جريمتها تنكشف ويتم القبض عليها ويعدها عادل بالانتظار .

فى فيلم " على من نطلق الرصاص " ١٩٧٥ يسعى الكاتب رأفت الميهى والمخرج كمال الشيخ إلى معالجة قضايا الفساد المتفشى فى المجتمع ، لكنهما لم يجدا وسيلة فكرية وفنية لبلوغ هذا الهدف إلا عن طريق العناصر النمطية والقنوات التقليدية والأحداث الميلودرامية التى تركت بصماتها غائرة على مسيرة السينما المصرية . ففى الفيلم تعمل تهانى فى شركة رشدى مع خطيبها سامى . وتنهار عمارة من العمارات التى أنشأتها الشركة ويزج بسامى فى السجن ظلماً ، ولا يحتمل وطأة الظلم فيموت قبل محاكمته فى حين ينهار صديقه الحميم مصطفى . وتتطور الأمور فتتزوج تهانى من رشدى ، ويصمم مصطفى على معرفة الحقيقة ، ويتقابل مع رزق زميل سامى فى الزنزانة فيؤكد أن سامى مات مسموماً بتدبير من رشدى حتى لا يعترف بالفساد المتفشى فى الشركة . ويبوح مصطفى بذلك لتهانى . لكن سرعان ما تطغى العناصر النمطية والميلودرامية فيحاول مصطفى قتل رشدى فيصيبه إصابة خطيرة بدلاً من أن يكشف جريمته للقانون والعدالة . ثم يصطدم مصطفى بسيارة أثناء هربه ، وينقل كلاهما إلى المستشفى . ويقوم وكيل النيابة باستدعاء رزق للإدلاء بشهادته ، وبذلك يتغير مجرى القضية ويصبح رشدى متهماً ، فى حين يموت مصطفى متأثراً بإصابته . وكان من الممكن حذف محاولة القتل هذه ، لكن يبدو أن معظم السينمائيين المصريين يرون فى القتل وسيلة تأتى فى مقدمة التوابل النمطية التى تفتح شهية المتفرج العادى للإقبال على الفيلم .

أما المخرج الرائد نيازى مصطفى الذى جرب إخراج معظم أنماط الأفلام المصرية . وإن كان قد اشتهر بأفلام الحركة والعصابات والصراع المادى الملموس ، فإنه فى السبعينيات يقدم فيلمين زاخرين بمعظم التوابل النمطية : " المنحرفون " ١٩٧٦ ، و " نساء تحت الطبع " ١٩٧٦ أيضاً . فى الفيلم الأول تربط الصداقة بين ثلاثة زملاء فى الجامعة محمود ومجدى وعادل الذى يعيش مع خاله إبراهيم الذى يجعل من شقته وكراً للهوى والمجون . أما محمود فيصمم على

الانتقام من سامية التى تصدم والده بسيارتها وتقتله .وكان الحل السحرى الذى اهتدى إليه هو استدراجها واغتصابها ثم هروبه فى سيارة والد مجدى رئيس المباحث !! ثم يصدم أحد المارة ليرديه قتيلاً !! ويسجل شرطى المرور رقم السيارة . يظن أبو مجدى أن ابنه هو الجانى فيستقيل . وتصل التوابل النمطية قمتها عندما يختفى محمود فى شقة إبراهيم ويغتصب ابنته فاطمة ظناً منه أنها إحدى فتيات الليل ، وكأنه أدمن الاغتصاب بعد المرة الأولى !! ثم يصيبه إبراهيم فى محاولة لقتله ، لكن الشرطة تحسم فى النهاية كل هذا " العك " ويقع الجميع فى قبضتها .

فى فيلم " نساء تحت الطبع " تتم خطبة ليلى على ابن خالتها أحمد لكنها تتطلع إلى الثراء بأية وسيلة . ولذلك يتصادف أن تكون صديقتها زيزى راقصة محترفة وعضو فى عصابة طلعت الذى يعمل مهرباً للماس . وسرعان ما ندخل عالم العصابات فتسرق عصابة طلعت الماس الخام من عصابة منير . ثم يتزوج طلعت من ليلى بعد أن يغتصبها مما يثير دهشة أحمد (لكنه من الواضح أنه لا يثير دهشة المؤلف أو المخرج لاعتيادهما على هذه التوابل) !! وفى اليوم المحدد لسفرها مع زوجها يقابلها أحمد ، لكن عصابة منير تختطفها وتعثر على فصوص الماس فى فستانها إذ أنها لم تكن تعلم حقيقة زوجها . عندئذ تجتاح النخوة زيزى !! وتبلغ عن العصابتين ، ثم تأتى النهاية السعيدة إياها فيتزوج أحمد من ليلى بعد طلاقها !! وربما كان الملل من عصابات تهريب المخدرات هو الذى حولها فى هذا الفيلم إلى عصابات لتهريب الماس على سبيل التغيير !!

فى عام ١٩٧٨ عرضت ثلاثة أفلام حافلة بالتوابل النمطية : " الأقمر " لهشام أبو النصر ، و " كلهم فى النار " لأحمد السبعاوى ، و " امرأة بلا قلب " لياسين إسماعيل ياسين . فى الفيلم الأول تعيش بسيمة البائعة فى أحد الأحياء الشعبية ، وتشارك الأهالى فى ارتباطهم بجامع الأقمر الذى يعتبرونه جزءاً منهم ،

ولذلك فهم يثورون عندما يصل مسئولون من الحكومة لتنفيذ قرار هدم الجامع لبناء مدرسة وقصر ثقافة . وكان من الممكن أن يصبح هذا الخط الدرامى والحضارى عموداً فقرياً لجسم الفيلم كله ، لكن سرعان ما أدت العناصر النمطية به إلى الدخول فى نفس المتاهات الجانبية والطرق المسدودة والدوائر المفرغة إذ يشترك كمال مع النشال خليل فى سرقة أحد الأثرياء ، ويقتل الخادمة عندما تعترضهما . ثم ينقل لهما فتوح سائق التاكسى المسروقات ، لكنه يبلغ رجال الشرطة ويرشدهم أيضاً إلى وكر المعلم الدنف تاجر المخدرات ، ويتم القبض عليهم . لكن أعوان الدنف يستدرجون فتوح إلى مكان مهجور ، ويقتلونه . وفى نهاية الفيلم يصدر قرار بعدم هدم الجامع فتغمر الفرحة الأهالى ، وكأن عمليات السرقة والقتل والقبض على المجرمين هى التى أدت إلى صدور هذا القرار !!

أما فيلم " كلهم فى النار " الذى كتب قصته الدكتور حسين مؤنس بأسلوب " سمك . لبن . تمر هندى " فزاخر بخطط القتل ، والإصابة بالشلل ، والانتقام ، والاتجار المحرم فى الأدوية ، وافتعال الحريق . فى الفيلم تتزوج زكية من ضابط الشرطة عادل برغم إرادة أبيها الذى يتاجر فى السوق السوداء والذى يخطط ببساطة لقتل زوج ابنته ، لكن هذا الأب المفترى الجبار يتشاجر مع أحد أعوانه فيصاب بالشلل ببساطة أيضاً !! لا تستسلم زكية بل تدير الوكالة وتتزوج من راغب أحد أعوان أبيها لتنتقم لزوجها ولأبيها . ثم تدخل فى قضية أخرى ليست لها علاقة بما سبق حين يتفق راغب مع أمين مخزن أدوية على أن يبيع له صفقة حقن بنسلين ، ثم يحرق المخزن حتى لا يكتشف المسئولون العجز وبذلك يرفع راغب من سعره . وعندما تكتشف زكية ذلك ، تبيع الكمية لأحد التجار وتختفظ بعلبة !! ويتصادف أن يمرض ابن راغب من زوجته الأولى ، ويتطلب علاجه حقن البنسلين . تساومه زكية على إعطائه الحقنة مقابل أن يدفع لها ثمن الصفقة فيوافق إلا أن ابنه يموت !!

فى فيلم " امرأة بلا قلب " تعود سهير من الخارج بعد أن يتوفى زوجها وتذهب إلى منزل أمه التى لم تقابلها من قبل . تضع سهير مولودها لكن حماتها تدعى أنه ولد ميتاً !! لكن ألفت ابنة عم زوجها ترشدها إلى مكانه ، ولا مانع من استخدام لعبة الانتحال النمطية ، إذ تكتشف سهير أن حماتها قد توفيت وأن هذه السيدة تنتحل شخصيتها لتستولى على ثروة الأسرة . وتهرب بسيارتها لكنها تتعرض لمحاولة قتل ، ينقذها منها علاء شقيق ألفت !! ومع ذلك تصاب الحماة المزيفة بالجنون دون أى مبرر درامى !! ثم ينتهى الفيلم بالنهاية النمطية إياها بزواج سهير من علاء !!

أما فى عقد الثمانينيات فقد كان للمخرج أحمد السبعاوى نصيب الأسد فى الأفلام التى أخرجها : " تحدى الأقوياء " ١٩٨٠ ، " انهيار " ١٩٨٢ ، " سجن بلا قضبان " ١٩٨٣ ، و " الأستاذ يعرف أكثر " ١٩٨٥ ، و " بلاغ ضد امرأة " ١٩٨٦ ، و " المواجهة " ١٩٨٧ . ذلك أنه عندما تنجح أفلام أحد المخرجين على المستوى الجماهيرى . فإن المنتجين يقبلون عليه لعلهم ينالون من المكسب ما تيسر ، خاصة بعد النجاح القياسى الذى حققه عام ١٩٨٢ بفيلمه " السلخانة " ، واستمر عرضه أكثر من خمسين أسبوعاً ، وفيه تتزوج صفاء ابنة المعلم نجم من المهندس علاء ابن المعلم أبو حلقة برغم الصراع الشديد بين والديهما للسيطرة على سوق الماشية داخل السلخانة . ثم تدس التوابل النمطية بأنفها كالعادة فيدبر نجم جريمة قتل عمر الأخ غير الشقيق لعلاء ، ويصاب أبوه بالشلل . وعندما يضيق حرب مساعد نجم بمعاملته السيئة ، يشى به ويفضح جريمته وتدبير قتله لعلاء أيضاً . ثم يبلغ علاء رجال الشرطة الذين يعرفون مكان لقاء نجم بعلاء ، ويقبضون عليه ويعترف بجريمته . وبعد ذلك يتحقق حلم أهل الحى بتكوين الجمعية التعاونية التى تتولى توزيع الماشية دون استغلال .

وتتوالى العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية فى فيلم " تحدى الأقوياء " الذى يتعرف فيه تاجر المخدرات رشدى بالفلاحة سلمى التى تهرب من البلدة لمحاولة ابن زوجها لقتلها لأنها تسببت بشهادتها ضد زوجها فى أن يدخل السجن . وفى إحدى مطاردات الرائد أحمد لرشدى ، يصيبه بطلقة نارية ويهرب ، ثم يسعفه الدكتور كامل . وبحكم أن الزواج لابد أن يكون تيمة أساسية فى الفيلم ، فإن رشدى يتفق مع سلمى على الزواج بعد أن تحصل على الطلاق من زوجها . ويتم القبض على الدكتور كامل الذى يرشد رجال الشرطة عن مخبأ رشدى ، بحيث يتمكن أحمد من القبض عليه قبل تنفيذ عملية تهريب جديدة .

أما فى فيلم " انهيار " فإن مديحة تصدم بسيارتها أحد المارة ويموت ، وإذ بزوجها سامى يلصق التهمة بنفسه فى فروسية مثالية غير مقنعة سرعان ما تتقشع عندما يكتشف خيانتها له مع سامى سليم ويعترف بالحقيقة ! ولكن القاضى عباس لا يقتنع ويحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات ، يقرر فيها سامى الانتقام من الثلاثة بعد انتهاء المدة ، على طريقة الكونت دى مونت كريستو التى تكررت مراراً فى السينما المصرية . يبدأ بقتل زوجته خلال رحلة صيد ، ويحفظ التحقيق على أساس أنها وفاة بطريق الخطأ !! ثم يتعرف سامى بناهد زوجة عباس وينتحل شخصية سامى سليم ، ويدعوها إلى عزبته ، على أن تخبر زوجها بموعد اللقاء ، إذ أنه يخطط لقتل سامى وإلصاق التهمة بعباس الذى يفرج عنه لعدم كفاية الأدلة . وفى النهاية تنكشف جرائم سامى ويتم القبض عليه ، ويطلق عباس زوجته .

فى فيلم " سجن بلا قضبان " يسافر عرفان ليعمل فى الخارج ليوفر المال اللازم لزواجه من حبيبته ليلى التى يختلس أبوها مبلغاً من خزينة الشركة التى يعمل بها . ثم يتقدم المحامى الكبير حسين للدفاع عنه مقابل أن يتزوج من ليلى !! وينجح فى تبرئته . لكن ليلى تعيش معه حياة فاترة ، ويتضح أنه يكسب قضاياه بطرق مريبة وملتوية تعرفها صديقته نوال . وعندما يعود عرفان ويفاجأ بزواج

ليلى ، يقتله حسين بعد أن يكتشف علاقته بزوجته ، لكن يتضح أنه لم يمت ويتنكر في شخصية مفتش مباحث بالاتفاق مع الشرطة !! وينجح فى الايقاع بحسين فى قبضة الشرطة ، إذ أن المجرم أو المذنب لابد أن يلقى جزاءه فى نهاية الأفلام المصرية ، فالدنيا ليست فوضى !!

فى فيلم " الأستاذ يعرف أكثر " تهرب مشتهى من بلدتها بعد أن يغتصبها أحد الأهالى ويتخلى عنها . وتتوطد علاقتها بسائق التاكسى زكى فى حين يعجب بها رجل الأعمال الثرى صادق . فينتهز زكى الفرصة ويشجعها على الموافقة على الزواج منه حتى يستوليا على ثروته . وإذ بصادق ينفذ خطة لا تخطر إلا ببال هيتشكوك شخصياً ، فهو يصاب بالشلل عندما يكتشف خيانة مشتهى له مع زكى . وعندما يفشل العشيقان فى معرفة طريقة فتح الخزانة من صادق ، يقرران قتله وتلفيق التهمة لابنه . وعندما يهم زكى بقتله ، يفاجأ أنه غير مشلول وفى كامل صحته وهو يضغط على الجرس ليفاجأ العشيقان برجال الشرطة الذين يقبضون عليهما .

فى فيلم " بلاغ ضد امرأة " تتكرر نفس التيمة تقريبا ولكن فى أحداث مختلفة ، إذ يكتشف رجل الأعمال الكبير رضوان علاقة زوجته كريمة بأمجد حبيبها السابق الذى يحقق أطماعه بابتزاز نقود كريمة . ويدعى رضوان لكريمة أنه يعانى من ضائقة مالية ، فيطلب منها أن تبيع مصاغها لتحل المشكلة ، ثم يطلقها ويفاجئها بأنه كان على علم بخيانتها ، ويحرمها من ثروته وثروتها . عندئذ يتخلى عنها أمجد فتصدمه بسيارتها وتلقى مصرعها وهى تنطلق كالمجنونة بالسيارة .

فى فيلم " المواجهة " يتعرف الأرمل محمود على الأرملة عطيات ويتفقان على الزواج . ويطلب سليم شقيق زوجها من محمود أن يقنعها ببيع أرضها له لكنها ترفض . عندئذ يقوم محيى ابن سليم باغتصاب فاطمة التى تموت ، فى خط ليست له أدنى علاقة بالخط السابق . ويشهد الأهالى ضد بدوى شقيق عطيات فيصمم سليم

على قتله بحكم أنه كبيرهم ، وقد واتته فرصة الانتقام من عطيات . لكن بدوى يهرب ويشهد الصيدلى على سوء سلوك محيى وإدمانه الخمر ومطاردته المستمرة لفاطمة . وينجح محمود فى الضغط على محيى حتى يعترف بجريمته . وعندما يواجه محمود ، سليم بجريمة ابنه ويطلب منه تنفيذ القصاص ، يعيش سليم لحظة صراع ينهيها بالانتحار برغم أنه ليس من النوع الحساس أو المرهف أو المعقد الذى يجد فى الانتحار حلاً لمشاكله .

أما حسام الدين مصطفى فيفتتح عقد الثمانينيات بفيلم " الباطنية " ١٩٨٠ ، الذى تتورط فيه وردة صاحبة المقهى بحى الباطنية مع فتحى وتحمل منه ، لكنه يتخلى عنها بضغط من أبيه العقاد الذى يتحكم فى تجارة المخدرات . وعندما تضع وردة مولودها ، يخطفه أعوان العقاد فى حين يدعى أحدهم لها أنه مات . ثم يشى برعى منافس العقاد بفتحى فيدخله السجن ، فينتقم منه العقاد بقتل ولديه دفعة واحدة . عندئذ يتفق برعى مع وردة على الانتقام من فتحى بقتل ابنه أدهم . وبالطبع تنهار وردة عندما تكتشف أنها قتلت ابنها ، مما يدل على مدى عمق جذور الميلودراما النمطية فى تربة السينما المصرية .

فى عام ١٩٨٤ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " عندما يبكى الرجال " الذى حشده بكل التوابل النمطية ، إذ يتزوج الثرى صابر من عشيقته ثريا فيثور عليه ابنه شريف ويهجر المنزل . ثم تتورط أخته سميرة فى علاقتها مع سالم وتلقى مصرعها بعد أن تعرى علاقته بثريا التى تبتز ثروة صابر ثم تطلقه لأن العصمة فى يدها . (وحكاية صاحبة العصمة هذه أكذوبة من الأكاذيب السينمائية لأن الشريعة الإسلامية لا تسمح بها على الإطلاق) . المهم يقرر شريف الانتقام من ثريا ، ومن خلال خطة يضعها ، يتعرف عليها إذ أنه لم يقابلها من قبل . وبالفعل تعجب به مما يثير غضب خطيبته ليلى . ويتوصل صابر إلى مكان شريف ويعمل فى معرض سيارات والد ليلى حيث تتوطد علاقته بها دون أن يخبرها بحقيقته ، بل

ويعرف منها علاقة شريف بثريا التى تمنح ثروتها لشريف على أمل أن يتزوجها بهذه البساطة . ثم تلقى مصرعها ويتم القبض على شريف بعد أن يشهد بواب العمارة ضده لانصرافه من شقتها قبل الحادث . لكن نظراً لأن العدالة لابد أن تأخذ مجراها فى السينما المصرية ، فإن صابر يصل ويعترف بجريمته التى يرتكبها لينقذ ابنه .

فى فيلم حسام الدين مصطفى " شهد الملكة " ١٩٨٥ المأخوذ عن قصة لنجيب محفوظ من مجموعة " ملحمة الحرافيش " ، تعيش زهيرة مع قريبها عزيز الناجى لكن زوجته ألفت تغير منها وتجبرها على الزواج من عبده الذى يجعل حياتها معه سلسلة من المعاناة ، فتلجأ لفتوة الحى نوح فيطلقها منه . بعد ذلك تتزوج من الفسخانى محمد فى حين يطمع فيها نوح والمأمور . وبرغم أن زوجها يتسم بضعف الشخصية ، إلا أنه يعتدى عليها بالضرب المبرح ويهرب بعد أن يظن أنها ماتت . ويحكم لها بالطلاق لطول غيابه ، وتتزوج من نوح الذى يلقى مصرعه بأيد مجهولة وترث عنه ثروة كبيرة . تصمم على الانتقام من ألفت فتنجح فى إيقاع عزيز فى شباكها . يطلق ألفت ويستعد للزواج منها ، لكن محمد يعود ويحاول إعادتها لعصمته ، وعندما ترفض يقتلها . ولن نتهم السيناريست مصطفى محرم بأنه حرّف قصة نجيب محفوظ حتى يحشوها بالتوابل النمطية إذ أن القصة تحمل فى طياتها مثل هذه التوابل فى حين أن نجيب محفوظ ليس مجبراً تجارياً على استخدامها ، إذ شتان بين جمهور القراء وجمهور المتفرجين ، لكن يبدو أن اشتغال نجيب محفوظ بالسيناريو السينمائى فترة ليست بالقصيرة ، قد جعل منهجه الفكرى والروائى يتشرب بها .

أما سعد عرفة فقد قدم فى الثمانينيات فيلمين : " دموع فى ليلة الزفاف " ١٩٨٠ ، و " اعتداء " ١٩٨٢ . فى الفيلم الأول تعانى أمينة من معاملة أبيها عبد الحكيم المتزمت والذى يضغط عليها لتتم خطبتها إلى زميله جاد . فقد كانت

مرتبطة عاطفيا بالمهندس شريف لكن أباها رفض زواجهما ، فكانت النتيجة أن هربت وتزوجته ، لكنهما يفاجأن بوصول الأب وجاد . ويتدخل العنصر الميلودرامى فإذا بشريف يصاب بإصابة خطيرة بعد اشتباكه مع عبد الحكيم ، وتنهار أمينة وتفقد ذاكرتها برغم أن الموضوع لا يمكن أن يصل إلى هذا الحد المبالغ فيه . وبرغم أنه يتم القبض على عبد الحكيم ، فإن جاد يغتصب أمينة وينتحر ، ثم يتم الإفراج عن والدها وتدخل مستشفى الأمراض النفسية والعصبية . وبعد كل هذه الفواجع غير المنطقية ينجح شريف فى إعادة الذاكرة لأمينة ويتمسك بها كزوجة لزوم النهاية السعيدة النمطية .

وفى عام ١٩٨٢ قدم سعد عرفة فيلم " اعتداء " الذى يحتوى على الاتهام بالقتل ، والحكم بالإعدام ، والهرب من السجن ، ، واختطاف أنثى ثم الوقوع فى حبها دون أى مبرر درامى وفكرى يستدعى كل هذه الفواجع . ففى الفيلم يزور عزيز صديقه شرف بمنزله فى أثناء وجود سلوى حبيبة شريف ، حيث يكثران من شرب الخمر . يشعر شريف بالإجهاد وتتراءى له صورة سلوى وهى تقاوم شخصاً ثم يفقد وعيه !! يفاجأ فى الصباح برجال الشرطة وهم يقبضون عليه بتهمة قتل سلوى . ويحكم عليه القاضى بالإعدام ، لكنه ببساطة يهرب من السجن وينتقم من القاضى فيخطف ابنته آمال ، إلا أنه يقع فى حبها . وبعد ذلك يشك فى عزيز فيضيق عليه الخناق حتى يعترف بالجريمة ، ويتم القبض عليه . وواضح أن عناصر القصة النمطية والمفتعلة ليست فى حاجة إلى تحليل أو مجرد تعليق لأنها تحت مستوى النقد .

وشهدت الثمانينيات دليلاً دامغاً على أنه لا قبل لسينمائى بالوقوف فى وجه طوفان العناصر النمطية والميلودرامية الفجة . فقد كان الأمل معقوداً على المخرج الشاب عمر عبد العزيز فى أن يسد ولو مجرد جزء من الفراغ الذى تركه المخرج الراحل فطين عبد الوهاب فى مجال الأفلام الكوميدية الخفيفة التى تسخر من

السلبيات الإنسانية وفى الوقت نفسه تدخل البهجة على قلوب المتفرجين . فقد لمس كل من عمل معه قدرته على تضمين المواقف والأحداث دلالات ساخرة وتهكمية ومثيرة للضحك تدفع المتفرج للتفكير والتأمل مثلما فعل فى فيلم " الشقة من حق الزوجة " الذى لا يعد نمطياً على الإطلاق . لكنه فى فيلمى " للفقيد الرحمة " ١٩٨٢ ، و " ليلة فى شهر ٧ " ١٩٨٨ يلجأ إلى القتل ، والتآمر ، والمخدرات ، والهروب ، والانتقام ، والاختطاف ، ظناً منه أنه يركب الموجة الطاغية والمضمونة .

فى فيلم " للفقيد الرحمة " ، وهو قصة وسيناريو وحوار وحيد حامد ، الكاتب المتمكن من أصول الكوميديا الاجتماعية والسياسية الساخرة ، والتى تجلت فى فيلميه " الإرهاب والكباب " و " طيور الظلام " ، لا نجد أية لمسة لهذه الموهبة التى يتمتع بها كل من المخرج والمؤلف . ففى الفيلم يضغط الوالدان على ابنتهما سلوى للزواج من الحانوتى زعفرانى برغم حبها لأحمد الذى يتفق معها بمنتهى البساطة على قتله " كحل سعيد " لكل العقبات التى تقف فى طريق الشخصيات ، وبذلك يتمكنان من الزواج بعد أن ترث ثروته . يدفنه الجانى المأجور لكنه لم يفارق الحياة !! تفاجأ به سلوى فى مقر عملها !! فتذهب مع أحمد إلى مكان دفنه وهناك يشتبك مع أحمد الذى يصيبه إصابة بالغة ، وعندما تهم سلوى بالإجهاز عليه تصيب أحمد بدلاً منه إصابة قاتلة . ثم يصل رجال الشرطة ويلفظ زعفرانى أنفاسه ويتم القبض على سلوى .

أما فى فيلم " ليلة فى شهر ٧ " فإن حسن يعانى من تدخل زوجته راوية لإصلاح أى موقف لا يعجبها مما يوقعها فى المشاكل . وكان من الممكن توليد مواقف كوميدية وساخرة من هذه التوليفة التى كثيراً ما وظفها كتاب الكوميديا . لكن سرعان ما تكتشف أن عماد ابن صاحب العمارة يخفى مخدرات فى مخزن العمارة . وبرغم أن زوجها يحذرها من تبليغ الشرطة لكنها تصر على موقفها ويتم

القبض عليه . وفى أثناء ترحيله يهرب عماد من حارسه الذى يطارده فيلقى مصرعه !! يصمم أبوه حلمى على الانتقام منها ، وتفشل محاولاته المتكررة بقتلها. ويبلغ حسن رجال الشرطة لحمايتها ، لكن أعوان حلمى ينجحون فى اختطافها ، فى حين يراقبهم رجال الشرطة ويقبضون عليهم ويعيدون راوية لزوجها .

أما المخرجة نادية حمزة المتحمسة دائماً للدفاع عن قضايا المرأة ، فإن تأثرها الشديد بالضغوط النمطية التقليدية ، جرفها بعيداً عنهدفها الاستراتيجى ، ولم يمنحها فرصة أن تضع بصمة فكرية وفنية متميزة لها . وقد تجلى هذا التأثر الشديد فى فيلمين لها عام ١٩٨٨ ، " امرأة للأسف " و " المرأة والقانون " . ففى الفيلم الأول تتجسد العناصر النمطية من خلال توأمين : هبة ونادية التى تتطلع للثراء ويستغل زميلها خالد هذا الطموح فيقنعها بأن تهبه نفسها مقابل إقناع سعيد مدير الشركة الثرى بالزواج منها !! يفاجأ سعيد بخالد وهو يحاول اغتصاب نادية . وعندما تحاول الدفاع عن زوجها تصيبه بدلاً من خالد الذى يجهز عليه . ثم تتدخل الصدفة كالعادة فتصاب هبة بآلام مفاجئة وتدخل المستشفى ، وتستغل نادية الظروف فتسجل اسمها بدلاً من هبة حتى تنفى عن نفسها علاقتها بالحادث !! وبالطبع يرتاب مراد زوج هبة فى نادية ويبلغ رجال الشرطة ، فتنهار نادية وتصاب بالجنون ويتم القبض على خالد !!

فى فيلم " المرأة والقانون " يتم عقد قران نادية والمحامى أحمد فى حين تتزوج أمها سيدة من المعلم محمود الذى يصر على مطاردة نادية ، لكنها تخفى الأمر عن أمها التى لم تعلم أن زوجها يطمع فى ابنتها . ثم يدخل محمود المستشفى للعلاج من الإدمان وتقيم معه زوجته . لكنه يستغل وجود نادية بمفردها بالمنزل فيهرب ويذهب إليها ويغتصبها !! وفى الوقت نفسه تسرع الأم إلى المنزل لتفاجأ بجريمة زوجها فتقتله . يتخلى أحمد عن نادية بضغط من أمه وأخته ، لكنه يتولى الدفاع عن سيدة التى يحكم عليها بالسجن عشر سنوات ، إلا أنها لا تتحمل الصدمة

وتمـوت . أى أن الفيلـم ينتهـى دون أيـة علاقـة بيـن المـرأة والقـانون كمـا ورد فـى عنوان الفيلم !!

أما المخرج علـى عبـد الخـالق الـذى بـدأ حياتـه السينمائية ببصمـة سـينمائية متميزة تمثلت فى فيلم " أغنية على الممر " ١٩٧٢ ، فإنـه فـى عـام ١٩٨٠ أخـرج فيلم " الأبالسة " الذى لا يمت بصلة إلى الوهج القومى الذى جسده فى فيلمه الأول . ففى " الأبالسة " يتحكم جلال فى أهل البلدة ويخشـونه . وعندمـا تسـتقل أختـه ناديـة إحدى سياراته مع زميلها صلاح ، تتحطم السيارة بعد تعرضها لحادث لكن جلال لا يعلم بوجود أختـه فيهـا ، فيضغط علـى صـلاح وأبيـه حتـى يـتركوا البلـدة ، إلا أن أستاذه فى المدرسـة حمـزة يخفيـه عنـده حتـى يسـتطيع أداء الامتحـان ، لكـن جـلال يكتشف وجوده ، فيأمر أعوانه بقتله !! تعترف ليلى بحبها لزميلهـا حمـزة فينصحهـا بالابتعاد عنه فهو يكبرها سناً .؟ وعندما يعتدى جلال على ليلى ، يقتله حمزة ويسلم نفسه للشرطة !!

أما المخرج الراحل عاطف الطيب الذى بـدأ حياتـه السـينمائية بفيلـم " سـواق الأتوبيس " ١٩٨٣ الذى كان بمثابة طليعـة لتيـار فكـرى وفنـى جديـد ، سـرعان مـا ابتلعـه طوفـان النمطيـة ومعـه الكـاتب المتمكـن وحيـد حـامد فـى فيلـم " التخشـيبة " ١٩٨٤ ، الزاخر بأحداث ميلودرامية تقليدية مثل الاتهام بالسرقة لشخصية لا يمكـن أن تمارس اللصوصية ، وانهيار الحيـاة الزوجيـة ، والانتقـام ، ومحـاولات الاجبـار على الاعتراف والقتل والاغتصاب . كل هـذا لأن الدكتـورة آمـال تصـدم بسـيارتها سيارة أخرى ، ويرفـض ضـابط المبـاحث الإفـراج عنهـا قبـل أن يتـأكد أنهـا ليسـت مطلوبة فى قضية أخرى !! وبـالفعل تفاجـأ آمـال وصديـق العائلـة المحـامى حمدى بأنهـا متهمـة بسـرقة عشـيقها كمـال رسـتم !! وبـالطبع يتخلـى عنهـا زوجهـا وليـد . ويفرج عنها بكفالة فتقرر الانتقام من كمال ، وتتمكن من اصطحابه إلى منزلها بعـد أن تخدره وتشل حركته ثـم تسـجل لـه اعترافـه الـذى يصـرح فيـه بأنـه أعجـب بهـا

ولكنها لم تعره التفاتاً ، فيلفق لها التهمة . وعندما يفشل في الحصول على الشريط ، يحاول اغتصابها فتقتله وتصبح متهمة بالفعل !

أما الكاتب السينمائى أحمد الخطيب الذى أثبت تمكنه من المعالجة الحميمة لقضايا المجتمع المعاصر كما فعل فى فيلم " كركون فى الشارع " الذى أخرجه أحمد يحيى عام ١٩٨٦ ، فإنه فى العام نفسه يخرج فيلم " ابن تحية عزوز " الذى كتب له القصة والسيناريو والحوار بحكم تخصصه . وفيه يستطيع ثلاثة أصدقاء : أحمد وفوزى وخليل أن يكونوا ثروة من تجارة المخدرات . ويحدث أن تنتهى مدة عقوبة تحية عزوز التى قتلت جارة أحمد بعد أن سرقت نقودها التى أعطتها له ، ومع ذلك يصر على أن يرفض أن ينسب ابنه منها إليه . ويتصادف أن يكون شريف شقيق أحمد ضابطاً فى الشرطة مما يثير مخاوف خليل من نشاطه فيقترح أن يقتلوه ، فيثور احمد عليه ويقتله ليبدأ مسلسل القتل المعتاد فى الأفلام الميلودرامية النمطية ، إذ تنتقم تحية من أحمد ، فتشاغل شريف حتى يقع فى حبها ويقرر الزواج منها ، فيقتلها أحمد ويقتل أيضاً فوزى حتى لا ينكشف أمره . ويعترف فى النهاية لشريف الذى يؤدى واجبه ويقبض عليه لكنه يغافله وينتحر !!

فى العام التالى (١٩٨٧) أخرج أحمد الخطيب فيلم " البيت الملعون " الذى جمع فى قصته معظم التوابل النمطية من خلال شخصية مديحة التى تعانى من ظهور أشياء غريبة تطاردها مما يثر أعصابها ومخاوفها . فتبوح لها عمتها بأن أمها سعاد ماتت مقتولة . ويتهم الأب بقتلها وعندما يفشل فى إثبات براءته يصاب بالجنون وينتحر !! يقوم الدكتور النفسانى صلاح بعلاجها ، إلا أن الزوجين يشكان فى تصرفاته . ويتضح أن صلاح هو قاتل سعاد التى كان يحبها !! ثم يقوم صلاح بمطاردة مديحة لاغتصابها فى نفس اللحظة التى يصل فيها شريف ليطلق النار عليه ويقتله . وابسط تعليق يمكن أن يقوله متفرج عادى لا يدرى شيئا عن أساليب التحليل النقدى ، عن شخصية صلاح ، أنه لا يمكن أبداً أن يكون طبيباً نفسانياً

يعالج الآخرين ، لأنه مجرد مجرم منحرف لا ينفع فيه أى علاج ، وأن مكانه السجن أو غرفة الإعدام !

أما سمير سيف فلا يخرج أيضاً عن نطاق التيار النمطى والميلودرامى فى فيلميه " عصر الذئاب " ١٩٨٦ ، و " المولد" ١٩٨٩ ، برغم أن الكاتب إبراهيم مسعود المتمكن من أسرار عالم الجاسوسية والصفقات الدولية هو الذى كتب الفيلم الأول ، فى حين أن الفيلم الثانى كتبه محمد جلال عبد القوى الذى اشتهر بمسلسلاته التليفزيونية التى تخوض فى أغوار النفوس البشرية والقضايا الاجتماعية . لكن يبدو أنه عند ممارسة الكتابة والإخراج للسينما فإن اليد الطولى هى للقوالب النمطية .

فى فيلم " عصر الذئاب " تعمل حنان سكرتيرة لشوكت زاهر رجل الأعمال الكبير صاحب الصفقات المريبة والذى يراقبه رجال الشرطة وتهاجمه الصحافة . يتفق على صفقة أسلحة مع وزير إحدى الدول العربية الذى يطمع فى حنان لكنها ترفض الاستسلام له ، فيهددها شوكت بقتل خطيبها أحمد وأمها . فلا تجد مناصاً من أن تستسلم لشوكت مرغمة وتصبح عشيقته . يعود أحمد من الخارج حيث كان يعمل ، فتعترف له حنان بظروف سقوطها ، فيصمم على قتل شوكت فى أثناء وجوده بالفندق مع الوزير . لكن العقيد محيى يستطيع أن يثنيه عن عزمه ، فى حين يغدر شوكت بالجميع ويقتل أحمد وتنهار حنان . ثم يأتى الحل على أيدى رجال الشرطة فيلقى مصرعه ، ولو كان الكاتب والمخرج قد توغلا فى عالم الصفقات المريبة بكل أسراره وخفاياه ، لكان الفيلم أكثر إثارة وعمقاً من مجرد استخدام هذه العناصر النمطية التى استهلكت تماماً ، ومع ذلك فهى لا تزال تفرض نفسها بإصرار عجيب على التأليف والإخراج ، مما يدل على أن السينمائيين قد استكانوا لها كما استكان الجمهور من قبل ، إذ أن

اللعب على المضمون والمعروف مريح ومطمئن لرأس المال التقليدى الذى يرى فى التجديد والابتكار واستكشاف الآفاق الجديدة مغامرة أو مخاطرة غير محسوبة العواقب .

فى فيلم " المولد " ١٩٨٩ ، يقوم النشال على بخطف الطفل بركات ، ويربيه مع ابنته أمارة مدعياً أنه أبوه ، ويغير اسمه إلى هيمة ويعلمه النشل . وينضم هيمة لعصابة تعمل فى تهريب العملة . ثم يعترف على لأمارة بحقيقة هيمة الذى ينجح فى تهريب عملة قيمتها ملايين ، مما يثير حقد أفراد العصابة عليه فيخططون للتخلص منه لتفوقه عليهم . لكنه بقدرة قادر يقتلهم جميعاً ويهرب بالمبلغ إلى الخارج . يعود ويحقق مشاريع كثيرة ، وتشعر أمارة بالحب نحوه فتعترف له بحقيقته . ويتوصل هيمة إلى أمه ، ويستعد للزواج من أمارة ويقرر الاستقامة . وكأنه لم يكن عضواً فى عصابة من قبل ، ولم يقتل ، ولذلك فهو يقرر الاستقامة ويستأنف حياته دون أن يحاسبه أحد عما أرتكبه فى الماضى من جرائم . وهو النمط الشائع فى السينما الأمريكية الذى يسمح للبطل لأن يقتل خصمه أو غريمه ثم يعود سعيداً إلى فتاته ، ولا يحاسبه قانون أو مجتمع ، كأنه قتل ذبابة !!

أما المخرج سيد سيف فقد غرق بأفلامه فى محيط المخدرات ، والاغتصاب ، والقتل والسرقة ، والتهمة الظالمة ، والفضيحة ، وأخذ معه المتفرج دون أى حرج أو حساسية ، إذ أنه أراد إثارته والتلاعب بأعصابه بقدر الإمكان ، وكأنه يريد التفوق على رواد هذا التيار النمطى والميلودرامى من أمثال حسن الإمام . ففى فيلمه " رغبة وحقد وانتقام " ١٩٨٦ ، يحمل العنوان فى طياته كل التوابل والمشهيات إياها ، وكأنه واجهة المحل التى تعرض السلع بأسلوب مباشر وواضح للغاية . فمنذ البداية يستولى الشاطبى على مراكب حميدو الذى يموت من الحسرة ، كما يغتصب سنيورة حبيبة حسن التى تضطر للزواج منه فيثور عليها حسن دون أن يعلم بالحقيقة . وعندما يماطل الشاطبى فى الزواج من فنتازا ،

فتتزوج من بحيرى ، وتطلب منه أن يعيد إليها نصيبها من تجارة المخدرات التى شاركته فيها من قبل ، إلا أن الشاطبى يوقع بينهما فيقتل زوجها . تطلب سنيورة الطلاق من الشاطبى فيرفض ، لكنها لا تستسلم وتسرق منه مستندات تدينه وتثبت سرقته لمراكب حميدو ، وتسلمها لحسن بحيث يقع الشاطبى فى قبضة الشرطة .

ويسير سيد سيف على النهج نفسه فى فيلم " باب النصر " ١٩٨٨ ، الذى يستولى فيه داود على محل التاجر ضرغام بمساعدة سونيا مقابل أن ينتقم لها من صابرين باغتصابها لغيرتها منها . لكنه يقتل سونيا حتى لا تشكل خطراً عليه ، ثم يلصق التهمة بصابرين التى تهرب من الحى خوفاً من الفضيحة . وفى الوقت نفسه ينجح خطيب صابرين فى الإيقاع بين داود ومعاونه سوسة ، ويرتب لقاءً بينهما بعد أن يبلغ رجال الشرطة الذين يقبضون على داود متلبساً بالاعتراف بعد أن يواجهه سوسه بجرائمه .

أما خيرى بشارة الذى يحرص دائماً على ربط اسمه باتجاهات التجريب والتجديدوالحداثة وما بعد الحداثة التى أدت به إلى أن يفقد معالم طريقه المتميزة بعد فيلميه المتميزين " الطوق والإسورة " ١٩٨٦ ، و " يوم مر ويوم حلو " ١٩٨٨ ، فإن بدايته كانت نمطية للغاية عندما أخرج فيلم " الأقدار الدامية " عام ١٩٨٢ ، عن مسرحية " الحداد يليق بأليكترا " للكاتب الأمريكى يوجين أونيل ، والتى سرعان ما تم صبها فى القوالب النمطية التى أدمنتها السينما المصرية . فى الفيلم يشارك اللواء حلمى باشا فى حرب فلسطين ، كما يتطوع ابنه سعد . ثم تبدأ توابل الخيانة الزوجية عندما تخون حورية زوجها حلمى مع الكابتن كمال ، وتكتشف خيانتها ابنتها علية . يعود حلمى بعد إعلان الهدنة ، ويموت من الصدمة عندما يكتشف خيانة زوجته ، مما يدفع ابنته علية إلى الإصرار على الانتقام من أمها . يغادر سعد المستشفى بعد إصابته فى الحرب . وعندما تخبره علية بما حدث ، يدبران لقتل كمال فى حين تنتحر حورية . وبعد مرور ثلاث سنوات ، يتطوع سعد للقتال

مع الفدائيين فى القناة تاركاً علية وحدها بالقصر لتنهار وتستسلم للسائس . ومن الواضح أن هذه الخلفية السياسية والحربية التى تمثلت فى حرب فلسطين وجهاد الفدائيين فى القناة ، لم تكن سوى قنوات محترمة وغير نمطية لتوصيل التيمات النمطية المستهلكة .

ويواصل تيسير عبود مسيرته النمطية الموغلة فى كهوف الميلودراما عندما يقدم فى الثمانينيات فيلم " أبو البنات " ١٩٨٠ ، و " انحراف " ١٩٨٥ ، اللذين يحشدهما بالتورط ، والحمل ، والتهريب والقتل ، والانحراف ، والإجهاض ، والانتحار ، والدعارة والجنون !! فعلى الرغم من أن مؤلف الفيلم هو بشير الديك مؤلف فيلم " سواق الأتوبيس " غير النمطى ، فإنه فى هذا الفيلم مؤلف نمطى حتى أذنيه . ففى فيلم " أبو البنات " يشارك سيد بمكافأة نهاية الخدمة مع حسين فى المحل الذى يمتلكه ، فى حين تتطلع ابنته منى للثراء . ولذلك فهى تستسلم للثرى مدحت وتحمل منه . يتم القبض على حسين بتهمة التهريب . وبذلك يخسر سيد ماله فيقتله أثناء ترحيله ويقبض عليه . تحترف منى الدعارة بعد أن تتخلص من الجنين . ثم يتم الإفراج عن سيد الذى يقرر قتل ابنته منى لكنها تنتحر حتى لا يرتكب جريمة أخرى .

وفى فيلم " انحراف " فعل تيسير عبود بمسرحية " عربة اسمها اللذة " للكاتب الأمريكى تنيسى ويليامز ما فعله خيرى بشارة من قبل بمسرحية " الحداد يليق بأليكترا " ليوجين أونيل فى فيلم " الأقدار الدامية " . إذ يبدو أن الاختيار يقع على المسرحيات أو الروايات الأجنبية التى يمكن اقتباسها طبقاً للمواصفات النمطية التى لا تحيد عنها السينما المصرية . ففى فيلم " انحراف " تتزوج هدى ابنة الثرى أبو ماضى من سائقهم حسن ويرحلان إلى القاهرة . أما أختها سميحة فهى تستسلم للقواد كرم ، وينتحر زوجها علاء بعد وفاة والديهما ، وتضطر إلى بيع الفيلا حتى تسدد ديون علاء . ثم تدخل السجن فى قضية آداب ، وبعد الإفراج عنها تبحث عن

عنوان هدى إلى أن تجدها . ويتعلق كمال صديق حسن بسميحة ويتفقان على الزواج برغم تحذير حسن له . وعندما يبوح له بحقيقة سميحة ، يواجهها فلا تنكر وتنهار وتصاب بالجنون .

فى عام ١٩٨٢ أخرج محمد عبد العزيز فيلم " على باب الوزير " الذى يرفض فيه المعلم حلاوة زواج ابنته من زميلها كمال للفارق الاجتماعى بينهما . ثم يدخل عنصر الانتقام فيقرر حلاوة أن يلفق تهمة رشوة لموظف الضرائب عبد الصمد والد كمال لتشدده معه فى تحصيل الغرامات . يبلغ كمال وصديقه خميس عن مخالفات حلاوة القانونية ويحاربونه . ثم يتخلى خميس عن أنهار بعد أن تتورط معه ، فيشفق عليها عبد الصمد فيتزوجها ! ثم يعود خميس ويتودد إليها فترسل إليه خطاباً تهدده فيه بالقتل !! وإذ بخميس يلقى مصرعه ويتم القبض على أنهار لأن الخطاب يدينها !! لكن سر الجريمة ينكشف إذ أن الجانى قتل خميس ظناً منه أنه عزوز الذى يشاركه السكن ، لوجود ثأر بينهما . وينتهى الفيلم بموافقة حلاوة على زواج ابنته من كمال لتمسكها به ، حتى ينتصر الخير وتستمر الحياة .

فى عام ١٩٨٥ أخرج شريف يحيى فيلم " الطاغية " الذى يستقر فيه الدكتور سامى فى بلدته ويتزوج جميلة دون أن يعلم حقيقة والدها محمود الذى يتاجر فى المخدرات مع أخويه هاشم وسليمان . يفاجأ سامى بجابر - أحد المطاريد - الذى يخبره أنه أخوه وأن محمود قتل والدهما الذى بلغ عن أحد جرائمه . ثم يفاجئ سليمان الأخين بطلق نارى يصيب سامى ، لكن جابر يتمكن من قتله ويقتل أيضاً محمود ثم يتم القبض عليه .

فى عام ١٩٨٧ أخرج إبراهيم عفيفى فيلم " القرش " الذى يتم فيه القبض على المعلم الضبع فى قضية مخدرات ، فى حين تعيش تفاحة مع القوادة سكينة التى تمنحها كل ما تملك قبل وفاتها . ثم تعمل تفاحة بتجارة المخدرات وتنافس المعلم أبو سريع . وعندما تنتهى مدة عقوبة الضبع ، تتفق معه تفاحة على

الاشتراك معاً ضد أبو سريع ، لكن الضبع يغدر بها ويبوح بذلك لأبو سريع الذى يحرضه على قتلها !! ثم يفاجأ رجال الشرطة بانتحار أبو سريع ، فى حين تقوم تفاحة بقتل الضبع عندما تكتشف غدره ، وينتهى الفيلم بالقبض عليها !!

فى عام ١٩٨٨ أخرج أشرف فهمى فيلم " اغتيال مدرسة " الذى كتب قصته بنفسه ، وضمنه عناصر التورط ، والحمل ، والتخدير ، والابتزاز ، والاتهام فى قضية آداب ، والتخطيط للاستيلاء على الميراث ، وذلك من خلال شخصية الأرملة هدى التى تعمل مدرسة وتكتشف أن تلميذتها ميرفت حامل نتيجة علاقتها بزميلها عصام . وعندما تضغط عليه هدى ليتزوجها ، يدعوها لمنزله لإقناع أبيه ، لكنه ينتهز فرصة وجودها معه فى المنزل ليقوم بتخديرها وتصويرها معه فى أوضاع مخلة !! عندئذ يبلغ الأب رجال الشرطة وتصبح هدى متهمة فى قضية آداب برغم اعترافها بحقيقة ما جرى ! وكما يستيقظ الضمير بدون مناسبة أو مبرر فى أفلام كثيرة ، يتزوج عصام ميرفت فى اليوم السابق للكشف الطبى بعد كل السفالة التى ارتكبها معها ! ويستمر الفيلم بعد ذلك بدون داع ، إذ أن عم طفليها بعد ذلك يغتنم الفرصة ليحصل على حكم بضمهما لحضانته حتى يتسنى له الاستيلاء على ميراثهما !!

فى عام ١٩٨٨ أيضاً أخرج عبد اللطيف زكى فيلم " الكماشة " الذى يجمع فيه بين الانتحال ، والمخدرات ، والعصابة ، والاغتصاب ، والمفاجأة الصارخة ، وذلك من خلال شخصية ضابط الشرطة محمود الذى ينتحل شخصية تاجر مخدرات وينضم لعصابة إحسان ، كما تتوطد علاقته بنعمة صاحبة أحد المطاعم بالحى . لكن اثنين من كبار أفراد العصابة : جعفر وست الحسن يكتشفان شخصية محمود الحقيقية ، ويحتجزونه ، بل ويأتون بنعمة كى يغتصبها أحد أفراد العصابة أمامه على سبيل الانتقام منه . لكن محمود يتمكن من الهرب بنعمة ، ويهدد ست الحسن بالقتل حتى تعترف له باسم رئيس العصابة ، فيفاجأ بأنه حماه رجل الأعمال

الكبير !! ويتم القبض عليه مع أفرد العصابة ، كما يقرر محمود الزواج من نعمة بعد أن يطلق زوجته التى يتصادف أنه لم يكن موفقاً معها !!

ولم يشأ المخرج المخضرم إبراهيم عمارة أن يمر عقد الثمانينيات دون أن يخرج فيلم " يا ما أنت كريم يا رب " ١٩٨٣ الذى استدعى فيه العناصر النمطية ، خاصة تلك التى كانت سائدة بين الأربعينيات والستينيات ، وفى مقدمتها فقد البصر ثم استرداده . ففيه يتعرف اللص مصطفى على إبراهيم الذى يروى له سبب انهياره وتركه العمل بعد أن يتعرض لحادث بسيارة الأجرة التى يعمل عليها ، وتموت زوجته ، وتفقد ابنته فاطمة بصرها . فيدبر له إبراهيم عملاً ، ويتوب عن السرقة ، وتتم خطبته على فاطمة . لكن جمالات زوجة إبراهيم تسعى للتودد لمصطفى الذى يصدها . ثم يقتلها عشيقها حسين . وتهل النهاية السعيدة بوجهها النمطى المستهلك عندما ينجح مصطفى فى إخراج إبراهيم من أزمته ، ويعيده إلى العمل ، وتسترد فاطمة بصرها بعد العملية الجراحية التى تنجح دائماً فى الأفلام المصرية !!

وبحلول عقد التسعينيات واصلت العناصر النمطية المستهلكة وجودها بقوة لا مبرر لها ولا معنى ، سوى تكاسل المنتجين والكتاب والمخرجين أو خوفهم من البحث عن آفاق جديدة ، قد لا تكون مضمونة سواء على المستوى الفكرى أو الفنى . لكن السؤال الذى يطرح نفسه بشدة ولا يمكن تجاهله بأية حال من الأحوال هو : هل يمكن أن تواصل السينما المصرية مسيرتها فى القرن الحادى والعشرين بهذه الأسلحة الصدئة والأفكار والتوجهات التى استهلكت تماماً من عقود مضت ؟! والتى ستواصل السينما اجترارها وتكرارها ، وهى فى انفصال شبه كامل عن مجتمعها المحلى وعن عصرها الذى أصبح فيه العالم قرية صغيرة ؟! إن أية سينما فى العالم تستمد شريان حياتها وتجددها واستمرارها من المنابع المتدفقة والساخنة للمجتمع والعصر . لكن عقد التسعينيات لم يحمل فى طياته بشائر أو بوادر تدل

على انفتاح آفاق جديدة ، وخاصة أن مشاكل دور العرض التى تتناقص وتنقرض ، ومشـاكل التوزيـع والإنتـاج التى طـرأت علـى السينمـا المصريـة فـى العقديـن الأخيرين ، أصبحت تمثل تحديات عاتية جديدة بالإضافة إلى التحديات القديمة التى ترسخت مع رسوخ العناصر النمطية ، سواء فى المضمون أو الشكل !

ونظرة تحليلية إلى أفلام التسعينيات تؤكد هذه الاحتمالات الكئيبة التى لابد أن يتكاتف السينمائيون المصريون لمواجهتها والقضاء عليها ، وهم قادرون على ذلك لأنهم يرتكزون إلى قاعدة سينمائية عريقة وراسخة تمتد إلى أكثر من ثلاثة أرباع القرن ، وكانت سنداً للسينما العربية وليس للسينما المصرية فحسب .فقد كانت السينما المصرية وستظل السينما الأم لكل الأنشطة السينمائية فى أرجاء العالم العربى ، وبالتالى فإن انتصاراتها أو انتكاساتها لابد أن تنعكس على السينما العربية بصفة عامة .

فى عام ١٩٩٠ وحده أخرج هنرى بركات فيلم " لعبة الأشرار " وحسام الدين مصطفى " العفاريت " ، وإيناس الدغيدى " قضية سميحة بدران " ، وناجى أنجلو " العذراء والعقرب " وعادل عوض " العقرب " وهى كلها أفلام زاخرة بالعناصر النمطية المستهلكة . ففى فيلم " لعبة الأشرار " يتزوج الأديب الكبير رياض من كاميليا التى على علاقة سابقة بعزمى محامى رياض . واستكمالاً للعبة الكراسى الموسيقية بين الشخصيات فى مسائل الحب والزواج ، فإن عزمى يتزوج من منار سكرتيرة رياض ، وفى الوقت نفسه تشك فى علاقته بكاميليا . وتتمكن منار من تسجيل شريط لكاميليا وهى تحث عزمى على قتل منار ورياض بعد أن توهمه بوجود علاقة بينهما . فلا يزال القتل هو الحل السعيد والحاسم للمشاكل المستعصية !! تواصل منار خططها للإيقاع بكاميليا وعزمى ، فتستدعى رياض لمنزلها فى حين يراقبه عزمى ويسرع وراءه

ليقتلـه . ويفشـل فـى قتـل منـار التـى تنجـح فـى الإيقـاع بينـه وبيـن كاميليـا فيقتلهـا. يفاجـأ عزمـى بريـاض الـذى لـم يمـت لأن الرصـــاص لـم يكـن حقيقيـاً !! فينهــار للعقـاب الـذى ينتظـره !!

أما فيلم " العفاريت " الذى قام ببطولته عمرو دياب ، فكان المفروض فيه أن يكون فيلماً غنائياً مثل أفلام عبد الحليم حافظ التى يميل إليهـا الشـباب ، والتـى تثـير المشاعر الرقيقة المرهفة . لكن ما جرى فيه كان كالآتى : يتمكن المقدم رفعت مـن القبض على عباس رئيس عصابة مخدرات ، فينتقم أحد أعوانه بقتل رفعت فى حين يخطف زميله شماندى ابنته الرضيعة دينا . تنهار زوجته كريمة بطبيعة الأمر ، أما شـماندى فيسـلم دينـا ومعهـا الطفلـة الأخـرى لـوزة للمعلمـة محروسـة ، وتصبحـــان نشالتين ضمن عصابتها . ثم تهرب دينا وتتمكن من مقابلة المطرب عمـرو ديـاب ، وتعرض عليه موهبتهـا الغنائيـة كمـا يعلـم بقصتهـا ، ممـا يدفعـه إلـى إبـلاغ رجـال الشرطة عـن وكـر محروسـة ، ويفـاجئون بإصابتهـا إصابـة خطـيرة بعد أن حـاول شماندى قتلها ، فتسرع كريمة إلى محروسة بالمستشفى ومعها الطفلتان لتدلهـا علـى ابنتها لكنها تلفظ أنفاسها الأخيرة : فتقرر تربية الطفلتين !!

فى فيلم " قضية سميحة بدران "، تتزوج الصحفية سميحة من جارهـا القديم يوسف الذى يجمع ثروة كبيرة ، ثم يتضح أنه عضو فى عصابة تهريب مخدرات ، وتزوج من سميحة ليشغلها عن تحقيقاتها الجريئة عن عالم المخدرات !! (فهذا هـو الحل العبقرى ليأمن خطورتها!!) ترتاب سميحة فى علاقـة زوجهـا بعبـاس وأختـه زهيرة التى تتاجر فى الأطعمة الفاسدة . أمـا عبـاس فيقـوم بتـأجير وحداتـه السـكنية لأكثر من شخص . وتكتشف سميحة حقيقة يوسف بحسـها الصحفـى ، وتتمكـن مـن سرقة مستندات تدين عصابته ، ويتـم القبـض بـالفعل علـى عبـاس . عندئـذ يخطـف يوسف شقيق سميحة ليضغط عليها حتى تسلمه المسـتندات ، لكنهـا تقاومـه فيحـاول قتلها ، لكن الرصاصة تصيب زهيرة وعزت ، ويتم القبض عليه .

فى فيلم " العذراء والعقرب " تتم خطبة فاطمة وجارها جابر فى نفس الوقت الذى يطمع فيها المعلم سلطان صاحب المقهى فى الحى وصديق أبيها . وبعد أن ينجح فى استدراجها إلى شقة صديقته نرجس ويغتصبها ، يتنكر لها تماماً وينكر ما حدث عندما تواجهه بأبيها . عندئذ تنتقم منه بقتله ويتم القبض عليها . يساندها جابر بكل قوته ويصر على تحرياته مع صديقه سوكة إلى أن يتوصلا إلى العلاقة الخفية بين سلطان ونرجس . وبعد ذلك يستدرجها جابر حتى تعترف بمكيدة سلطان ، وتدلى بشهادتها فى المحكمة ، فتعزز موقف فاطمة التى تحصل على البراءة فى نهاية الفيلم .

فى فيلم " العقرب " كنا نتوقع رؤية سينمائية جديدة لأن مخرجه عادل عوض ينتمى إلى الجيل الجديد من شباب الخريجين . لكن الفيلم جاء محشواً بالعناصر النمطية المستهلكة بحيث يمكن تسكينه فى أى عقد من العقود السابقة . ففيه تتزوج الفتاة الثرية ناهد من الرسام ماهر برغم إرادة أبيها ، وينجبان هبة . ثم يسافر ماهر ويعيش فى فرنسا ، ويطلق ناهد التى تترك هبة فى ملجأ دون أى مبرر درامى أو منطقى ، فابنتها ليست من أبناء السبيل . ثم تتزوج ناهد من طارق وتقنعه أن يتبنى هبة دون أن يعلم بحقيقتها برغم أن الشريعة الإسلامية لا تسمح بالتبنى . وعندما تدب الخلافات بين الزوجين ، تنحاز هبة إلى جانب طارق ، ويحدث أن يعود ماهر ويتردد على ناهد فى غياب زوجها ، فتحرض هبة عشيقها السائق حسين على قتل ناهد لكنها تنهار عندما تكتشف الحقيقة . وعندما تفشل محاولة انتحارها ، تصاب بالجنون !!

أما عام ١٩٩١ فقد شهد وحده عرض عشرة أفلام مرة واحدة من النوع النمطى الذى يكرر التيمات السابقة بطريقة أو بأخرى . منها فيلمان لحسن الصيفى : " مجرم رغم أنفه " ، و " بنت الباشا الوزير " ، ثم فيلم "عصر القوة" لنادر جلال ، و " نور العيون " لحسين كمال ، و " الهروب"

لعاطف الطيب ، و " الصرخة " لمحمد النجار ، و " نساء ضد القانون " لنادية حمزة ، و " تحت الربع " لشريف حمودة ، و " البرىء والجلاد " لمحمد مرزوق ، و " المفسدون " لإسماعيل حسن .

فى فيلم " مجرم رغم أنفه " تكتشف عزيزة سرقة مجوهراتها ثم يتصل بها اللص ويحدد معها موعداً ليعيد إليها المسروقات . ويطلب منها بمنتهى السذاجة أن تترك له باب شقتها مفتوحاً !! فتفاجأ عزيزة بمجىء جارها عصمت ، ويقبض عليه رجال الشرطة المختبئين داخل الشقة . ثم يتضح أن عصمت مصاب بمرض السير نائما ، مما يوقعه فى مشاكل !! وفى الوقت نفسه يعترف أحمد زميل عزيزة التى يحبها بأنه السارق ، وأنه فعل ذلك حتى يفرق بينها وبين عصمت الذى تحبه ، فهو يعلم بمرضه ، ويعيد إليها المجوهرات . وينتهى الفيلم بأن تتزوج عزيزة من عصمت . فهل هناك استهانة بعقل المتفرج أشد من هذا الفيلم ؟! وهل هذه هى نوعية الأفلام التى تختم بها نهاية القرن العشرين لننطلق إلى آفاق القرن الحادى والعشرين ؟!

فى فيلم " بنت الباشا الوزير " لحسن الصيفى أيضاً ، تؤمم الحكومة أملاك إبراهيم باشا ، وتحدد إقامته ، وتقوم أم السعد على خدمته . يشعر إبراهيم بعاطفة تجاه أم السعد ، فيتورط معها وتحمل منه ويتزوجها !! تنجب ابنتها جليلة ، ويموت إبراهيم ، وتمر السنوات ، وتتخرج جليلة فى معهد الموسيقى . وعندما تلجأ لعمها يطردها وينكر نسبها ، فتلجأ إلى القضاء . عندئذ يعرض عليها العم أن تتزوج من ابنه عمرو المريض بمرض خبيث !! تعطف جليلة عليه وتتزوجه ويسافران للعلاج . وعندما يطلب عمرو منها الإنجاب عن طريق الأنابيب ، ترفض لأنها طريقة محرمة !! فيموت عمرو بمرضه كما يموت أبوه بأزمة قلبية !!

فى فيلم " عصر القوة " تزداد العداوة بين أسرة أدهم الفيومى والمرسى نوفل ، وكلاهما يتاجران فى السلاح . ثم يتورط بكرى الفيومى فى جريمة قتل

لشخص من عائلة المرسى ، وينجح محامى العائلة فى تبرئته !! عندئذ ينتقم المرسى بقتل الابن الثانى ، ويصاب أدهم بأزمة قلبية . ويعمل المرسى على الاستيلاء على صفقة سلاح خاصة بالفيومى ، وكأنها صراع على صفقة فاكهة أو خضراوات فى سوق العبور ، ذلك أن كتابنا لا يهتمون أبداً بدراسة المادة العلمية والعملية للمضامين التى يتعرضون لها بالكتابة ، كما أنهم لا يهتمون كثيراً بنوعية الصراع ومدى إمكان حدوثه فى مصر إذا كانت القصة مقتبسة من بلاد أو مجتمعات أجنبية . المهم أن المرسى يخطف أولاد ابنة الفيومى المطلقة أمينة ، ويساومها على إعادتهم مقابل شروط لصالحه وأن تتزوجه !! (على أى أساس يمكن أن يتم زواج مثل هذا ؟!) وتدعى أمينة الموافقة لكنها تقتله وتستعيد أولادها . ويلتئم شمل أسرة الفيومى وتعود لمزاولة صفقاتها كما تباشر أمينة نشاطها !!

فى فيلم " نور العيون " تتوالى أمامنا مشاهد القتل ، والموت ، والسجن ، والتهمة الظالمة ، والانتقام ، واحتراف الرقص ، ومحاولة الاغتصاب ، برغم أن القصة من تأليف نجيب محفوظ . وكان الأمل معقوداً على قصص روائيينا الكبار من أمثال نجيب محفوظ كى تكون بمثابة نسمات منعشة فى الجو الخانق للسينما النمطية ، أو أضواء متألقة للخروج من النفق المظلم ، لكن يبدو أن الطوفان الذى أغرق السينما منذ عقود مضت لا يزال قادراً على التدفق واجتياح معظم الكتاب بما فيهم الروائيون الكبار الذين أقاموا أمجادهم الأدبية خارج المجال السينمائى .

فى فيلم " نور العيون " يقوم دعبس بقتل غريمه حسونة الذى تلد أرملته مولودتهما نور . وتمر السنوات وتموت الأم ، وتتزوج نور من ابن عمها محسن الذى يحاول أن يدفعها للرذيلة ، ويتسبب فى الزج بها فى السجن فى قضية دعارة هى بريئة منها . تنتهى مدة عقوبتها وتحصل على الطلاق ، كما تسعى للعمل فى مصنع دعبس الذى تهدف إلى الانتقام منه . لكنه عندما يحاول التودد إليها تصده فيطردها . ثم تحترف الرقص وتصبح راقصة مشهورة ، ويحدث أن تتقابل مع

دعبس الذى يعاود محاولته للإيقاع بها . وعندما يفشل يعرض عليها الزواج ، بل ويعترف لها بجريمته !! فتكشف له عن شخصيتها الحقيقية ، ويقع فى قبضة رجال الشرطة المختبئين !!

فى فيلم " الهروب " تفرض التوليفة المملة والنموذجية نفسها على كل الشخصيات والأحداث والمواقف التى تصور شاباً يدعى منتصر ، جاء من أقاصى الصعيد ليعمل بالقاهرة ، فى شركة تتولى سفر العمال إلى البلاد العربية ، لكنه يكتشف أن الشركة تلجأ إلى التأشيرات المزورة . ويدب الخلاف بينه وبين مدحت صاحب الشركة فيدبر له تهمة حيازة مخدرات . يدخل السجن وعندما يخرج منه يفاجأ بابنة عمه التى عقد قرانه عليها قد استسلمت لرجوات التى تدفعها لاحتراف الدعارة . ويقرر الانتقام من مدحت فيقتله ، كما يتورط أيضاً فى مقتل رجوات . يتم القبض عليه لكنه يتمكن من الهروب . وفى إحدى محاولات القبض عليه ، يحاول الاحتماء فى صديقه ضابط الشرطة سالم ، لكن رجال الشرطة يطلقون الرصاص فى اتجاههما ليلقيا مصرعهما !!

أما المخرج محمد النجار الذى بدأ بداية واعدة وقوية بفيلمه " زمن حاتم زهران " ١٩٨٨ ، فإن طوفان العناصر النمطية سرعان ما يطويه فى فيلم "الصرخة" ١٩٩١ الذى يتم فيه إلحاق عمر بمعهد الصم والبكم حيث ترعاه الدكتورة تيسير . والعجيب أنه يصبح - وهو صاحب العاهة - محل إعجاب ووله كل امرأة تقابله ، فتعجب به وفاء الطالبة بالمعهد ، وتطمع فيه الدكتورة تيسير وتحاول الإيقاع به فى حبها لكنه يصدها . ثم تدخل الأحداث فى خط ليست له علاقة بالخطوط السابقة ، فيتزوج عمر من جارته معزوزة التى تطمع فى ثروته ، بل وتحاول سرقته فيطردها !! واستمراراً للسفالة النمطية التى تتمتع بها شخصيات سينمائية عديدة ، فإن معزوزة تدبر له تهمة الاعتداء على صديقتها فكرية ، لكن القاضى فى المحكمة يطلب منه أن يتزوجها . عندئذ يقرر عمر ورفاقه الانتقام من

النساء الثلاث : الدكتورة تيسير ، ومعزوزة وفكرية ، فيسلطون عليهم جهاز يفقدون به السمع لينتهى هذا الفيلم الذى تضمن العناصر النمطية التى وردت فى أفلام سابقة عبر عقود متتابعة ، لكنه تفوق عليها عندما ألغى تماماً العلاقات الموضوعية أو المنطقية بين هذه العناصر ليصبح الفيلم " سمك ، لبن ، تمر هندى " !!

فى فيلم " نساء ضد القانون " تكافح الصديقات الثلاث نادية وعلوية وزينب فى مواجهة ظروف مادية صعبة . تتزوج نادية من جلال صاحب الملهى الذى تعمل فيه راقصة !! يستغلها دون أن تعلم فى عمليات تهريب الذهب . ويحدث أن تتزوج أختها عائشة من الثرى شوشة الذى يتاجر فى العملة ، ويتفق معه جلال على تحويل مبلغ كبير من الدولارات . ثم يخطط جلال مع أعوانه لقتل شوشة للاستيلاء على المبلغ . تفاجأ نادية بحقيقة جلال . لكن أزمة الكلى (التى أصابها بها المؤلف بطبيعة الحال !!) تشتد عليها ، وتكتشف أختها عائشة جريمة جلال . ونفاجأ بأن لنادية خطيباً سابقاً يدعى أحمد يقوم بمراقبة جلال وأعوانه ،ويبلغ عنهم الشرطة ويتم القبض عليهم . وفى النهاية تموت نادية وينهار أحمد ، وقد نسى المؤلف تماماً صديقتيها اللتين بدأتا معها الكفاح !! ذلك أن التلفيق هو المبدأ الذى يربط بين خطوط القصة !! بل إن العنوان نفسه " نساء ضد القانون " ليست له علاقة بالفيلم الذى كان فيه الرجال وحدهم هم الذين ضد القانون ، لكن النساء عندما يقفن ضد القانون ، يجذبن جمهور السينما لمشاهدة الفيلم أكثر من الرجال !!

فى فيلم " تحت الربع " تحمل الفتاة الفقيرة شكرية سفاحاً من عشيقها الذى يرفض الزواج منها ، فتضطر إلى العمل بالتسول ، وتقع فى يد عباس الذى يقع فى حبها ويتزوجها عرفياً . لكنها تكتشف أنه تاجر مخدرات وينصحها أحد أعوانه بالفرار منه حتى لا تلقى مصير زوجته التى انتحرت . وتقوم شكرية بالتبليغ عنه فيحكم عليه بالسجن . وببساطة شديدة تحتل شكرية مكان عباس وتصبح ملكة الشحاتين ، ويتمكن ابنها من استكمال دراسته . وتنتهى مدة عقوبة عباس ويخرج

من السجن ويعرض عليها الزواج لكنها ترفض . فيشرع فى الانتقام ويجعل ابنها مدمناً للسموم البيضاء ، ثم يبلغ الشرطة عنها . وتشاء الصدف (المملة) أن يتولى خطيب ابنتها القبض عليها فى نفس اللحظة التى يلفظ فيها ابنها أنفاسه الأخيرة نتيجة لتعاطى الهيروين .

فى فيلم " البرىء والجلاد " تسرى التوليفة النمطية فى كل الأحداث والصراعات منذ البداية عندما يقرر رجل الأعمال الكبير حمدى الانتقام من عبد الحميد ومصطفى وبدر لشهادتهم ضد أخيه سعيد الذى ثبت عليه تهمة القتل والسرقة وتم إعدامه . ويشك فيهم حمدى لثرائهم المفاجئ ، فيستغل عدم معرفتهم به إذ أنه كان بالخارج . ويبدأ بالتقرب من عبد الحميد وتتم خطبته على ابنته سحر التى يتخلى عنها بعد أن يغرر بها . ثم يلفق تهمة حيازة هيروين لابن عبد الحميد فتموت الأم من شدة الصدمة . ولا يكتفى بهذا بل يؤجر مجرماً لحرق مصنع عبد الحميد ليصاب بالجنون ، كما ينجح فى تبديد مدخرات مصطفى عندما يشاركه فى مشروع وهمى !! أما بدر فيجعل ابنه مدمناً . والظاهرة الغريبة أن الثلاثة أصيبوا بغباء منقطع النظير جعلهم لا يدركون حقيقة المؤامرة التى ينسجها لهم حمدى الذى يبدو أنه تقمص شخصية الكونت دى مونت كريستو الذى استهلكته السينما المصرية أكثر من اللازم . وفى النهاية تثور فاطمة ضد شقيقها حمدى ، وتفاجأ بأن سعيد مذنب بالفعل ، وتثبت بالدليل أنه يدفن النقود المسروقة بجانب قبره ، وهى صدفة لا تخطر على بال بشر !!!

فى فيلم " المفسدون " لا يضيع الكاتب أو المخرج وقتاً ، إذ يقوم رجل الأعمال أباصيرى منذ البداية باغتصاب إحدى موظفاته فتنتحر ، ويصمم زوجها عادل على الانتقام منه . وفى الوقت نفسه يختلف تاجر المخدرات رشوان مع أباصيرى فيقرر التخلص منه بالاتفاق مع عادل على قتله مقابل مبلغ من المال . تكتشف الفنانة التشكيلية راوية (!!) جريمة عادل وتكون الشاهدة الوحيدة ، وتبلغ

رجال الشرطة كما تبدى استعدادها لرسم صورة القاتل من الذاكرة لتنشرها الجرائد ، كما يفعلون فى الخارج !! يهددها عادل بالقتل ، ثم يتفق معها على رسم صورة مختلفة عن ملامحه . ويفاجأ عادل برشوان وهو يغدر به ويرفض تسليمه حقه ، فيهدده بمستندات لديه تدينه . ويقوم أعوان رشوان بخطف ابن أخت راوية ليضغط على عادل حتى يتم تسليمه المستندات . وفى الموعد المحدد بينهما يصل رجال الشرطة بعد أن تبلغهم راوية به ، ويقبضون على رشوان وأعوانه بعد أن يتمكن أحدهم من قتل عادل !!

أما عام ١٩٩٢ فقد شهد عرض أربعة أفلام من النوع النمطى القح : "فارس المدينة" لمحمد خان ، و "بنات فى ورطة " لأحمد السبعاوى ، و " امرأة آيلة للسقوط " لمدحت السباعى ، و " غرام وانتقام بالساطور " لمحمد شبل .

وبرغم البصمة الفنية الجديدة المميزة لمحمد خان ، وقدرته على خلق جو عام فى الفيلم يستطيع أن يستغرق المتفرج ، مثلما فعل فى " خرج ولم يعد " ١٩٨٥ ، و " عودة مواطن " ١٩٨٦ ، و " سوبر ماركت " ١٩٩٠ ، فإنه فى فيلم "فارس المدينة" ١٩٩٢ الذى كتب قصته أيضاً ، يرضخ تماماً لكل العناصر والحيل النمطية المستهلكة برغم أن عنوان الفيلم يوحى بغير ذلك تماماً . فالبطل اسمه فارس ، كون ثروته من تجارة العملة . ينفصل عن زوجته دلال ويتركها لتعيش مع ابنه بكر الطالب الجامعى . فقد كان فارس على علاقة بفتاة تبتز أمواله . وفى لحظة يخسر أمواله ويتحتم عليه أن يسدد خسارته لصديقه المليونير أدهم . وفى حادث مفتعل يعتقد فارس أنه صدم مدرس التاريخ العجوز الذى يدخله المستشفى لعلاجه . وبعد فترة يعرف حيلة هذا المدرس الذى يلقى بنفسه أمام السيارات الفارهة ليعيش فترة فى المستشفى على حساب المتسبب !! ويبيع فارس كل مشاريعه ، ويضطر صديقه المليونير لخطف ابنه حتى يسرع فى السداد . ثم يكتشف أن ابنه وقع فى دائرة الإدمان فتأخذه أمه إلى الخارج للعلاج . ويحدث أن

يصيب فارس إصابة كبيرة بعد أن أودع أمواله فى السيارة ، ثم ينتهى الفيلم بزواجه من الممرضة التى أعجب بها ويبدأ حياة جديدة !! ولعلنا نتساءل : أين هى الفروسية فى كل هذا ؟! أم أن حظ البطل فيها هو اسمه فقط ، كعادة محمد خان فى الربط بين اسم البطل وتعبير دارج وشائع بين الناس ، مثلما فعل فى " ضربة شمس" ، و " مشوار عمر " ؟!!

فى فيلم " بنات فى ورطة " يدعو رجل الأعمال عاصم الصديقات الخمس رباب وعبير ودينا وزيزى ونور إلى منزله للاحتفال بعيد ميلاد إحداهن ، ثم يضع مخدراً لعبير ويغتصبها مما يتسبب فى موتها . ويصدم كريم بما حدث لأخته عبير فيصاب بالجنون . ويقرر أن ينتقم منهن بعد شفائه ، وكأنه مريض بالأنفلونزا وعلى وعى كامل بما سوف يفعله بعد الشفاء . وبالفعل يشرع فى ممارسة لعبة الكونت دى مونت كريستو فى تنفيذ انتقامه ، فيتقرب إلى الفتيات الأربع اللاتى فرق بينهن الزمن حتى ينفرد بكل منهن على حدة . فقد أصبحت نور صحفية ، ورباب فنانة تشكيلية ، ودينا متزوجة من رجل ثرى ، وزيزى مطربة تشق طريقها فى عالم الغناء . ويرسم كريم خططاً محكمة تمكنه من قتل ثلاث منهن ، إلا أنه يتم القبض عليه عندما يهم بقتل نور . أما عاصم الذى اغتصب أخته عبير وتسبب فى موتها فلا نعلم عنه شيئاً فيما يتصل بخطته للانتقام !!

فى فيلم " امرأة آيلة للسقوط " تشارك فتاة الليل أحلام ، محسن وشاهين وليلى فى عمليات سرقة ونصب ، لكنها تكف عن هذه الجرائم بعد أن تتزوج وتنجب . ثم يترك زوجها العمل ويصبح عاطلاً ومدمناً !! فتضيق به وتهجره وتعود إلى البنسيون الذى كانت تقيم فيه قبل زواجها ، وهناك تفاجأ بزميليها محسن وشاهين اللذين ينجحان فى إقناعها ببيع مجوهرات مسروقة ليتقاسموا قيمتها ، إلا أنها يتم القبض عليها فتشى بهما ، لكنهما يشهدان عليها بأنها قاتلة صاحبة المنزل وطفلها وسارقة لمجوهراتها . وعقب القبض عليها يكتب الصحفى شكرى مقالات

يهاجم فيها أحلام وكأنها قضية مصيرية للمجتمع كإسرائيل أو الإرهاب ، ثم نكتشف عذراً أقبح من ذنب هو أنه كان خطيبها السابق الذى تخلت عنه ، ولذلك يشن عليها حملة بالغة الشراسة لتصفية حسابه الشخصى التافه !! وبمنتهى البساطة يصدر الحكم بإعدامها . لكن شكرى يدرك - بمنتهى البساطة أيضاً - أن أحلام بريئة ، وأن شركاءها محسن وشريف وراء هذه الجريمة ، فيسعى بكل وسيلة لإثبات براءتها قبل أن يتم إعدامها على يد عشماوى ، بحيث يقوم هو شخصياً بدور الشرطة والقضاء !!!

فى فيلم " غرام وانتقام بالساطور " الذى كتبه وأخرجه المخرج الراحل محمد شبل ، تعمل فتحية فى محل فتحى وماجدة ، ثم تفاجأ بأبيها الذى يخبرها بوجود ثروة فى مخبئه بالمنزل ، لكنه يموت قبل أن يبوح لها بالمكان . ويعلم فتحى بذلك ، فيتفق مع حبيبته ماجدة التى تتطلع للثراء ، على الزواج من فتحية ثم قتلها ، وبذلك يرثها ويتزوجان . وعندما يعثر الزوجان على الثروة ، يخنق فتحى فتحية ويدفنها فى إحدى الحدائق . ثم يتضح أنها لم تمت ، بل تعود لتكتشف زواج فتحى وماجدة . وتبدأ الحيل التى تشبه " لعب العيال " حين تلجأ فتحية إلى محسن زوج صديقتها الذى يهوى صنع أقنعة من المطاط ، وكأن هذه الصناعة الفنية والتكنولوجية الدقيقة والمتقدمة يمكن أن تكون مجرد هواية خاصة بفرد !! المهم أن فتحية تظهر لفتحى بأقنعة مخيفة تثير الرعب فى نفسه ، وتجعله يذهب ليتأكد من وجود الجثة ، فيفاجأ بفتحية التى تطلقه لأن العصمة فى يدها ، وكأنها كانت فى حاجة إلى كل هذه الحيل كى تطلقه فى النهاية دون أن يلقى جزاءه عندما سعى لقتلها بالفعل !! فهل هناك استهانة بعقل المتفرج أكثر من هذا ؟!

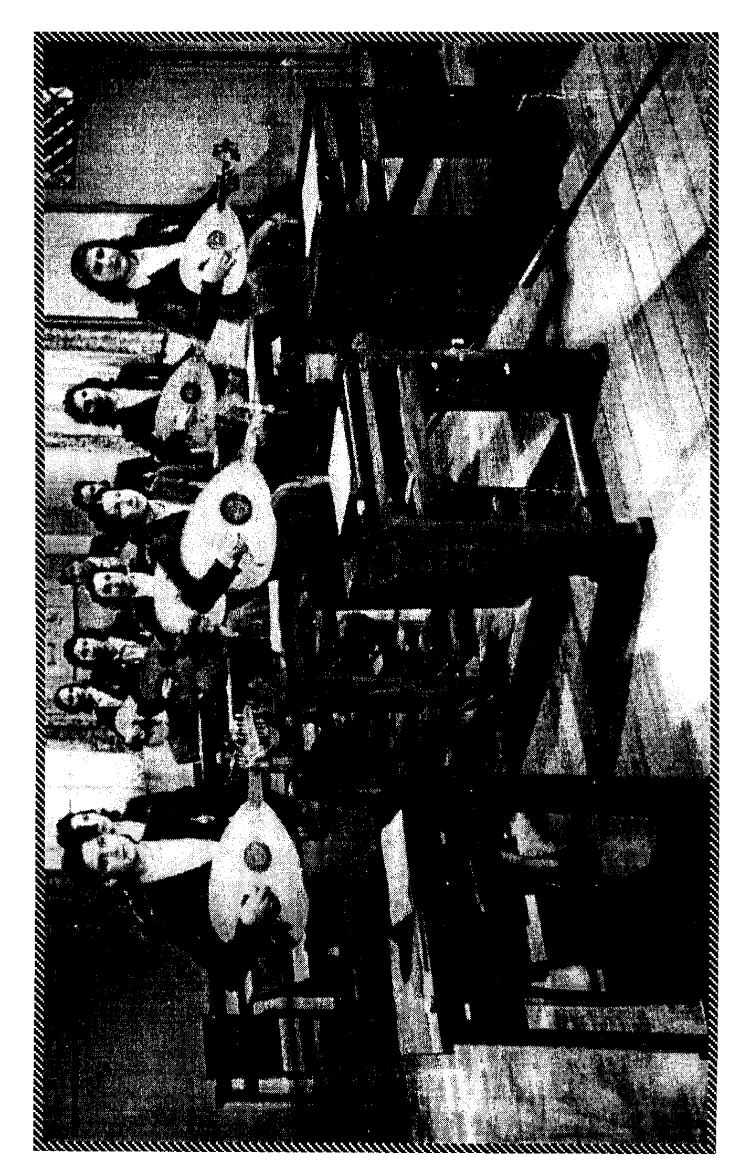
وتتوالى الأفلام النمطية ذات التوليفة المستهلكة فى التسعينيات مثل فيلم "الزمن الصعب" لمحمد حسيب " ١٩٩٣ ، و " الشرسة" لأحمد صقر ١٩٩٣ أيضاً . فى الفيلم الأول يتعرف جلال على فراج فى أثناء عملهما بالكويت ، ويسبق فراج

إلى مصر حيث يشترك مع شهبور وعباس فى خطف رئيفة زوجة جلال وطفلتها وسرقة منزله !! يساومها فراج على منحه رصيدها بالبنك مقابل الإفراج عنهما فتوافق ، إلا أنه يطمع فيها فتقاومه ويصيبها إصابة خطيرة !! كذلك يقتل شريكه ليستحوذ على الغنيمة . ويعود زوجها جلال ويبلغ الشرطة ، كما يدرك أن فراج وراء الجريمة ، ويتوصل إلى المخبأ وينقل زوجته إلى المستشفى . كما يتم القبض على شهبور الذى يدعى أن رئيفة خانت زوجها مع فراج . ويوجه ضابط المباحث فايز تهمة قتل فراج لجلال الذى يتمكن من تهريب شهبور واحتجازه ، بل ويضعه فى وضع المحكوم عليه بالشنق ليعترف بالحقيقة . وبالفعل يعترف بجرائمه وبراءة زوجته لحظة وصول رجال الشرطة ، عندئذ تخور قواه ويسقط شهبور ميتاً !! وإذا كان عنوان الفيلم " الزمن الصعب " فهو زمن صعب بالفعل لأنه أنتج هذه النوعية من الأفلام !!

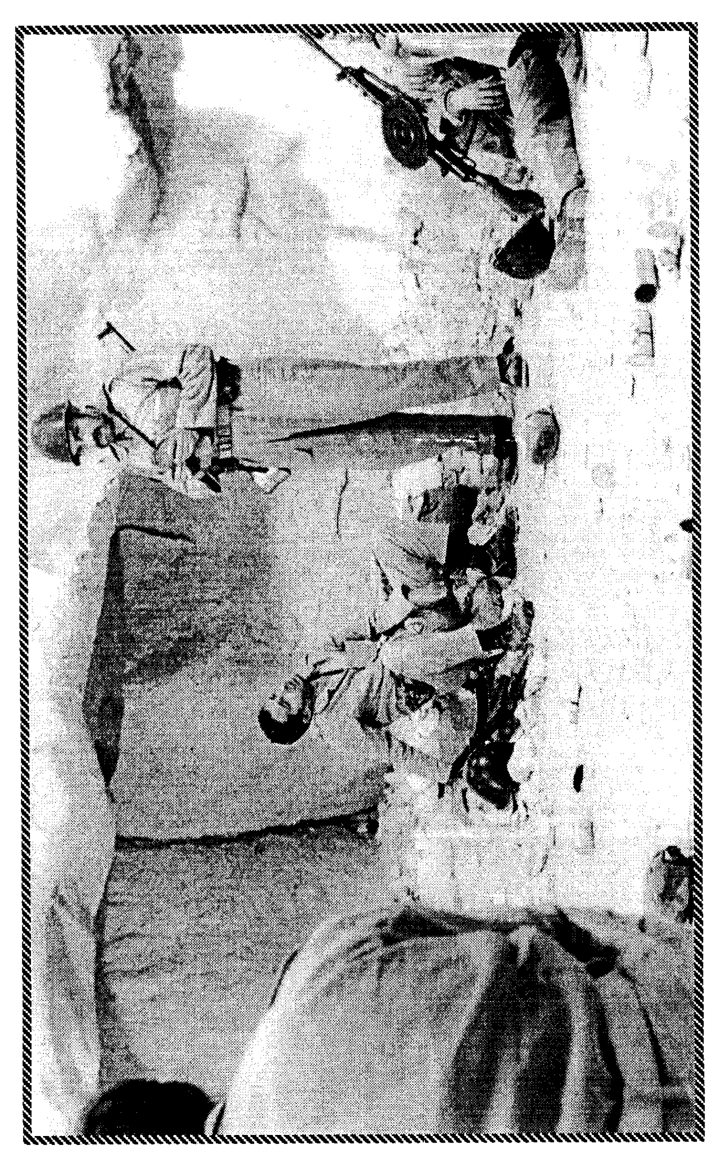
فى فيلم " الشرسة " تتردد الممرضة سامية على أحد الأثرياء للإشراف على تمريضه ، فيلاحقها ابنه شريف . وعندما يموت الثرى تنجح سامية فى إيقاع شقيقه علام فى غرامها ، فهى تطمع فى الثراء وتتزوج منه بالفعل فى حين يتزوج شريف من ابنة عمه ويبتز أموالها ، ثم يعاود ملاحقته لسامية التى تستسلم له ببساطة ، ويؤجر شقة ليلتقيا فيها ويغدق عليها بالمال . عندئذ تكتشف الزوجة خيانة شريف فتبلغ عمها علام الذى يسرع إلى الشقة بعد أن يحصل على نسخة المفتاح من الزوجة ، ويتسلل داخلها فى أثناء شجار العشيق بسبب المال ، وشريف يهم بخنقها فيطعنه علام من الخلف بسكين ويخرج فى صمت ! (فهذه هى الطريقة المثلى لحل المشاكل وحسم النزاعات !!) . يصل رجال الشرطة وتتهم سامية بقتل شريف وبذلك يحقق علام انتقامه !!(هكذا بهذه البساطة !!)

* * * * *

وهذا يعنى أن السينما المصرية تملك القدرة التى مكنتها من الاستمرار والعبور إلى القرن الحادى والعشرين برغم هذه العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية التى كثيراً ما أدخلتها فى متاهات جانبية ، ودوائر مفرغة ، وطرق مسدودة ، نتيجة للتكرار والاجترار للتيمات التى بدأت بها مسيرتها منذ أواخر العشرينيات ، وعدم التركيز على القضايا الحية والملحة للمجتمع المصرى المعاصر ، ومحاكاة النماذج الواردة من الخارج ، خاصة تلك الواردة من السينما الأمريكية ، وغير ذلك من العوائق والمعوقات التى كبلت مسيرتها ، وأبطأت من انطلاقتها برغم أنها تملك كل مقومات العراقة والخبرة والموهبة والعلم الذى تمثل فى تخريج دفعات ، فى كل التخصصات السينمائية ، منذ أوائل الستينيات ، فى المعهد العالى للسينما ، الذى يجب أن تتاح له الفرصة كاملة للاستفادة العلمية والعملية من مواهب خريجيه وطاقاتهم وإمكاناتهم . فإذا كانت السينما المصرية قد استطاعت مواصلة السير والتطور - إلى حد ما - برغم القوالب التى صبت فيها أفلام كثيرة ، فلابد أنها ستنطلق إلى آفاق القرن الحادى والعشرين بقوة وحيوية إذا ما حطمت هذه القوالب . وهى مهمة ملقاة على عاتق كل السينمائيين دون استثناء : فنانين وفنيين ونقاداً الذين إذا ألقوا نظرة على الفصول التالية من هذه الدراسة التحليلية ، سيدركون كم ظلمنا هذه السينما الرائدة التى نفخر بها جميعاً ، والتى كان من الممكن أن تصبح مارداً لو لم نعمل ونصر على إدخالها قمقم العناصر النمطية التى أفردنا لكل عنصر منها فصلاً بأكمله ، كان من الممكن أن يكون كتاباً مستقلاً بذاته لو لم نقتصر على اختيار عينات من الأفلام التى تنهض أو تنطوى على أحد هذه العناصر بالذات .



عـايـدة إخراج / احمد بدرخان سنة١٩٤٢



اغنية على الممر   إخراج / على عبد الخالق



الحفـــيد إخراج / عاطف سالم سنة ١٩٧٤



على من نطلق الرصاص سنة ١٩٧٥



على من نطلق الرصاص سنة ١٩٧٥



ومضى قطار العمر سنة ١٩٧٥



الاقمر إخراج / هشام ابو النصر سنة ١٩٧٨



الطوق و الاسورة إخراج خيرى بشارة سنة ١٩٨٦



سواق الاتوبيس سنة ١٩٨٣



زوجــتى والكـــلب سنة ١٩٧١

الفصل الثانى

الانتحال والتنكر والتشابه

كان الانتحال والتنكر والتشابه من الحيل والأساليب التى أقبلت عليها السينما المصرية بشهية مفتوحة بطول تاريخها ، إما لإحداث مفارقات كوميدية ، أو للهروب من مآزق خطيرة ، أو اكتشاف أسرار الآخرين ، أو الإيقاع بالمنحرفين فى شر أعمالهم .. الخ .

ونظراً لأن الماكياج والحيل كانت بدائية إلى حد كبير ، فقد كان الرجل الذى يتنكر فى زى امرأة أو العكس لا يقنعنا كثيراً بمصداقية شكله ومنظره ، ومع ذلك كنا نتغاضى عنها لاستمتاعنا بالمفارقات الكوميدية أو المآزق المثيرة. وقد لجأت السينما فى معظم أنحاء العالم إلى استخدام حيل الانتحال والتنكر والتخفى والتشابه ، لكننا لا نعتقد بالكم الهائل الذى استخدمته السينما المصرية التى كانت تميل إلى استخدام الأدوات والحيل الظاهرة ، خاصة تلك التى تحدث تأثيرات مضمونة فى جمهور المشاهدين .

بدأت حيل الانتحال فى السينما المصرية بفيلم "الدكتور فرحات" سيناريو وإخراج توجو مزراحى عام ١٩٣٥ ، وفيه يكلف صاحب لوكاندة أحد مستخدميه بالبحث عن ترجمان ، فيجيئه بالقروى فرحات الذى أخذ يتخبط مع نزلاء اللوكاندة. والطريف أن أحداً لا يتساءل عن مدى إمكانية هذا القروى الساذج كى يقوم بعمل

الترجمان ، فمن أجل المفارقات المضحكة يتساهل الجميع بدلاً من أن يتساءلوا ، سواء أكان المؤلف أو المخرج أو المتفرج! ثم ندخل فى لعبة الانتحال عندما يعمل الدكتور حلمى إلى البلدة ليجد أن الأهالى يظنون أن فرحات هو الدكتور حلمى الذى يطلب منه أن يقوم بانتحال شخصيته بالفعل ، كى يختبر عواطف حبيبته نونا. وعندما يصل الدكتور حلمى المزيف إلى الإسكندرية ، لا يروق فى عين نونا ، ويرفض الأب زواجهما. ثم يقدم الدكتور حلمى نفسه للعائلة على أنه مجرد موظف بسيط ، لكن نونا تقع فى غرامه بالفعل ، وفى النهاية يكشف عن شخصيته الحقيقية وينسحب الدكتور حلمى المزيف (فرحات) من حياتهما .

وفى عام ١٩٣٦ كتب بديع خيرى قصة وحوار فيلم "أنشودة الراديو" الذى كتب له السيناريو وأخرجه توليو كارينى ، والذى يعانى فيه عبده الموسيقى المغمور من سوء الحظ ، برغم أن زوجته نادرة تمتع بصوت جميل وتساعده فى عمله إلا أن أرباحها قليلة. ومع افتتاح الإذاعة المصرية فى عام ١٩٣٤ ، يقرر أن يقدمها للإذاعة لاستغلال مواهبها ، فى حين يلاحق أحمد –أحد تلاميذ عبده– نادرة بحبه. وعندما يمرض عم عبده ، يسافر إليه لعله يرث بعضاً من ماله لكنه يشفى ، وهناك يصله خطاب عن خيانة زوجته ، فيوهم الجميع بأنه مات منتحراً ويختفى ، ثم يتنكر فى هيئة شخص آخر. وتعمل نادرة فى الإذاعة بمنتهى الجدية لحاجتها الشديدة للمال ، وينتهز أحمد الفرصة فيتقدم للزواج منها لكنها ترفض. عندئذ يتأكد عبده من إخلاص زوجته وحبها له فيقرر العودة. والتنكر كحيلة لاختبار المشاعر الحقيقية للطرف الآخر كما فى الفيلم السابق "الدكتور فرحات" أصبح بعد ذلك من أوضح السمات التى تميز حيل التنكر والانتحال فى السينما المصرية.

وفى عام ١٩٣٧ كتب نجيب الريحانى وبديع خيرى قصة وحوار فيلم "سلامة فى خير" الذى كتب له السيناريو وأخرجه نيازى مصطفى. وفيه يذهب سلامة المحصل فى أحد المحال التجارية إلى البنك لإيداع إيراد المحل لكنه يجده

مغلقاً ، فيقع فى حيرة خوفاً من ضياع الإيراد منه ، يشير عليه أحدهم بالإقامة فى أحد الفنادق ، ويودع المبلغ لدى إدارة الفندق. وهناك يتقابل مع أحد الأمراء الذى يطلب منه أن يحل محله لأن هناك خطراً على حياته. وينجح سلامة فى انتحال شخصية الأمير ويقوم بالمهمة على خير وجه. وفى النهاية يتسلم حقيبة النقود التى استبدلت بحقيبة أخرى سهواً ، بها عينات من الأقمشة ، فيطلب صاحب المحل القبض على سلامة . لكن الحقيقة تظهر ، ويسلمه الأمير مكافأة مجزية هو وصاحب المحل ، ويعود مع زوجته إلى المنزل. وكان فيلم "سلامة فى خير" أول فيلم يقدم لعبة الانتحال بأسلوب سينمائى مثير ومبهر ، إذا ما قورن بالفيلمين السابقين .

وفى عام ١٩٣٧ أيضا كتب بشارة واكيم قصة وحوار فيلم "الحب المورستانى" الذى كتب له السيناريو وأخرجه ماريو فولبى ، وفيه يقع أحمد فى حب إحسان ابنة رسام شهير. ويطلب أحمد من صديقه قنديل المشورة ، فينصحه بأن يذهب إلى والد حبيبته بأن خاله من المعجبين بفنه العظيم ويتمنى أن يقوم الرسام برسمه ، ويتفق على أن ينتحل قنديل شخصية الخال المزعوم وعندما ينهمك الرسام فى عمله ينتهز أحمد الفرصة لمقابلة حبيبته ، وبالفعل تنجح الحيلة فى البداية لكن الحقيقة تظهر فى النهاية .

وفى عام ١٩٣٨ كتب أحمد جلال وأخرج فيلم "بنت الباشا المدير" الذى تتدهور فيه أحوال حكمت وأخوها لدرجة أنهما يبيعان أثاث منزلهما . وعندما يحصل الأخ على وظيفة ، يصاب فى حادث وهو فى طريقه لاستلامها وينقل للمستشفى. عندئذ تتنكر حكمت فى زى رجل للحصول على وظيفة مدرسة لأولاد الباشا باسم حكمت أفندى!! وتتقابل مع أولاد توفيق باشا الذى آثر العناية بأرضه. وتقع ابنة الباشا فى حب الشاب حكمت فى حين أنها تحب توفيق . وتتضح الحقيقة -ولابد أن تتضح - ويتزوج توفيق من حكمت وبدرية بمن تحب .

فى عام ١٩٣٨ أيضا كتب فؤاد الجزايرلى وأخرج فيلم "بحبح باشا" الذى قدم فيه لأول مرة لعبة التشابه أو الشبيه الذى يترتب على وجوده سلسلة من مواقف سوء التفاهم وربما الرعب أيضا. ففيه يدير بحبح وأم أحمد كازينو للرقص والغناء. ويتردد عليه عائلة غراب باشا الذى يكرهه عبد الموجود باشا لدرجة أنه يحاول قتل بحبح للشبه الشديد بينه وبين غراب. ومن هذا التشابه تنتج مواقف كوميدية أما أم أحمد فتستولى على الباشا ، وفى النهاية ينكشف الموقف ويعود كل زوج إلى زوجته . وغنى عن الذكر أن الممثل فى هذه الحالة يقوم بدور الشخصيتين فى آن واحد ، وعليه أن يتقمص الملامح والسمات الشخصية والسلوكية لكل منهما حتى تبدو الفوارق بينهما برغم التشابه الشديد الذى لا يخرج عن حدود المظهر الخارجى.

فى عام ١٩٣٩ كتب توجو مزراحى وأخرج فيلم "عثمان وعلى" الذى لعب بطولته على الكسار الذى تخصص فى شخصية عثمان عبد الباسط ، كما تخصص فوزى الجزايرلى فى شخصية المعلم بحبح ، كما لمسنا فى الفيلم السابق الذى أخرجه له أخوه فؤاد الجزايرلى . فى هذا الفيلم يتم طرد عثمان عبد الباسط وزميله بندق من عملهما فى مصلحة التليفونات بسبب ياسمينة الخادمة التى توقع عثمان فى حبها . ثم يعملان فى أجزخانة ، وفى أثناء ذهابهما إليها تقع عليهما "مرتبة" فيغمى على عثمان ، ويراه موظفو الشركة التى يعمل بها على بك مديراً ، والذى يسافر فى إجازة مع عشيقته . ونظراً للشبه الكبير بينهما يعامله الجميع على أنه المدير ، مما يؤدى إلى كثير من المفارقات المضحكة فى البيت والعمل. ثم يكتشف الجميع سرقة خزانة الشركة ، فتتجه العيون نحوه متهمة إياه بالسرقة ، لكن عثمان يتمكن من الهرب ، وتتضارب الأقوال والشكوك : هل هو عثمان عبد الباسط أم على بك ؟! وعندما يعود على بك من الخارج يتم القبض عليه فى حين يتمكن عثمان من القبض على السارق ، ويكتشف الجميع الحقيقة .

فى عام ١٩٤١ كتب بديع خيرى ونجيب الريحانى قصة وحوار فيلم "سى عمر" الذى كتب له السيناريو وأخرجه نيازى مصطفى. فيه يطرد ناظر عزبة عمر الألفى باشا ، الموظف البسيط جابر بعد أن يكتشف تزويراً فى الحسابات . ويحدث أن يتقابل جابر مع برلنتى التى تلاحظ الشبه الكبير بينه وبين زوجها الغائب عمر. وبناء على مشورة أحد المحامين ، توهم أسرة عمر أنه على قيد الحياة ، ويعيش فى الهند ، ثم تتفق مع جابر على انتحال شخصية عمر. وتستقبله العائلة بترحاب ، لكن جميل بك أحد الأقارب يكشف حقيقة عمر ، ويواجهه بعمليات الاختلاس التى يقوم بها ، فى حين يصل عمر الحقيقى وتقع مفارقات بينه وبين جابر الذى يكشف له مدى التسيب والاختلاس فى أمور العزبة. وفى النهاية يكتشف مدى ولاء جابر الذى يزوجه من أخته لولا .

وفى نفس العام (١٩٤١) كتب يوسف وهبى وأخرج فيلم "عريس من استنبول" عن شاب من استنبول له قريبة فى مصر ، ويطلب جده زواجه منها وإلا حرمه من الميراث . فقد كان مستهتراً لا يحتمل الحياة الزوجية ، لكن يمتثل لأوامر جده ، ويصل إلى مصر بصحبة عمه وسائق سيارته ، وإذا بالفتاة المرشحة للزواج منه ترفض الارتباط به لأنها لا تعرفه ، بل وتتفق مع خادمتها على أن تنتحل شخصيتها وتقوم بدورها . ويدعيان للشاب أن الفتاة التى سيتزوجها تعيش فى الريف ، ويفعل الشاب نفس الشىء بحيث ينتحل السائق شخصية السيد . وبعد عدة مفارقات تترتب على هذا الانتحال المزدوج ، تتضح الحقيقة ويتزوج الشاب من الفتاة ، والسائق من الخادمة ، والعم من زوجة أخيه المتوفى .

فى عام ١٩٤٢ كتب أحمد جلال وأخرج فيلم "العريس الخامس" الذى تصبح فيه بهيرة الأرملة الثرية محط أنظار طلاب الثروة ، رشيد وعزيز وحسنى وصفوت وغيرهم ، فترحل إلى عزبتها لتبحث فى هدوء عن كل من طلب الزواج منها ، ولتجد منهم الغارق فى الديون ، والطائش ، والمزور ، فترفضهم جميعاً

وتسافر إلى الأقصر بحيث تلتقى بشاب فقير ، فتنتحل شخصية وصيفة السيدة الثرية لكنه ثرى يتنكر هو الآخر فى شخصية الشاب الفقير كى يهتدى إلى زوجة مخلصة تحبه لشخصه وليس لثروته .

فى عام ١٩٤٥ كتب أحمد جلال وأخرج فيلم"أميرة الأحلام" الذى يعود فيه إلى لعبة الانتحال القائم على التشابه هذه المرة ، وذلك من خلال شخصية حميدة بائعة الفاكهة الفقيرة التى تشبه إلى حد كبير الأميرة نور الصباح . وفى أحد الأيام يضايق أحد الشبان حميدة فتضطر للهرب إلى الفندق القريب حيث كانت تنزل به بالصدفة الأميرة صباح التى تلتقى بحميدة وترجوها أن تنوب عنها فى حضور إحدى الحفلات العامة. وتوافق وتحضر الحفل الذى تقابل فيه شاباً يعجب بها ، لكن أحمد جلال لا ينجرف وراء التيار الرومانسى الجارف فى زمنه ، والذى يرى فى الحب طاقة قادرة على اجتياز كل الحواجز الاجتماعية ، بل يفضل عليه النظرة الواقعية التى تضع الأمور فى نصابها الطبيعى . ولذلك ينكشف السر فى النهاية وتعود حميدة من حيث أتت .

فى نفس العام (١٩٤٥) يخرج نيازى مصطفى فيلم " الآنسة بوسة" الذى يتطرف فيه أبو السعود الإبيارى فى لعبة الانتحال بهدف اختبار المشاعر الحقيقية للطرف الآخر ، وذلك من خلال شخصية فوزى باشا المليونير الذى يدرك جيدا أن الناس لا تحترمه إلا لثروته ، فيفكر فى حيلة يختبر بها معارفه ، فيدعى الإفلاس ليختار لابنته زوجاً لا يطمع فى ثروتها ، ولكى يؤكد حقيقة ادعائه ، يسكن فى شقة فى حى شعبى ، وينتقل فى الطرقات بالبيانو تصاحبه ابنته بالغناء . ويحدث أن تقع الابنة فى حب شاب من عائلة كبيرة وينوى أن يتزوجها برغم فقرها . وبالطبع يعارض والداه إلا أن الابن يصر على موقفه ، وتتكشف لهم حقيقة فوزى فيوافقان على زواجهما .

فى العام نفسه (١٩٤٥) أخرج أحمد بدرخان فيلم " شهر العسل " الذى كتب قصته والسيناريو أيضا ، فى حين ترك الحوار ليوسف جوهر . وفيه تضطر هناء لقبول الزواج من نديم لأنه ثرى ويمكنه أن ينقذ أسرتها من الديون . وفى إحدى الحفلات يغنى ويتصادف أن توجد فتاة أخرى اسمها جمالات ، تشبه هناء . ويتسبب هذا التشابه فى سوء التفاهم التقليدى حين يتعرف المطرب فريد على جمالات . ثم يلتبس الأمر على خطيبى الفتاتين : هناء وجمالات بحيث يظن كل منهما أن الأخرى خطيبته . وتذهب الاثنتان إلى منزل فريد ، وهناك تبدأ المفاجآت وسوء الفهم . ويقع فريد فى ورطة وينتهى الأمر بأن يقع نديم فى حبها . وفى نهاية الفيلم يتزوج فريد من هناء وينجح فى إنقاذ أسرتها من الديون .

ويبدو أن عام ١٩٤٥ هو عام أفلام الانتحال والتنكر والتشابه ، ففيه أيضا يخرج إبراهيم لاما فيلم " البيه المزيف " الذى يقدم فيه ثلاث شخصيات متشابهة دفعة واحدة !! منير الممثل الذى ينتحل شخصية البيه المزيف ، وحسن بك ، وشقيق منير . ويحدث أن يشاهد سكرتير حسن ، منير على المسرح ويفاجأ بالشبه الكبير بينه وبين رئيسه . ويحدث أن يسافر حسن إلى الحبشة بعد أن يعقد صفقة مع أحد الأغنياء ويوصى سكرتيره ألا يخبر أحداً بسفره . ويتردد هذا الغنى على المكتب ويلح على مقابلة حسن ، وحتى لا يتطرق الشك إليه يطلب من منير أن ينتحل شخصية حسن بك وأن يقوم بعمله ، فيسبب الكثير من الحيرة لموظفى مكتبه لاختلاف عاداته وأخلاقه . ويتصادف أن يعود حسن يوم ميلاد زوجته ليفاجأ بمنير وقد أقام حفلاً كبيراً . ويسارع السكرتير ليشرح لحسن كل شئ . كان حسن يشك فى زوجته ، ولذلك يخفى عنها خبر عودته لكنه يجدها ما تزال وفية ، كما يعود منير إلى حبيبته .

فى عام ١٩٤٦ يخرج عباس كامل فيلم " صاحب بالين " الذى يضيق فيه المنجد بمعيشه وعائلته ويتصادف أن يصاب أحد الأثرياء فى حادث سيارة ، كما

تشاء الظـروف أن يكـون شـبيهاً للمنجـد . ويتفقـان أن ينتحـل كـل منهمـا شخصـية الآخر ، بحيث يعيش المنجد حياة البذخ والثراء والرفاهية التى تسبب له الكثـير مـن المشاكل وتحرمه راحة البال ، طبقاً للمقولة التى سادت السينما المصرية منذ بدايتها وحتى الخمسينيات ، والتى تؤكد أن الغنى هم ونكد وكآبـة ووجـع قلـب ، أمـا الفقر فهو راحة البال والسعادة والجنة بعينها !! لدرجة أن المنجد فى نهاية الفيلـم يـترجى الثرى الذى حل محله أن يرجع إلى قصره !!

فى عام ١٩٤٦ أيضا كتب أنور وجدى وأخـرج فيلـم " ليلـى بنـت الأغنيـاء " والذى تهرب فيه فتاة من أسرة كبيرة فى ليلة زفافها من زوج دميم فرضتـه عليهـا زوجة أبيها المستبدة . وتذهب الفتاة إلى قرية فى الريف لتعيش فيها فى زى فلاحـة فقيرة . ويكتشفها صحفى شاب ولا يلبث الحب أن يربط بينه وبينهـا . وتعـود الفتـاة إلى بيت أبيها لكن زوجة الأب المستبدة ترغمها مرة أخرى على الزواج من الشـاب الذى هربت منه فى المـرة السـابقة . ويوشـك الـزواج أن يتـم لـولا تدخـل الصحفـى وبمساعدة أبيها بحيث تتوقف إجراءات الزواج وتتزوج الصحفى .

فى نفس العام (١٩٤٦) يخرج محمد كريـم فيلـم " أصحـاب السـعادة " الـذى يسقط فيه رجل الأعمال مريضـاً نتيجـة للإجهـاد الشـديد . ويسـتدعى وكيـل دائرتـه ويكلفه بالاتصال بابنه فى بيروت للحضور . يصل الابن ومعه خطيبته التى يتركهـا فى الفندق ويذهب لرؤية أبيه . وعندما يعود لا يجدها . يبحث عنها فـى كـل مكـان ولكن بدون جدوى !! فى حين يلح والده على رؤية الخطيبة . عندئذ يتعـرف الابـن على فتاة أخـرى ويطلـب منهـا أن تنتحـل شـخصية الخطيبـة فتوافـق . يعجـب الأب بالفتاة التى ملأت حياته بالبشر والتفاؤل والحيوية ، وطردت منهـا الكآبـة والحـزن. لكن الابن يطردها ، وتنفصل من عملهـا ، وتعـود إلـى الإسـكندرية . يسـارع وكيـل الدائرة إلى كشف الحقيقة للأب الذى يسافر إليها ويتوصل إلى مكانها ويعلن زواجـه منها .

فى عام ١٩٤٧ يعود أحمد جلال إلى لعبة الانتحال فى فيلم " عودة الغائب " الذى يفر فيه الغلام من منزل أبيه ، وتموت الأم حسرة عليه ، ويعيش أبوه وأخته بعده فى حزن . تتنكر لهما الأيام وتسوء أحوالهما ، فى حين كان أملهما أن يعود الغائب . فجأة يهبط على المنزل فتى أفاق ينتحل اسم الغائب وشخصيته ، ولكن ما أن يرى الأب الطيب والأخت الوديعة حتى يفيض قلبه بالتوبة والحب ، ويكرس حياته لخدمتهما وإسعادهما !! بل ويحب الفتاة التى تظنه أخاها . ثم يحدث أن يعود الغائب الحقيقى مما يضع الفتى على حافة الفضيحة ، لكن الأقدار التى قذفت به إلى ذلك المنزل مجرماً ، هى التى جعلته شريفاً ، ولذلك لا يخذله بل ويتزوج أخته ويعيش سعيداً .

فى نفس العام (١٩٤٧) يخرج حلمى رفلة فيلم "العقل فى أجازة " الذى ينتحل فيه شاب ثرى شخصية سائق يعمل فى خدمة فتاة أرستقراطية لأنه يحبها ولا يستطيع أن يبتعد عنها ، ولكنها تهمله وتعبث بمشاعره ، فهى مخطوبة لشاب يوهمها بامتلاك العديد من الأفدنة ، كما أنها توهمه بامتلاك ثروة طائلة ، وذلك بهدف إنقاذ أهلها من هاوية الإفلاس وعندما تتكشف حقائق الأسرة وسوء تصرفاتها وعجرفتها أمام الشاب المتنكر فى وظيفة السائق فإنه يتركها غير آسف عليها ، بل ويقابل فتاة طيبة تحبه وتخلص له فيتزوجها ويسعد بها ، أما الفتاة الأرستقراطية فتندب حظها من ضياع أموال الشاب من بين يديها .

فى عام ١٩٤٧ أيضا يخرج حسن فوزى ويكتب فيلم " صباح الخير " الذى تعجب فيه مطربة مصرية بمطرب لبنانى دون أن تراه ، ويحاول الزوج أن يعرف سر هذا الإعجاب فيحضر إليها منتحلاً شخصية هذا المطرب اللبنانى ، ويحاول إغراءها لكنها تصده . وتشاء الصدف أن يحضر المطرب اللبنانى بالفعل إلى القاهرة ويلتقى بالزوج والزوجة التى تثور عليه عند مقابلتها الأولى بعد سوء التفاهم الذى وقع نتيجة لما فعله الزوج ، وينتهى الفيلم بأن يتأكد الزوج من حب زوجته وإخلاصها له ، فى حين يتزوج اللبنانى من ابنة عمه .

وفى العام التالى (١٩٤٨) يكتب حسين فوزى ويخرج فيلم " بلبل أفندى " الذى يجرب فيه لعبة التشابه بعد أن جرب فى فيلمه السابق " صباح الخير " لعبة الانتحال . ففى " بلبل أفندى " تتزوج الممثلة كواكب من محب بك الثرى العجوز الذى أنجب ابناً من زوجته الأولى . تترك كواكب البلاتوه فى أثناء تصوير فيلمها ، فتقوم الفتاة الفقيرة بطة شبيهة كواكب بالدور ، لكنها تخفى هذا الأمر عن خطيبها بلبل أفندى ، وتواصل كواكب غيها فتقرر السفر مع عشيقها بل وتبوح بذلك لزوجها الذى يصاب بنوبة قلبية . لكن ابنته تقف إلى جواره وتطلب من بطة أن تقوم بدور الزوجة ، فتوافق بطة وتتظاهر بالندم والتوبة حتى تتحسن نفسيته ويجتاز الأزمة . ويحدث أن يسافر بلبل إلى الأقصر ويخبر كواكب أن عشيقها يحاول سرقة مجوهراتها . وعندما تنتحر كواكب يتهم بلبل بقتلها ، لكن الحقيقة تظهر وتعود بطة إلى حبيبها .

أما عام ١٩٤٩ فقد أكد أن شعبية تيمة الانتحال والتنكر والتشابه كانت آخذة فى الانتشار والرسوخ بين سينمائيين كثيرين لدرجة أن هذا العام وحده شهد عرض سبعة أفلام تتخذ من هذا المضمون تيمة أساسية لها : " صاحبة الملاليم " لعز الدين ذو الفقار ، و"جواهر" لمحمد عبد الجواد ، و" لهاليبو " لحسين فوزى ، و " منديل الحلو " لعباس كامل ، و"فاطمة وماريكا وراشيل" لحلمى رفلة ، و" على قد لحافك " لفؤاد شبل ، و " إوعى المحفظة " لمحمود إسماعيل .

فى فيلم " صاحبة الملاليم " يقدم عز الدين ذو الفقار ثلاث أخوات لا يمتلكن سوى خمسمائة جنيه ، فى حين أنهن يهدفن أن يتزوجن من شبان أثرياء ، لكن لو قسم المبلغ بينهن فلن تستطيع أى واحدة منهم أن تتصيد عريسها المنتظر . ولذلك يتفقن على أن تنتحل سهام شخصية مليونيرة ، فى حين تنتحل نبيلة شخصية سكرتيرتها وسنية وصيفتها. ويستأجرن جناحاً فى أحد الفنادق . ويحدث أن تحب سهام سمير الذى يدعى الثراء ، فى حين يحب المليونير كمال نبيلة وكذلك تحب

سنية عنتر سكرتير المليونير . وينتج عن الانتحال مواقف عديدة زاخرة بسوء الفهم بين الأخوات وأحبائهن لكنها تنتهى بزواج كل فتاة بحبيبها .

فى فيلم " جواهر " يمزج المخرج محمد عبد الجواد بين الانتحال والفانتازيا الكوميدية عندما يدعى اللصان أنهما ملكان . فالفيلم يدور حول بخيل يقتر على ابنته لدرجة تباعد بينه وبينها. ويحدث أن يغمى عليه فيسرع أهله بنقله إلى القبر اعتقاداً منه أنه توفى . وهناك يفتح القبر عليه لصان يدعيان أنهما ملكان قد جاءا لحسابه على بخله ، فيقسم الرجل أن يصبح كريماً بل ومسرفاً إذا عاد إلى الدنيا ، وأن يعطيهما مقابل هذا نصف ثروته . وينفذ اللصان وعدهما ، فيعودان به إلى الدنيا ، وهناك يجد ابنته قد تغير حالها وأصبحت شديدة الإسراف . وكانت تحتفل بزواجها فيبارك هذا الزواج ، وكأن الإسراف فضيلة تستحق المباركة !!

فى فيلم " لهاليبو " الذى كتبه وأخرجه حسين فوزى ، يمارس مرة أخرى لعبة التنكر المفضلة عنده من خلال شخصية إلهام فتاة الاستعراض فى فرقة حنفى الذى يغار عليها من ملاحقة أمين ابن الباشا لها . فهو الذى تولى تربيتها وتدريبها على فنون الاستعراض منذ طفولتها . فهى ابنة مجدى باشا الذى تزوج أمها لاعبة الأكروبات برغم معارضة أبيه الباشا وطرده لها . وعندما يموت والدها يتكفلها حنفى الذى يقرر الذهاب بها إلى جدها الذى يكره النساء ، ولذلك فهى تتنكر فى ثياب شاب يتعلق به الجد بصفته حفيده العائد . لكن حنفى يشرع فى تهديد إلهام بكشف سرها كى يبتز جدها . يتفهم أمين سر تصرف إلهام فى حين يضغط عليها حنفى لتعمل راقصة ، ويقع الباشا فى حبها ، ويبدأ الصراع عليها بينه وبين أمين . عندئذ تقرر ترك القصر ، لكن الجد يكتشف سرها فيعيدها بعد أن يتغير موقفه من النساء ويبارك زواجها من أمين .

فى فيلم "منديل الحلو" الذى كتبه وأخرجه عباس كامل ، تعود تيمة التشابه كأقوى ما تكون من خلال سوء التفاهم الذى ينتج عن التشابه بين الراقصة قطر

الندى وعزيزة التى تعيش مع أمها ، وتحب الأوسطى عزوز الذى يخطبها مما يثير حقد الأوسطى نعيم الحلاق الذى يحبها أيضـا ويستغل التشابه ويدبر مكيدة عندما يخبر عزوز أن عزيزة تعمل بملهى ليلى تحت اسم قطر الندى ، فيهجرها عزوز . أما المليونير شنابك فيقع فى حب قطر الندى ويهديها جوهرة ثمينة ، فى حين يدبر مدير المسرح حيلة للاستيلاء على الجوهرة ، ويستغل التشابه بين قطر الندى وعزيزة بدوره ويطلب أن ترقص بدلاً منها . ويستغل المدير انشغال قطر الندى بالبحث عن حقيقة عزيزة فيسرق الجوهرة . وتقع تهمة السرقة على الأوسطى عزوز وشقيقته فيتم القبض عليهما ، لكن الحقيقة تتضح ، وتتزوج عزيزة من الأوسطى عزوز بعد أن تثبت له براءتها .

فى فيلم " فاطمة وماريكا وراشيل " لحلمى رفلة يلعب فتى مستهتر بقلوب الفتيات ، ولا يستطيع أبوه أن يجبره على الزواج . يتعرف على راشيل فيدعى أن اسمه يوسف ، وعندما تبدأ فى استنزاف ماله ، يتعرف على ماريكا اليونانية فيوهمها أنه من أصل يونانى فتقع فى غرامه ، وفى يوم خطبته لماريكا تحضر راشيل فينكشف أمره . عندئذ يصر والده على تزويجه من فاطمة المصرية وإلا سيحرمه من الميراث فيتنكر فى زى فلاح ويذهب لمقابلتها وكله أمل أن ترفضه عندما تراه فى هذا الزى . وكانت هى بدورها تخطط بهدف أن تجعله ينفر من هذا الزواج إلا أن كل طرف يعجب بالطرف الآخر ويتزوجان .

فى فيلم "على قد لحافك" يمارس المخرج فؤاد شبل لعبة التنكر المتبادل من خلال شخصية قطايف ابنة سمارة العالمة ، والتى تتعطش لحياة البذخ والترف ، ولذلك فهى لا تستجيب لحب حسين الموسيقى الفقير لها ، وتسعد عندما تتعرف على شاب يدعى أنه محسن بك والحقيقة أنه سائقه ربيع ، فى حين تدعى قطايف أنها ابنة بكير باشا ، بل وتنتهز فرصة سفر أسرة بكير باشا وتقيم حفلاً للأسرتين فى قصره . لكن أسرة وجيه

خطيب أماني ابنة بكير باشا تحضر فجأة ، وتتكشف حقيقة الأسرة المزيفة، وتتزوج قطايف من ربيع الذى ينتمى إلى نفس طبقتها .

فى فيلم " إوعى المحفظة " لمحمود إسماعيل يتأكد لدينا أن معظم حيل الانتحال والتنكر كانت بهدف القفز فوق الحواجز الطبقية أو الحصول على أكبر قدر ممكن من المال ، سواء بالزواج أو بالخداع . ففى هذا الفيلم ينزل المحتال فى فندق وهو ينتحل شخصية رجل ثرى من رجال الأعمال ويصادف امرأة جميلة تمثل هى الأخرى شخصية ثرية ، وهى فى حقيقة الأمر محتالة أيضا . ويتفق الاثنان على أن يعملا يداً واحدة ويقع اختيارهما على رجل هندى ثرى من نزلاء الفندق . وبعد عدة حوادث يتضح أن هذا الرجل ما هو إلا محتال كبير ، وتقبض الشرطة عليهم جميعاً .

وفى عقد الخمسينات يقدم حسين فوزى فيلم "سيبونى أغنى" عام ١٩٥٠ والذى ينهض على الانتحال المتبادل من خلال شخصيتى توتة وهند ، إذ أن توتة فتاة تعشق الموسيقى والغناء أما زميلتها هند فتعشق الآداب والفلسفة . يرسلهما والدهما من لبنان إلى مصر ليتولى صديقه إدخال كل منهما المعهد الذى يختاره لهما !! ويبدو الانتحال هنا فى منتهى السذاجة والاستهانة بعقل المتفرج عندما تتفقان أن تحل كل منهما مكان الأخرى فى المعهد الذى يختاره الأهل لهما ، لأن السؤال البسيط الذى يمكن أن يدور فى ذهن المتفرج العادى : ولماذا لا تختار كل منهما المعهد الذى تحب أن تدرس فيه طالما أن المعهدين مقبولين من الأهل ؟! المهم أن توتة تصبح مغنية ، وهند أديبة ، ونتيجة تداخل واستبدال شخصية بشخصية أخرى ، يحدث العديد من اللبس وسوء الفهم إلى أن ينتهى الفيلم بأن يقتنع الأهل بأن تسير كل فتاة حسب هواها وميلها الفنى والدراسى .

فى العام نفسه (١٩٥٠) قدم أحمد بدرخان فيلم " أنا وأنت " الذى يعتمد على الانتحال بالتليفون من خلال قصة غرام تنشأ بين مطرب وراقصة عن طريق

التليفون ، فكل منهما يختبر الآخر . ينتحل المطرب شخصية الخادم ، ويدعى أنه المحب الولهان الذى يحادث حبيبته فى التليفون وأنه صاحب الصوت الجميل ، فى حين تقدم الراقصة خادمتها على أنها الحبيبة التى كانت تستمع إلى صوت المطرب يومياً فى التليفون . وعندما يجد كل منهما صدى فى قلبه ، يلتئم شملهما بعد قصة حب طويلة من خلال المحادثات التليفونية .

كما يقدم فؤاد شبل فى نفس العام (١٩٥٠) فيلم " حماتك تحبك " الذى يقوم فيه بافتعال نوع من الانتحال متطرف فى السذاجة وخال تماماً من أى نوع من المصداقية . ففيه يذهب حميدو سائق التاكسى إلى فيلا أحد الأثرياء ليعيد حافظته التى تركها سهواً فى سيارته . ويطلب منه الثرى أن يحل محله لأن زوج صديقته سوف يحضر وما عليه إلا أن يواجه زوج الصديقة !! وتتعقد الأمور ، ولا يستطيع حميدو أن ينجو من هذه المواقف ، ويكاد اليأس يستولى عليه ، لكن الحقيقة تتضح أخيراً .

فى عام ١٩٥١ أخرج هنرى بركات فيلم " ورد الغرام " الذى يتقدم فيه لطيف ابن عبد الغنى لخطبة إلهام ابنة تيسير بك فترفضه . يثور لطيف ويشيع عنها سوء سلوكها وعلاقاتها الغرامية المتعددة ، ويرفع تيسير قضية تعويض . ثم يتفق لطيف مع ابن خاله الطيار ماهر على تمثيل دور المحب حتى يتمكن من كسب القضية لهم . يتودد إليها فتنشأ علاقة تنقلب إلى حب جارف ويقرر الزواج منها . ويتم التقاط صورة لهما لكن ماهر يطلبها للزواج ، فيرسل لطيف إحدى صديقاته لتمثل دور زوجته مما يجعل إلهام تنسحب من حياته . وكالعادة تتضح الحقيقة أخيراً ، ويتم الصلح بين الأطراف المعنية ، ويتزوج ماهر من إلهام .

فى نفس العام (١٩٥١) يخرج حسن رمزى فيلم " المعلم بلبل " الذى يستخدم فيه الانتحال كوسيلة للإنقاذ من ورطة أو موقف حرج ، وذلك من خلال شخصية شاب يعمل بالإخراج السينمائى ، ويستغل رجلاً ثرياً كى ينتج له فيلماً . لكن يحدث

أن تتزوج الراقصة المشهورة التى كانت تقوم ببطولة الفيلم وتعتزل . ويأتى الإنقاذ للمخرج فى شخصية المعلم بلبل صاحبة أحد الملاهى والتى تشبه الراقصة المعروفة إلى حد كبير ، فيستغل هذا الشبه لكى يحتال على الرجل الثرى . وبعد أن يعلم صديق الراقصة المعروفة ، يوهمه بأنه سيجعله البطل فى الفيلم . وتعود الراقصة الحقيقية من رحلة شهر العسل ، وتكتشف الحقيقة ، وتثور المعلم بلبل وإن كانت فى النهاية تتزوج من المخرج السينمائى .

وفى فيلم " الحب فى خطر " (عام ١٩٥١ أيضا) يقدم حلمى رفلة شخصية مخرج مسرحى يعهد بدور البطولة لإحدى العاملات التى تندمج فى دورها اندماجا كلياً ، وتتقمص شخصية محتالة تسطو على عقد ثمين من أحد المحال . وترتكب الجريمة فعلاً وتحاول الهرب إلى القاهرة . أى أن الانتحال الواعى فى الأفلام السابقة يتحول إلى تقمص غير واع يجعل الشخصية تتحرك تحت وطأة ما يمكن تشبيهه بانفصام الشخصية .

كذلك فى عام ١٩٥١ يخرج السيد زيادة فيلم " خضرة والسندباد القبلى " الذى يفقد فيه عباس عقله بعد أن ينقل إليه مدير أعماله نبأ وفاة ابنته فى الخارج ، وكان يدعى ذلك كذباً !! وعندما يرى مدير الأعمال محمود الفتاة خضرة التى يظن أنها ابنة عباس لأنها تشبهها تماماً ، فيخطفها ويحتجزها فى مكان مجهول لكى يمنع عباس من الرجوع إلى صوابه إذا ما رآها لكى يواصل نهب أمواله . لكن كمال الموظف بالدائرة يخلصها فى حين تعود ابنة عباس الحقيقية فيرجع لأبيها رشده ويتزوج كمال من خضرة . أى أن للشبه فى هذا الفيلم نتائج غير مرغوبة من الشخصيات ، ولذلك كان من الضرورى إخفاؤه بدلاً من استخدامه واستغلاله .

ولا يزال فى عام ١٩٥١ مجال للمزيد من أفلام الانتحال والتنكر ، إذ يقدم جمال مدكور فيلم " سماعة التليفون " الذى تدبر فيه فتاة (مقلباً) بين زميلة لها وشاب ، من خلال التليفون ، إذ توحى إلى زميلتها ، وهى طالبة فقيرة أن تداعب

ابن المحامى الذى يعمل أبوه عنده. وعندما يقع فى غرامها توهمه أنها ابنة أحد كبار التجار . ويصدق الشاب لعبتها ، لكن سرعان ما يكتشف حقيقة أمرها ، فيسخر منها فى بادئ الأمر لكن يحبها بعد ذلك ويتزوجها .

فى عام ١٩٥٢ أخرج يوسف شاهين فيلم " سيدة القطار " الذى تعمل فيه الأم خادمة عند ابنتها دون أن تعرف أنها أمها . وينتهى الفيلم بأن يربح الأب مبلغاً كبيراً ، لكنه يفقد اتزانه ويسقط من النافذة وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة يخبر ابنته بحقيقة أمها .

أما عام ١٩٥٣ فقد عرضت فيه أربعة أفلام حافلة بالانتحال والتنكر "غلطة العمر " لمحمود ذو الفقار و " ابن للإيجار " لحلمى رفلة و " عائشة " لجمال مدكور و " اللص الشريف " لحمادة عبد الوهاب ، مما يدل على أن السينمائيين المصريين لم يملوا أبداً من حيل الانتحال والتنكر والتشابه ، ووجدوا فيها وسيلة سهلة وجاهزة لابتكار المفارقات والتحولات الدرامية .

فى فيلم " غلطة العمر " يعانى الدكتور سامى من عجرفة زوجته منيرة ويفتقد فيها الحنان الذى لمسه فى المطربة نادية التى تتردد على عيادته للعلاج . تشعر الزوجة بالتغيرات فى حياة سامى وانشغاله عنها وعندما تفشل فى إعادته للمنزل ، تثير له الفضائح حول علاقته بنادية فلا يجد سامى حيلة إلا أن يشيع أنه مات !! ويتنكر فى شخصية أخرى ، ويتزوج من نادية التى تعتزل الغناء . (برغم أن هذا يعتبر تزويراً فى أوراق رسمية من الناحية القانونية) . أما صاحب المسرح الذى كانت نادية تعمل به فيلاحقها لأنه لم يستطع أن يتخلص من حبه لها ، لكنها تصده . وتزداد حالة الدكتور سامى سوءاً ولا يجد ملاذاً له سوى بيت الله كى يغرق فيه عذابه وآلامه .

فى فيلم " ابن للإيجار " يعمل زعتر وملبسة فى فرقة مسرحية متنقلة يديرها جوهر ومحبوبة . ويقوم جوهر بأداء دور المنوم المغناطيسى . تطلب منه قسمة

التى تعمل عند بخاتى باشا معرفة مكان ابن الباشا الذى يختفى منذ عشـرين عامـاً ، فيتقابل جوهر مع الباشا ويمكنه بدجله أن يكتسب ثقته ويدعى بأنه سيعيد إليه ابنـه . يتفق مع زعتر على القيام بدور الابن المفقود ، ويوافق ليجد نفسه بين يوم وليلة بين أب طيب يهبه كل ما يريد من مال ، ويضع فيه ثقته ، وأخت تدعى هيام تحبـه كـل الحب . ويقوم زعتر بـإدارة أعمـال الباشـا بكـل دقـة وأمانـة ، ويكتشـف أن جـلال خطيب هيام يتلاعب بأموال الباشا ، فيقرر أن يعيد للباشا مالـه . ثم لا يسـتطيع أن يواصل الانتحال أكثر من هذا فيصارح الباشا ويقرر الانسـحاب مـن حيـاتهم ، لكـن معرفة الباشا بحقيقته تجعله يتمسك بـه أكثر لأنـه لا يطمـع أن يكـون لـه ابـن بهـذه الصفات الحميدة . وينتهى الفيلم بزواج زعتر من هيام والباشا من ملبسة .

فى فيلم " عائشة " يصبح الشبه خيراً وبركة للبطلـة عائشـة التـى كـان أبوهـا مدبولى السكير يجبرها على بيع أوراق اليانصيب مع أخويها ليستولى على القروش القليلة التى يجمعونها ليسكر بها . ويعطف عليها أحد الأثرياء ، فيشترى منها يوميـاً الأوراق . وعندما يرتبط بها أبوياً لأنها تشبه ابنته التى فقدها ، يطلب مـن أبيهـا أن يرعى عائشة وتعيش معه بالفعل كابنة لقاء مرتب شهرى ، وهو يحيطها بكل حب ورعاية .

فـى فيلـم " اللـص الشـريف " شـابان متشـابهان ، أحدهمـا مجـرم خطـير يقـود عصابـة تعيـث فسـاداً فـى المجتمـع ، والآخـر عجلاتـى فقـير يحـب فتـاة تبادلـه الحب ، لكـن أهلهـا يرفضـون زواجـه منهـا لفقـره ، ويريـدون زواجهـا مـن غريـم لـه غنـى . وكالعـادة فى حـالات التشـابه تحـدث مفارقـات فـى حيـاة الشـاب الفقير ، كمـا يحـدث سـوء تفـاهم ، ممـا يضطـر المجـرم أن يقبـض علـى الشـاب ، ويوشـك علـى قتلـه كـى يحـل محلـه فـى الحيـاة بعـد أن يقلـع عـن الإجرام . لكن الشرطة تقبض عليـه وعلـى أفـراد عصابتـه ، وتنقـذ العجلاتـى الفقـير ليعيـش سـعيداً مـع حبيبتـه .

فى عام ١٩٥٤ قدمت السينما أربعة أفلام أخرى من أفلام الانتحال والتنكر والتشابه : " أربع بنات وضابط " لأنور وجدى ، و " الفارس الأسود " لنيازى مصطفى ، و " حلاق بغداد " لحسين فوزى ، و" أبو الدهب " لحلمى رفلة .

فى فيلم " أربع بنات وضابط " يمتزج الانتحال بالشبه الذى كان فى أفلام كثيرة خير أداة للانتحال . ففى الفيلم تهرب أربع بنات من الإصلاحية ، ويشكل مجلس تأديب للضابط لإهماله . يصادف رجل البنات الأربع ، ويكتشف أن من بينهن فتاة تشبه بنت ثرية من عائلة عريقة تختفى من سنين . يأخذهن إلى العائلة ويدعى أنها الفتاة المختفية . تقوم الفتاة بدورها على خير وجه . وتشاء الصدف أن تكون الأم هى عمة الضابط . وعندما يزورها يفاجأ بهن ويبوح لعمته بحقيقتهن ، لكنها تتمسك بهن لأنها تعرف الخدعة منذ البداية .

فى فيلم " الفارس الأسود " نقابل ابنة بدويين من قبيلتين قامتا بقتل أبويها لظنهم أن زواجهما غير شرعى ، ولذلك يتنكرون لها تماماً ، فلا تجد حيلة سوى أن تتنكر وتظهر فى زى فارس ملثم بالسواد ، وينقذ القبيلة من الأعداء ببراعته وشجاعته وحيلته . ويبحث الأعداء عن الفارس الأسود فى حين يتهم أهل القبيلة الفتاة المسكينة أنها على علاقة آثمة معه ، فيزداد غضبهم ، لكنهم فى النهاية يعرفون أنها الفارس الأسود وتثبت للقبيلة براءة والديها .

فى فيلم " حلاق بغداد " ينتحل البطل شخصية مجنون لأنه يريد أن يصل إلى جارته بنت الوالى والتى يحبها !! وتقترح جاريته عليه أن تذهب إلى قصر الوالى لتكون فى خدمة ابنته لتعمل المستحيل لضم العاشقين . وتدخل الشخصيات فى مفارقات كوميدية خاصة عندما يسمح للحلاق الذى ادعى الجنون بدخول القصر

فى فيلم " أبو الدهب " يتزوج أبو الدهب من المطربة إحسان التى كان العترة ينافسه عليها ، وينجبان طفلهما . يبلغ عنه الشرطة بمساعدة صديقته أمينة التى انتحلت شخصية إحسان زوجة أبو الدهب . ويحكم عليه بالسجن فيستغل العترة

الفرصة ويطلب من إحسان أن تطلب الطلاق من أبو الدهب خاصة أنه خان العهد بينهما . ويصمم أبو الدهب علـى الانتقام فيدعى الجنون وينقل إلى المستشفى !! حيث يلاحظ الشبه الشديد بينه وبين مأذون فيستغل الشبه !! وعندما يذهب العترة ومعه صديقته أمينة وقد انتحلت شخصية إحسان لتوقيع الطلاق ، يكتشف أبو الدهب الحيلة ، ويقبض على العترة . ويفرج عن أبو الدهب الذى يعود لإحسان بعد أن تأكد من إخلاصها وحبها .

فى عام ١٩٥٥ تم إنتاج ثلاثة أفلام من نفس النوعية: "السعد وعد" لمحمد عبد الجواد ، و " مملكة النساء " لإحسان فرغل ، و " من رضى بقليله " لبهاء الدين شرف . فى الفيلم الأول الذى كان له عنوان آخر هو "ما حدش واخد منها حاجة" !! يهرب شاب من الدائنين الذين يطالبونه بما عليه من ديون ، وذلك باستبدال شخصيته بشخصية ممثل انتحر غرقاً فى النيل فى حين يبحث عنه أحد وكلاء البنك ليسلمه الجائزة الأولى التى يستحقها . وعندما يتدخل ورثته يقعون فى شباك محتال . لكن الشاب يحاول أن يكشف عن شخصيته ونوايا الورثة ، وبالفعل يقبض الجائزة ويسدد ديونه .

فى فيلم " مملكة النساء " تؤسس سيدة مملكة تعتكف فيها النساء من كل الجنسيات هرباً من الرجال وقسوتهم . وتشاء الصدف أن يهبط طيار ومساعده فى المنطقة ، فيعجب بفتاة تصحبه إلى المملكة متنكراً فى ثياب نساء . وعندما يبحث الآخر عنه ، يقع فى أيديهم وتحبه الطبيبة ، وأيضا امرأة أخرى لكنه ينفر منها فتسجنه ، فى حين يكشف الآخر أمره للملكة فيدخلوه السجن أيضا. وعندما ينجحان فى الهرب تتسابق النساء خلفهما وهن يهتفن بحياة الرجال ورغبتهن فى الزواج منهم .

فى فيلم " من رضى بقليله " يقرر شابان تمضية سهرة ممتعة بعيداً عن زوجتيهما ، فيتعرفان على فتاتين تحاولان إيقاعهما بغرض الزواج غير أن زوجتى

الشابين تتنكران فى زى الرجال للبحث عنهما . وتعودان بهما بعد أن تلقناهما درساً لكى لا يكررا التجربة. فالتنكر فى السينما المصرية يقدم حلولاً حاسمة لقضايا مصيرية !!

ويبدو أن حلمى رفلة كان من أكثر المخرجين إقبالاً على حيل الانتحال والتنكر ، إذ أنه يقدم بمفرده أربعة أفلام من هذه النوعية فى عقد الخمسينات وحده ، كان آخرها فيلم " الأرملة الطروب " ١٩٥٦ ، الزاخر بحيل متعددة من الانتحال والتنكر . ففيه يذهب شاب لخطبة أرملة ثرية ، لكنها توهمه بأنها الخادمة ، فى حين تنتحل الخادمة شخصية سيدتها . أما والد الأرملة فيحرص على أن تبقى ابنته أرملة حتى لا تحرم من الثروة طبقاً لوصية زوجها الراحل . ثم يتنكر شقيق الزوج فى زى امرأة ليخطب الأرملة باعتباره والدة أحد موظفى الدائرة لكن أمره يفضح ، فيختطف الأرملة ليرغمها على الزواج . تهدده بالانتحار من النافذة ، وتشترط أن يتم زواجها من موظف الدائرة الذى تحبه وأن يتنازل الشقيق لوالدها عن نصف الثروة .

فى عام ١٩٥٧ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " ابن حميدو " الذى يتنكر فيه ابن حميدو وزميله بصفتهما من رجال المباحث للإيقاع والقبض على عصابة لتهريب المخدرات . ولعل حيل الانتحال والتنكر التى يقوم بها رجال المباحث هى الحيل الوحيدة المقنعة تماماً للمتفرج سواء على المستوى العلمى أو العملى لأنها تنهض على أصول منهجية وأسرار حرفية ، وليست مجرد شطحات تطرأ على بال شخصية وتدفعها إلى تنفيذها بمنتهى السذاجة والبدائية . ولذلك كان من المنطقى أن يعود فطين عبد الوهاب إلى مثل هذه الحيل المتقنة والمقنعة فى فيلم " إسماعيل يس بوليس سرى " ١٩٥٩ الذى يتخفى فيه العسكرى إسماعيل والصول بكير ويتنكران فى أكثر من شخصية ، وبعد حوادث مثيرة تقع العصابة فى قبضة الشرطة. وإن كان فطين عبد الوهاب قد لجأ إلى الانتحال التقليدى فى فيلم " إمسك حرامى"

١٩٥٨ الذى يواصل البلطجى فيه خداعه وخطته الاستغلالية بتقديم أسامة الواقع تحت رحمته على أنه طبيب ينجح فـى كسب ثقة الجواهرجـى الـذى يريـه جوهرة ثمينة ويتمكن البلطجى من سرقتها .

فى فيلم " شارع الحب " الذى قدمه عز الدين ذو الفقار عام ١٩٥٨ كان الانتحال أو التنكر هو حبل النجاة الذى أنقذ الموسيقى الذى كان مشهوراً فى الماضى وقتل زوجته بسبب خيانتها ، فعاش مع حسب الله تحت اسم مستعار ، وعندما تكتشف الشرطة شخصيته الحقيقية كانت العقوبة قد سقطت بمضى المدة. كذلك كان التنكر هو الوسيلة التى دخل بها الشاب الفقير عبد المنعم قصر الفتاة الأرستقراطية كريمة كى يدرس لها الموسيقى عندما تخفى فى شخصية رجل عجوز لا خوف منه عليها .

فى عام ١٩٥٩ قدم حسن الصيفى فيلم " حسن وماريكا " الذى استخدمت فيه حيل الانتحال والتنكر بطريقة مبالغ فيها وممجوجة من خلال شخصية الشاب حسن الذى يحب ماريكا ابنة الحلاق اليونانى والتى ينافسه فى حبها الأستاذ فهلوى . ويصل خطاب من ماركو يطلب فيه يد ماريكا ، فيتنكر كل من حسن وفهلوى فى شخصية ماركو!! يصل ماركو الحقيقى ويكشف الأب حيلتهما فيهربان . ثم يدخل حسن منزل ماريكا متنكراً ، فى شخصية سيدة . فيكتشف الأب الخدعة ويبلغ الشرطة ويقبض على حسن . ثم تظهر الحقيقة الكبرى وهى أن ماريكا ليست يونانية بل مصرية اسمها بهية ووالدها متهم فى قضية قتل .

وعندما يهل عقد الستينيات ، نجد أن معظم المخرجين أقبلوا بشهية مفتوحة لدرجة مذهلة على استخدام حيل الانتحال والتنكر والتقمص والتشابه ، كما لو كانت الأساليب والحيل السينمائية والدرامية قد أجدبت واندثرت ولم يتبق هناك سوى هذه الحيلة السطحية التى لا تحتاج إلى تكتيك معقد أو فكر عميق . صحيح أن هناك مخرجين استخدموها بأسلوب الكوميديا والفارص لتجسيد المفارقات والسلبيات

والثغرات الإنسانية لكن هناك أيضا من لجأ إليها لعجزه عن بناء الفيلم على أساس عضوى ينطوى على نمو طبيعى وتطور منطقى نابع من تفاعلات الأحداث والمواقف ذاتها ، وليس مفروضاً عليها من الكاتب أو المخرج كى يوجهها الوجهة التى يصطنعها هو وليست الوجهة التى تشكل نتيجة طبيعية للسياق الدرامى والفيلمى .

شهد عام ١٩٦٠ خمسة أفلام من هذه النوعية : " سكر هانم " و" ثلاث وريثات " للسيد بدير ، و " حلاق السيدات " لفطين عبد الوهاب ، و " أبو الليل " لحسام الدين مصطفى ، و " لقمة العيش " لنيازى مصطفى .

فى فيلم " سكر هانم " يتفق نبيل مع ليلى على الزواج وأيضا فريد مع سلوى. تصل برقية تفيد وصول عمة فريد المهاجرة لأمريكا ، ويجدان أنها فرصة لمقابلة الفتاتين ، لكن العمة تعتذر عن الحضور . يتنكر صديقهما الممثل سكر فى زى سيدة ويدعى أنه عمة فريد فتافيت السكر . وإذ بوالد فريد والمعلم شاهين يطاردان العمة المزيفة بهدف الزواج منها فى حين تصل فتافيت السكر الحقيقية وتنكشف الحقيقة التى لا يستوعبها المعلم شاهين ويواصل مطاردة سكر .

فى فيلم " ثلاث وريثات " تفوز ميرفت وفوقية وكاميليا بالجائزة الأولى فى اليانصيب فيقمن فى فندق فاخر لاصطياد زوج غنى . تقوم ميرفت بدور الفتاة الغنية وفوقية وصيفتها أما كاميليا فتقوم بدور الخادمة ، تصادف ميرفت الشاب ممدوح الذى يوهمها بأنه مليونير أما فوقية فتتعرف على عاصم الكاتب الروائى الفقير ، فى حين تكتفى كاميليا بمغازلة خادم الفندق حسن . ثم تتضح الحقيقة فيعرفن أن ممدوح شاب أرستقراطى لكنه مفلس أما المليونير الحقيقى فهو عاصم !!

فى فيلم " حلاق السيدات " يستدعى زيزو الكوافير لتصفيف شعر السيدة أشجان فى قصرها الفخم حيث تشكو له عبث زوجها النصاب الأرستقراطى الذى

يخونها مع إلهام صائدة الرجال الأثرياء . يعدها زيزو بأنه سيخلصها من مشكلتها وينتحل شخصية المليونير شحتوت الذى يتقدم لإلهام ويتزوجها بالفعل لكنها تكتشف خدعته . تكافئه أشجان وتفتح له محلا للحلاقة فى فندق كبير .

فى فيلم " أبو الليل " ينتحل المجرم شخصية رجل أعرج يدعى النص فى حين يروع القرية بجرائمه لمدة طويلة ، بل يدخل دوار العمدة ومركز الشرطة على أنه مخبر يسعى لمساعدتهم فى القبض على أبو الليل ، والحقيقة انه يتسقط أخبار القرية كلها لكى يخطط لارتكاب جرائمه .

فى فيلم " لقمة العيش " يحصل محسن على وظيفة ناظر عزبة فى قرية وفى الطريق يقابل ابنة صاحب العزبة وكان من شروط الوظيفة ان يكون متزوجا فيتنكر صديقه فتحى فى شخصية الزوجة !! ويحاول شرير القرية غزال أن ينتقم من ناظر العزبة وزوجته إلا أنه يفشل . وعندما تكتشف ابنة صاحب العزبة أن محسن غير متزوج يتم زواجهما بمنتهى البساطة !!

فى عام ١٩٦١ عرضت ثلاثة أفلام هى " زوج بالإيجار " و" الأزواج والصيف " لعيسى كرامة و" مع الذكريات " لسعد عرفة . فى الفيلم الأول يضيع مراد أمواله على الخمر ويهجر منزل الزوجية وتسوء أحواله وتتراكم عليه الديون ويصبح على وشك الإفلاس ، فيسافر إلى عمه لأخذ سلفة منه . وفى الطريق يقابل فلفل وهو محتال يشبهه تماما فيتفق معه على أن يكون بديلا له بحيث يحل محله فى مكتبه ومنزله !!! وبعد كل هذا السخف والتفاهة واللا معنى تعود الأمور إلى قواعدها الأولى !!!

فى فيلم " الأزواج والصيف " تسافر الزوجة بمفردها فى أجازة صيف ويحدث أن يلتقى الزوج صدفة بصديقة من أيام العزوبية ، ويذهب معها إلى بيتها الذى تداهمه الشرطة بحثا عن زوجها المجرم الهارب فيأخذ الزوج بدلا من زوج

الصديقة المجرم ، خوفا من الفضيحة وحماته سليطة اللسان !! فهل هناك نكتة أسخف من هذه ؟!!

فى فيلم " مع الذكريات " يطلق شريف على خطيبته إلهام الرصاص فى مشهد سينمائى فإذا به يقتلها فعلا لاستبدال الرصاص الزائف بذخيرة حية !! تحاول آمال ابنة عمه أن تملأ حياته اعتمادا على الشبه القوى بينهما !! وبمرور الوقت تتطور علاقته بآمال إلى حب عميق !! أى أن ارتباط الإنسان وحبه للآخر ينهضان على المظهر الخارجى والملامح الشكلية وليس على الشخصية الإنسانية بأبعادها وأعماقها التى لا يمكن حصرها .

ويبدو أن تيمة الشبه قد سيطرت على سعد عرفة فكررها مرة أخرى بعد فيلم " مع الذكريات " فى فيلم " حب لا أنساه " ١٩٦٣ الذى تعيش فيه فتاة حزينة على ذكرى حبيبها الذى لا تستطيع أن تنساه ثم تصادف شابا شبيها بحبيبها فتأنس إليه لكنها تشعر بفزع يجتاحها عندما تتذكر حبها الأول . تقع بين شقى الرحى : حبها الماضى وحبها النامى لكنها تنحاز فى النهاية إلى الواقع الجديد !

فى فيلم " ثمن الحب " ١٩٦٣ لمحمود ذو الفقار يحرص علوى بك على الحفاظ على ثروة الأسرة بإصراره على تزويج ابنه صلاح من زوجة عمه لكن ابنه يحب عنايات المحامية ويكاشفها بحبه وأنه يرفض الزواج من زوجة عمه لمجرد ضمان عدم خروج الثروة من أيديهم وأنه يعمل ويعتمد على نفسه وفى مقدوره أن يتزوجها ثم يعرف الحقيقة وان السيدة التى أحبها هى زوجة عمه ويتزوجان .

كذلك شهد عام ١٩٦٣ فيلمين من أشهر الأفلام التى نجحت باستغلالهما تيمة الانتحال والتنكر : " صاحب الجلالة " لفطين عبد الوهاب ، و" الساحرة الصغيرة " لنيازى مصطفى . فى الفيلم الأول يعود فطين عبد الوهاب لتيمة فيلم " سلامة فى خير " (١٩٣٧) لنيازى مصطفى ولكن بتنويعات من نوع جديد ، إذ يزور

السلطان مارينجوس الأول مصر وينزل فى فندق مينا هاوس حيث يتم اكتشاف مؤامرة لقتل السلطان من قبل السلطان المخلوع فتتم الاستعانة بالحمال حسن للقيام بدور السلطان للشبه الشديد بينهما مقابل مبلغ كبير من المال ، ومن خلال الأحداث والمفارقات الكوميدية يقع السلطان فى الكثير من المآزق .

فى فيلم " الساحرة الصغيرة " يحكم على الأب بالسجن فى قضية خاصة بالشرف فيطلب من صديقه عصمت مقابلة ابنته مشيرة القادمة من لبنان كى ينتحل شخصية أبيها إذ أنها تقيم هناك منذ طفولتها ولم يرها أبوها منذ زمن بعيد ويقع عصمت فى حيرة إذ بمرور الأيام يشعر بالحب نحوها . كذلك فهناك سهير التى تحب عصمت ويستعدان للزواج فتشعر بالغيرة من مشيرة . وتنحل المشكلة عندما تنتهى مدة عقوبة الأب ويعترف لمشيرة بالحقيقة فتنسحب سهير ليتزوج عصمت من مشيرة .

ومن الواضح أن فى هذا الفيلم أصداء من التيمة التى استخدمها حسن الإمام من قبل فى فيلم " قلوب الناس " ١٩٥٤ وإن كان الفرق بينهما هو الفرق بين الميلودراما والكوميديا .

وشهد عام ١٩٦٤ عدة أفلام منها " للرجال فقط " لمحمود ذو الفقار ، و "زوج فى أجازة" لمحمد عبد الجواد ، و" الابن المفقود " لمحمد كامل حسن ، و "المارد" لسيد عيسى ، و" هارب من الزواج " لحسن الصيفى .

فى فيلم " للرجال فقط " تعمل إلهام وسلوى فى معمل تحليل إحدى شركات البترول غير قانعتين بوجودهما فى هذا المعمل وتطمحان إلى القيام بالكشف عن آبار البترول فى الصحراء ، لكن مدير الشركة لا يوافق لأنها مهمة قاصرة على الرجال فى حين تعلن الشركة عن حاجتها إلى مهندسين . فتحصلان على أجازة شهر وتسافران إلى الصحراء منتحلتين شخصيتى مهندسين وتنضمان إلى زملائهما المهندسين (بهذه البساطة والسهولة !!) وتنتهى القصة بنجاحهما فى الكشف عن

آبار البترول الجديدة !! وتتزوج كل منهما من احبه قلبها بعد أن تتكشف شخصيتهما .

فى فيلم " زوج فى أجازة " يستخدم محمد عبد الجواد إحدى تيمات الانتحال والتنكر التى استهلكت تماما إذ يقرر عصام أن يهرب من ملل حياته الزوجية فيدعى لزوجته جمالات انه مكلف فى مهمة عمل لمدة شهر فى أسوان إلا أنها تكتشف خداعه وسفره إلى الإسكندرية وتشير عليها صديقتها أن تتنكر كفتاة شقراء لعوب تحت اسم روزيتا وتنجح فى أداء الدور لدرجة أن عصام يعرض عليها الزواج فتكشف جمالات عن شخصيتها الحقيقية !!

فى فيلم " الابن المفقود " يفقد الثرى الصعيدى عبد الفتاح طفله فى حادث ولا يكف عن البحث عنه وخاصة أن أخاه إسماعيل يطمع فى ثروته بعد وفاته . ويعثر الأب على ابنه لكنه يخفى النبأ خشية اعتداء أخيه عليه ويحدث أن يتفق إسماعيل مع عصابة للبحث عن شاب ينتحل شخصية ابن أخيه مقابل مبلغ كبير . وتتمكن العصابة من العثور على حسين شبيه الابن المفقود ويقبل حسين العرض بعد تردد لأنه فى ضائقة مالية وليتمكن من الزواج من سميرة التى يحبها ويسافر إلى الأقصر للقاء أبيه المزعوم لكن سرعان ما يكشف حسين له حقيقة شخصيته فيكافئه .

فى فيلم " المارد " يعتدى باشا فى الريف على الفلاحين وحرماتهم . يثور الأهالى ضده لكنه يتهمهم زورا ويسجنهم . يخرج أحدهم من السجن ويتنكر فى زى أعور لينتقم من مقتل أبيه . وفى نفس الوقت يتنكر فى زى المارد المقنع ويهاجم ممتلكات الباشا ويرد للفلاحين حقوقهم .

فى فيلم " هارب من الزواج " يلجأ حسن الصيفى إلى نفس التيمة المستهلكة التى استخدمها محمد عبد الجواد فى نفس العام فى فيلم " زوج فى أجازة " إذ يفاجأ زكى بأن أباه يخطب منه السكرتيرة الجميلة التى اختارها للزواج فيقرر أن ينتقل

من فتاة إلى أخرى دون أن يرتبط معهن بالزواج إلا أن أباه يختار أن يزوجه أمينة ابنة أحد أصدقائه والتى لا تعجبها هذه الطريقة فى الزواج فتتنكر فى شخصية صديقتها فيعجب بها زكى ويصر على رفض أمينة الحقيقية فى حين تعجب أمينة بشخصية زكى وتعترف له بحقيقتها ويستعدان للزواج .

ثم يأتى عام ١٩٦٦ الذى شهد لعبة الانتحال والتنكر والتشابه فى عدة أفلام شهيرة وناجحة مثل " صغيرة على الحب " ، و" ٣٠ يوم فى السجن " ، و" جناب السفير " لنيازى مصطفى الذى كان له نصيب الأسد من هذه الأفلام . كما قدم حسن الصيفى فيلم " غرام فى أغسطس " .

فى فيلم " صغيرة على الحب " يعلن التليفزيون عن مسابقة لاختيار طفلة تجيد الغناء فتتنكر سميحة فى زى طفلة وتتقدم للمسابقة ويتم اختيار مخرج الاستعراض كمال لها وتخفى سميحة عن أختها وزوجها وخطيبها الأمر . وبمرور الوقت تشعر سميحة بالحب نحو كمال ولكى تتمتع بلحظات فى صحبة كمال تظهر له بشخصيتها على أنها شقيقة سميحة الكبرى فيقع فى حبها وفى النهاية يكتشف كمال حقيقة سميحة ويتزوجها .

فى فيلم " ٣٠ يوم فى السجن " المأخوذ عن مسرحية نجيب الريحانى الشهيرة يعمل أمشير فتوة فى الكباريه الذى يمتلكه صديقه الثرى مدحت الذى يحكم عليه بالسجن شهر بعد إصابته لأحد الأشخاص ويدخل أمشير بدلا منه ليقضى مدة العقوبة فى حين يتودد مدحت لأزهار ، فتكتشف خطيبته سهير نزواته وتفسخ الخطبة وتتزوج من أمشير الذى تعجب به .

فى فيلم " جناب السفير " يقوم سفير دولة فيحان برحلة خارج البلاد ويستغل خادم السفارة غيابه فيرتدى ملابسه ويحث إحدى الموظفات على ارتداء ملابس حرم السفير أيضا كنوع من التسلية المثيرة التى يمكن أن تترتب على هذا التنكر لكن التنكر يتسبب فى ارتباك شديد عندما يصل السفارة عدد من سفراء بلاد أخرى

لمقابلة السفير . (وإن كان من المفروض أن مثل هذه المواعيد واللقاءات تحدد سلفا خاصة فى السلك الدبلوماسى !!) المهم أن السفراء يظنون أن الخادم هو السفير فيجاريهم بل ويجرون معه محادثات واتفاقات مهمة !!! بل إن الأدهى من هذا أن السفير يصل ويكتشف ما فعله خادمه فيشكره لإجراء صفقات اقتصادية هامة مع السفراء لمصلحة بلاده !!! (ولا نعلم من أين أتى الخادم بهذه الخبرة الدبلوماسية الرفيعة ؟!!) إذ يبدو أنها إرادة الكاتب والمخرج !!

فى فيلم " غرام فى أغسطس " نعود - بلا ملل - إلى تيمة الشبه الذى يصل إلى حد التطابق أو الاستنساخ وتتصرف كل الشخصيات على هذا الأساس كما لو كان أمرا متوقعا وممكنا وطبيعياً للغاية . ذلك أن سلوى تعانى من صدمة نفسية على اثر حادث يقع لها هى وزوجها فى ليلة زفافهما ويلقى الزوج مصرعه ويحدث أن تتقابل مع فريد الذى يشبه زوجها تماما لدرجة أنها تعتقد أنه زوجها !! يضطر فريد من باب الشفقة والعطف أن يجاريها حتى تتماثل للشفاء . عندئذ تكتشف الحقيقة وتتزوج من فريد !!

فى عام ١٩٦٧ عاد نيازى مصطفى إلى أفلام الانتحال والتنكر والشبه فأخرج فيلمين وهما " أخطر رجل فى العالم " ، و" شباب مجنون جدا " . أما حسام الدين مصطفى فقد أخرج فى العام نفسه " جريمة فى الحى الهادئ "

فى فيلم " أخطر رجل فى العالم " يصل إلى القاهرة مستر إكس وهو زعيم عصابة دولية للتهريب وذلك لمزاولة نشاطه فى مصر . يعلم بأمره رجال الشرطة المصرية ويراقبونه مستغلين الشبه الكبير بين مستر إكس وموظف المطار زكى إذ يحل زكى محل إكس ، ويلم بأسرار العصابة وخططهم لعملية جديدة . تنجح مهمة زكى ويتم القبض على إكس وعصابته .

فى فيلم " شباب مجنون جدا " تتنكر مديحة فى شخصية شاب لتعمل ضمن الفرقة الموسيقية المكونة من أخوتها الثلاثة !! ويطلب يوسف من مديحة أن تنتحل

شخصيتين فى آن واحد بأن تمثل دور زوجته الجديدة ليثير غيرة زوجته المتعالية . توافق لتنتقم من حمدى ابن يوسف الذى سخر من قبل من عواطفها . تنجح خطة يوسف وتسعى الزوجة حتى يترك مديحة التى تتزوج من حمدى بعد أن تعترف لهم بحقيقة تنكرها فى شخصية شاب !!

فى فيلم " جريمة فى الحى الهادئ " يبدو التنكر مقنعا للغاية لأنه من صميم عمل رجال المباحث والمخابرات . ففى عام ١٩٤٤ يكلف اثنان من أفراد عصابة صهيونية بمهمة اغتيال اللورد موين وزير المستعمرات البريطانى فى القاهرة ويتم القبض عليهما . يتولى ضابط الباحث أحمد عزت القضية ويتنكر فى شخصية أخرى ويمثل الحب والغرام على زميلتهما جينا لمعرفة أسرار العصابة التى تكشف شخصيته ، فيختطفون ابنته منى ليضغطوا عليه لإطلاق سراح الشابين وترحيلهما إلى الخارج . يوهمهم أحمد عزت بالموافقة وأخيرا ينجح فى القبض على أفراد العصابة وإنقاذ طفلته .

تواصل أفلام الانتحال والتنكر والشبه زحفها فى عام ١٩٦٨ فيقدم نيازى مصطفى فيلم " بابا عايز كده " ، وفطين عبد الوهاب " عفريت مراتى " ، وعبد المنعم شكرى " مجرم تحت الاختبار " ، وحسن الصيفى " ابن الحتة " .

فى فيلم " بابا عايز كده " يقع كوكو مصمم الأزياء فى حب نادية التى تريد أن تتزوج من رجل ليس له تجارب ويضطر كوكو أن يتنكر فى شخصية أخرى بحكم انه زير نساء لكنها تكتشف تنكره وتريد أن تنتقم منه عن طريق ابن عمه الذى يدعى له أن بينهما علاقة . يثور كوكو لكنه يكتشف الموقف على حقيقته ، ويتم الوفاق بينهما !!

أما فيلم " عفريت مراتى " فيعد من أشهر أفلام الانتحال اللا واعى الذى يصل إلى درجة التقمص للشخصية الأخرى والذى يتمثل فى شخصية عايدة المصابة بمرض تقمص شخصيات بطلات الأفلام مما يسبب لها ولزوجها بعض

المشاكل . عندئذ ينصحه أحد الأصدقاء أن يجعل زوجته تعيش قصة مثيرة هو بطلها بحيث يدعى لها أنه مجرم سابق وهو الآن يتزعم عصابة لسرقة البنك الذى يعمل فيه . تنبهر به عايدة ، لكن يتضح ان الصديق كان يستغل صالح وكان ينوى السرقة بالفعل . وفى النهاية تتماثل الزوجة للشفاء .

فى فيلم " مجرم تحت الاختبار " يسقط المجرم الخطير عبد المقصود بسيارته من اعلى جبل المقطم بعد مطاردة مع الشرطة . تشرع شركة سينمائية فى إنتاج فيلم عن قصة حياته ويتصادف وجود شبه كبير بين الممثل فوزى والمجرم فيسند إليه دوره ، ثم يتضح أن المجرم لم يمت ويتفق مع عشيقته لتستدرج فوزى إلى وكر العصابة ويحتجزه هناك ويحل محله فى تمثيل الفيلم !! ويهتدى للطريق المستقيم أثناء ممارسته للعمل الشريف !! لكن رجال الشرطة يكشفون حقيقته ويلقى مصرعه فعلا بعد مطاردتهم له .

فى فيلم " ابن الحتة " يعمل عزمى كبديل لممثل مشهور يحدث أن يموت فى حادث ، ويخطر على بال عزمى فكرة خبيثة تدفعه إلى أن يحل محله فى جميع شئون حياته العامة والخاصة ويوهم الجميع أن الدوبلير هو المتوفى ويستكمل الفيلم وكان الحب قد ربط منذ البداية بين عزمى وجارته سميحة التى كان عاشور صاحب المقهى يطمع فى الزواج منها . وعندما تقمص عزمى شخصية الممثل المتوفى سنحت الفرصة لعاشور كى يتزوج من سميحة لكن فى أثناء عقد القران يفاجئهم عزمى بالحقيقة ويمنع زواج عاشور من سميحة ويتزوجها هو !!

ولا يشاء عقد الستينات أن يرحل دون أن يقدم فى عام ١٩٦٩ سبعة أفلام دفعة واحدة من أفلام الانتحال والتنكر والتشابه : " نص ساعة جواز " لفطين عبد الوهاب " ، و" العتبة جزاز " لنيازى مصطفى ، و" الشجعان الثلاثة " و" ابن الشيطان " لحسام الدين مصطفى ، و" فتاة الاستعراض " لمحمود ذو الفقار ، و "ليلة واحدة" لسعد عرفة ، و" عائلات محترمة " لعبد الرحمن الخميسى .

فـى فيلـم " نـص سـاعة جـواز " تتفـانى الممرضـة فاطمـة فـى خدمـة طبيب الأسنان وزير النساء حسنى لأنهـا تحبـه بـالفعل كمـا تتعلـق بـه داليـا صاحبـة محل الزهـور وهـى فتاة مثالية تكره الكذب ولمـا كـان يريـد الاحتفـاظ بهـا دون قيد الزواج يدعـى لهـا انـه مـتزوج ولكنـه غـير موفـق مـع زوجتـه وينوى طلاقهـا ليتزوجهـا ، تطلب منـه مقابلـة زوجتـه للتـأكد بنفسها أنهـا ليست السبب فى طلاقهـا ولا يجد أمامـه سـوى فاطمـة لتتنكـر فـى شـخصية زوجتـه الوهمية لكـن داليـا سـرعان مـا تعـرى هـذا التنكـر والتلاعـب وتنسـحب مـن حياتـه . وفـى النهايـة يشـعر بـالحب الحقيقـى لفاطمـة ويتزوجـان .

وفى فيلم " العتبة جزاز " يزاول أفراد شبكة تجسس نشاطهم فى أحد الملاهى ويرأسها عباس الذى لا يرتـاح لعميل المنظمـة مـاكس فيأمر أعوانـه بقتلـه . تجند أجهزة الأمن هدى لصالحهم بحكم أنها مساعدة عبـاس . يتردد عبد الحفيظ الشبيه بماكس على الملهى ويتوهم أفراد الشبكة أنه لم يمت . تستغل أجهزة الأمن ذلك فيطلبون من عبد الحفيظ التمادى فى انتحال دور ماكس حتى يعرفوا أسرار الشبكة وتحركاتها وبالفعل تقع فى قبضتهم .

فى فيلم " الشجعان الثلاثة " يموت الصول شعلان فى أثناء أداء عمله وهو يطارد عصابة المعلم عاشور لتهريب مخدرات . يقرر أبناؤه الثلاثة عرفة ومبروك وشريف الانتقام لمقتله فيتركون عملهم وينتحلون شخصيات أخرى بحيث يتعرفون على أفراد العصابة بل ويعجب بهم عاشور ويضمهم للعصابة مما يمكنهم من معرفة أسرارها وخططها التى يبلغون بها الشرطة التى تقبض عليهم .

فى فيلم " ابن الشيطان " يتنكر رجل غامض فى شخصية ابن الشيطان !! فهو مصاب بعقدة نفسية تجعله يكره أى رجل يتزوج من أخرى انتقاما من أبيه الذى تزوج غير أمه وهو طفل . ويشيع ابن الشيطان الرعب فى القرية لدرجة أن

المعلم عتريس متعهد الأفراح يرفض إقامة أى فرح خوفا من بطشه . تطارد قوات الشرطة ابن الشيطان فيسقط من فوق قمة جبل ليفاجأ الجميع بأنه عتريس !!

فى فيلم " فتاة الاستعراض " يرث احمد عن أبيه أملاكا من بينها مسرح ويتعرف على فايزة الراقصة بإحدى الفرق الاستعراضية التى تؤجر مسرحه . ينتحل أحمد شخصية شاب فقير وعاشق للمسرح حتى يكون قريبا من فايزة التى يعجب بها وتقع فى حبه . تفاجأ الفرقة بإنذار من محامى أحمد لدفع إيجار سنة مقدم للمسرح وإلا تعرضوا للطرد وذلك دون علم أحمد . وتذهب فايزة لمقابلة صاحب المسرح ليتنازل عن الإنذار فتفاجأ بالشخصية الحقيقية لأحمد ويستعدان للزواج .

فى فيلم " ليلة واحدة " يتزوج احمد من سامية التى تعمل فى الغردقة إلا أن هناء التى تحبه تنجح فى الإيقاع بينهما . وتحاول سامية أن تكتشف مشاعر زوجها فتغير من مظهرها وتنتحل شخصية شقيقتها أميرة العائدة من لندن فيقع فى حبها ويعرض عليها الزواج . وعندما يسافر إلى الغردقة ليحسم أمره مع زوجته سامية يكتشف أنه لا يزال على حبه ويستأنفان حياتهما .

فى فيلم " عائلات محترمة " الذى كتبه وأخرجه الكاتب اليسارى والمفكر التقدمى عبد الرحمن الخميسى لا نجد أى أثر لتوجهاته العقائدية بل يقدم فيلما نمطيا زاخرا بالمقالب وعمليات الانتحال المتبادلة !! إذ يبدو أنه ليس فى مقدور أحد أن يتصدى لطوفان العناصر النمطية فى السينما المصرية . ففى الفيلم يرفض شوكت زواج ابنه ممدوح من ابنة أخيه نوال لأنه يطمع فى زوجة ثرية تمكنه من سداد ديونه بعد أن بدد ثروته . يجد ضالته فى نيفين ابنة الأرملة تفيدة ، لكن نيفين ترسم خطة لمعرفة أخلاق ممدوح فتنتحل شخصية شغالة فاطمة فى حين تحل فاطمة مكانها . وهى الحيلة التى وردت من قبل فى فيلم " سلامة فى خير " ١٩٣٧ وتكررت فى أفلام يصعب حصرها . ولا تقتصر الحيلة على نيفين وفاطمة بل يمارسها ممدوح أيضا إذ ينتحل شخصية توكل سائق أبيه ويحل توكل مكانه ،

ويتقابل الجميع ويدرس كل منهما الآخر فتعجب فاطمة بتوكل ويبادلها نفس المشاعر . وعندما تتكشف حيل الانتحال يتزوج ممدوح من نيفين وتوكل من فاطمة . أى أن الخميسى يحرص على الزواج من داخل الطبقة الاجتماعية وعدم تجاوز حدودها وتذويبها كما كان ينادى فى كتاباته وبذلك انتصر للأفكار السينمائية النمطية على حساب توجهاته العقائدية .

أما عقد السبعينيات فقد شهد أربعة أفلام لنيازى مصطفى الذى لم يمل أبدا لعبة الانتحال والتنكر والتشابه : " سفاح النساء " ١٩٧٠ ، و" عندما يغنى الحب " ١٩٧٣ ، و" حبيبتى شقية جدا " ١٩٧٤ و" بنت اسمها محمود " ١٩٧٥ . كما شهد العقد ثلاثة أفلام لمخرج مخضرم لم يرتبط اسمه بهذا النوع من الأفلام لكن يبدو انه انجرف أخيرا مع التيار . هذا المخرج هو هنرى بركات الذى قدم فيلم " الزائرة " ١٩٧٢ ، و" مع حبى وأشواقى " ١٩٧٧ ، و" المرأة هى المرأة " ١٩٧٨ .

فى فيلم " سفاح النساء " تجتاح القاهرة موجة من الذعر والرعب لظهور سفاح يقوم باختطاف الجميلات الشهيرات وقتلهن . يتفق الصحفى المغمور محسنمع خطيبته على انتحال شخصية السفاح وقتلها حتى يقبض عليه أملا فى الشهرة والمجد فى عالم الصحافة ، بشرط أن تظهر قبل تنفيذ الحكم فيه ليثبت براءته إلا أن السفاح الحقيقى يدس له جثة ممثلة مخطوفة وتصبح جريمته الوهمية جريمتين . لكن صديقه كوداك المصور الصحفى بالجريدة يستطيع أن يصل إلى السفاح الحقيقى بمساندة الشرطة ويتم الإفراج عن محسن .

فى فيلم " عندما يغنى الحب " تعمل صفاء وميرفت وليلى فى محل أزياء ، وعندما يعود هانى ابن صاحب المحل من الخارج يتنكر فى شخصية أحد السعاة فى المحل حتى يكتشف سير العمل على حقيقته ويعجب هانى بليلى وتبادله مشاعره لكنها عندما يكشف لها عن حقيقتها تحاول الانسحاب للفارق الاجتماعى بينهما لكنه يتمسك بها ويبارك أبوه زواجهما .

فى فيلم " حبيبتى شقية جدا " يلعب التشابه فى الأسماء دورا حيويا فى لعبة الانتحال ذلك أن حنان فتاة مرحة هى ابنة حسين المنياوى عسكرى المرور الذى يعمل تحت رئاسة عميد يحمل نفس الاسم وله ابنة تدعى حنان أيضا !! تستغل حنان هذا التشابه فى الأسماء وتدعى لزملائها فى الجامعة أنها ابنة العميد . وبسبب هذا الانتحال تقع فى مشاكل عديدة يحلها العميد لها المنياوى فهو يعاملها كابنته . تتعرف حنان بعلاء الذى يعجب بها وتبادله مشاعره لكن أباها يسعى كى ينتقل إلى الإسكندرية لإبعاد ابنته عن الكذب والادعاء والانتحال وهناك تفاجأ بعلاء الذى يكشف حقيقتها ومع ذلك يتمسك بها .

فى فيلم " بنت اسمها محمود " يرفض المعلم فرغلى المتزمت دخول ابنته حميدة الجامعة فيهتدى حبيبها الدكتور حسن لإقناع والدها أنها تحولت إلى رجل بعد إجراء عملية جراحية لها وأصبحت شابا جامعيا ثم تعترف حميدة لأبيها بالحقيقة بعد أن أثبتت له قدرة الفتاة على العمل مثل الرجل عندما نجحت أيضاً فى الإشراف على محل الموبيليا الذى يمتلكه وضاعفت من أرباحه . وينتهى الفيلم بالأب وقد غير من موقفه ورأيه .

فإذا انتقلنا إلى أفلام هنرى بركات فى السبعينيات ، سنجد فى فيلم "الزائرة" حامد وهو يتفق مع نادية على انتحال شخصية ابنة خالته ليلى التى تشبهها تماماً ، وذلك للاستيلاء على ثروة عم ليلى الثرى. تعيش مع العم وتتقابل مع حبيبها السابق حسن ، وتبوح له بالحقيقة ، إذ أنها بالفعل ليلى التى تهرب بعد أن يصر أبوها على تزويجها من حامد ، بل وتعترف لحسن بخطة حامد الذى يكتشف حقيقتها وتفشل محاولته لقتلها . يبلغ عنه حسن ويتم القبض عليه.

فى فيلم "مع حبى وأشواقى" تتزوج نادية فى أثناء وجودها فى أثينا برءوف الذى يخدعها ويسرق مجوهراتها ويهرب. ثم تضبط الشاب حمدى فى حجرتها بالباخرة وهو يحاول سرقتها ويرجوها ألا تبلغ الشرطة ، فتطلب منه أن ينتحل

شخصية الزوج أمام عمها مقابل مبلغ من المال. وبمرور الأيام ينمو الحب بين نادية وحمدى ، ويكشف لها عن حقيقته. فهو صحفى تمكن من كشف حقيقة عمها وشريكه طارق ، فهما يقومان بعمليات تهريب. ويتمكن من الحصول على مستندات مهمة تدينهما . وفى النهاية يتزوجان .

فى فيلم "المرأة هى المرأة" يعاود رجل الأعمال كمال علاقته بالممثلة زيزى التى تلاحقه ، لكن زوجته رشا تكتشف خيانته فتنتحل شخصية أختها ميرفت. ويعجب بها حسن صديق كمال فتعترف له بحقيقتها ، ويتعاونان على إبعاد كمال عن زيزى . وتنجح خطتهما ويعدها كمال بالإخلاص .

فى عام ١٩٧١ قدم يوسف شاهين فيلم "الاختيار" الذى شارك نجيب محفوظ فى كتابة قصته التى تدور حول البحار محمود الذى يعيش حياة منطلقة ، وهو الشقيق التوأم للكاتب الكبير سيد الذى يتمتع بالمال والشهرة ، إلا أنه يعيش فى عذاب نفسى ويكتشف زيف حياته ، وإذ به يقوم بقتل محمود ويعيش الشخصيتين. ويعثر رجال الشرطة على جثة محمود ، وتحوم الشبهات حول سيد. ويكتشف رجل المباحث فرج أن سيد مريض نفسياً ، وقد أصابه الجنون ، لكنهم يتمكنون منه ويدخلونه مستشفى الأمراض العقلية. والسؤال الذى يطرح نفسه بشدة هنا هو: كيف لكاتب كبير مثل سيد بلغ من المال والشهرة ، أن يكون مريضاً نفسياً بهذا الشكل لدرجة الجنون وارتكاب جريمة قتل أخيه التوأم ؟! ألم يكن من المعقول أن يمنعه هذا المرض أصلاً من أن يكون كاتباً ومفكراً ؟!

فى عام ١٩٧٢ قدم فطين عبد الوهاب فيلم "أضواء المدينة" الذى يركز على المفارقات الكوميدية للانتحال والتنكر. ففيه يقوم المنتج السينمائى عادل بمسابقة لاختيار فتاة تقوم بدور أميرة فى فيلمه الجديد. وتجتاز ممثلة الفرقة البسيطة سعاد الاختبار ، إلا أن عادل يرفض إسناد الدور لها لمظهرها المتواضع ، فتتنكر فى مظهر إحدى الأميرات فى حفل يحضره عادل الذى يعجب بها ويعرض عليها

التمثيل ، بل ويعدها بزيارة أسرتها لإقناعها بالموافقة. ينقذ حكشة زميل سعاد الموقف فهو ابن بواب قصر أحد الأمراء المسافر للخارج ، وتقيم سعاد مع أفراد فرقتها بالقصر ، مدعية أنها الأميرة شاه ، فيقرر عادل الزواج منها بعد أن يقع في حبها. وعندما يعود الأمير الغائب إلى قصره ، تعترف لعادل بالحقيقة ، فيعدل عن موقفه وتفوز بالدور وبعادل زوجاً.

فى عام ١٩٧٣ قدم عاطف سالم فيلم " زمان يا حب " الذى تسافر فيه عبير مع الفرقة الاستعراضية التى تعمل بها إلى بيروت لتقديم عروضها . ويحدث أن يقع خالها خليل الذى يعيش فى بيروت فى ورطة ، إذ أنه يدعى لعبير بأنه مليونير فى حين أنه يعمل رئيساً للخدم فى قصر المطرب المشهور مدحت . فهو يستغل سفره فيدعى لها بأنه صاحب القصر . لكن مدحت عندما يعود فإنه يتفهم الموقف ، بل ويشعر بالحب نحو عبير التى تبادله مشاعره مما يثير غضب صديقته ليلى فتعترف له بحقيقة خالها !! ومع ذلك يقرر مدحت الزواج من عبير لكن خليل يذكره بفارق السن بينهما ، فيعدل عن قراره .

فى عام ١٩٧٤ قدم السيد بدير فيلم "أرملة ليلة الزفاف" الذى يتنكر فيه وكيل نيابة لكشف جريمة برغم أن هذا من اختصاص رجال المباحث . ففيه تتزوج مها من الثرى مجدى الذى يلقى مصرعه ليلة زفافهما. ويتنكر وكيل النيابة أحمد فى شخصية مهندس ويتعرف على مها ويوهمها بحبه !! تقدمه الأسرة ، ويتردد على المنزل ويضع آلات التنصت بداخله (وهذا ليس من اختصاصه أيضا !!) المهم يثبت آلات التنصت من خلال مكالمة تليفونية بين خديجة عمة مها وعشيقها مدحت أنهما القاتلان حتى لا يحرما من أموال مها ، ويتم القبض عليهما.

فى عام ١٩٧٥ لجأ صلاح أبو سيف -وهذا ليس أسلوبه- إلى حيلة الانتحال فى فيلم "الكداب" الذى يقوم فيه الصحفى محمود بفضح تلاعب سامى مدير مصنع نسيج للأقمشة الشعبية ، مستنداً إلى شهادة العاملين سعيد ومرزوق ، إلا أن سامى

يضغط عليهما ليغيرا أقوالهما ، ولا يجد محمود وسيلة لمعرفة الحقيقة سوى انتحال شخصية الجرسون إبراهيم فى مقهى بالحى الذى يسكن فيه مرزوق !!! يقرر سامى التخلص من محمود ، فتندفع سيارة لورى لتصدمه ، ويهرع سعيد لينبهه لكنه يقع تحت عجلاتها ! ينهار مرزوق لمصرع سعيد ويصمم على كشف الحقيقة كاملة ، كما يعترف سائق اللورى بخطة سامى .

وفى عام ١٩٧٥ قدم أحمد فؤاد فيلم " الكل عاوز يحب " الذى يركز على المفارقات المضحكة للانتحال ، إذ يعجب أحمد بليلى ، لكن صديقه عبد السلام يحذره من مسعود ابن عمها الشاب المتزمت الذى يريد أن يتزوجها برغم زواجه من نفيسة . ومع ذلك يتمسك أحمد بها ويعترف لها بحبه وتبادله مشاعره . يعلم مسعود ويقرر قتل أحمد الذى ينتحل شخصية رجل عجوز ومدرس شقيقها الخصوصى حتى يضمن أن يقابلها بدون مشاكل. وأخيراً يتم التفاهم مع مسعود الذى يوافق على زواج الحبيبين .

فى عام ١٩٧٥ أيضا قدم محمود فريد تيمة الانتحال فى إطار زاخر بالفارص والتهريج فى فيلم "ملوك الضحك" الذى يعجب فيه المعلم فرحات الثرى بالراقصة سهام ، ويقرر أن ينتج لها فيلماً بشرط أن يكون المخرج إيطالياً !! إلا أن سهام مشغولة عنه بحبها لشاكر الذى تتمنى أن يقوم ببطولة الفيلم أمامها وتدعى أنه أخوها. يلجأ صابر لصديقه شاكر كى يدبر له عملاً ، فيقدمه للمعلم فرحات على أنه المخرج الإيطالى "صابرينو" الذى بعث لاستدعائه !! يتعرف صابر بمضيفة الفندق وفاء ويعجب بها ويصارحها بشخصيته الحقيقية ، وتقنعه بالاعتراف بالحقيقة . ويثور فرحات لكنه فى النهاية يبارك زواج شاكر وسهام ، وصابر ووفاء ، ويعود إلى زوجته وأولاده.

فى علم ١٩٧٨ قدم سيف الدين شوكت فيلم "المليونيرة النشالة" الذى تنشر فيه الأم الثرية صورة ابنتها المفقودة ميرفت فى الجرائد . ويحدث أن يتعرف

المصور المتجول محسن على النشالة فيفى التى تشبه ميرفت تماماً ، فيقنعها بانتحال شخصيتها . ويرحب ابن خالتها عادل بها فى حين يرتاب فيها ابن عمها حسن الذى يطمع مع أقاربه فى ثروة الأم. يتهمها حسن بسرقة علبة مجوهرات ، فتهرب خوفاً من افتضاح أمرها. تتوصل الأم لمعرفة مكانها ، وتتأكد أنها بالفعل ميرفت من قلادة ترتديها فيفى بداخلها صورتها !!! وكالعادة تبارك الأم زواجها من عادل !

فى عام ١٩٧٩ قدم حسن الصيفى فيلم "نوع من النساء" الذى تتزوج فيه الأرملة الثرية سامية من المحامى حسين الذى يشبه زوجها حسنى تماماً. تفاجأ بأن زوجها الراحل كان زعيم عصابة مخدرات وتقوم العصابة بخطف حسين ظناً منهم أنه حسنى ليجبروه على دفع نصيبهم من آخر عملية ، ويتمكن حسين من الهرب ويتم القبض على العصابة .

وفى عام ١٩٧٩ قدم أحمد يحيى فيلم " الأيدى القذرة " الذى يعمل فيه كمال مديراً لحسابات إحدى الشركات ومسئولاً عن الخزانة . يتعرف على الأرملة الثرية علية وشقيق زوجها زكى ، كما يصادق سعيد الذى يشبهه تماماً ، ويبوح له سعيد أنه يشك فى سلوك زوجته عنايات . ويحث زكى كمال على سحب مبلغ كبير من الخزانة ليشاركه فى إحدى صفقاته لكنه يفاجأ بأنه نصاب . ويقوم كمال بقتل سعيد فى منزله وينتحل شخصيته حتى يهرب من تهمة الاختلاس . يقرر الانتقام من زكى وعلية ، ويتعارك مع زكى وتحثه علية على الهرب بعد قتلها زكى . وعندما يصل إلى منزل سعيد يفاجأ برجال الشرطة الذين يقبضون عليه بتهمة قتل زوجته عنايات !!

وبحلول عقد الثمانينيات ، واصل كل من نيازى مصطفى وحسن الصيفى إصرارهما على ممارسة لعبة الانتحال والتنكر والتشابه ، فقدم نيازى مصطفى فيلمين : " أذكياء لكن أغبياء " ١٩٨٠ ، و " الرجل اللى باع الشمس " ١٩٨٣ ،

وكذلك حسن الصيفى : " رجل فى سجن النساء " و " عضة كلب " . لكن سمير سيف فى منتصف الثمانينيات زاحمهما بشدة بأربعة أفلام دفعة واحدة : " احترس من الخط " ١٩٨٤ ، وكل من " الهلفوت " و" المطارد " ١٩٨٥ ، ثم "النمر والأنثى" ١٩٨٧ ، مما يدل على عجز معظم خريجى المعهد العالى للسينما عن مقاومة طوفان العناصر النمطية ، وسرعة الانضواء بين أمواجها ، برغم أن الأمل كان معقوداً عليهم فى ضخ دماء جديدة فى شرايين السينما المصرية التى أصابها التصلب نتيجة تكرار نفس العناصر النمطية واجترارها. ونظراً لغياب القطاع العام الذى كان يشجع التجارب غير النمطية بل والطليعية مثلما فعل شادى عبد السلام فى فيلم "المومياء" ومدكور ثابت فى فيلم "حكاية الأصل والصورة" فإننا لابد أن نتوقع طغيان المد التجارى الذى ينظر إلى السينما على أنها مجرد صناعة وتجارة ، ولابد أن تكون أرباحها مضمونة إلى حد كبير . وهذا الضمان لن يأتى إلا بتجنب الموجات الجديدة والمغامرات الفنية غير المحسوبة ، ذلك أن رأس المال بطبيعته جبان ، ويؤمن بأن ما يعرفه خير مما لا يعرفه ، أى ترسيخ كل العناصر النمطية فى تربة السينما المصرية ، حتى لو تعفنت جذورها فيها .

فى فيلم " أذكياء لكن أغبياء " يتنكر الطالبان الجامعيان زغلول وحسونة فى ملابس النساء لكى يوافق حمدى على تأجير غرفة لهما فى الفيلا التى لا يؤجرها إلا للفتيات الجميلات اللاتى يرغب فى اصطيادهن . يتعرف الصديقان على نزيلات الفيلا بيسة ونجوى وناهد ، فيربط الحب بين بيسة وحمدى ، كما تعجب نجوى بزغلول ، وكذلك ناهد بحسونة ، فهما زملاؤهما فى الجامعة ، تكتشف بيسة سلوك حمدى لكنه يعاهدها على الاستقامة ، ويحدد موعداً لزواجهما ، فى حين يكتشف الجميع حقيقة زغلول وحسونة .

فى فيلم " الراجل اللى باع الشمس " يتفق العالم المصرى جميل المقيم فى أمريكا على بيع اختراعه لإحدى الشركات المصرية التى يديرها عدنان ، لكنه

يؤجل حضوره إلى القاهرة لتوقيع العقد . عندئذ تتفق سوزى سكرتيرة العالم جميل ومساعده عبد القادر مع الموظف البسيط جميل على انتحال شخصية العالم جميل حتى يستوليا على قيمة المشروع مقابل منحة من المال ، مستغلين عدم مقابلة عدنان للعالم من قبل ، إلا أن الحيلة تنكشف ، ويتعاون جميل مع رجال الشرطة فى القبض عليهما .

فى فيلم " رجل فى سجن النساء " تتخلى صفاء عن يونس لتتزوج من ثرى ، فيقرر الانتقام من الرجال الأثرياء ، ويتنكر فى ملابس النساء ويوقع الأثرياء فى حبه ثم يسرقهم . ثم يتعرف بنوسة التى تعمل فى محل سمير الذى يتاجر فى المخدرات دون علمها . ويورطها فى إحدى القضايا ويتم القبض على يونس بملابس النساء فى قضية آداب ، وبعد الإفراج عنه يسعى لإثبات براءة نوسة ثم يعمل عند سمير ويبلغ رجال الشرطة قبل سفره ، فيقبضون على سمير متلبساً بوضع المخدرات فى حقيبة يونس ويعترف ببراءة نوسة .

فى فيلم "عضة كلب" تصل لعبة الانتحال إلى مستوى "لعب العيال" حين يحصل الصديقان عونى وسمير على عرض مغر للعمل فى أحد ملاهى الإسكندرية ويفشل عونى فى الحصول على أجازة ، فيشير عليه الساعى سعفان فى أن يسعى ليعضه كلب حتى يتمكن من الحصول على الإجازة !! (وكأنه لا توجد وسيلة أخرى لتحقيق ذلك !!) وتشاء الصدف كالعادة أن يصاب سمير بالعضة بدلاً من عونى ، فيتفقان على أن ينتحل سمير شخصيته ليحصل على الشهادة الطبية !! ثم يهربان من المستشفى بعد أن يرفض التمرجى الرشوة ليمنحهما الشهادة ، لكنه يلحق بهما ويقبض عليهما !!

فى فيلم "احترس من الخط" يتفق سامى على الزواج من نبيلة صاحبة الشركة التى يديرها . لكن ابن عمها خصوصى الذى يحبها بإخلاص ، يكتشف اختلاسات ومخالفات فى الشركة ، فيخطط سامى للتخلص منه ، فهو أحد المختلسين ، ويحثه

علـى الانتحـار بعـد أن ترفـض نبيلـة حبـه ، إلا أن خصوصـي يـتراجع عـن فكــرة الانتحار ويختفى، ثم يسلم سامى خطاباً لنبيلة من خصوصى يعترف لهـا بالانتحـار بسبب اختلاساته من الشركة. وتنشر الصحف أخبار الحادث. لكن خصوصى يعود متنكراً فى شخصية أخيه الخط ، ويكشف حقيقة سامى أمام نبيلة ، ويتم القبض عليه مع شركائه ، وتوافق نبيلة على الزواج من خصوصى .

فى فيلم " الهلفوت " يتزوج الشاب عرفة من الأرملة سيئة السمعة وردة التـى تستقيم . ويتقابل مع مرسى الغريب عن البلـدة والـذى جـاء لمقابلـة القـاتل المـأجور عسران لينفذ جريمة خاصة بـالثرى كيلانـى . وإذ بعرفـة ينتحـل شـخصية عسـران ويستولى على المبلغ المتفق عليه. ثم يذهب لصديقه دسوقى . يعـرض عليـه مبلغـاً آخر لتنفيذ الجريمة لكنه يرفض فيقتل أعوانـه دسوقى . ويعـود إليهـم عرفـة لينتقـم لصديقه. وعندما تلحق بـه وردة ، تلقـى مصرعهـا علـى أيديهـم ، فيصـوب بندقيتـه إليهم جميعاً على سبيل الانتقام منهم !!

فى فيلم "المطارد" نعود إلى فتوات نجيب محفـوظ الذيـن اسـتهلكوا تمامـاً فـى أفلام كثيرة ، لكـن يبـدو أن توابـل الفتـوة والعنـف والضـرب والقتـل بالإضافـة إلـى شهرة نجيب محفوظ ، قد أغرت كثيراً من الكتاب والمخرجين بالإقبال عليها ، ممـا جعلها تنضوى تحت بند العناصر النمطية والأحـداث المليودراميـة . فـى هـذا الفيلـم يهرب سماحة الناجى بعد أن يدبر له القللى فتوة الحى تهمة قتل . وينتحل شـخصية الشيخ المسن ، ويفتتح محلاً للعطارة فى حى آخر ، ويتزوج من محاسن ، ويعترف لها عن حقيقته ، وأنه يهيئ نفسـه للفتـوة ليعيد اسم النـاجى للحـى . وعندمـا يثـور خضـر النـاجى علـى القللـى الـذى يرفـع الإتـاوات ، يعتـدى عليـه . وعندمــا يدافــع رضوان عن عمه يقتله القللى . فيعود سماحة إلى الحى لينتقم لمقتل لأخيـه ، إلا أن القللى يصيبه ويتم نقله إلى المستشفى. وتتزوج محاسن من حلمى خفير الحــى الـذى يخبرها بمقتل سماحة الذى لم يمت بـل يتمـاثل للشـفاء ويقتـل حلمـى ويهـرب ليظـل باقى عمره طريداً .

في فيلم " النمر والأنثى " نعود إلـى الشبه الـذى يـؤدى إلـى الانتحـال . ففيـه يتولى الضابط وحيد مهمـة القبض علـى تـاجر المخـدرات عبـده القمـاش ويتوصـل بتحرياته إلى ابنته المختفية منذ سنوات . يتفق وحيد مع فتاة الليل التائبة نعيمة التـى تشبه ياسمين علـى انتحـال شـخصيتها ، وتوهـم القمـاش أن وحيـد زوجهـا ، بحيـث يتمكن وحيد من مراقبته عن قرب . لكن سيد مطلق نعيمة يكشف حقيقتها للقماش ، فينتقم من وحيد بجعله مدمناً إلا أنه يشفى !!! يلحـق القمـاش وعصابتـه إلـى أسـوان حيث العملية الجديدة . ويعثر على المخدرات لدى أحد المسئولين الكبـار والمشـترك فى العصابة ، فيتم القبض عليهم جميعاً ، ويتزوج وحيد من نعيمة بعد تردد !!

فإذا عدنا إلى مطلع الثمانينيـات سـنجد فيلـم " شـعبان تحـت الصفـر " ١٩٨٠ للمخـرج هنرى بركات وفيه يبرز الانتحال كوسيلة للاستيلاء على المـيراث. فعندمـا يموت المليونير الغطريفى ، يتفق أقاربه عبـد الجـواد وناريمـان مـع الشـاب البسـيط شعبان على انتحال شخصية الغطريفى المقيـم فـى بـاريس هربـاً مـن جريمـة قتـل ، وهو الوريث الوحيد للغطريفـى . ويوافـق شـعبان بشـرط أن يـأخذ نصـف الـثروة . عندئذ يتم القبض على شعبان بصفته فريد ، ويفشل فى إقناع رجال الشرطة بحقيقـة شخصيته ، إذ أنه تخلص من كل الأوراق التى تثبت شخصيته. فلا يجد مناصاً مـن أن يهرب فى حين تشير عليه خطيبتـه أن يدعـى الجنـون ويدخـل المستشـفى . لكـن عندما يتوصل عبد الجواد وناريمان إلى الحقيبة التى تحتوى على نصيب شعبان فى الصفقة ، يتم القبض عليهما ويعترفان بالحقيقة .

فى عام ١٩٨٠ أيضا قدم محمد عبد العزيز فيلم " غاوى مشاكل " الذى تترك فيه عزة المنزل بعد أن تضيق بحياتها مع أمها وزوجها المعلم محمود ، ثم تتعـرف على مدحت الموظف البسيط الذى يعرض عليها الزواج فترفض ، فهـى تطمـع فـى زوج ثرى . وقبل أن تموت الأرملة المريضة ماجدة جـارة مدحـت ، توصـى عـزة بتسليم طفلها لحماتها الثرية صفية ، التى تظن عند مقابلة عزة أنهـا مـاجدة التـى لـم

ترها من قبل لعدم موافقتها على زواجها من ابنها للفارق الاجتماعى بينهما. تستغل عزة الفرصة وتنتحل شخصية ماجدة لتحقيق طموحها فى الثراء ضاربة بنصيحة مدحت لها عرض الحائط . وبمرور الوقت يستيقظ ضمير عزة وتعترف لصفية بالحقيقة وترحل عائدة إلى مدحت وتتزوجه .!

فى عام ١٩٨٤ قدم أحمد السبعاوى فيلم " نعيمة فاكهة محرمة " الذى تتقابل فيه نعيمة مع الأرملة المريضة ليلى التى تطلب منها قبل أن تموت أن تسافر بطفلها الرضيع إلى الإسكندرية لتسلمه لحماتها التى لم ترها لاعتراضها على زواجها من ابنها . وتعتقد الحماة أنها ليلى وترحب بها بعد أن يستيقظ ضميرها ، وتستغل نعيمة الفرصة فتنتحل شخصية ليلى ، وتعجب بالابن الآخر محمود الذى يعرض عليها الزواج . لكن ضميرها يستيقظ وتعترف بشخصيتها الحقيقية ، وتطلب منه أن يتركها للفارق الاجتماعى الكبير بينهما ، لكنه يتمسك بها ويأمل أن يلتئم شملهما .

فى عام ١٩٨٦ قدم أحمد فؤاد فيلم " الحدق يفهم " الذى يحتاج فيه أهالى كفر نور المعونة ، فيذهب الشيخ عاشور لإحضارها من كفر مجاور. ويحدث أن يتقابل مع المطارد جابر الذى يعلم بمهمته فيتمكن من تعطيله ، وينتحل شخصيته بنية السرقة . ويتبارك به الأهالى عندما يتصادف إصلاح بعض الأمور على يديه ، كما ينجح فى إقناع الغازية ورد أن تتوب عن الرقص فيثور عليها أخوها سعد ويصيبها برصاصة يستخرجها جابر الذى يشعر مع الأيام أن شيئاً داخله يتغير ، فيقرر الإقلاع عن الإجرام ، لكن الطبيب يبوح للعمدة أن طريقة استخراج الرصاص لا يقوم بها سوى المطاريد ويشكون بالفعل فى جابر ، ويصطحبونه ليؤم بهم صلاة الجمعة ، فتكون خطبته عن المطارد جابر وظروف حياته التى اضطرته للإجرام ، ونيته الصادقة للتوبة .

وفى عامين متتاليين ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ أخرج ناجى أنجلو فيلمين: " لقاء فى شهر العسل " ، و " الأب الشرعى" ، مما يدل على أن السينما المصرية لن تبرأ فى

المدى القريب من حمى الانتحال والتنكر والشـبه . ففـى الفيلـم الأول يسـافر رءوف مع زوجته منى إلى الإسماعيلية . ويحـدث أن يسـتغل نـادر وجـود شـبه كبـير بيـن زوجته وبين منى ، إذ أن نادر يخطط لقتل زوجته ليرث بوليصـة التـأمين الخاصـة بها . ويتصل برؤوف ويخبره بخيانة زوجته ويعطيه رقـم حجرتـه بـالفندق ، فيقـوم رءوف بخنقها ويسلم نفسـه للشـرطة !! (بهـذه السـذاجة التـى تصـل إلـى حـد الغبـاء والتخلف العقلى !!) يصل نادر ليفاجأ بزوجته التى تسترد وعيها فيقتلها !! ثم يفاجـأ رءوف بمنى التى لم تمت !! ويساور ضـابط المباحث الشـك فـى نـادر ويطلـب مـن منى أن تدخل المشرحة ، ويستدعى نادر للتأكد من جثة زوجتـه ويتركونـه بمفـرده. فيفاجأ بها ما تزال على قيد الحياة ، ويهم بقتلها لكنه يفاجأ برجال الشرطة !!!

نجد نفس الافتعال والتلفيق والسطحية فى فيلم " الأب الشـرعى " الـذى تفاجـأ فيه شريفة بمطلقها يوسف الذى تنتهـى مـدة عقوبتـه بالسـجن فـى قضيـة مخـدرات. وتلاحظ تغيراً فى بعض سلوكه فتشك فيه. فتذهب إلى السـجن للتـأكد مـن حقيقتـه ، وتفاجـأ بوجـود يوسـف الـذى تدهـورت صحتـه تمامـاً . تكتشـف أن الرجـل الآخـر نصاب ، واستغل الشبه الكبير بينه وبين يوسف زميله فى السـجن وكـان يطمـع فـى حياة كريمة !

فـى عـام ١٩٨٩ كتـب مدحت السباعى وأخـرج فيلـم " إحنـا اللـى سـرقنا الحرامية " الذى يكتشف فيه كمال الذى يعمل فـى شـركة رشـدى عمليـات تزويـر ، يقوم بها المدير عباس وابن أخيه عادل. ويفاجأ كمال بوجود شخص يشبهه تمامـاً ، ويحثه على ترك مثاليته ، ويعده بـأن يسـانده ، فـى حيـن يعجـب كمـال بنيفيـن ابنـة رشدى لكنها مرتبطة بعادل . عندئذ يتمكن الشخص الشـبيه مـن سـرقة أوراق تديـن عباس وعادل ويسلمها لرشدى . وتعجب نيفين بشخصية كمال التى هـى فـى حقيقـة الأمر شخصية الشبيه ، وتوافق على الـزواج منـه ، وينسـحب الشـخص الآخـر مـن حياتها ، ليتزوجها كمال ويعده بـأن يكـون بجانبـه دائمـاً ، وكـأن الشـبيه هنـا يمثـل صراع الضمير وانتصاره داخل كمال !

فى التسعينيات انحسرت أفلام الانتحال والتنكر والتشابه ليس لأن السينمائيين أدركوا أنها استهلكت تماماً وأصبحت مثيرة للملل نتيجة لإلحاحها وتكرارها الممج بطول مسيرة السينما المصرية منذ العشرينيات ، ولكن لأن الإنتاج السينمائى نفسه انحسر وتقلص نتيجة لعوامل كثيرة منها تقلص دور العرض السينمائى ، والضغوط التى يمارسها الموزعون العرب ، وإلغاء القطاع العام ، وتدهور الاستوديوهات ، وغير ذلك من الأسباب التى أدت إلى أزمة السينما التى أصبحت على لسان كل المهتمين بها والعاشقين لها .

ومع ذلك يمكن الاستشهاد ببعض أفلام الانتحال والتنكر والتشابه ، والتى تثبت أن هذه الحيل لم تلفظ أنفاسها الأخيرة بعد ، ففى فيلم "آه وآه من شربات" ١٩٩٢ لمحمد عبد العزيز ، تشرع نهى فى الاستعداد لزواجها من أشرف والسفر معه . وفى ليلة زفافها يتم القبض عليها بتهمة سرقة !! يذهل أبوها اللواء السابق ، لكن رجال الشرطة يؤكدون له أنها شديدة الشبه بالمتهمة !! (وكأنه ليست هناك أدلة أو مستندات غير الشبه) عندئذ يتذكر الأب أنه فى الماضى قامت إحدى العصابات بخطف سها توأم نهى للضغط عليه ليتنازل عن قضيتهم لكنه يرفض! (تلك المثالية الفجة المسطحة التى أغرمت بها السينما المصرية !!) وطبقاً للتوليفة المشهورة والمعتادة ، يتم إلحاق الطفلة بالسيدة كواكب التى تدير وكراً للنشالين ، وقد تحول اسمها إلى شربات. ويسرع الأب إلى ابنته الضالة ويصرح لها بشخصيتها الحقيقية . ويتم القبض على كواكب. يتوصل أحد أفراد العصابة وهو خطيب شربات إلى مكانها لكنها ترفض الذهاب معه ، فيخطف نهى للضغط على شربات لتعود. ويحدث أن تعود شربات لخطيبها بعد أن تسرق مجوهرات شقيقتها وتسعى كواكب إلى إتمام زواج شربات ، ويبلغ والدها الشرطة. ويتم القبض على العصابة ، ويتولى والد شربات توكيل محام كى يصدر الحكم ببراءتها .

وفى نفس العـام (١٩٩٢) أخـرج أحمـد السـبعاوى فيلـم "هـارب مـن التجنيـد" الذى تعيش فيه سوزى وصية على ابن أخيها ماجد المصاب بالجنون والذى يهـرب مـن المستشـفى فـى نفس الوقت الـذى يهـرب فيـه محمدين مـن وحدتـه العسـكرية ويستقلان نفس السيارة !!! (هل هناك صدف ملفقة أكثر من ذلك ؟!) يقـع للسـيارة حادث فيلقى ماجد مصرعه !! وتستغل سـوزى الشـبه الكبـير بيـن محمديـن ومـاجد فتورطه لينتحل شخصية ماجد حتى تستمر وصايتها لأنها كانت تبتز أموال مـاجد . لكن محمدين يضيق بتصرفه فيبلغ الشرطة ويثبت أنه محمدين !

فى عام ١٩٩٣ أخرج أحمد السبعاوى فيلـم "أقوى الرجـال" الـذى يعمـل فيـه زكى محصلاً بهيئة النقل العام . ويطلب منه صاحب البيت إخلاء الشقة. ويتصـادف فى الوقت نفسه أن تسعى أجهزة الأمـن للقبـض علـى الوحـش ، وهـو مجـرم يشـبه زكى تماماً !! لكنهم يقبضون على زكى بسبب هذا الشبه ولا يفرج عنـه إلا بعد أن يثبت شخصيته الحقيقية . لكن حياته تصبح جحيماً لأن الكل يهربون منه ظنـاً منهـم أنه الوحش مما يؤثر فى سلوكه بالفعل . ويتحول إلى وحش مفترس خاصـة عندمـا يحاول صـاحب البيت اغتصاب زوجتـه . ثـم يذهـب لمقابلـة الوحـش الحقيقـى الـذى تدور بينه وبين أجهزة الأمن معركة يموت فيها زكى لصعوبـة التفريـق بينـه وبيـن الوحش !!!

وهناك أفلام أخرى تلعب نفس اللعبة ، وإن كانت عناوينها تدل على مستواها الفكرى والفنـى مثـل " خللـى بـالك مـن عـزوز " لنـاصر حسـين ، و" الراقصـة والحانوتى " لنجدى حافظ ، و" فتحية والمرسيدس " لسعيد محمد وغيرها من الأفلام التى وجدت فى حيل الانتحال والتنكر والتقمـص والتشـابه كنزاً لا يفنـى . لكنـه إذا كان كنزاً ظلت السينما تنهـل منـه لمـدة تنـاهز ثلاثـة أربـاع القـرن ، فقد آن الأوان ليدرك الكتاب السينمائيون أن هـذا الكنز أصابـه الصـدأ ، ولـم يعـد عملـة رائجـة ، والتعامل بها لا يعنى سوى خداع الجماهير والاستهانة بعقلها . ذلك أن لغـة السـينما

لغة غنية وخصبة وحافلة بحيل وأساليب وأشكال فنية لا يمكن حصرها ، خاصة عندما تجسد القضايا الملحة والمصيرية للمجتمع المعاصر الذى لا يلجأ إلى الانتحال أو التنكر إلا فى دوائر المباحث أو المخابرات أو الجاسوسية أو العصابات الدولية ، أما الناس فى حياتهم اليومية فلديهم اهتمامات أخرى لا يمكن تهميشها بالأسلوب الذى لجأت إليه السينما المصرية ، فكانت النتيجة أن المجتمع نفسه قام بتهميشها وجعلها مجرد أداة للفرجة والتسلية ، وليست للتفاعل والتطوير والتجديد والانطلاق إلى آفاق جديدة .



نســـــاء الليـــل   سنة ١٩٧٣



امـرأة قتلها الحب   سنة ١٩٧٨



جـنون الحـب   إخـراج / نـادر جـلال   سنة ١٩٧٧



جـنون الحـب   إخـراج / نـادر جـلال   سنة ١٩٧٧



الرصاصة لا تزال فى جيبى   سنة ١٩٧٤ م



عيـــون لا تنـــام   سنة ١٩٨١ م

الفصل الثالث

الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً

كان الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً والابن غير الشرعي من العناصر النمطية والتوابل الميلودرامية التي أغرم بها الكتاب السينمائيون برغم أنها لم تكن تشكل ظاهرة في المجتمع المصري ، بل كانت نتيجة لتأثرهم بالسينما الأمريكية ؛بالإضافة إلى أن الشرف في مجال الحياة الجنسية ، موضوع حساس وشائك ومثير بل ومأسوي ولا يمكن إصلاحه أحياناً إلا بإهدار الدم ، ولذلك صال وجال في السينما المصرية ، في حين انحسر مضمونه في السينما الأمريكية في موضوع الاغتصاب بصفته انتهاك الكيان الإنساني ضد إرادة صاحبه .

وقد بدأ هذا العنصر النمطي في إثبات وجوده منذ بداية السينما المصرية عندما أخرج وداد عرفي وستيفان روستي فيلم " ليلى " ١٩٢٧ ، الذي تتعرض فيه ليلى لأحد أشرار الصحراء وهو سالم الذي يحاول اغتصابها لكن أحمد ينقذها . ثم تتم خطبتها إليه وتتورط معه تماماً . وتعجب السائحة أليس بأحمد الذي عمل مرشداً لها ، فيغرم بها لدرجة أنه ينسى ليلى التي بدأ الجنين يتحرك في أحشائها . تنبذها البلدة فتخرج هائمة في الليل ، وتكاد سيارة أن تقضي عليها ، ولم يكن صاحب السيارة سوى رءوف الذي أحبها قبل أحمد الذي كان قد ملك عليها لبها . يحملها رءوف إلى منزله حيث تضع طفلها وتودعه بين يديه وأخته لتفيض روحها لبارئها!

وفى العام التالى (١٩٢٨) أخرج إبراهيم لاما " فاجعة فوق الهرم " الذى تحدث فيه محاولة من سليم للاعتداء على منيرة فى عزبته ، لكنها محاولة لا تتم إذ سرعان ما يصل سعيد وينقذها ، وبالتالى لا تترتب عليها أية نتائج .

فى عام ١٩٣٩ كتب توجو مزراحى وأخرج فيلم " ليلة مطيرة " الذى يتقدم فيه شاب آفاق للزواج من الفتاة المثقفة سنية ، لكن أباها يرفض ، فينصب الشاب شباكه حولها حتى تقع فيها وتتورط معه عندما يسلبها شرفها . يكتشف الأب ذلك فيبحث عن شاب يقبل أن ينقذ سمعته ، أى حل يجمع بين الحرج المصرى والمرونة الأوربية . ويجد ضالته فى شاب فقير ، يقبل الفكرة من أجل علاج أمه . ومع ذلك تعامله سنية باحتقار وتهمل شئونه ، لكنه بالإرادة والتصميم يبدأ حياته بنجاح كبير . ثم يعود الشاب الآفاق لمطاردتها من أجل الحصول على المال . وعندما تطلب الزوجة الطلاق ، يقبل زوجها ، لكنها تؤجل طلاقها لوقوع أبيها فى كارثة مالية ، ولشهامة زوجها فإنه يساندها بحيث تعود الحياة إلى طبيعتها بينهما ، ويموت الشاب الأفاق فى النهاية .

فى عام ١٩٤٢ أخرج هنرى بركات فيلم " الشديد " الذى تقع فيه سهير فى حب حسين صديق محمد شقيق صديقتها . وبرغم الحب بينهما فإنهما لم يتزوجا بل تتزوج من محمد . ويسافر حسين إلى الإسكندرية هرباً من غرامه الفاشل ، ويندفع فى مضاربات ومراهنات حتى يفلس ولا ينقذه من محنته سوى صديقه محمد . ويتجدد حبهما ويتورطان وتحمل منه ثم تلد طفلتها سعاد . وعندما يكتشف محمد خيانة صديقه وزوجته ، فإنه لا يلجأ إلى الحل النمطى الشرقى " القتل أو الطلاق " وإنما يسلك كالأوربيين فى الأربعينيات ويكتفى بأن يمتلئ قلبه حسرة وندماً ، أما العشيق حسين فيهيم على وجهه بائساً شريداً !!

فى عام ١٩٤٥ يعود هنرى بركات إلى هذه التيمة التى ستصبح نمطية بعد ذلك ، فى فيلم " هذا جناه أبى " الذى كتب قصته يوسف جوهر . تدور أحداث الفيلم

فى طنطا عام ١٩٢٥ حين يرشح أحد المحامين نفسه فى الانتخابات . ويتعرف على فتاة ريفية ، تتورط معه وتطالبه بالزواج ، لكنه يرفض لمكانته الاجتماعية ، ويعدها بأن يتكفل بطفلتها . تضع المرأة طفلتها سميحة وتموت . وبعد مرور سنوات يصبح ذا شهرة فى حين تعمل سميحة فى مشغل لإعالة أسرتها . وتقع فى حب سمير بك ابن أحد الباشاوات والذى يقرر أبوه تزويجه من ابنة شريكه . ويعتدى سمير على سميحة ، وعندما يعلم الأب بهذه العلاقة يرسل ابنه إلى الشام ، فتضطر إلى رفع قضية عليه للحصول على حقها . ويستعين الباشا بصديقه المحامى الكبير الذى يفاجأ بأن سميحة هى ابنته التى تخلى عنها منذ حملت أمها بها، فيعترف بأبوته لها ويأخذ حقها من الباشا ومن سمير الذى يعده بالزواج منها !

فى عام ١٩٤٥ أيضاً أخرج جمال مدكور فيلم " الحياة كفاح " الذى يبلور النتائج المأسوية للحمل سفاحاً . ففيه يتعرف الشاب الثرى بممرضة ويتزوجان ، لكن أباه يطردها من المنزل ، فيضطر إلى أن يعيش معها حياة بائسة . وتضحى الزوجة بنفسها وتجعل زوجها يعتقد أنها لا تحبه حتى يطلقها ويعود لأسرته . وتفتح محلاً للملابس حيث تقابل فتاة لعوباً فى حكم المخطوبة لزوجها السابق ، وقد حملت سفاحاً من آخر . وحين عرف أبوها بذلك قتل عشيقها وانتحر !! وتعترف لخطيبها بأمر ابنها ، إلا أنه يكتشف تضحية مطلقته من أجله فيعيدها إلى عصمته .

أما عام ١٩٤٦فقد شهد أكبر قدر ممكن من أفلام الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً والأبناء غير الشرعيين : " يد الله " و " شمعة تحترق " ليوسف وهبى ، و " دنيا " لمحمد كريم ، و " سر أبى " لولى الدين سامح ، و " سلوى " لعبد العليم خطاب ، و " عواصف " لعبد الفتاح حسن ، و " الخطيئة " لإبراهيم عمارة .

فى فيلم " يد الله " يتزوج الابن الأكبر لأسرة صعيدية محافظة من زينات الفتاة العصرية المستهترة التى تنجح فى إيقاع محروس الابن الثانى للأسرة فى

شباكها ، ويتورطان فى علاقة تجعلها تخطط للتخلص من زوجها حتى تتزوج من عشيقها محروس . تنتهز فرصة مرضه وتضاعف له مقدار الدواء ويموت بالفعل . يفيق الأخ على وفاة أخيه ، فيقرر الانتقام لشرف الأسرة من الزوجة العابثة . ومثل معظم أفلام يوسف وهبى التى ألفها وأخرجها ، ينتهى الفيلم بنفس اللمسات الميلودرامية عندما يكتشف الأخ جريمتها فيصل الأمر بها إلى الجنون ، ويسارع هو إلى الانتحار .

فى فيلم " شمعة تحترق "تفشل محاولة سميرة للانتحار بعد أن تخلى عنها حبيبها الذى غرر بها . تعترف لأمها وتعتزل الناس . ويحدث أن يتعرف حمدى على الأسرة ، وهو أرمل وله ابنة وحيدة تنشأ بينها وبين سميرة صداقة وطيدة . يتقدم حمدى لخطبة سميرة ، وفى ليلة الزفاف تعترف له بالحقيقة . وتشاء الصدف أن يتقدم الشاب الذى غرر بها لخطبة ابنة حمدى . عندئذ تحاول سميرة إنقاذ الابنة منه فتطلق عليه الرصاص ، لكن يتضح أنه لم يمت نتيجة هذه الطلقة بل من طلقة أطلقتها عشيقته التى هجرها !! يدرك حمدى مدى تضحية سميرة فيصفح عنها ويعاملها معاملة طيبة .

فى فيلم " دنيا " تسجن فتاة خمس سنوات لقتل وليدها الذى وضعته من شاب يغرر بها ثم يهجرها . تخرج من السجن وهى مصممة على الانتقام من الشاب . تلتقى به وتكتم عنه سر سجنها . وتفاجأ بقبوله الزواج منها مما يجعلها تعيش فى صراع ما بين حبها ورغبتها فى الانتقام منه . تحاول أن تنسى الماضى بعد أن أدركت حبه الجارف لها ، لكن هناك من يكشف لأم الشاب عن ماضى الفتاة فتضيق بزواجهما . وعندما ترى الفتاة أنها ستكون سبباً فى نكبة كبيرة يمكن أن تلحق بالأسرة ، تضحى بحبها وتنتحر من أجل أسرة شاب سبق أن غرر بها وتسبب فى كل النكبات التى لحقت بها !!!

فى فيلم " سر أبى " يترتب على الاغتصاب أيضاً كل النكبات التى تلحق

بالشخصيات ، وكأن بذرة الدنس لابد أن تثمر ثمارها المريرة المأسوية ، لكنها لا تصل فى معظم الأحيان إلى النهايات التراجيدية التى تقضى بالموت على الشخصيات ، ذلك أن النهاية السعيدة خير بلسم لجراح الماضى ومآسيه !! فى هذا الفيلم يسافر الشاب الصغير فؤاد ابن عادل باشا إلى الخارج . ويقتل عطية ناظر العزبة ، وتستنجد زوجته أمينة بالباشا لحمايتها من أهل زوجها المقتول والذين يرشحون لها زوجاً سيئ السمعة . ويطمع فيها الباشا ويعتدى عليها بالفعل ، وعندما تخبره أنها حامل يطردها . وتشاء الصدف أن تضع مولودتها نهاد فى نفس اليوم الذى تلد فيه منيرة زوجة سكرتير الباشا وليدها محروس . وعندما يقرر الباشا الزواج من أمينة ، فإنها تموت !! وعندما يربط الحب بين فؤاد ونهاد ، يعيش الأب فى حيرة أمام هذه العلاقة . وبالفعل يقرر فؤاد الزواج من نهاد ، لكن الأب يرفض بحجة الفارق الاجتماعى . وعندما يصر فؤاد ، يضطر أبوه للاعتراف بحقيقة علاقتهما . عندئذ تعترف منيرة بأنها أبدلت نهاد وهى رضيعة بمحروس ابن أمينة لأن زوجها كان يريد ولداً ، وبذلك يتم زواج فؤاد من نهاد !!

فى فيلم " سلوى " لعبد العليم خطاب ، يظن أب أن طفلته جاءت عن طريق غير شرعى ، فيتركها لعابر سبيل وتنقطع الصلة بينهما . وعندما يتضح له أنه كان مخطئاً فى ظنه ، يبحث عن الطفلة ولكن دون جدوى . تكبر الطفلة فى منزل ذلك العابر الذى يعمل رئيس عصابة نشل ، ويعلمها السرقة . تمر الأيام ويستطيع الأب أن يستدل على مكانها ويعود بها إلى أسرتها .

فى فيلم " عواصف " تكتشف زوجة محام كبير أن لها أخاً غير شرعى فتمده وتساعده بالمال ! (وكأن الأخ غير الشرعى لا يستطيع أن يعمل ويكسب ويعتمد على نفسه !!) المهم أن امرأة كانت تطمع فى الزواج من زوجها ، تشرع فى الكيد لها ؛ فتبوح للمحامى بأن هذا الشاب عشيق لزوجته . وبالفعل يطلقها حين يراها معه كما يطردها أبوها . وتذهب لتعيش مع أخيها . وعندما تعلم الأم بما حدث ،

تعمل على تبرئة ابنتها ، وتضحى بنفسها من أجلها ، فتخبر زوجها بحقيقة ابنها ، وتؤكد لزوج ابنتها براءتها ، وتعود الحياة مرة أخرى بين الزوجين .

فى فيلم " الخطيئة " ترفض الفتاة - هذه المرة - الزواج من الشاب الذى تورطت معه بل وحملت منه . وهو سلوك غير مصرى على الإطلاق . ذلك أن أمينة تحب الموسيقى الفقير عادل ، وتتورط معه لكنها ترفض الزواج منه . يكتشف الدكتور خليل الحمل فتكون فرصة لابتزاز المال من جدة أمينة ، ويفشى السر لشكرى بك ، ويتفقان على ابتزاز الجدة . تأمر الجدة خفير الفيلا بقتل الرضيع إلا أنه يأخذه إلى منزله . ويدخل شكرى وخليل الفيلا ويسرقان ما بها من مال ثم يحرقان الفيلا . لكن شكرى يخون شريكه ويغلق عليه باب الغرفة إلا أنه يتمكن من الخروج ويطلق الرصاص على شكرى . وكالعادة يعترف شكرى بالمؤامرة مع خليل قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة . وبعد كل هذه الكوارث الميلودرامية ، يلتئم شمل أسرة عادل ، هو وأمينة وطفلهما فى حياة مستقرة !!

كذلك شهد عام ١٩٤٧ أربعة أفلام من هذه النوعية : " ضربة القدر " ليوسف وهبى ، و " غدر وعذاب " لحسين صدقى ، و " ثمرة الجريمة " للسيد زيادة ، و " وأبو حلموس " لإبراهيم حلمى ، وإن كان الفيلم الأخير قد تناول تيمة الابن السفاح بأسلوب كوميدى لا يقدر عليه سوى بديع خيرى ونجيب الريحانى .

فى فيلم " ضربة القدر " تتجلى مأساة فتاة تورطت مع شخص كانت تحبه ، فتضطر إلى الهرب بعد أن تخلى عنها لتعمل مربية لطفلة رجل أرمل يتزوجها دون أن يعلم شيئاً عن ماضيها . ويتصادف أن يعود شقيق الزوج فتفاجأ بأنه الرجل الذى غرر بها وتخلى عنها !! (وكأنها لا تعرف شيئاً عن أشقاء زوجها !!) وإذ به يواصل سفالته ويبتز أموالها فى مقابل عدم إفشاء سرها ، كما يسرق أوراقاً خاصة بالزوجة الأولى لشقيقه الذى يدرك أخيراً شخصيته الشريرة . أما الزوج فكان يعلم كل شىء عن زوجته ويسامحها وتعود الحياة بينهما !

فى فيلم " غدر وعذاب " يعانى أشرف الكهل من وقوع ابنته فى حب شاب كاد أن يغرر بها ، فيمنعها من مقابلته ، فيلجأ إلى معاكستها بالتليفون فتصده . لكنه يواصل حملته ويخبرها بحقيقة أمها الخائنة ، فتستفسر من أبيها عن الحقيقة ، فيخبرها أنه تعرف على أمها وفاء وهى تغنى فى كباريه !! وتزوجها دون علم أسرته ، ودون أن يعلم أنها من أسرة كبيرة وأن شاباً غرر بها . تمر السنوات وتفاجأ بأن الشاب الذى غرر بها هو شقيق زوجها أشرف ، الذى كان يتلقى علومه فى الخارج . تحاول أن تعترف لزوجها بالحقيقة ، فى حين يطاردها الشاب ويطلب منها أن يعيدا علاقتهما . وعندما تقابله يفاجئهما أشرف فيطلقها . عندئذ تنتقم وفاء من الشاب فتقتله ، ويتم القبض عليها . وليس من الصعب رصد التشابه الواضح بين هذه القصة وقصة فيلم " ضربة القدر " التى كتبها يوسف وهبى ، مع ملاحظة أن الفيلمين عرضا فى عام واحد .

فى فيلم " ثمرة الحرية " كانت البطلة ثمرة لخطيئة أمها مع رجل مستهتر من رجال الأعمال . تتعرف على ابن الجيران الذى يحبها لكنه يعدل عن الزواج بها بعد أن يكتشف حقيقتها . تعمل عاملة شباك فى سينما وتتعرض لمغازلة صاحبها . وعندما تترك عملها ، تقع فى براثن صاحب كباريه . ثم تتعرف بأحد أثرياء الحرب والذى يقدم لها الكثير من ثروته طمعاً فيها . وتخفى الفتاة عن أمها حقيقة عملها . وتشاء الصدفة أن تعرف الأم عمل بنتها . ثم تمرض الأم فتضطر إلى الاستدانة من أجل علاجها ، ويبحث الجار عنها حتى يجدها ، ويتعرف عمه على أمها فيتضح له أنها الفتاة التى اغتصبها فى الماضى ، فيصلح خطأه ويتزوجها فى حين تتزوج الفتاة من الشاب الذى أحبها بإخلاص !!

فى فيلم " أبو حلموس " يصبح ابن السفاح سلاحاً مطلوباً فى أيدى الشخصيات كى تستخدمه فى تحقيق أغراضها دون أية مشاعر مأسوية أو حساسيات شائكة ، بل إنه يتحول إلى لعبة مسلية ومثيرة ومحرجة لهم . فالموظف

الجديد بإحدى الدوائر له دراية بالحسابات وألاعيبها ، بحيث يكتشف تلاعب ناظر الوقف فيها لصالحه الشخصى . يقع الموظف فى حب ابنة ناظر الوقف ، فى حين تدعى إحدى الراقصات على ابن ناظر الوقف أن لها ابناً من علاقة معه ، لكنها لا تبادله الحب لأنها على علاقة بآخر !! تترك له الطفل الذى تجد فيه ابنة ناظر الوقف فرصة لكى يوافق أبوها على الزواج من الموظف الجديد بعد أن تدعى أن الطفل هو ابنها من علاقة مع الموظف الجديد ، ويوافق الأب مضطراً . وتمر الأيام ويكسب الموظف الجديد ورقة يانصيب ، فتتبدل عواطف الأسرة نحوه بعد أن استنكروا زواجه من ابنتهم فى البداية .

فى عام ١٩٤٨ قدم عبد الفتاح حسن فيلم " نرجس " الذى كتبه وأخرجه ، وصور فيه حياة فتاة لقيطة تنشأ فى بيت لرجل متوسط الحال ، وتحب شاباً متواضعاً مثلها . لكن تشاء الظروف أن يتعرف عليها أبواها الثريان ، ويعرضان عليها الزواج من شاب ثرى من طبقتهم إلا أنها ترفض وتتزوج من الشاب الذى أحبها لنفسها .

فى عام ١٩٤٩ قدم يوسف وهبى فيلم " بيومى أفندى " الذى صور فيه شخصية بيومى الساعاتى الذى يرث مهنته أباً عن جد ، ويبرع فيها كما يشتهر بأخلاقه الطيبة . ويحدث أن يحب زبيدة الخادمة ويتزوجها بالفعل . تلد له ابناً بعد سبعة أشهر ، ويدرك أن هذا الابن ليس من صلبه لكنه يكتم السر ويتصرف بأسلوب أوربى لا يتأتى لساعاتى !! ثم ينجبان طفلة . وتمر السنوات ويخطب الابن ابنة أحد الباشاوات الذى يوافق على زواجها من ابن ساعاتى !! فى حين تحب الابنة طبيبها الذى يتضح أنه ابن غير شرعى أيضاً . ويثور الجميع ضد هذا الزواج إلا أن بيومى يضطر إلى إفشاء السر حتى ينتزع ابنته من هذه المشكلة . وفى النهاية يتم زواج ابنة بيومى بالدكتور والابن من ابنة الباشا !!

وبحلول عقد الخمسينيات يتضاعف عدد أفلام الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً والأبناء غير الشرعيين ، إذ يبدأ العقد بفيلم " المظلومة " لمحمد عبد الجواد ، والذى يصور حياة هند الفتاة التى يغويها سيدها شوقى ، فتستسلم له وتحمل منه وعندما تطالبه بالزواج يتنكر لها . وفى ليلة زفافها تهرب مع آخر حتى لا ينكشف عارها لأسرتها ، وتلجأ لإحدى صديقاتها التى يتبنى زوجها ابنها الرضيع كمال الذى يشب وهو يعتقد أن هند خالته . وعندما يحب زميلته سامية ، تتكشف حقيقته لكن والد حبيبته يقدر ظروفه ويوافق على زواجه منها .

أما عام ١٩٥١ فقد شهد ثلاثة أفلام من هذه النوعية : " ابن النيل " ليوسف شاهين ، و " ليلة الحنة " لأنور وجدى ، و ليلة غرام " لأحمد بدرخان . ففى الفيلم الأول يجد حمدان الشاب الريفى نفسه مرغماً على الزواج من زبيدة القروية التى يستغل سذاجتها ويسلبها شرفها . وبرغم حبه لها ، فإنه دائم التذمر من الحياة الريفية التى يحياها ، وكله أمل أن يرحل إلى القاهرة . وبالفعل يغادر قريته إليها بعد أن يعتقد أن زوجته توفيت أثناء الولادة . وفى القاهرة تتلقفه عصابة لتجارة المخدرات لكنه لا يعلم حقيقة أمرهم إلا بعد أن يتورط معهم ، ويحكم عليه بالسجن . يتوب ويعود إلى قريته ليجد زوجته على قيد الحياة وأنها أنجبت ابناً .

فى فيلم " ليلة الحنة " تحب فتاة بسيطة ابنة تومرجى فى أحد المستشفيات ، شاباً ثرياً ، يعتدى عليها ويتخلى عنها برغم أنها حامل منه ، وتعمل مطربة لتتكفل بحياتها وحياة طفلها . ويستيقظ ضمير الشاب بعد أن يموت الطفل ، ويطلبها للزواج بشرط أن تترك عملها كمطربة .لكن صاحب الكباريه يجد نفسه فى مأزق إذا تركت العمل لأن ذلك سيقلل من إيراداته ، ولا يجد مناصاً من أن يفشى سر ماضى هذه الفتاة لأسرة الشاب . وبالفعل يرفض أبوه إتمام هذا الزواج ، لكن الشاب يفكر فى حيلة تدفعه إلى تهديد أبيه بالانتحار ، فيشعر بالندم ويبارك زواجه من الفتاة التى يحبها .

فى فيلم " ليلة غرام " المأخوذ عن قصة " لقيطة " لمحمد عبد الحليم عبد الله ، تدخل ليلى الملجأ برعاية المرضعة زينب التى تموت بعد حين . وتتفوق ليلى فى دراستها ، وتعمل لدى طبيب كبير فى مستشفاه بالقاهرة . ويحدث أن تتعرف على كوكب ابنة مرضعتها زينب . ثم تتعرض ليلى لغيرة زوجة الطبيب الذى يطردها بعد مؤامرة من الممرضات ضدها . تحصل على عمل فى مستشفى بالإسكندرية حيث تنمو علاقة حب بينها وبين الدكتور جلال الذى يقرر الزواج منها ، لكن أهله يكتشفون أنها لقيطة . وتنتهى حياتها بدون أى مبرر درامى إذ تجرح يدها ويتلوث الجرح ويسرى المرض فيها وتموت !!

وقد شهد عام ١٩٥٢ ثلاثة أفلام أيضاً هى : " غلطة أم " لهنرى بركات ، و " على كيفك " لحلمى رفلة ، و " من عرق جبينى " لفيرنتشو . فى الفيلم الأول تظهر فى حياة أب ابنته سعاد التى كانت ثمرة علاقة آثمة له مع أمها ، بعد أن ظن أن النسيان قد ابتلعها . ويخاف على مركزه الأدبى والعائلى فيطردها ويتنكر لها ، فتعمل مغنية فى كباريه يستغل مديره معرفته بحقيقة نسب الفتاة ، فيبتز أموالاً طائلة من الأب الذى يندم فى النهاية ويعترف بأبوته للفتاة ، بل ويقتل مدير الكباريه . كما تعترف لها أمها بتخلى أبيها عنها . وفى النهاية تزول المخاوف التى تهدد حياة الأب ويلتئم شمل الأسرة .

فى فيلم " على كيفك " يتهم شاب ظلماً فى ليلة زفافه بإنجابه ابناً غير شرعى من أخرى ، ويحضر أبو الفتاة ويفضحه أمام عروسه ، ويلزمه بزواجه من ابنته . لكنه يهرب فى حين يظهر الشاب الذى غدر بالفتاة ويتزوجها . تثور العروس وترفض الزواج من الشاب المتهم ، فيحاول اجتذابها إليه باللجوء إلى مستشفى الأمراض العصبية !! والتظاهر بالجنون !! وعندما تعلم العروس بمرضه ، تسرع لزيارته فى المستشفى ، فيتضح لها الحيلة ، لكنها توافق بعد أن تتأكد من براءته !!

فى فيلم " من عرق جبينى " يخرج عواد من السجن ، ويذهب إلى بلدته ، ويطالب شريكه أنيس بنصيبه من الصفقة التى أدت به إلى السجن . يتعرف على عثمان شقيق أنيس ويقابل شقيقته فاطمة التى يقع فى حبها . يعتدى عليها وتحمل منه . أما الأخ الرابع فيحب ابنة متولى البقال . ويسرق أنيس مع عصابته مخزن البقالة ، ويكتشف أهل البلدة جريمته فيطالبوهم بالرحيل فوراً . ويتزوج عواد من فاطمة ، وينكشف أمر أنيس فى تزعمه السرقات المتكررة ، فيعتدى على عواد لكنه فى النهاية ينال جزاءه .

كما شهد عام ١٩٥٣ ثلاثة أفلام أيضاً هى : " دهب " لأنور وجدى ، و " الحب المكروه " لعبد الله بركات ، و " طريق السعادة " لكامل حفناوى .

فى الفيلم الأول تولد طفلة سفاحاً من أم فقيرة تموت ويأمر الأب منير بالتخلص من الطفلة ، وذلك بأن تلقى ابنة أخيه دهب بالطفلة فى النيل ، لكنها تتركها فى الطريق لعل أحداً يعطف عليها . وبالفعل يعثر عليها ألفونسو وهو فنان متشرد ويتعرف على دهب قبل أن تنصرف . يكتشف فيها مواهب فنية فيدربها ويقوم برعايتها ، ويخرجان معاً طلباً للرزق . يعملان فى أحد المسارح حيث تغنى وترقص ، وتتحسن أحوالهما المادية . وفى لقاء ثان بدهب تبوح لألفونسو بحقيقة الطفلة التى هى ابنة منير الذى اعتدى على أمها الخادمة وتخلى عنها ، ثم تدل عمها عن مكانها . يخسر منير كل أمواله فى القمار فيسعى إلى ضم الطفلة إليه حتى ينعم بثرائها . ويرفع قضية للضم . لكن القضاء يرى أن ألفونسو هو أحق بحضانتها ، ثم يتزوج من دهب ويعيش الثلاثة معاً .

فى فيلم " الحب المكروه " يعيش رجل على أموال زوجته التى ينفقها على علاقاته النسائية الكثيرة . تستهويه جارته فيوطد صلته بزوجها ، ثم يتردد عليها فى غياب زوجها . وعندما تصده يدفع الراقصة لإيقاع زوجها فى شباكها . وبالفعل يبدد عليها مبلغاً كبيراً . ينتهز الرجل الفرصة ويقوم بسداد الأموال ليكسب ود

الزوجة ، إلا أنها تصر على صده ، فيحاول أن يغتصبها إلا أن زوجته تحضر في الوقت المناسب وتقتله بالفعل .

فى فيلم " طريق السعادة " تتطلع ابنة موظف بسيط إلى الجاه فترفض كل من يتقدم للزواج منها ، إلا أن أباها يرغمها على الزواج من حسين الذى تهرب منه فى ليلة زفافها مع شاب ميسور لكنه يغـرر بهـا ويتركهـا تعـانى بـؤس الحيـاة . وتشـاء الصدف أن تقابله مرة أخرى فيخدعها مرة أخرى ويعدها بالزواج ، فتذهب إليه فـى منزله ، ويحاول اغتصابها لكنها تقاومه بل وتقتله دفاعاً عن نفسـها . عندئـذ يدافـع عنها خطيبها السابق حتى تثبت براءتها ، وتتزوج منه ، وهو الذى سبق أن رفضته وهربت منه .

أمـا عـام ١٩٥٤ فقـد زادت فيـه جرعـة أفـلام الاغتصـاب والتـورط والحمـل سفاحاً ، فأصبحت خمسة أفلام هى : " موعد مـع السـعادة " ، و " رقصـة الـوداع " لعز الدين ذو الفقار ، و " ليلة من عمرى " لعاطف سالم ، و " شرف البنت " لحلمى رفلة ، و " الظلم حرام " لحسن الصيفى .

فـى فيلـم " موعـد مـع السـعادة " تعيـش إحسـان فـى منطقـة البحـيرات مـع أبيهـا الـذى يرعـى مـنزل أحـد الأثريـاء والـذى يحضـر فـى أوقـات متفرقـة لاصطيـاد البـط مـع مجموعـة من أصدقائـه . تحـب إحسـان هـذا الشـاب الـثرى الـذى لـم يشـعر بحبهـا وإن كـان قـد لاحـظ جمالهـا ، ويعتـدى عليهـا وهـو مخمـور تمامـاً . وعندمـا تكتشـف أنهـا حـامل ، تهـرب إلـى القـاهرة وتلـد طفلتهـا، فـى حيـن يسـافر الشـاب إلـى الخـارج لاسـتكمال دراسـته الطبيـة . تعمـل إحسـان ممرضـة فـى أحـد المستشـفيات . وتشـاء الصدفـة أن يعمـل بنفـس المستشـفى نفـس الطبيـب بعـد عودتـه مـن الخـارج ، وتنشـأ بينهمـا علاقـة صداقـة ، لكنهـا تخفـى عنـه مـا حـدث . وعندمـا يتوصـل أهلهـا إلـى مكانهـا ، يحضـرون للقصـاص ، فتعـترف أمـام أبيهـا بالحقيقـة ، ويتزوجهـا الطبيـب .

فى فيلم " رقصة الوداع " يعتدى ابن الأسرة الثرية على الخادمة وتحمل منه . وتسعى الأسرة إلى إخفاء جريمة ابنها ، فتتزوج الخادمة من مجرم ، ويمنح اسمه للطفلة ثمرة الجريمة ، والتى تكبر وتصبح راقصة مشهورة . وتقع فى حب شاب يستطيع بعد ذلك أن يعرف الأب الحقيقى للفتاة التى يحبها ، فيعرف الأب مكان ابنته ويحاول إنقاذها من أبيها المزعوم لكنه يثور عليه ، فى حين تكتشف صاحبة الكباريه أن زوجها يشتهى الفتاة ، وتدفع بأعوانها لإبعاده عن طريقها بحيث تعود فى النهاية إلى أبيها الحقيقى وللشاب الذى يحبها .

فى فيلم " ليلة من عمرى " تعمل فتاة فى حقل عنب ، وتقع فى حب ابن صاحب العزبة ، ويتورطان فى علاقتهما ، لكنه يعتزم الزواج منها فيكتب لها ورقة يقر فيها بخطئه ونيته للزواج منها ، ثم يسافر إلى أوربا للدراسة حيث تطول غيبته . ويكتشف أبوها ما حدث بعد أن تظهر عليها علامات الحمل . فلا يقتلها بل يهربها من البلدة إلى إحدى قريباته لتقيم معها وتلد مولودها ، ثم تعود إلى البلدة لتستفسر عن أخبار حبيبها الذى يعود ويتزوجان .

فى فيلم " شرف البنت " تمنع الممثلة ابنتها الشابة ذات الميول للتمثيل من ممارسة هوايتها . لكن يحدث أن يرى الكاتب المسرحى الكبير أن الابنة هى الممثلة المناسبة لدور البطولة فى مسرحيته بدلاً من أمها . وتشرع الفتاة فى حفظ دورها سراً ، لكن المفاجأة أن الأم كانت تتمرن على نفس الدور الذى انتظرته لتحقق به مجداً ، وعندما تعرف ما كانت ابنتها تخفيه عنها ، تظن أنها تورطت وفقدت شرفها !! (وكأن الشرف هو الثمن المعتاد فى مقابل المجد الفنى !!) وينتهى الفيلم بأن تمثل الفتاة الدور الذى حلمت به دون أن تفقد شرفها !!

فى فيلم " الظلم حرام " تقع هدى ضحية فريد الذى يغرر بها وتحمل منه . ثم يوهمها بحيلة أنها قتلت خادمه !! ويستغل ذلك فى ابتزاز أموالها خاصة بعد زواجها من رجل ثرى . ثم يتزوج شقيقها من هدى ، ويرسل إليها خطابات باسم

هدى ، ويقـع أحدهـا فـى يـد الـزوج الـذى يظـن أن زوجتـه هـدى هـى المقصـودة . يتوصل لمكان فريد ويتشـاجران ، ويطلـق فريـد الرصـاص عليـه فيصيبـه ، ويلقـى فريد مصرعه وهو يحاول الهرب ، ثم يعرف الشقيق الحقيقة !!

فى عام ١٩٥٥ أخرج عـز الديـن ذو الفقـار فيلـم " شـاطئ الذكريـات " الـذى يموت فيه الصياد ويسعى ابنه الفاسد إلى بيع المراكب ، فيشتريها صديق أبيه ، فـى حين يعلن فسخ خطبة ابنته له !! وتسعى الفتاة إلى أخيه بـالتبنى ، وتعـترف لـه أنـه اغتصبها وأنها حامل ، ويرفض الزواج منها . فيتعاطف معها ويتزوجها فتنجب لـه ولداً . يعود الأخ الفاسد لاسترداد فتاته طمعاً فى أموالها ، وعندمـا ترفـض يكتشـف أنها متزوجة من أخيه فيخطف ابنهما !! لكن الحقيقة تكتشف ، وتعـود السـعادة إلـى الزوجين ، ويلقى الأخ الشرير جزاءه على يد عشيقته !

وفى عام ١٩٥٥ أيضاً أخرج حسين صدقى فيلم " قلبى يهـواك " الـذى تجـبر فيه سعاد ابنة التاجر الثرى على أن تخطب لشاب لم تحبه لأنها تحب أحمد الموظف الذى يعمل عند أبيها ، وتـأمل أن تتزوجـه ، لكـن يتضـح أن لـه ولـد مـن مطلقتـه ، فتتزوج من زكى الطامع فى ثروة أبيها . ثم تشاء الصدفة أن تتعرف سـعاد بمطلقـة أحمد التى يعجب بها زكى ويحاول اغتصابها وإغراءهـا بمعاشـرته ، لكـن الصدفـة تتدخل مرة أخرى ويقع لهما حادث أليم يودى بحياتهما ، وفى النهايـة يـتزوج أحمـد من سعاد !

فى عام ١٩٥٦ يخرج عز الدين ذو الفقار فيلم " عيون سهرانة " الذى يربـط فيه الحب بين فاطمة وابن الجيران الطالب فـى السـنة النهائيـة فـى كليـة البوليـس . ويبوح الأب لابنته بسر رهيب وهو أن ابنته الأخرى انتحرت تخلصاً مـن عارهـا ، واعترفت له قبل موتها بمن اعتدى عليهـا . وعندمـا ذهـب إليهـا فوجـئ بـأن هنـاك شخصا آخر سبقه ، وخشى أن يقبض عليه فهرب بفاطمة وغير اسمه ، وعمل فـى الكباريه الذى تمتلكه رجاء ، والتـى يتضـح أنهـا القاتلـة ، وهـذا سـر عطفهـا علـى

صـابر. عندئذ تدرك فاطمة أنها لا يمكن أن ترتبط برجل البوليس الذى يكلف بالقبض على صابر ، لكن ضمير رجاء يستيقظ ، فالتهمة ثابتة على صابر وهى أدرى بشقاء ابنته ، فتعترف بالجريمة ، ويلتئم شمل العائلة وتتزوج فاطمة من الضابط .

وفى عام ١٩٥٦ أيضاً يخرج أحمد بدرخان فيلم " إزاى أنساك " الذى يكتشف فيه المطرب المشهور موهبة مغمورة فى فرقته فيرعاها ويشعر نحوها بالحب ، مما يثير غيرة الفتاة التى كانت تمثل عليه الحب طمعاً فى ثروته . ترسم خطة مع صديقها كى يمثل على المطربة دور العاشق ويوهمها بالزواج . وتنقاد المطربة للصديق ، وتتهرب من المطرب الذى يضطر للبحث عن أخرى تقاسمه الاستعراض ، فى حين يعتدى الشاب عليها وهى مخمورة ، وعندما تستعطفه ليتزوجها يطردها . وتندم على ما فعلته مع المطرب الذى يصفح عنها ويستأنفان حياتهما فى الحب والفن .

أما عام ١٩٥٨ فقد شهد ثلاثة أفلام هى : " قلوب العذارى " لحسن الإمام ، و " الهاربة " لحسن رمزى ، و " توبة " لمحمود ذو الفقار .

فى الفيلم الأول يعجب ابن الباشا بفتاة فقيرة وتتورط فى علاقتها معه ، فى حين تواصل عشيقة الابن ابتزازه . وعندما يحاول أن ينهى علاقته بها ، تنتحر أمامه !! ويقبض عليه بتهمة القتل ، لكن الحقيقة تظهر ، كما تظهر آثار الحمل على الفتاة التى تضع مولودها فى أثناء سفر أبيها الذى يكتشف الحقيقة ويطلب من الباشا أن يتزوج ابنه من ابنته فيرفض .لكن عندما يرى الباشا حفيده ، يبارك الزواج بينهما !!

فى فيلم " الهاربة " يضغط العمدة على ابنته لتتزوج من ابن عمها ، فتهرب إلى القاهرة حيث يأويها طبيب فى منزله ويغرر بها . ثم يسافر إلى ألمانيا فى بعثة لمدة ثلاثة أعوام . (ودائما يحدث السفر بعد التورط والحمل) !! المهم أن صديق

الطبيب يقنعها بالسفر مـع فرقـة غنائيـة تجـوب البـلاد العربيـة لأنهـا تتمتـع بموهبـة الغناء . ويحدث أن يرسل إليها الطبيب خطاباً من الخارج إلا أنه لا يصلها . تضـع مولودها ، وتحقق نجاحا كبيراً . ويعود الطبيب من بعثتـه ويعين وكيـلاً لمستشفى بلدتها التى هربت منها !! تطالبه بالاعتراف بابنه إلا أنه يمـاطل نظـراً لأنـه خطـب فتاة أخرى !! كما يصمم ابن عمها على قتلها عندما يكتشف ما حدث ، لكنه يتراجع ويكتفى بحرمانها من العودة إلى بلدتها !! وينتهى الفيلم بنـدم الطبيب علـى موقفـه منها فينفصل عن خطيبته ويتزوجان !!

فى فيلم " توبة " تعمل وداد ممرضة ، ويطمع فيها أبو المعاطى الذى يوهمها برغبته فى الزواج منها ، فتتورط معه ثم تكتشـف أنهـا حـامل ، لكنـه يتخلـى عنهـا ويطردها ، فتتوارى عن الأنظار حتى تضع طفلتها ، ثم تحترف الغناء (تماماً كمـا حدث فى فيلـم " الهاربـة ") !! وفـى إحدى جـولات الفرقـة تلتقى بثلاثـة أطفـال ، وعندما يعود أبوهم من السفر يعرف مـا بذلتـه وداد مـن أجلهم . ثـم تعـتزل الغنـاء وتصارح أحمد بماضيها وتوبتها ، فيقرر الزواج منها لكن أبا المعـاطى يدبـر خطـة لإزاحته من طريقـه . وبحكم أن أحمد يعمل محصـلاً ، فإنـه يقـوم بسرقـة الإيـراد منـه ، فيتهـم بـالاختلاس . عندئذ تشـك وداد فـى أبـى المعــاطى ، فتوهمـه بحبهـا وتستدرجه للاعتراف بهذه الجريمة على مسمع من رجـال الشرطة الذيـن يقبضـون عليه ، ويتم الإفراج عن أحمد الذى يتزوج من وداد .

ويختـم عـاطف ســالم عقـد الخمسـينيات بفيلمــه الشــهير " إحنــا التلامــذة " ١٩٥٩ الـذى لا يجـد فيــه ثلاثــة مــن الشــبان الجــامعيين الرعايــة الكافيــة مـــن ذويهـم ، وتتجسد مأسـاتهم عندمـا يعتدى أحدهـم علـى خادمتـه التـى تظهـر عليهــا آثـار الحمـل . ولمـا كـانوا فـى حاجـة إلـى نقـود لإتمـام عمليـة الإجهـاض فـإنهم يقدمـون علـى الســرقة والقتـل ، فــى حيـن أن الفتــاة تلقـى حتفهـا عنـد محاولـة إجهاضهـا ، ويتـم تقديمهـم للمحاكمــة .

وبحلول عقد الستينيات يتدفق طوفان أفلام الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً والأبناء غير الشرعيين بلا هوادة وبلا رحمة ، وكأنها ظاهرة عمت المجتمع المصرى كله .. ففى عام ١٩٦٠ وحده عرضت ستة أفلام دفعة واحدة : " نساء وذئاب " لحسام الدين مصطفى ، و " المراهقات " لأحمد ضياء الدين ، و " البنات والصيف " من ثلاث قصص : الأولى من إخراج عز الدين ذو الفقار ، والثالثة من إخراج فطين عبد الوهاب ، ، و " معاً إلى الأبد " لحسن رمزى ، و " العاشقة " للسيد زيادة ، و " أبو أحمد " لحسن رضا .

فى فيلم " نساء وذئاب " تثق مسعدة فى سيدها عادل الذى يوهمها بحبه فتستسلم له ، ثم تكتشف أنها حامل ، لكنه يتخلى عنها فتترك لـه الرضيع ، وتغادر القرية إلى القاهرة . تتقابل مع رجل يجبرها على العمل فى كباريه ، وتبدل اسمها إلى لوليتا . وبعد فترة تصبح صاحبة كباريه ، ويتردد عليها الدكتور محسن ، الذى تكتشف أنه ابن عادل ، مما يتيح لها الفرصة للانتقام من عادل . وتدفع نحسن إلى إدمان الخمر حتى تسوء حالته ، ثم تفاجأ بأن محسن هو ابنها . تسرع للمستشفى ، ولكن بعد فوات الوقت .

فى فيلم " المراهقات " تعيش صفية حياة قاسية مع زوج أمها السكير ، ويحدث أن يعتدى عليها أحمد ابن زوج أمها ، فتتعاطى حقنة لإجهاض نفسها إلا أنها تموت فى لحظة عودة حبيبها أحمد ليتزوجها . وهى قصة مقنعة على المستوى الدرامى لأنها تخضع لحتميات لا يمكن الفكاك منها ، وتشكل تنويعة من ضمن التنويعات الثلاث التى تشكل نسيج الفيلم .

فى فيلم " البنات والصيف " الذى يتكون من ثلاث قصص ، لا ترتبط ببعضها بعضاً إلا برباط الصيف والجنس ، تحتوى القصة الأولى التى أخرجها عز الدين ذو الفقار ، والثالثة التى أخرجها فطين عبد الوهاب على تيمات الاغتصاب والتورط . فى القصة الأولى تظهر امرأة شابة مسلوبة الإرادة ، وزوجة

لرجل لا شخصية له ، ويثق فـي صديقه ثقـة مطلقـة ، ويستسلم لسيطرته عليـه !! (وهذه أعراض لتخلف عقلى وليس لمجرد انعدام شخصية الزوج) !! إذ أن الصديق يشتهى الزوجة ويغتصبها . وبعد فترة تقـرر المقاومـة لكنهـا سـرعان مـا تتخـاذل . تلجأ إلى إثارة غيرة زوجها وشكوكه لكنه سادر فى غفلته !! تدرك صديقة الزوجـة موقفها فتدبر الأمر بحيث يضبط الزوج زوجته فى أحضان صديقه . وتنتظر ثـورة الزوج فلا يحدث ، فتقتل الصديق وتنتحر . أمـا القصـة الأخـرى (الثالثـة) فتدور حول فتاة طموح ومتحررة وتعيش فى جو من الأحلام والمغامرات . وتتعرف على شاب يغريها بحديثه المعسول فتستجيب له ، ثم يذهب بها إلى شاليه خاص ويحـاول الاعتداء عليها ، لكنها تقاومه حتى ينقذها شاب كان قد تقدم لخطبتها ورفضته .

فى فيلم "معاً إلى الأبد" لحسن رمزى ، ينقذ المهندس أحمد هدى من الغرق ، ثم يدعوها إلى منزله حيث ترى صورة أمه نجـوى التـى كـانت علـى علاقـة بابيهـا وأنجبت منه أحمـد !! ولذلـك يرفـض أبوهـا زواجهـا مـن أحمـد ويبـوح لهـا بحقيقـة علاقتهما ! لكن عمة أحمد تخبره بالحقيقة وهى أن أمه احترقت فى القطار مع ابنهـا الذى أنجبته من رأفت . (فما أسهل الحلول لأعقد المسائل فى السينما المصريـة) !! ويتسرب اليأس إلى هدى فتحـاول الانتحـار ، لكـن سـرعان مـا يبـوح أحمـد لرأفت وهدى بحقيقة الأمر كمـا أخبرتـه العمـة ، فيبـارك الأب زواجهمـا !! (ويـا دار مـا دخلك شر !!)

فى فيلم " العاشقة " يتظاهر شـلبى ابـن العمـدة بحبـه لأشـواق المتزوجـة مـن خليل ، فيحثها على الهرب معه ، وبعد أن يشبع رغبته منها يعـود لبلدتـه ليقتـل بيـد خليل .

وفى فيلم " أبـو أحمـد " يقدم جـاد علـى جريمـة قتـل يذهـب ضحيتهـا رئيـس الكراكة طمعاً فى أن يصبح هو الريس . يعين أبو أحمد رئيساً للعمال ، ويتقدم قاسم ابن خالة أمينة زوجة أحمد للزواج من نعيمة أخته . يرحب أبو أحمـد بهـذه الزيجـة

لكنها ترفض لأنها لا تحبه . ويخبر الطبيب أبو أحمد بأن نعيمة حامل ، فيفهم خطـأ أنه يقصد أمينة التى تطلب من جـاد أن يتوسط لـدى رمـزى لإصـلاح خطئـه مـع نعيمة ، فى حين يحاول رمزى إجهاض نعيمة ، ويدبـر جـاد مقابلـة بينـه وبيـن أبـو أحمد ليشهد مقابلـة نعيمـة برمـزى . وتذهب أمينـة لمقابلـة رمـزى بشـأن إصـلاح خطئه ، فيفاجئهما أبو أحمد وتنشب بينهما مشاجرة . يخبر جاد أبو أحمد أن زوجتـه أمينة حملت سفاحاً ، لكن القبض يتم علـى جـاد الـذى يعترف بجرائمـه ويعـود أبـو أحمد لزوجته !

أما عام ١٩٦١ فيشهد ستة أفلام من هذه النوعيـة : " موعـد مـع المـاضى " لمحمـود ذو الفقـار ، و " غـرام الأسـياد" لرمسـيس نجيـب ، و " لا تطفـئ الشـمس " لصلاح أبو سيف ، و " فطومة " لحسن الصيفى ، و " الضوء الخافت " لفطين عبد الوهاب ، و " حياتى هى الثمن " لحسن الإمام .

فى فيلم " موعد مع الماضى " يقـع ابـن صـاحب مصنـع فـى حـب ابنـة أحـد العمال ، ويعلمها القراءة والكتابة ، ثم يتورطان فى علاقتهما ، ويستعد للزواج منها فيفاجأ برغبة أسرته فى أن يتزوج مـن ابنـة صـاحب مصنـع منـافس لـه فـيرفض . يطرده أبوه غير أن حبيبته تهرب لكى لا تقف فى سـبيل سـعادة أسـرته ومسـتقبله . وعندما تحس بدنو أجلها ترسل إليه ابنهما وتموت بين ذراعيه .

فى فيلم " غرام الأسياد " تعجب ابنة السايس بـالابن الأكـبر لسـيد القصـر إلا أنه لا يشعر بعواطفها ، تلفت نظر الابن الأصغر فيتعلق بهـا ويحـاول أن يغتصبهـا لكنها تدافع عن نفسها . وتتحول إلـى عارضـة أزيـاء !! فيقـع فـى غرامهـا الشـقيق الأكبر .

فى فيلم " لا تطفئ الشمس " تتورط ليلى فى حب فتحى ويزوجونهـا فتطلـب الطلاق ثم تحاول الانتحار ، لكنها تعدل عنه ثم تنصرف عن فتحى إلى شاب آخر .

فى فيلم " فطومة " تهيم فتاة على وجهها فى الشوارع ، فيفاجئها حبيبها السابق ويصطحبها إلى منزله ويغتصبها ثم يختفى من حياتها ليسافر إلى الخارج ويعود طبيباً يعمل فى دار حضانة ، وكانت قد أنجبت ابناً أودعته فى نفس الدار ، ثم عملت راقصة ، وتزوجت من بلطجى شرير . تلتقى بالحبيب السابق فتقرر الانتقام منه وتورطه فى جريمة قتل زوجها ، إلا أن براءته تظهر ، ويتزوج منها بعد أن يصفو الجو بينهما !!!

فى فيلم " الضوء الخافت " يتعرف الكاتب المعروف على فتاة يقنعها بأن تتجه للتمثيل لأنه يرى فيها بطلة لقصته . وتوافق لكن المخرج السينمائى يطمع فيها فتستجيب له وتهجر الكاتب . تعيش فى الشقة التى أعدها المخرج لها ، وحين يشرع فى اغتصابها ، تهدده بمسدس . ويشتعل فى شقتها حريق ينتج عنه تشوه فى وجهها . وعندما يعلم الكاتب بذلك ، يرسلها إلى الخارج للعلاج !!

فى فيلم " حياتى هى الثمن " يلتقى طبيب شاب وزوجته برجل واسع الثراء ، فتعجبه الزوجة ويحاول الوصول إليها عن طريق أغراء زوجها بأن ينشئ له مستشفى ويرسله للخارج . يحاول اغتصاب الزوجة فتصده . لكنه يوصى بمبلغ كبير لابنهما مدعياً أنه ابنه نتيجة علاقة آثمة مع الزوجة . يطلق الطبيب زوجته ، لكن زوجة الرجل الثرى تثبت فى المحكمة بالتقارير الطبية أن زوجها رجل عقيم ، وبذلك تبرئ الزوجة وتعود الحياة الزوجية إلى مجاريها بين الطبيب وزوجته .

وفى عام ١٩٦٢ عرضت ثلاثة أفلام :" الخطايا " لحسن الإمام ، و"رسالة من امرأة مجهولة " لصلاح أبو سيف ، و "مذكرات تلميذه " لأحمد ضياء الدين . ففى الفيلم الأول يربط الحب بين حسين وزميلته سهير ، فى حين يقرر الأب تزويجها من أخيه أحمد ، ذلك أن حسين قد تبنته الزوجة فى بداية حياتهما لكن حسين وأحمد لا يعلمان بهذا السر .

ويرفض أحمد الخطبة لعلمه بحب حسين لسهير . ويصرح والد أحمد لوالد سهير بحقيقة حسين الذى يعارض موقف أبيه الذى يثور عليه ويطرده من المنزل بعد مصارحته له بحقيقته التى تؤكدها الأم لحسين ، فهو ابنها نتيجة تورطها فى علاقة بآخر ، وتستعطفه بأن يعود إلى المنزل . يحتفظ حسين بسر أمه ، ويندم الأب على تصرفه ويوافق على زواجه من سهير .

وعندما كانت السينما المصرية تقتبس روايات أجنبية ، فكان اختيارها يقع على الروايات الزاخرة بالعناصر النمطية والمواقف الميلودرامية التى اعتادها الجمهور . وفيلم " رسالة من أمراه مجهولة " المقتبس عن رواية سيتفان زفايج المعروفة بنفس الاسم مثال على ذلك . فهو يصور أحمد الفنان المشهور الذى يعيش حياة حافلة بالأصدقاء والمعجبين . يتعرف على أمل التى تعجب به ، ويرى فيها لأول مرة الحب الصادق . لكنها تتورط معه وهو مخمور وتحمل . تبتعد عنه وتلد طفلها الذى يصاب بعد ذلك فى حادث ، وينقل إلى المستشفى فى حالة حرجة وخطيرة . وترسل له وتستعطفه لرؤية ابنه الذى يشفى بعد أن ينقل إليه دم من أبيه !! ثم تحل النهاية السعيدة النمطية بعد طول معاناة نمطية أيضاً !!

فى فيلم " مذكرات تلميذة " تعيش نادية أحلامها الوردية ، لكن جلال صديق شقيقتها حسن ، يغرر بها بوعوده الكاذبة بالزواج ثم يتركها بعد أن تتورط معه . تترك منزل أسرتها وتتقابل مع شاب فقير يعطف عليها ويتزوجها . وعندما يعلم حسن ما فعله جلال ، يقرر الانتقام منه وتنشب معركة بينهما ، فى حين يصل زوج شقيقته نادية ويحاول تهدئة الأمور إلا أنه يصاب ليلقى مصرعه وتنهار نادية !!

وشهد عام ١٩٦٤ ثلاثة أفلام بمثابة ثلاث تنويعات على الاغتصاب والحمل سفاحا : فيلم " أدهم الشرقاوى " لحسام الدين مصطفى ، و" أخر شقاوة " لعيسى كرامة ، و" العمر أيام " ليوسف عيسى . ففى الفيلم الأول كان أدهم الشرقاوى

يسرق من الأغنياء ليعطى الفقراء ، لكن طريقته هذه لا تعجب أحد أتباعه الذى يشتاق للمال الحرام ، بل ويحاول اغتصاب خطيبة أدهم ، ويبلغ الحكومة عن مكانه، فيداهم البوليس المكان فى أثناء عقد قرانه على سلمى ويموت فى المعركة .

أما فى فيلم " أخر شقاوة " فتتحول الولادة سفاحا إلى لعبة خبيثة بين الشخصيات : ثلاثة طلبة يعيشون فى شقة واحدة ، أحدهم جاد فى دراسته فى حين يتعرف زميلاه على فتاتين تتفقان مع أبيهما على ابتزاز أموال الشابين ، وتدعى إحداهما أنها ولدت سفاحا من أحدهم . وسرعان ما يلقى كل واحد من الثلاثة التهمة على الآخر ، مما يؤدى إلى اضطراب العلاقة بين الشاب المتفوق وحبيبته ، لكن أكذوبة الفتاتين تنكشف فى النهاية .

فى فيلم " العمر أيام " يتقرب فتحى من وداد ابنة صاحب المصنع ليحقق أطماعه فى المستقبل ، لكن أباها يرفض هذا الزواج غير المتكافئ ثم يجبر بعد ذلك على تزويجها منه بعد أن تحمل منه سفاحاً .

وشهد عام ١٩٦٥ أربع تنويعات نمطية على تيمة الاغتصاب وتوابعه فى أربعة أفلام : " أرملة وثلاث بنات " لجلال الشرقاوى ، و" الثلاثة يحبونها " لمحمود ذو الفقار ، و" الحرام " لهنرى بركات ، و " العنب المر " لفاروق عجرمة .

فى فيلم " أرملة وثلاث بنات " يستولى دياب على نصيب أسرة شريكه محفوظ بعد وفاته . ويعتدى جودت خطيب زهرة ابنة محفوظ عليها ثم يتخلى عنها فتصاب بعقدة نفسية . وتستدين الأم حتى توفر المال اللازم لعلاج زهرة . وتلجأ إلى دياب ليعيد إليهم نصيبهم ، فيشترط أن يتزوج من ابنتها هدى . توافقان حتى ينقذا زهرة ويخرجوا من أزمتهم .

فى فيلم " الثلاثة يحبونها " ترتبط إيمان الطالبة الجامعية المتحررة التى تعمل فى الوقت نفسه سكرتيرة لمدير شركة ، بثلاثة رجال : مديرها الذى يساعدها فى

مراجعة محاضراتها ، وخطيبها الأديب الشاب الذى يحبها ويحاول إبعادها عن تصرفاتها التى تسئ إليها . أما زميلها فى العمل فهو مثلها ، يأخذ الحياة من جانبها اللاهى . يتركها خطيبها عندما تكثر الأقاويل عنها ، ويتزوج من صديقتها التى تحبه فى صمت . ويسىء مديرها فهمها ويستدرجها إلى شقته ويقوم باغتصابها فتنهار .

فى فيلم " الحرام " تعمل عزيزة وزوجها عبد الله ضمن عمال التراحيل . ويصاب زوجها بالمرض الذى يقعده عن العمل وعن ممارسة حياته الزوجية معها . وذات يوم يشتاق إلى البطاطا فتذهب عزيزة لتقتلعها من الأرض ، فيفاجئها شاب ويعتدى عليها وتحمل . وتنجح فى إخفاء حملها عن الأعين خوفاً من الفضيحة . وعندما تضع طفلها تخاف أن يفضحها صراخه فتقتله دون وعى وهى تحاول أن تسكته . تعود إلى العمل متحملة لآلام جسدها فتصاب بحمى النفاث وتموت .

فى فيلم " العنب المر " يهرب اللصان هاشم وتوفيق من قبضة الشرطة . ثم يعمل هاشم بمزرعة عنب يملكها ناشد ، بل ويقوم بإنقاذ نادية بعد محاولة الشاب المستهتر ممدوح ابن ناشد لاغتصابها ، وتتوطد العلاقة بينهما . وعندما يكتشف ناشد حقيقة هاشم ، يطرده وتنصحه نادية بتسليم نفسه . وعندما يموت ناشد ، يتحكم ممدوح فى المزرعة وأهلها ، لكن نادية ترفض الزواج منه . ويقع توفيق فى قبضة الشرطة فى حين يسلم هاشم نفسه ويعيد المبلغ المسروق .

فى عام ١٩٦٦ أخرج حسن الصيفى فيلم " مبكى العشاق " عن قصة ليوسف السباعى ، يفقد فيها المهندس الشاب زوجته فى حادث سيارة ، فيأتى لطفلته بخادمة لترعاها ، إذ أنه يعمل فى معامل تكرير البترول . وتتعلق الطفلة بها ، وتذهبان لقضاء الإجازة فى منزل أبيها بالسويس . ويطمع الأب فى الخادمة ، وبدون وعى يغتصبها وتحمل منه ، فيطلب منها أن تتخلص من الجنين ، غير أن الطبيب لا

يوافق على إجراء العملية . وعندما تشعر الطفلة بوجود مشكلة بين أبيها والخادمة ، تحاول الانتحار ، فيقرر الأب الزواج من الخادمة .

فى عام ١٩٦٦ أيضاً أخرج نجدى حافظ فيلم " رجل وامرأتان " الذى يعانى فيه سامى من عقم زوجته . يسافر إلى لبنان فى مهمة عمل ، ويتعرف على فجر التى تعمل بأحد الفنادق ويتورطان فى علاقة تؤدى إلى الحمل . ثم يعود سامى إلى مصر ويعيش فى صراع لأنه لا يستطع أن يعترف لزوجته وفى الوقت نفسه لا يستطع أن يكبت رغبته الحارقة للإنجاب . وتلاحظ ليلى قلقه فتضغط عليه ويعترف لها بما حدث . ترحب ليلى بتربية الرضيع ، فيرسل إلى فجر لكى تأتى لكن الطائرة تحترق بها !!

فى عام ١٩٦٧ أخرج صلاح أبو سيف فيلم " الزوجة الثانية " الذى يتحرق فيه العمدة الجشع عثمان لإنجاب طفل يحمل اسمه ، بعد زواج دام عشرين عاماً مع زوجته رقية . وبالفعل يتزوج من فاطمة بعد أن يجبر زوجها على طلاقها ، لكنه لا يستطيع أن ينال منها شيئاً . ويصاب بشلل عندما يفاجأ بأنها حامل إذ أنها لا تزال على علاقتها بزوجها ، بل وتنجب بالفعل ، فلا يتحمل العمدة الصدمة ويموت .

فى نفس العام (١٩٦٧) أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " السمان والخريف " الذى يفقد فيه الشاب المرموق عيسى الدباغ دوره السياسى والحزبى بقيام ثورة يوليو التى يعجز عن الالتحام بها ، ويستبعد من المناصب الحساسة . يلتقى بفتاة الليل ريرى التى تتعلق به وتخلص له . لكن عندما تكتشف أنها حامل ، يطردها ، ويعيش متخبطاً فى ضياع . تمر سنوات ويفاجأ بريرى التى تزوجت من صاحب محل عجوز ، وترفض أن تعود إليه .

فى عام ١٩٦٨ يقدم كمال الشيخ فيلم " الرجل الذى فقد ظله " الذى يصور حياة يوسف السويفى الصحفى الانتهازى و الوصولى ، الذى يبيع نفسه فى محاولة

لتحقيق طموحه ، كما يسعى للزواج من سعاد الفتاة الأرستقراطية . أما الخادمة مبروكة التى تجسد مأساة فئة كادحة ، فإن والد يوسف يغتصبها ، ثم يتزوجها وتضع مولودها . وعندما يموت الأب يطردها يوسف ، لكن الوزارة تسقط ويفقد يوسف مكانته .

فى عام ١٩٦٨ أيضاً ، أخرج حسين كمال " البوسطجى " الذى يتلصص فيه موظف البريد عباس على خطابات الأهالى فى إحدى قرى الصعيد ، فيكتشف علاقة حب آثمة بين فتاة وشاب . فقد حملت منه لكن حبيبها يرسل إليها خطاباً يطمئنها بعزمه على الزواج منها . يضطر عباس لحرق الخطاب بعد أن وقع عليه أثر يتعذر علاجه ، مما يقطع الأمل فى حل المشكلة ، ويكتشف الأب فضيحة ابنته فيقتلها .

فى عام ١٩٦٩ أخرج صلاح أبو سيف فيلم " شىء من العذاب " الذى تعيش فيه الطالبة آمال مع أمها وزوجها ، فيحاول زوج الأم اغتصابها ، لكنها فى دفاعها عن نفسها تقتله بآلة حادة وتهرب لاجئة إلى شاليه بالإسكندرية وتفاجأ أن صاحبه هو الرسام الشهير أحمد خالد ، والذى يقع هو وتلميذه شريف فى غرامها . وعندما يفاتحها أحمد تعترف له بحبها الذى لم يكن هو نفسه حباً خفياً عليها . وعندما تنشر الصحف تفاصيل الجريمة ، تسلم نفسها ، ويحكم عليها بالبراءة . عندئذ يدرك أحمد أن فارق السن ليس فى صالحها ويبارك زواجها من شريف .

فى عام ١٩٦٩ أيضاً أخرج عبد الرحمن شريف فيلم " زوجة بلا رجل " الذى تتورط فيه نادية فى علاقتها مع حبيبها مدحت وتحمل منه . ويقع لمدحت حادث لسيارته ويسافر إلى الخارج لاستكمال علاجه دون أن تعلم نادية التى تبوح لأختها سهير بمأساتها . فتستغل سهير فرصة سفر زوجها فى رحلة عمل طويلة فى أمريكا ، وتنسب المولود لنفسها كى تنقذ سمعة أختها . لكن مدحت يعود ويشرح لنادية الموقف ويتم زواجهما .

وفى عقد السبعينيات لم تخفت أو تهدأ حمى الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً ،بل استمرت بنفس القوة والسخونة والرسوخ . فقد شهد عام ١٩٧١ أربعة أفلام هى : " الغفران " لعبد الرحمن شريف ، و" لعبة كل يوم " لخليل شوقى ، و" حادثة شرف " لشفيق شامية ، و " خطيب ماما " لفطين عبد الوهاب .

فى فيلم " الغفران " تفقد الأرملة الثرية عنايات وحيدها الطفل محسن فتنهار . وفى أثناء إغمائها من شدة الصدمة تحلم بأن محسن قد اصبح شاباً عاطلاً ومنحرفاً . ويتعرف على أقران السوء الذين يستغلونه ويبددون ثروة أمه ، كما يحاول اغتصاب سميرة ابنة عبد الجواد الجناينى لكن أمه تمنعه من التورط . ثم يتورط فى قضية شيك مزور باسم أمه ، فيصل رجال الشرطة ويقبضون عليه . عندئذ تستيقظ الأم وقد وجدت فى هذا الكابوس تخفيفاً لصدمتها وهذا يعنى أن الاغتصاب قاسم مشترك حتى فى الأفلام التى ثكلت فيها الأم وحيدها الذى لم يرتكب مثل هذه الجرائم ، والذى لا يمكن أن تخطر ببال أم تمر بمثل هذه المحنة !!

فى فيلم " لعبة كل يوم " يقوم عينو باغتصاب فكيهة ابنة المعلم ، ثم يساوم أمها أن تعطيه مبلغاً من المال مقابل أن يتزوجها فتوافق ، لكنه يهرب بالمبلغ !!

فى فيلم " حادثة شرف " يضيق شعبان بملاحقة غريب لخطيبته بنات ، فيتكرر شجاره معها ويفسخ الخطبة . يكتشف غريب أنه يحب بنات بالفعل ويلح عليها لتتزوجه لكنها ترفض . يلتقى بها ذات يوم فى الحقل فتفزع منه . ويعتقد أهل القرية أنه اغتصبها ، ويصرون على أن تقوم أم جورج بالكشف عليها . وبالفعل تثبت براءتها ، لكن هذا الحادث يترك أثره عليها لإحساسها أن براءتها قد اغتيلت بالفعل . فتذهب إلى زكية ذات السمعة السيئة وتستسلم لها . ولعل هذا المفهوم الإنسانى والناضج لعنصر الاغتصاب يرجع إلى أن يوسف إدريس هو الذى كتب قصته وسيناريو وحوار هذا الفيلم .

فى فيلم " خطيب ماما " تعترف منى لصديقتها مشيرة عن تورطها مع شاب يتخلى عنها (كما يحدث فى معظم أفلام الاغتصاب أو التورط) !! ولذلك تسلم مشيرة خطاباً له لترسله إليه . ويتصادف فى أثناء وجود مشيرة على الشاطئ ، أن يطير الخطاب ليقع بين يدى الصديقين فرحات وطلعت فيخشيان على مشيرة من الإقدام على الانتحار ، ظناً منهما أنها صاحبة المشكلة فيبلغان جدها . تتعلق مشيرة بطلعت الذى يعطف عليها . وفى نفس الوقت ينمو الحب بينه وبين أمها ، فتوضح لهم مشيرة حقيقة الموقف ، وتنجح فى الامتحان بشركة الطيران لتعمل مضيفة حسب أمنيتها ، فى حين تتزوج أمها من طلعت !

كما شهد عام ١٩٧٢ أربعة أفلام : " الأضواء " لحسين حلمى المهندس ، و "كلمة شرف " لحسام الدين مصطفى ، و" الحاجز " لمحمد راضى ، و" ليلة حب أخيرة " لحلمى رفلة .

فى فليم " الأضواء " تهرب هناء إلى القاهرة وتلجأ لطماطم حائكة الملابس لممثلة مشهورة . وهناك يعتدى عليها عباس البلطجى ثم تترك طماطم وتعمل خادمة فى منزل سالى النجمة المشهورة لعل حلمها فى المجد السينمائى يتحقق ، لكن كل أمالها تخيب وتبتعد نهائياً عن طريق الفن.

فى فليم " كلمة شرف " يتخذ السجين سالم عهداً على نفسه بأن يعود إلى السجن بعد السماح له بالخروج منه ، ليعترف لزوجته بالسر فى الحكم عليه بالسجن ، إذ كان كبش فداء عندما اغتصب شقيقتها كامل زميلته فى الجامعة وحملت منه ثم تخلى عنها . وتلجأ إليه فيذهب بها إلى طبيب لإجراء عملية إجهاض حفاظاً على سمعتها . وتموت الفتاة فى أثناء العملية ويتم القبض عليه وعلى الطبيب ، ثم يفاجأ سالم بزوجته التى تفارق الحياة . ويعود سالم إلى السجن موفياً بعهده .

فى فيلم " الحاجز " يصاب صلاح بالحمى وتزداد حالته سوءاً ، وتعتنى به نادية ، لكنه يحاول الاعتداء عليها !! فتقاومه فزعاً من حالته . فيخرج المشرط الذى عجز عن استخدامه عندما فشل فى دراسته فى كلية الطب ليقتلها به بلا أى مبرر نفسى أو درامى !!!

فى فيلم " ليلة حب أخيرة " تظهر الصورة التقليدية للمخرج السينمائى الذى لا يقدم الاغتصاب فى أفلامه فحسب ، بل يمارسه أيضاً فى حياته الشخصية !! إذ يعود المخرج فؤاد وجدى من الخارج والذى كانت تربطه علاقة حب بمديحة ، فيحاول أن يعيد علاقته بها ، لكنها تصده لأنها تحب زوجها . وعندما يفشل معها ، يحاول استمالة ابنتها نجوى لكنها تقتله عندما يحاول اغتصابها . فتحاول الأم تبرئة ابنتها من التهمة فتعترف أنها القاتلة ، لكن رجال المباحث يكتشفون الحقيقة ، ويرى القضاء فى جريمة نجوى دفاعاً شرعياً عن الشرف . والتساؤل الذى يطرح نفسه بشدة هنا : كيف يتأتى لمخرج سينمائى أن يخرج فيلماً بطله مخرج سينمائى أيضاً وفى صورة سفاح نساء بدون أى مبرر ، فى حين أنه يعلم جيداً أن الجنس لا يشكل أية معضلة أو عقبة فى حياته لدرجة أنه عندما يفاجأ بالصد من حبيبته السابقة لا يجد أمامه فى الدنيا كلها سوى ابنتها ليغتصبها ؟!!

وشهد عام ١٩٧٣ أربعة أفلام أيضاً : " حادث النصف متر " لأشرف فهمى ، و" الرجل الآخر " لمحمد بسيونى ، و" شلة المراهقين " لنيازى مصطفى ، و" عاشق الروح " لأحمد ضياء الدين .

فى فيلم " حادث النصف متر " تستلم وفاء لخطيبها أحمد وتحمل منه بالفعل . ويرحب أحمد ويحدد معها موعداً للزواج ، لكن صديقه يثنيه عن عزمه لأنه يدين استسلامها له قبل الزواج . وتثور عليه وفاء لتردده ، وتنتقل إلى المستشفى بعد محاولتها للتخلص من الجنين ، ويشرف على علاجها ابن عمها الدكتور مصطفى . وعندما يعرب أحمد لها عن ندمه ، ترفض فى حين يخبره مصطفى عن موعد زواجه من وفاء .

فى فيلم " الرجل الآخر " تستدعى سلوى ذات يوم السباك لإصلاح عطل ، فيستغل وجودها بمفردها فيعتدى عليها ويهرب . وعندما يصل زوجها صلاح ليجدها فى حالة انهيار ، يصاب بأزمة نفسية حادة تؤثر على علاقته بزوجته وعلى عمله . تترك سلوى المنزل بعد أن تضيق به وبمعاملته . ويجتاز صلاح أزمته النفسية ، ويعتذر لزوجته التى تعود لاستئناف حياتها معه .

فى فيلم " شلة المراهقين " نرى صورة مكررة ومهزوزة لفيلم "إحنا التلامذة" وذلك من خلال أصدقاء أربعة ، لكل واحد منهم مشكلته . يعانى صفوت من حالته المادية الصعبة التى تحول دون زواجه من حبيبته نانا ، فى حين يعانى زغلول من أبيه الذى يستجيب اكثر لمطالب زوجته . أما عادل فيقع فى حب راقصة فى حين يتورط محمد مع حبيبته سميرة ويحتاج للمال لإجراء عملية إجهاض . ولذلك يخططون لسرقة العجوزة دولت التى يقتلها عادل الذى يقبض عليه رجال الشرطة ومعه زغلول فى حين يسلم محمد نفسه بعد أن تموت سميرة فى أثناء العملية . أما صفوت فينتحر عندما تتم خطبة أخيه على نانا !!!

فى فيلم "عاشق الروح " نرى تكراراً لرواية " غادة الكاميليا " لألكسندر ديماس ولكن بعد إضافة توابل التورط والحمل سفاحاً ، إذ تتورط راقصة الملهى عايدة فى علاقتها بالدكتور مراد وتحمل منه ، فيقرر الزواج منها . يثور أبوه ويذهب لمقابلة عايدة ، ويطلب منها الانسحاب من حياة مراد حفاظاً على مستقبله ، وألا تخبره بزيارته . وبالفعل تتخلص عايدة من الجنين وتبدأ فى صد مراد . ثم يشتد عليها مرض الصدر فتتصل بالأب وتستعطفه لرؤية مراد !! (برغم أن مرض السل لم يعد مميتاً كما كان فى أيام غادة الكاميليا) !! ويعترف الأب لابنه بما فعله ، وبتضحية عايدة التى تموت بين يديه !!

فى فيلم " الرصاصة لا تزال فى جيبى " (١٩٧٤) لحسام الدين مصطفى تدور الأحداث فى زمن النكسة فى أعقاب حرب ١٩٦٧ ، ويفترض أن تكون هذه

هى التيمة الأساسية بكل أبعادها ، لكن لا مانع من أن يطمع عباس فى الـزواج مـن فاطمة ابنة إبراهيم الذى يوافـق ، ومـع ذلـك يقـوم بـالاعتداء عليهـا ، ثـم يتنكـر لهـا ويرحل عن القرية ، فيصمم محمد على الانتقام لشرف ابنة عمه .

ثم شهد عـام ١٩٧٥ خمسـة أفـلام : " النداهـة " لحسين كمـال ، " ونغـم فـى حياتى " لهنرى بركات ، " يا رب توبة " لعلى رضا ، و" الكرنك " لعلى بدر خان ، و" الظلال على الجانب الآخر " لغالب شعث .

فى فيلم " النداهة " يطمع ساكن العمارة المهندس علاء عالم الإلكترونيات فى فتحية زوجة البواب القادمـة مـن الريـف . يستدعيها بموافقـة زوجهـا بحجـة إعداد عشاء لبعض ضيوفه ، ثم يحاول اغتصابها ، فتهرب منه إلى حجرتها ، فيلحق بهـا فى غياب زوجها الذى يصل ليفاجأ بمـا حـدث . فيقرر زوجهـا أن يرجـع بهـا إلـى بلدتهما . لكنها تهرب منه فى الطريق وتتراءى أمامها صور وهى تعمل كممرضـة أو عاملة فى مصنع .

فى فيلم " نغم فى حياتى " تنتهى هناء من دراستها وتعمل سكرتيرة للمطـرب الكبير ممدوح . تتورط فى علاقتها بمحسن وتحمل منه ، لكنه يتخلى عنها ويهـاجر إلى البرازيل ويتعاطف معها ممدوح ويتزوجها ويمنح المولود اسمه . يعود محسن بعد أن يفشل فى حياته هنـاك ، ويحـاول تجديـد حبـه لهنـاء ، لكنهـا تصـده فيهددهـا بمطالبتهـا بابنـه . ينسـحب ممـدوح مـن حياتهـا وخاصـة أنهـا لا تـزال علـى حبهـا لمحسن ، وذلك حتى يتمكن الطفل من أن يعيش بين والديه الحقيقين .

فى فيلم " يا رب توبة " تتورط حسنية فى علاقتها مع ابن عمها زكى وتحمل منه . وعندما تبوح أمها لوالدة الباشا ، يثور عليها ويرغمها على الزواج من الفلاح إبراهيـم . وتضـع مولودهـا فـى الشـهر السـادس ، فيرتـاب إبراهيـم فيهـا . وعندمـا تعترف له بالحقيقة ، يهم بقتلها ، ولكن يسبقه حسن ويصوب بندقيته نحوهـا فتفديهـا أمها وتموت . يقوم إبراهيـم بقتـل زكـى ويحكـم عليـه بالسـجن مـع حسـن . وتعمـل

حسنية بأحد الملاهى لكى توفر المال لعلاج ابنتها المريضة التى لا تحتمل عذاب مرضها فتخنقها وتصاب بالجنون . ولعل هذا الفيلم أكبر دليل على طغيان العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية ، حتى على المخرجين والكتاب من أمثال على رضا ومحمد عثمان اللذين يمتلكان قدرات ومواهب لإمتاعنا بأفلام مثل " إجازة نصف السنة " ، " غرام فى الكرنك " ، و " حرامى الورقة " ، وذلك فى جو مصرى صميم وبهيج وزاخر باللمسات الجمالية والإنسانية الراقية واللماحة ، والرقصات والألحان والأغانى التى أبدعها محمود رضا وعلى إسماعيل . إنهم يتركون كل هذا الثراء والجمال والخصوبة خلفهم ، ويقبلون على الاغتصاب والقتل والجنون !!!

فى فيلم " الكرنك " يقوم أحد رجال خالد صفوان رئيس المخابرات المصرى باغتصاب زينب التى تحب إسماعيل ، وذلك لإجبارهما على الاعتراف بالتنظيم السرى الذى ينتمون إليه . ثم يفرج عنهما بعد أن يشترط خالد على زينب وإسماعيل أن يعملا لحسابه . وسواء الفيلم أو الرواية التى كتبها نجيب محفوظ ، عبارة عن ركوب للموجة التى صنعها السادات بما اسماه بثورة التصحيح . فالفيلم لا يحمل فى طياته أية بطولة قومية أو سياسية أو فكرية ، وكان من الممكن أن يتحول إلى فيلم متميز فى تاريخ السينما المصرية لو أنه كتب وأنتج فى العهد الذى أرادوا إدانته بعد انتهائه .

أما فيلم " الظلال على الجانب الآخر " فيشحنه مخرجه الفلسطينى غالب شعث بهموم قومية وفلسطينية على وجه الخصوص ، وذلك عن قصة لمحمود دياب . ومع ذلك لا بأس من إضافة حادثة تورط وحمل كالعادة ، إذ أن زوزو تتورط مع محمود الذى تحبه وتحمل منه ، لكنه يتخلى عنها فى حين يتعاطف معها زملاؤه ، فى حين تتحطم مثاليات مصطفى عندما تستسلم زميلتهم شهيرة التى يحبها ، لمحمود . وإذا عرفنا

أن هذا الفيلم من إنتاج ما عرف فى السبعينيات " بجماعة السينما الجديدة "، فهذا يدل على أنه لا نجاة للسينما من العناصر النمطية سواء أكانت قديمة أو جديدة !!

أما عام ١٩٧٦ فقد شهد ثلاثة أفلام : " عودة الابن الضال " ليوسف شاهين ، و" ما بعد الحب " لكمال عطية ، و" مراهقة من الأرياف " للسيد زيادة .

فى " عودة الابن الضال " نسمع عن الاغتصاب بعد حدوثه . فعندما يحدد موعد زفاف فاطمة وعلى ، تعترف فاطمة له باغتصاب طلبه لها ، فتنشب معركة بين الأخين ، تنتهى بمجزرة ، إذ تموت فاطمة والأخان وأمهما . وكأن يوسف شاهين قد تقمص شخصية يوسف وهبى فى أفلامه الميلودرامية .

فى فيلم " ما بعد الحب " تبدأ المشاهد وخلفيات الأحداث بأسلوب غير نمطى على الإطلاق . فالمهندس شريف يعمل فى ترميم معابد فيلة ، فى حين يقوم صديقه الجيولوجى أحمد بعمل أبحاث فى بحيرة ناصر . لكن سرعان ما تفرض العناصر النمطية نفسها ، وفى مقدمتها الاغتصاب ، إذ تعترض أحمد عصابة من القراصنة يفرضون الإتاوات على المركب ، لكنه يمتنع عن الدفع . فينتقم منه زعيمهم وذلك باغتصاب سامية زوجة شريف ، معتقداً أنها زوجته . وتعترف سامية لزوجها ، لكنها تخفى عنه شخصية الجانى خوفاً عليه ، فينهار شريف ويهجرها ، إلا أنه يندم عندما تكشف له سامية عن شخصية الجانى ، فيدخل معه فى معركة يحسمها رجال الشرطة بالقبض على أفراد العصابة .

فى فيلم " مراهقة من الأرياف " تكثر خديجة هى وحسن ذات مساء من شرب الخمر ، ويتصادف وصول منعم ، فتصطحبه خديجة إلى حجرتها ظناً منها أنه حسن !! وتسلمه نفسها ثم توهم حسن أنه الفاعل ، فيسافر إلى العزبة ليفاتح أبويه فى عزمه على الزواج من خديجة ، فيوافقان بعد إلحاح ويصطحبوه . لكنها عندما تراهم خديجة من الشرفة ، تظنهم قد جاءوا ليقتلوها فتنتحر !!

فى فيلم " طائر الليل الحزين " الذى أخرجه يحيى العلمى عام ١٩٧٧ ، يأخذ التورط الجنسى شكل المأزق السياسى والفضيحة الشخصية التى تؤدى إلى الحكم بالإعدام . فقد صدر هذا الحكم على عادل بتهمة قتل هو برىء منها . ويهرب ويعترف لرئيس المباحث حازم بأنه قضى ليلة الحادث مع درية التى تعترف له بذلك ، لكنها تهددهما بزوجها طلعت مرجان صاحب النفوذ ومع ذلك يصارحه حازم بتورط زوجته ويطلب شهادتها فيرفض . ثم تفشل محاولة طلعت لقتل زوجته عندما تندم وتعترف له بالحقيقة فى قسم الشرطة . ثم تنفجر ثورة التصحيح ويتم الإفراج عن عادل !!

وفى عام ١٩٧٧ أيضاً أخرج سيد طنطاوى فيلم " ابنتى والذئب " الذى تعيش فيه أزهار مع أبيها بعد وفاة أمها ، وتعانى من تزمته ، فذهب لترعى عمتها بالريف حيث يعتدى عليها يوسف ابن زوج العمة ، لكنها تتكلم الأمر ٠ وعندما يعمل المهندس مصطفى فى عزبة العمة ، يحب أزهار ويعرض عليها الزواج ، لكنها ترفض خوفاً من الفضيحة ٠ ويكرر يوسف اغتصاب أزهار التى تستغيث هذه المرة ، فتسرع إليها العمة وزوجها ومصطفى ، وتعترف لهم بما فعله ، فيتمسك بها مصطفى ويتزوجان .

أما عام ١٩٧٩ فقد شهد أربعة أفلام : "عاصفة من الدموع " لعاطف سالم ، و "أقوى من الأيام" لنادر جلال ، و"مع سبق الإصرار " لأشرف فهمى ، و" حياتى عذاب " لعلى رضا الذى أصر على أن ينهى السبعينيات بفيلم لا يمت بصلة إلى أفلامه الموسيقية والاستعراضية الممتعة ، ولم يكتف بفيلمه الميلودرامى " يا رب توبة " الذى قدمه فى نفس العقد ، مما يؤكد عجز الجميع عن مقاومة طوفان العناصر النمطية .

فى فيلم " عاصفة من الدموع " يتورط المحامى الكبير عصام مع سكرتيرته عزيزة ، ويتخلى عنها برغم أنها حامل وتموت وهى تلد طفلتها هدية . وتمر

الأعوام وتكبر هدية التى يعجب بها طارق والتى تعمل فى محل أزياء تتردد عليه أمه . وتكرر خطأ أمها وتتورط معه وتحمل !! وعندما يعدها ، يرفض والداه . ويقوم عبد الله صديق والد هدية الراحل ، والذى كان له فضل تربيتها بعد وفاته ، برفع قضية لأن هدية قاصر . عندئذ يقوم عصام بالدفاع عن طارق . وتصل الميلودراما قمتها عندما يفاجأ عصام بعبد الله وهو يصارحه بحقيقة هدية ، فيعترف بأبوته لها ، ويطلب من طارق أن يتزوجها حتى لا يتعذب بوخز الضمير مثله . ولنا أن نندهش لطوفان العناصر النمطية الذى ترك عاطف سالم نفسه نهباً له ، وهو الذى أخرج أفلاماً أسرية عذبة ومصرية صميمة مثل " السبع بنات " و"أم العروسة " و"الحفيد " .

فى فيلم " أقوى من الأيام " يربط الحب بين هنية وإسماعيل ويتفقان على الزواج إلا أن مرسى الذى يطمع فيها يقوم باغتصابها ! وتبوح بذلك لبركات والد إسماعيل ، وتوافق على الزواج من مرسى حتى لا تسىء لأبيها . وينهار إسماعيل ويرحل عن القرية فى حين تعيش هنية حياة تعيسة مع زوجها . وتتفاقم الأمور لتصل إلى حد قتل إسماعيل لمرسى ويدخل السجن ليخرج منه بعد خمسة عشر عاماً ، وقد ماتت هنية وأصبح هو حطاماً .

فى فيلم " مع سبق الإصرار " يفاجأ وكيل النيابة محمود بصديقه القديم مصيلحى الذى يبحث عن الشخص الذى غرر بزوجته عطيات التى ولدت داليا وهو بشهادة الأطباء عقيم . فيبدأ بمحمود الذى ينهار ويعترف ، لكنه يشك فى ظروف وفاة عطيات ، ويتم استخراج الجثة ، وبعد أجراء الكشف يثبت أنها ماتت مسمومة ويعترف مصيلحى بأنه قتلها . ويساومه محمود على كتمان الأمر مقابل أن يترك داليا ليربيها ، لكن مصيلحى يرفض ويلقى مصرعه بعد مطاردة رجال الشرطة له .

فى فيلم " حياتى عذاب " تعيش فاطمة بعد طلاقها من محمود مع خالتها ، وتتفق مع ابنها فؤاد على الزواج . لكن ابن خالتها يموت بعد أن تتورط معه وقبل أن يعقد قرانها عليه . وتكتشف فاطمة أنها حامل . وتفاجأ بعد أن تلد طفلها أحمد ، بمحمود الذى يقنعها بإعادتها لعصمته ، فتدعى له أن خالتها تبنت أحمد من الملجأ ، وتقنعه أن ينسبه إليه ، فيوافق ويرزقان بعادل . وتمر الأيام ويكبر أحمد ويقرر الزواج من نادية ابنة الدكتور يوسف صديق محمود . وتتمسك نادية بعد أن يخبرها محمود بحقيقته . ثم يثور محمود على أحمد عندما يضبطه متلبساً بسرقة مبلغ من المال من مكتبه ، فيصدمه بحقيقته ، فيترك المنزل . تعترف فاطمة لأحمد بالحقيقة ، ويندم محمود ويطلب من فاطمة أن تعيد أحمد الذى يمنع أمه من إفشاء سرها !!

أما عقد الثمانينيات فيفتحه كل من حسن الإمام بفيلم " لا تظلموا النساء " ، وحسن يوسف بفليم " دموع بلا خطايا " ، وذلك فى عام ١٩٨٠ . فى فيلم الأول يلقى محمود مصرعه وتعترف خادمته فاطمة بقتله : ويتشكك المحامى أحمد فى أقوال فاطمة وعدم مطابقتها للتقرير الشرعى ، فتبوح له عن حقدها على حمودة الذى تسبب فى وفاة أمها بعد أن غدر بها ورفض الزواج منها برغم أنها حامل منه . ويعترف حسنين الشغال بالفيلا أنه القاتل بعد أن ضاق بسلوك حمودة المنحرف ! (وهل كان حسنين الشغال وصياً على الأخلاق الحميدة لدرجة أنه يصبح هو نفسه قاتلاً) فعندما يجده على قيد الحياة بعد طلقة فاطمة الوحيدة يجهز عليه برصاصتين . ويتم الإفراج عن فاطمة !!

أما حسن يوسف فيخرج فيلم " دموع بلا خطايا " الذى يواصل سلسلة أفلامه المأخوذة عن قصص لموسى صبري الذى لم يكن يملك أية دراية بفن التأليف الروائى ! ففى هذا الفيلم يعيش كمال وفايزة حياة سعيدة لا يعكر صفوها سوى عدم إنجاب فايزة ، مما يدفع بكمال إلى الزواج من ابنة عمه مفيدة لمجرد أن والده

مشتاق لحفيد يجعل منه جداً !! وتسافر فايزة إلى اليونان بدون أى مبرر درامى ، ومن هناك تصمم على الطلاق ، وتتعرف على الرسام كريم الذى يحاول اغتصابها ، فتفقد وعيها ، ثم يترك لها رسالة بها عنوانه !! وكعادة أى اغتصاب لابد أن يتبعه حمل ، وتعترف فايزة لأمها بما حدث .

و تتوصل الأم لعنوان كريم الذى يعترف لفايزة بالحقيقة التى كتبها لها فى الرسالة التى قرأها ، فهو لم يلمسها !!! و تعود فايزة إلى كمال الذى يطلق مفيدة بعد أن يضيق بحياته معها !!! (فهل هناك استهانة بعقل المتفرج أشد من هذه ؟!!)

و يشهد عام ١٩٨١ أربعة أفلام : " عيون لا تنام " لرأفت الميهى ، و"صراع العشاق" ليحيى العلمى ، و " لحظة ضعف " لسيد طنطاوى ، " علاقة خطرة " لتيسير عبود . فى فيلم " عيون لا تنام " المقتبس عن مسرحية يوجين أونيل " رغبة تحت شجرة الدردار " ، يعجب إسماعيل بمحاسن ، و يتفقان على أن تطلب الطلاق ليتزوجا . وفى الوقت نفسه تتورط فى علاقتها معه و تحمل ، فى حين يطلب منها إسماعيل أن تؤجل طلب الطلاق حتى يضمن أن تؤول الورشة لوليده ، و بذلك يعود إليه حقه الضائع لكنها تثور عليه . وعندما تتعثر ولادة محاسن ، و يخير الطبيب زوجها إبراهيم بين الحفاظ على حياة الأم أو حياة الجنين ، و يفضل إبراهيم الجنين . عندئذ يثور إسماعيل عليه و يقتله . وتموت محاسن و يتم القبض على إسماعيل .

فى فيلم " صراع العشاق " ليحيى العلمى ، تعيش سلمى مع عمها الثرى . يعجب بها الابن الأكبر محسن وتقع فى حبه ، لكن أخاه عباس يطمع فيها ، و بالفعل يقوم باغتصابها ، فينهار محسن ، و يقرر الأوسطى متولى صديق أبيها أن يتزوج منها لكن عباس يقتله . تضيق الحياة بسلمى فتقرر قتل عباس وتصيبه برصاصة لكنه يتحامل على نفسه ويقتلها قبل أن يلفظ أنفاسه .

فى فيلم " لحظه ضعف " تبرز مأساة ابنة السفاح عندما يكتشف أن سحر ليست ابنته وإنما هى نتيجة لعلاقة آثمة لزوجته سنية قبل زواجها منه . تموت سنية و يسىء عبد الغفار معاملة سحر التى تسافر إلى اليونان لتعيش مع خالتها . وهناك تتعرف على شريف الذى يعرض عليها الزواج ، فتعترف له بحقيقتها ، فيتمسك بها ويعودان إلى مصر ويتضح أن عبد الغفار قد كلف شريف بمهمة إرجاع سحر بعد أن ندم على ثورته ضدها و اقتنع أنها ضحية ، فى حين طلب شريف من عبد الغفار أن يتكتم السبب فى مهمته و يبارك زواجهما .

فى فيلم " علاقة خطرة " يفاجأ المدرس أحمد بتلميذته سهام التى تتهمه بالاعتداء عليها ، و يعاقب بإيقافه عن العمل فيصمم على معرفة الحقيقة ، حتى تعترف له إحدى التلميذات بعلاقة سهام بالمهندس صلاح الذى يهرب إلى القاهرة خوفا من افتضاح أمره لأنه متزوج . يتأكد أحمد بنفسه من هذه العلاقة ، وتندم سهام وتعترف ببراءته أمام الجميع .

فى عام ١٩٨٢ أخرج حسن الأمام فيلم " دماء على الثوب الوردى " ، و محمد خان فيلم " الثأر " ، ووصفى درويش فيلم " الكلمة الأخيرة " . فى الفيلم الأول تعجب الموظفة رجاء بمحمود الذى يعمل فى مصنع عمه ، و تلاحقه وتتورط فى علاقتها به ، لكن خطبته تتم على ابنه عمه مشيرة . ثم يحدث أن ينفرد محمود فى المركب برجاء التى تطالبه بالزواج لأنها حامل ، لكن توازن المركب يختل و تسقط رجاء و يفشل محمود فى إنقاذها ، و يشهد ضده المراكبى . و يحكم عليه بالسجن عشر سنوات !

فى فيلم " الثأر " يقوم أربعة أشخاص باختطاف ندى وهى فى الطريق مع زوجها أحمد الذى يلتقط رقما واحدا من أرقام السيارة ، و يبلغ الشرطة ٠ تعود ندى وهى منهارة بعد أن تتعرض للاغتصاب الوحشى منهم وتفقد جنينها . يصمم أحمد على الانتقام منهم بنفسه . وبعد بحث يعثر على سيارة بها نفس المواصفات ،

فيقوم بقتل ثلاثة أشخاص ويتم القبض عليه قبل ارتكاب الجريمة الرابعة . ويفاجأ بأن رجال الشرطة قبضوا على الجناة الحقيقيين .

فى فيلم " الكلمة الأخيرة " تتورط فضيلة مع يسرى الذى يتخلى عنها ، فتبوح لجارها حمودة بمشكلتها . ويندم يسرى ويذهب ليخطب فضيلة ، فيفاجأ بنقلها إلى المستشفى بعد محاولتها الانتحار ، ويقتله حمودة !!! وهكذا يجد أى مخرج جديد نفسه منجرفا مع طوفان العناصر النمطية .

فى عام ١٩٨٣ أخرج حسن الأمام فيلم " كيدهن عظيم " الذى نعود فيه إلى الابنة غير الشرعية سماسم التى كانت نتيجة زواج أمها العرفى بالثرى لطفى شاهين الذى يرفض الاعتراف بها . تنهار سماسم عندما تبوح لها أمها بحقيقتها . وترسم خطة ناجحة للإيقاع بجلال ابن لطفى فى حبها بحيث يصمم على الزواج منها برغم اعتراض أبيه ، بل وتعترف سماسم لجلال بحقيقة علاقتهما ولكن إجراءات الزواج تأخذ مجراها ، مما يجبر لطفى على الاعتراف بابنته سماسم ليمنع زواجهما الباطل .

فى عام ١٩٨٤ قدم أحمد فؤاد فيلم " بيت القاصرات " الذى تتعرض فيه البائعة المتجولة نعيمة لمحاولة اعتداء و يتم ترحيلها إلى دار الأحداث . وهناك تثبت حسن سلوكها وترسلها الإدارة إلى أحد المستشفيات لتتعلم التمريض . يتقدم أمين حبيبها للمديرة كى توافق على زواجها ، لكن قرار الموافقة يتعطل لتنفيذ بعض اللوائح . تهرب نعيمة بمساعدة زميلتها فواكه التى تذهب بها إلى منزل القوادة جمالات . يفاجأ أمين وهو ينصرف من الدار بسيارة الشرطة وبها بعض المنحرفات من بينهن نعيمة .

فى عام ١٩٨٤ أيضا أخرج أحمد السبعاوى فيلم " الطيب أفندى " . تتورط سعاد مع أحمد وتحمل منه ويتخلى عنها . تتعرف بالطبيب الذى يتعاطف معها ، وعندما يتم القبض عليها فى قضية آداب ، تعهد بطفلتها ليرعاها الطبيب .

و قد شهد عام ١٩٨٦ ثلاثة أفلام هى : " الجوع " لعلى بدرخان ، و " جذور فى الهواء " ليحيى العلمى ، و " الطوق والاسورة " لخيرى بشارة .

فى فيلم " الجوع " يتزوج جابر من زبيدة لينقذها من الفضيحة بعد أن يغتصبها أحد الفتوات الذى يلقى مصرعه . لكن الأحداث فى قصة نجيب محفوظ بعد ذلك ليست لها علاقة بعملية الاغتصاب ، إذ يتوج الحرافيش فرج الأخ غير الشقيق لجابر فتوة الحى ويعدهم بتحقيق العدل والأمان ، لكن ينسى وعوده ، فتقود زبيدة الحرافيش فى حملة ضد فرج ويتمكنون منه ويقتلونه .

فى " جذور فى الهواء " يتورط الصحفى أيمن ربيع فى علاقته بحبيبته تحية . ويتم اعتقاله لمقالاته السياسية الجريئة ، فى حين تنجح الهام فى إقناع تحية بمقابلة المسئول الكبير سعد ليفرج عن أيمن . لكنها تذهب بها إلى منزل القوادة حميدة حيث يغتصبها سعد هناك !!! لكن يفرج عن أيمن بالفعل ويعود إلى صحيفته ويتزوج تحية . ثم تنجح إلهام مرة أخرى فى إيقاع أيمن فى شباكها ، و تذهب به إلى منزل حميدة ويفاجأ بها تسأل إلهام عن تحية التى تعترف لأيمن بالحقيقة ، فيطلب منها الاتصال بسعد ليقابلها فى منزل حميدة حيث يفاجئ سعد فى المصعد ويقتله .

فى " الطوق والإسورة " تعيش "حزينة" مع زوجها المشلول بخيت و ابنتها فهيمة فى قرية الكرنك بالأقصر عام ١٩٢٢ . يموت الأب وتتزوج فهيمة ، و بعد سنوات تمرض وتموت ، فتسعى "فرحانة" مع جدتها "حزينة" على رزقهما فى منزل الشيخ فاضل حيث يغويها ابنه صابر ويتخلى عنها. وعندما يعود مصطفى ابن الأسرة الغائب فى الحرب إلى أهله . تكتشف "حزينة" أن "فرحانة" حامل . وعندما ترفض البوح لخالها مصطفى عن الشخص الذى غرر بها ، يدفنها فى الحفرة حتى العنق ، ثم يقوم السعدى ابن عمتها بقتلها .

وفى عام ١٩٨٨ واصل خيرى بشارة إخراج القصص التى تقطر حزنا و كآبة ، فكان فيلم " يوم مر ويوم حلو " الذى تعول فيه أرملة فقيرة أولادها الستة فى حين يماطل عرابى فى إتمام زواجه من ابنتها سناء ، فترضخ الأرملة عائشة لكل مطالبه ، ويعيشان فى إحدى حجرات المنزل . يضيق الجميع بعرابى الذى يعتدى على لمياء شقيقة سناء ، بحيث تتطور الأحداث ويرحل عرابى فى النهاية عن المنزل .

وفى نفس العام (١٩٨٨) أخرج محمد خان فيلم " أحلام هند وكاميليا " الذى تعمل فيه الصديقتان هند وكاميليا بالخدمة فى المنازل . وتتورط هند فى علاقتها بالنشال عيد ، وتضغط عليه كاميليا ليتزوجها لأنها حامل منه . ويقرر عيد التوبة بعد أن تلد هند طفلتها أحلام ، ويعمل بتجارة العملة ويهرب بمبلغ كبير ، لكن يتم القبض عليه ويسجن . تعثر هند وكاميليا على النقود وتسافران فى سيارة أجرة إلى الإسكندرية . وفى الطريق يعتدى عليهما السائق وصديقه ، ويسرقان النقود . تتحطم أحلامهما لكن السعادة تجمعهما مع الطفلة أحلام على الشاطئ .

أما فى عام ١٩٨٩ فقد شهد حشدا من أفلام الاغتصاب ، منها على سبيل المثال : " المغتصبون " لسعيد مرزوق ، و " الاغتصاب " لعلى عبد الخالق ، و "حارة برجوان" لحسين كمال ، و " فضيحة العمر " لعادل الأعصر .

فى فيلم " المغتصبون " تتعرض صفاء لحادث اختطاف من خمسة أشخاص فى أثناء وجودها بالطريق مع خطيبها مختار . يذهبون بها إلى مكان مهجور ، ويقومون باغتصابها ، ويفشل مختار فى إنقاذها لتهديدهم له بالقتل . تصل صفاء إلى منزلها بمساعدة مختار وهى منهارة ، فيبلغ أبوها الشرطة ، و يتمكن رجالها من القبض على الجناة . و يقدمون للمحاكمة ، ويثور الرأى العام ضد جريمتهم البشعة ، ويحكم على اثنين منهما بالإعدام والباقين بالسجن سنوات متفاوتة .

فى فيلم " اغتصاب " تتعرض الممرضة صفاء لعملية خطف من ثلاثة شبان: ممدوح وفهمى وشكرى ، وهى فى طريقها لحضور حفل زفاف صديقتها فى منطقة نائية . وتتمكن من الهروب منهم والاحتماء بأصحاب المكان . يلحقون بها ويقنعون من تحتمى بهم بكذب أقوالها ، وتتكرر مطاردتهم لها . عندئذ يستيقظ ضمير ممدوح ، ويقرر حمايتها من زميليه ، ويصاب إثر مشاجرة معهما . وتتمكن عفاف من الهرب وتستقل سيارة أجرة لتعود إلى بيتها . أى أن الاغتصاب الفعلى لم يحدث برغم أن عنوان الفيلم " اغتصاب " لزوم الرواج التجارى !!

فى فيلم " حارة برجوان " تتورط المطلقة زينات مع مدحت الذى يتخلى عنها . يعجب بها سيد وتستسلم له ، ويرفض الزواج منها بالرغم أنها حامل . تلد زينات فيقرر سيد الزواج منها بعد أن تنجب الولد الذى يتوق إليه فترفض . يتفق مع مدحت على خطف المولود حتى توافق . يعترف مدحت له بعلاقته بزينات ، ويتصارعان على نسب المولود ويتعاركان !! و قبل أن يموت سيد متأثرا بإصابته ، يدلها على مكان المولود . ثم يستمر حسن مع زينات وابنها بعد تعلقه بهما !!

فى فيلم " فضيحة العمر " تعانى لواحظ من مرض الكلى . ويتصل مجهول بالدكتور الكبير شاهين ليذهب لإنقاذها من أزمة شديدة ، فيفاجأ بها تتهمه باغتصابها ، و تستغيث بالجيران وتلتصق به التهمة !! يقرر ابنه عادل البحث عن الحقيقة ، وعندما يشتد المرض بلواحظ ، تعترف لعادل بالحقيقة . فهى ابنه شاهين الذى اعتدى على أمها حيث كانت تعمل خادمة لديه ، ورفض الاعتراف بها ، ومن هنا كان انتقامها منه . تموت لواحظ ولا يجدى اعتراف عادل لتبرئة أبيه ، أما خطيبها شوقى الذى يعرف الحقيقة ، فإنه يرفض الشهادة لصالح الدكتور شاهين !

ويحل عقد التسعينيات ، ومازالت العناصر النمطية كما تتمثل فى الاغتصاب والتورط والحمل سفاحا والأبناء غير الشرعيين ، تفرض نفسها على الأفلام بنفس

القوة والحيوية ، مما يدل على أن معظم السينمائيين قد استكانوا لها كرهان مضمون للرواج التجارى ، برغم أنها لا تمثل مشكلة ملحة أو شائعة في المجتمع المصرى.

فى عام ١٩٩٠ قدم محمد النجار فيلم " الذل " الذى يبدد فيه عزيز ثروته فى لعب القمار . وعندما يموت عمه كاظم باشا فى ألمانيا ، يفاجأ عزيز بهدينام التى تحتفظ بوصية عمه والتى تنص على أن تؤول أملاكه لخادمه الوفى حجاجة ، ويعترف فيها بأنه ابن غير شرعى له . ويتفق عزيز مع هدينام بالتكتم على الوصية مقابل منحها مبلغا من المال . لكنه عندما يغدر بها ، تسلم هدينام الوصية لحجاجة الذى ينتقم من عزيز بأن يذيقه ألوانا من الذل لمعاملته القاسية له .

أما فيلم " حارة الجوهرى " ١٩٩٢ لمدحت السباعى فإنه زاخر بكل العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية المرتبطة بالتورط والخيانة والحمل والقتل . ففيه يتورط عادل فى علاقته مع جارته فتحية ، ويعدها بالزواج بعد عودة أخيها النقاش محمود من السفر . ثم يتورط أيضاً مع زوجة مدير شركته التى اكتشف خيانتها لزوجها ، كما يتخلى عادل عن خطيبته برغم أنها حامل !! فيصمم الأخ محمود على الانتقام منه ، ويكتشف نجاتى مدير الشركة حقيقة زوجته . و يتشاجر مع عشيقها ويموت!! كما يقتل عادل أيضاً على يد محمود قبل أن يستفيد من جريمته!!

فى عام ١٩٩٣ يواصل مدحت السباعى نفس التوجه فى فيلم " فرسان آخر زمن " الذى يرتكب فيه الأصدقاء الثلاثة وجدى وطارق وعادل جريمة عندما يحاول أحدهم اغتصاب فتاه فتموت نتيجة لصدمة عصبية ويتخلصون من جثتها . وتمر الأيام بمنتهى البساطة ، فيصبح طارق صحفيا مرموقا ، ويعمل عادل رئيسا لفريق كرة قدم ، فى حين يعمل وجدى مدرساً دون أدنى إحساس بالذنب تجاه البائسة التى قضوا عليها . ولكن نظرا لأن الفساد يقضى على نفسه بنفسه ، فإن الصراعات بينهم تتحول إلى معركة فعلية ليلقى طارق وعادل مصرعهما فى حين يصاب وجدى بالجنون !!!

وفى نفس العام أيضاً (١٩٩٣) يقدم عاطف سالم فيلم " توت توت " الذى يصور حياة فتاة بلهاء تدعى كريمة ، تعيش فى حى شعبى ، وتكسب قوتها بقوتها البدنية مثل حمل الأثقال . وفى مولد أحد المشايخ يأتى أحد الأثرياء إلى الحى ، ويعجب بجسدها ويأخذها لتعيش معه ، ويغتصبها . وعندما تظهر عليها آثار الحمل ، يتركها فى أحد شوارع القاهرة لتضع حملها وتظل هائمة هى وابنها حيث تمارس أمومتها بالغريزة ، وتعود إلى حارتها ، وتكتشف الحقيقة عندما يعود الثرى إلى المولد مرة أخرى .

و السؤال الذى يفرض نفسه بقوة على السينمائيين المصريين وهم مقبلون على الآفاق البعيدة والعميقة للقرن الحادى والعشرين هو : هل تستمر السينما المصرية فى اجترارها لهذه العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية ، خاصة تلك التى لا ترتبط ارتباطا حميماً أو عضوياً بالمجتمع المصرى الذى يفترض فيها أنها تبلوره ، وتتفاعل معه نحو رؤى وآفاق جديدة . وخاصة أن مصر تمتلك من المواهب والقدرات والإمكانات والخبرات والتجارب والتاريخ الطويل والتراث العميق ما يؤهلها لمواصلة الريادة السينمائية فى العالم العربى ، وهو الدور الذى لم تتخل عنه منذ العشرينيات من القرن العشرين .

ومن هنا كان الرصد التفصيلى للأفلام التى استسلمت لهذه العناصر النمطية و الأحداث الميلودرامية ، كنوع من المرآة أو الخريطة التى تقدم وتجمع الملامح جنبا إلى جنب ، حتى يدرك السينمائيون الطرق المسدودة أو الدوائر المفرغة أو المتاهات الجانبية ، التى يمكن أن تشتت طاقاتهم ومواهبهم وإمكاناتهم فيما لا يجدى . ونحن نقدم أيضاً هذا التحليل النقدى – الذى قد يبدو قاسيا فى بعض الأحايين – ليس لأننا نسخر من السينما المصرية ، ولكن لأننا نحبها . فهى تشكل جزءا عضويا فى فكرنا ووجداننا وثقافتنا وحضارتنا ، لا يمكن غض الطرف عنه بأية حال من الأحوال . ولذلك سنواصل فى الفصول التالية من هذه الدراسة رصد وتحليل العناصر النمطية الأخرى كى ندرك أننا رضخنا لها أكثر وأطول من اللازم.



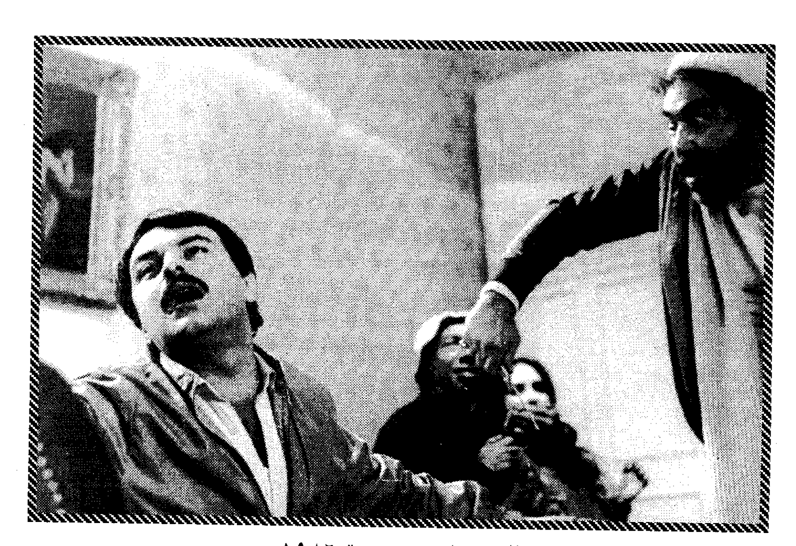
حـــارة بـــرجـــوان   سنة ١٩٨٩



الجـريـمـة الضـاحكـة



ولا من شاف ولا من درى سنة ١٩٨٣



الثعـــابين سنة ١٩٨٦



أفـــــراح   سنة ١٩٦٨



آه يا بلد   إخراج / حسين كمال   سنة ١٩٨٦

الانتقام والقتل والعنف

لاشك أن الانتقام والقتل والعنف من التوابل الحريفة التى يقبل عليها السينمائيون فى شتى أرجاء العالم ، إذ إن المتفرج العادى الذى يعيش حياة روتينية ، يحتاج بين الحين والآخر ، لجرعة من الإثارة تطرد عن حياته الرتابة وعن نفسه الملل . لكن المشكلة أن السينما الأمريكية بعناصرها النمطية الطاغية على السينما العالمية ، قد تطرفت فى التركيز على مشاهد العنف والقتل والانتقام بهدف منح الجماهير أكبر قدر ممكن من الإثارة ، خاصة بعد أن تطورت الحيل والتكنولوجيا السينمائية ، إلى حد كبير . وحاولت السينما فى بلاد كثيرة أخرى محاكاة السينما الأمريكية حتى لا تتخلف عن الركب ، لكن هذه البلاد نسيت أن مظاهر العنف والقتل والانتقام تختلف من مجتمع إلى آخر ، وأن النموذج الأمريكى خاص بالمجتمع الأمريكى ، وإن كان زاخرا بكثير من التطرف والافتعال والمبالغة التى قد لا تكون شائعة فى هذا المجتمع أيضاً . وخاصة أنه عنف مادى وجسدى ، فى حين أن العنف النفسي والوجداني يمكن أن يكون أكثر إثارة وأعمق تأثيرا من مجرد الضربات والجرائم والدماء المهدرة .

وقد بدأت بوادر الانتقام والقتل والعنف منذ فجر السينما المصرية ، وان كانت قد تبلورت فى فيلم " شبح الماضى " الذى أخرجه إبراهيم لاما عام ١٩٣٤ ، وصور فيه حياة مهندس يدعى رمزى ويعيش حياة سعيدة مع زوجته دلال ، لكنه

يقع فى حب زوجة صديقة محمود الذى يكتشف علاقتهما ، فيقرر الانتقام ويقذف رمزى بحجر يصيب عموده الفقري ويصاب بشلل ، ثم يقتل زوجته ، ويسرق مجوهراتها !! ويهرب . وتضع دلال مولودها ، وتمر ثلاث سنوات يفقد فيها محمود ثروته ، ويوصل انتقامه من رمزى فيخطف طفله ليضعه على حافة هاوية فى جبل المقطم . وفى محاولة يائسة يقف رمزي على قدميه ، فيسارع محمود ليقتله لكن قدمه تنزلق ويقع من أعلى الجبل . وتقوم دلال ورمزي بفك قيد ابنهما ، وتعود السعادة مرة أخرى إلى الأسرة.

وفى عام ١٩٤٢ أخرج أحمد جلال فيلم " رباب" الذى تعيش فيه رباب مع زوجة أبيها التى تعاملها بقسوة ، فتضطر للهرب من المنزل وتختبئ لدى الممثلة سعدية وتتعرف على إحسان ، ويصمم الوالد على الانتقام من رباب التى تهرب إلى القاهرة وتعمل مدرسة باسم نجوى ولكن سرعان ما تعود لتتزوج من والد إحسان !! ويهددها عبد الجبار الذى يطمع فيها بفضح سرها ، فتطلق عليه سعدية الرصاص وفى النهاية تتضح للزوج الحقيقة كاملة فيصفح عن رباب.

ومن الواضح أن العناصر النمطية فى السينما المصرية متشابكة ومتداخلة لدرجة أنها تشكل شبكة عنكبوتية أو أخطبوطية ، بحيث يصعب فى كثير من الأحيان فصل عنصر عن آخر ففى فيلم " رباب " مثلاً ، يوجد الاغتصاب والانتقام والانتحال والابتزاز بفضح السر . وكانت هذه الشبكة من ضمن صعوبات هذه الدراسة التى لجأت إلى التركيز على العنصر النمطي الذى يشكل العمود الفقري للفيلم وتسكينه فى الفصل الذى تنبع منه أو تصب فيه أو ترتبط به بطريقة أو بأخرى .

فى عام ١٩٤٤ أخرج يوسف وهبى فيلم " غرام وانتقام " الذى تعتزل فيه الفنانة سهير الغناء لزواجها من الثرى وحيد عزت الذى يطلق عليه مجهول الرصاص فى حفل زفافهما ويقتله . تنهار سهير ويقف إلى جانبها ابن عمها

صفوت وكيل النيابة الذى تنحصر شكوكه فى الموسيقار جمال حمدي برغم الإفراج عنه لعدم كفاية الأدلة . ويرسم خطة مع سهير لانتزاع الاعتراف منه ، بحيث تمثل عليه الحب فى حين يختفى صفوت فى حجرة بمنزل سهير فى أثناء وجود جمال معها ، والذي يعترف لها بارتكابه الجريمة بدافع الشرف ، إذ أن وحيد كان قد غرر بشقيقة جمال الذى حاول أن يضغط عليه ليتزوجها فأصر وحيد على الرفض . وتشاجرا فانطلقت رصاصة أصابت وحيد . ويظهر صفوت فى هذه اللحظة ويقبض على جمال الذى يثور على سهير لخداعها ، إلا أنها تقع فى حبه بالفعل ويتفقان على الزواج بعد الإفراج عنه خاصة بعد أن اكتشفت سهير خداع وحيد لها . ويفاجأ جمال يوم الاحتفال بزفافهما بمصرع سهير فى حادث سيارة ، لمجرد أن أسمهان بطلة الفيلم كانت قد لقيت مصرعها بالفعل فى حادث سيارة قبل انتهاء التصوير .

فى عام ١٩٤٦ أخرج نيازى مصطفى فيلم " راوية " . تقرر راوية الفتاة البدوية الانتقام من ضابط شرطة قتل شقيقها لجريمة قتل ارتكبها أخذاً بالثأر . وترحل إلى القاهرة بحثاً عنه . تتعرف عليه فيدعوها إلى منزله ويعرف حقيقتها وحقيقة ما تنوى عمله ، فى حين تكتشف أنه اعتزل الخدمة واحترف الفن التشكيلى . يحاول استمالتها ليقتل فى نفسها تلك الرغبة الآثمة لكن تصميمها على الانتقام كان أقوى من أية رغبة فى التسامح ، وتطلق عليه الرصاص ، فيتظاهر الضابط بالموت فتبكيه ، وتحاول قتل نفسها . عندئذ يعترف لها أنه استبدل الرصاص بآخر مزيف ، فتهدأ ويتم التفاهم بينهما !!

فى عام ١٩٤٧ أخرج صلاح أبو سيف فيلم " المنتقم " الذى كتب له السيناريو بالاشتراك مع نجيب محفوظ . وفيه يعمل شابان كيماويان فى معمل ، ويتنافسان على حب ابنة صاحب المعمل والتى تختار أحدهما ، فيدس الآخر له مادة كيماوية خطأ فى التجارب التى يجريها ، فيؤدى ذلك

إلى انفجار شديد يصيبه بالعمى . وتتخلى عنه خطيبته والناس جميعاً مما يضاعف من صدمته . وتعمل لديه فتاة كمرافقة وسكرتيرة ، تلاحظ ميله الشديد إلى الانتقام بعد أن اكتشف جريمة زميله . ونظراً لإعجابها به فإنها تعمل على أن يخفف حبها من حدة ميله وتصميمه على الانتقام . ويحدث أن يجرى جراحة يسترد بها بصره ، ويخفى ذلك عن الجميع حتى تتكشف الأمور أمامه . وتشاء الصدف أن يصاب زميله فى حادثة تشبه تماماً الحادث الذى دبره له من قبل !!

فى عام ١٩٤٨تزايد عدد أفلام الانتقام والقتل والعنف إلى أربعة أفلام دفعة واحدة : " الريف الحزين " لمحمد عبد الجواد " و" خيال امرأة " لحسن رضا ، و " السعادة المحرمة " للسيد زيادة ، و" يحيا الفن " لحسن حلمى .

فى فيلم " الريف الحزين " يقدم محمد عبد الجواد تنويعة مصرية على تيمة الثأر والانتقام التى جسدها شكسبير فى مسرحية " روميو و جولييت " ففى إحدى قرى الريف نشب خلاف بين عائلتين ، تولدت عنه ضغائن وأحقاد توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد . فكل منهم يتأهب ليثأر من الآخر ، وكل منهم يقوم بتدمير الآخر ، لكن الحب فى النهاية يستطيع أن يطفئ نار الانتقام عندما أحب شاب من العائلة الأولى ابنه العائلة الثانية ، فيعمل الأبناء على فض النزاع وتغليب الحب على حقد الأسرتين .

فى فيلم " خيال امرأة " تجد فتاة تعيسة الحظ نفسها فى موقف القاتلة فى جريمة قتل ارتكبها أحد المجرمين الخطرين ، إذ استغل المجرم سذاجتها فيوهمها بأنها القاتلة . وبعد أن تلقى الفتاة الأمرين على يديه ، تذهب إلى البوليس لتعترف بجريمتها التى لم ترتكبها ومن خلال الاعتراف والاستجواب يهتدي البوليس إلى القاتل الحقيقى ويقبض عليه ، فى حين يطلق سراح الفتاة . وتتزوج بمن تحب .

فى فيلم " السعادة المحرمة " يربط الحب بين فتاة وشاب ، فتشتعل نار الحقد فى قلب رجل عجوز مغرم بهذه الفتاة ويعمل على التخلص من غريمه ، فيخطفها أحد أعوانه ، ويأويها فى منزله ثم يتزوجها ، لكنها ما تزال على حبها للشاب . وعندما تهمل زوجها ، يزداد حقده عليها ، وينتقم منها بأن يربى ابنها تربية فاسدة ، وكأنه ليس ابنه " !!! فينشأ الابن عاطلاً ضائعاً . كما يوصى بحرمان زوجته من الميراث إذا تزوجت بعد وفاته . وتمر الأيام ويعود حبيبها الذى نجا من الموت بأعجوبة وتضحى بالثروة فى سبيل حبها .

فى فيلم " يحيا الفن " يعمل المطرب مع زوجته فى كباريه ويتودد أحد الأثرياء من مرتادي الكباريه لزوجته محاولا الإيقاع بها ، فيهدد الزوج بقتله . وبالفعل يُقتل الرجل ويتهم الزوج زوجته بقتله وهى بدورها تتهم زوجها بالقتل !! فتصبح الحياة بينهما جحيماً . يفكر الزوج فى الانتحار !! وحين يبدأ فى التنفيذ ، تكتشف الحقيقة ويظهر القاتل الحقيقى . وتعود الحياة بين الزوجين كما كانت عليه من حب ومودة .

فى عام ١٩٤٩ أخرج عبد الفتاح حسن فيلم " المرأة شيطان " الذى لا تستطيع فيه فتاة كبح جماح حبها لزوج ابنة عمها ، فتقتلها ليخلو لها الجو . لكن الزوج يتزوج من ممرضة أحبها بالفعل ، فتتحطم آمال الفتاة وتنتقم لنفسها ، وذلك بأن تشي به إلى البوليس متهمة إياه بقتل زوجته ، لكن الحقيقة تتضح فى النهاية ، وتظهر براءة الزوج ، وينكشف أمرها ليزج بها فى السجن .

أما عام ١٩٥٠ فقد شهد ثلاثة أفلام من هذه النوعية : " أمير الانتقام " لهنرى بركات ، وكل من " امرأة من نار " و" دماء فى الصحراء " لفيرنتشو . ففي الفيلم الأول يزج بشاب نبيل فى السجن ظلماً ، حيث يقضى فيه فترة طويلة . وبعد انتهاء مدة عقوبته ، يخرج ليثأر لنفسه ممن أودعوه السجن . وفى أثناء ذلك يحب فتاة تبادله الحب وتعاونه على الانتقام ممن دبروا له هذه المكيدة . وتتجلى

شجاعته وفروسيته وقوة إرادته التى جعلته يتفوق على كل أعدائه وخصومه ، ويحقق لنفسه السعادة بعد الشقاء . وكان هذا الفيلم من أفضل الأفلام المصرية التى اقتبست عن رواية " الكونت دى مونت كر يستو " ، إذ أن الاقتباس تكرر بعد ذلك فى عدة أفلام لكنه لم يكن على مستوى هذا الفيلم الرائد .

فى فيلم " امرأة من نار " تتزوج سيدة أجنبية لعوب من موظف ويطاردها رئيسه ، فتحث زوجها على قتله ، وفعلاً يطعنه لكنه لا يموت ويتحامل على نفسه ويهرب لكنه يموت تحت عجلات الترام : غير أن الزوجة تهرب مع صديق جديد فيفاجئهما زوجها فى البار حيث ذهبت لتودع طفلها لدى إحدى صديقاتها لترعاه "ويثور الزوج ويقتلها ، ويقبض عليه البوليس !!"

فى فيلم " دماء فى الصحراء " تدور أحداث القتل والانتقام بين قطاع الطرق المهاجمين للقوافل فى الصحراء . كان خالد واحداً منهم وله صديق اشتهر بقتل ضحاياه ، وقتل أسرة مكونة من أب وأم وابنة . أما الابنة الأخرى جازية فقد هربت وصممت على أن تنتقم لأسرتها . هذا الصديق له شقيقة عرجاء ومريضة ومتزوجة من رياض الذي يعشق جازية التى تلتقي بخالد فى أثناء مطاردة سويلم لها ، فيتصدى له وينقذها ويقتله . وتحاول قبيلة سويلم قتل خالد ، لكنه يهرب إلى منطقة صخرية ، وينضم إلى إحدى القبائل ويعيش بينهم .

فى فيلم " الأم القاتلة " الذى أخرجه أحمد كامل مرسى عام ١٩٥٢ ، ينساق مهندس متزوج وله ابن وابنة ، وراء راقصة تنصب شباكها حوله بمساعدة صديقها حتى يتورط فى علاقته معها ويتزوجها لتحصل على ثروته . وفعلاً يتم ذلك دون علم الزوجة والأولاد . وعندما يحاول خطيب الابنة أن ينقذه منها ، فإنه يقع أيضاً فى شباكها ، فلا تجد الابنة مفراً من إبلاغ أمها بذلك . فتسعى الأم إلى الراقصة وتحاول التفاهم معها لتتخلى عن خطيب ابنتها ، لكنها ترفض فتضطر الأم إلى

قتلها . وبهذه التضحية تعود الطمأنينة إلى الأسرة !!! أى أن القتل هنا هو وضع حد للمشكلات المتفاقمة وليس مصدراً متجددا لها .

وفى عام ١٩٥٣ أخرج حسن الإمام فيلم " فى شرع مين " الذى يصور زكية الزوجة المستهترة التى تدفع زوجها إلى تجارة المخدرات ليوفر لها المال ، مما يؤدى به إلى السجن لعدة سنوات ، تعيش فيها زكية وابنتها لواحظ مع أختها عائشة . وكانت بين زكية وزوج أختها علاقة قبل زواجه ، وبالفعل تتزوج منه وتطرد أختها من المنزل !!! فى حين تقوم لواحظ باستمالة خطيب نعمت . وتنتهي مدة عقوبة زوجها السابق الذى يحاول الانتقام منها لكنه يفشل . ويحدث أن تقتل زكية لواحظ بطريق الخطأ ، فتنهار وتنتحر !! ويعود الزوج إلى عائشة نادماً ليواصلا حياتها .

فى عام ١٩٥٤ أخرج يوسف شاهين فيلم " شيطان الصحراء " الذى لا يستطيع فيه أحد أن يتصدى لبطش الوالي الظالم زيد الذي يرهق الأهالي بجباية الأموال وخطف النساء . ويحدث أن يقتل أحد أفراد قبيلة بنى مازن ، فيثور عصام صديق القتيل على الوالى ويتوعده ويتحداه ويصر على محاربته للأخذ بالثأر . وينقذ الفتاة دلال التى كانت قد اختطفها والتى وقع فى حبها ويستمر فى محاربته وخداعه ، وينضم إلى جيش الوالي كفارس بحيث يستطيع فى النهاية أن يقضى عليه ويعود بدلال . أى نفس التوليفة الأمريكية التى تعتمد على الثلاثي الشهير : البطل والشرير والفتاة الجميلة ثم النهاية السعيدة .

فى عام ١٩٥٥ أخرج إبراهيم عمارة فيلم " دموع فى الليل " الذى يترك فيه الشاب منزل أبيه هربا من مضايقات أبيه ، ويصادق زوجة شابة لمحام مشهور . وتحاول زوجة أبيه أن تقتل زوجها ، وتقع التهمة على الابن ، لكنه يبرأ من هذه التهمة بفضل المحامى المشهور . ومع ذلك فإنها بمعاونة عشيقها تتمكن من قتل الزوج عندما كان الابن فى منزل زوجة المحامى . ولا يدافع الابن عن نفسه حرصاً على سمعة الزوجة ، لكنها تقر بالحقيقة ويبرأ للمرة الثانية !!!

فى عام ١٩٥٧ أخرج حسن الإمام فيلم " لن أبكى أبدا " الذى تجد فيه أسماء فرصة سانحة لمجيء الباشا إلى القرية للانتقام منه إذ أنها اعتبرته مسئولاً عن وفاة أبيها فى الماضى . وتحرض الفلاحين على عدم التعاون مع الباشا . ويحضر أحمد إلى القرية ، ويعود الوفاق بينه وبين هدى بعد انكشاف الحقيقة ، ويساعد هدى وأباها فى زراعة الأرض بل ويجند الفلاحين لذلك . ويتم جنى القطن ، وتقوم أسماء بحرق المخزن إلا أنها تلقى مصرعها . ويصمم الجميع على التخلص من عنصر الشر .

وشهد عام ١٩٥٩ ثلاثة أفلام هى بمثابة ثلاث تنويعات على تيمات القتل والانتقام " دعاء الكروان " لهنرى بركات ، و "أنا بريئة " لحسام الدين مصطفى ، و" قاطع طريق " لحسن الصيفى .

فى فيلم " دعاء الكروان " ترحل الأم زهرة مع ابنتيها آمنة وهنادى من قريتهم بعد موت الأب . وتعمل هنادى خادمة فى منزل مهندس الرى فى حين تعمل آمنة فى منزل المأمور . يعتدى المهندس على هنادى ، وعندما يصل خالها ، يقتلها . وتعمل آمنة فى منزل المهندس بهدف الانتقام لمقتل هنادى ، لكنها تشعر بالحب تجاه المهندس لدرجة أنها تواجهه بالحقيقة ودافعها للعمل عنده ، فيعرض عليها الزواج لأنه أحبها أيضاً . وعندما يصل خالها لقتلها ، يفتديها المهندس بنفسه ويموت بين ذراعيها.

فى فيلم " أنا بريئة " يموت والد ناهد ، ويتكفل بها قريبه الأستاذ فاضل الذى يحبها ويتزوجها وينجبان طفلتهما . يزورهم رمزى أبن خالة فاضل ، ويستغل انشغال فاضل بعمله فيحاول استمالة ناهد ، وعندما يكتشف فاضل ذلك ، يحاول قتل رمزى !!! (ويبدو أن القتل حل سهل جداً فى السينما ، أو أنه أول خطوة حاسمة تخطر على بال الشخصيات حتى لو لم تكن من النوع الذى يمكن أن يفكر فى هذا السلوك التى يعتبرا إجراميا حتى لو كان انتقاماً لشرف مهدد) !! المهم أن

ناهد تحول دون وقوع الجريمة ، إلا أن رصاصة تصيب فاضل ، ويهرب رمزى بناهد إلى بنسيون إلا أنها لا تخضع له ، بل وتهدده بالتبليغ عنه إذا لم يذهب لزوجها ويعترف له بحقيقة الأمر وبراءتها . وتتواصل لعبة القتل فيحاول قتلها لكنها تنجو ، ثم يلقى رمزى مصرعه فى مطاردة من الشرطة !!

فى فيلم " قاطع طريق " يصمم وحيد على الانتقام من الأسمر أحد أفراد عصابة أبو العز ، والذى قتل ابن عمه الضابط جلال ، ثم كون عصابة أخرى خاصة به . يسافر إلى الإسكندرية ووحيد فى أعقابه حيث يطلق عليه الرصاص ، ويهرب فى سيارة تقودها مطربة بعد أن يهددها . وفى منزل المطربة يروى لها وحيد قصته وتروى لها ماضيها ، فينصحها بأن تعود إلى الطريق المستقيم . ويتصادف أن يصل أبو العز إلي منزل المطربة ، والذى تهاجمه الشرطة بمعاونة وحيد فى القبض على العصابة . ويعترف أحدهم أنه هو الذى قتل الأسمر ، فى حين يفرج عن وحيد ويتزوج من المطربة .

وبحلول عقد الستينيات ، عرضت فى عام ١٩٦٠ ثلاثة أفلام :" العملاق " لمحمود ذو الفقار ، ورجل بلا قلب " لسيف الدين شوكت ، و" أقوى من الحياة " لمحمد كامل حسن .

فى فيلم " العملاق " يرغب أحد المقاولين فى الانتقام من غريمه . ويتزوج فى اليوم الذى يتهم فيه بقتل مقاول من شركاء غريمه ، ويحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة . وتتزوج سكرتيرته من شريكه بعد طلاقها وبعد سنوات يهرب من السجن ويرغم القاتل على الاعتراف . فيحصل على براءته ، ويبارك سعادة حبيبته بين زوجتها وأطفالها .

فى فيلم " رجل بلا قلب " يقع إقطاعي فى غرام خادمته التى سبق لابنه أن وعدها بالزواج . ويتضح أن الخادمة لم تكن إلا شقيقة لإحدى ضحايا الإقطاعى ،

وقد جاءت لتنتقم منه . وفى آخر لحظة تهرب الخادمة مع ابن الإقطاعي فيطاردهـا ليقتلهما ، لكن زوجته تستطيع أن تقتله قبل أن ينفذ خطته .

فى فيلم " أقوى من الحياة " يتزوج رجـل متوسـط الدخـل والثقافـة وسـبق لـه الزواج والإنجاب من سيدة غنية لها ابنة صغيرة . ويتهمها باهتمامها بطفلتهـا أكـثر من ابنهما . ويغار من الطفلة فيضع لها السم فى الطعام لكن ابنه يموت بدلاً منها . وتتهم الزوجة بقتل الابن ويحكم عليهـا بـالإعدام ثـم تظهـر براءتهـا أخـيراً . ويلقـى الزوج مصرعه فى مطاردة من الشرطة .

وفى عام ١٩٦١ أخرج نيازى مصطفى فيلم " دماء على النيل " الذى تكرس فيه غالية حياتها لخدمة زوجها عبد الرازق الذى يُقتل فى معركة قـامت بينـه وبين عواد ابن النجع المجاور . تنهار وتبحث عن عواد لتنتقم منـه ، وبـالفعل تستدرجه إلى جزيرة نائية ، وتطلق عليه الرصاصة الأولى فتصيبه فى سـاقه ، وفجـأة تنسـى ثأرها وتعالجه كى يتعافى بعد أن خفـق قلبهـا بـالحب . وتكتشـف أن زوجهـا الـذى تسعى للانتقام له خائن ، لم يرع لها حرمة واستمرأ خيانته لها . وفى النهايـة تعـود غالية للنجع لتشيع أنها قتلت عواد وأخذت بالثأر .

فـى عـام ١٩٦٢ أخـرج كمـال الشـيخ فيلـم " اللـص والكـلاب " عــن روايــة نجيب محفوظ الشـهيرة والتـى تحكـى قصــة سـعيد مهـران الشــاب الفقـير الـذى أنهـى مـدة سـجنه بعـد أن أصبـح رئيس عصابــة تنتقـم مـن الأغنيـاء بسـرقتهم . ويحـاول قتـل عيسـى الـذى حصـل لنبويـة زوجتـه علـى الطـلاق فــى أثنــاء سـجنه وتزوجهـا ، لكنـه بـدلاً مـن أن يقتلـه ، قتـل سـاكناً بريئـاً . ثـم يحــاول قتـل رءوف علـوان الصحفي الـذى دمـر حياتـه ، فيصيــب البــواب بـدلاً منــه . ويعيـش مــع الغانيـة نــور التــى تحبـه وتحــاول إسـعاده وحمايتــه بعـد أن أصبـح مطــارداً. ولكـن رجـال الشـرطة يستدلون علـى مكانـه ويحـاصروه إلــى أن يلقــى مصرعــه برصـاص أحدهـم .

كذلك فى عام ١٩٦٣ أخرج كمال الشيخ فيلم " الشيطان الصغير " الذى يختبئ فيه طفل وهو يلهو فى سيارة نقل أثاث ، وتنطلق السيارة من الإسكندرية فى طريقها إلى القاهرة . ويكتشف الطفل أن سائق السيارة وزميله قد قتلا تاجر مخدرات وأخفيا جثته فى السيارة لنقلها إلى جهة نائية ، لكنهما يفاجآن بوجود الطفل فى السيارة . و تبدأ المحاولات للتخلص منه ، لكن الموقف يتطور لصالح الطفل بعد أن يرفض زميل السائق أن يشترك فى جريمة قتل طفل برئ .

وفى نفس العام (١٩٦٣) أخرج نجدى حافظ فيلم " الجريمة الضاحكة " الذى حاول فيه أن يعالج تيمة الانتقام والقتل بأسلوب كوميدى ساخر ، أى معالجة العنصر النمطى بأسلوب غير نمطى ، وذلك من خلال مدحت سالم المخرج التليفزيونى الذى يستعد للزواج من ليلى التى يحبها . وكان أبوه قد قتله خصومه وحكم على القاتل وابنه سويلم بالمؤبد . خرج الابن ومات الأب فى السجن . ويحاول سويلم قتل مدحت قبل أن يقتله أخذاً بثأر أبيه . يضطرب مدحت ويصبح عصبياً بسبب التهديدات المتلاحقة من سويلم فى حين يلح محمود خال مدحت كي يأخذ بثأر أبيه . وبالفعل تتم الجريمة ويخفى مدحت الجثة . وتبدأ تحريات الشرطة ويتبين أن مدحت هو القاتل . ومن خلال التحقيق تثبت براءة مدحت عندما يتضح أن القتيل مات بالسكتة القلبية وأن الرصاص الذى كان بالمسدس غير حقيقى !!! ويخرج مدحت من السجن ليبدأ مع ليلى رحلة شهر العسل .

فى عام ١٩٦٤ يعود هنري بركات إلى إخراج فيلم "أمير الانتقام" (١٩٥٠) تحت عنوان "أمير الدهاء" ، مع بعض اللمسات والإضافات الجديدة ، لكن تيمة الانتقام ظلت هى الأساس والعمود الفقرى للفيلم ، وذلك من خلال شخصية حسن الهلالى التاجر الكبير المشهور له بالنزاهة والذى يحب ياسمينة ابنة أحد التجار . وقد دبر له أعداؤه وفى مقدمتهم شاهين مكيدة أدخلته السجن دون أن يستطيع الدفاع عن نفسه أمام الحاكم الظالم بدران . وفى السجن يتعاون حسن مع زميله فى

الزنزانة فى إعداد نفق إلى خارج السجن ويهربان . ويعمل حسن على الانتقام من أعدائه ، ومساعدة الوطنين الأحرار فى خلع الحاكم . وبرغم هذه الإضافات الوطنية والثورية المواكبة للمد الثورى فى الستينيات ، فإنه من السهل رصد تيمة "الكونت دى مونت كريستو ."

فى عام ١٩٦٥ أخرج عبد العليم خطاب فيلم " العلمين " الذى يتضمن أصداء واضحة من تيمة الانتقام فى " روميو وجولييت " لشكسبير لكنها مشوشة إلى حد كبير .. ففى الفيلم ربط الحب بين عالية وفواز برغم العداوة بين قبيلتيهما الواقعتين بالقرب من العلمين والتى تحول دون زواجهما . يقرر والد فواز أن يزوجه من ابنة أخيه لكنه يرفض لتعلقه بعالية . يقوم نواف ابن عم عالية بقتل فواز ، فتصمم عالية على الانتقام منه فتقتله ، لكنه يتمكن قبل أن يلفظ أنفاسه من انتزاع الخنجر الذى طعنته به عالية ليقتلها . وبعد كل هذا العداء الدموى ، تصفوا النفوس بين القبيلتين ويتم الصلح بينهما !!!

فى عام ١٩٦٨ أخرج عبد المنعم شكرى فيلم " شهر عسل بدون إزعاج " الذى يعالج فيه تيمة الثأر والانتقام بأسلوب كوميدى مرح . فالدكتور منير يتزوج من أمل دون رغبة أبيه فيثور الأب عليه ويقاطعه . يفاجأ الأب بانتهاء مدة عقوبة مدبولى الذى يود قتل منير لوجود ثأر قديم بين العائلتين ، وينسى الأب خلافه مع ابنه ويعمل على إنقاذه من مدبولى . يصطحب الأب ابنه وزوجته إلى الإسكندرية إلا أن مدبولى يعرف مكانهم ويلحق بهم . وفى أثناء مطاردته لمنير يسقط مدبولى فى البحر ويكاد يغرق ، فينقذه منير الذى يأسره بتصرفه ، ويمتنع عن قتله .

فى عام ١٩٧١ يقدم أشرف فهمى فيلم " القتلة " الذى يقتبسه من فيلم الفريد هيتشكوك الشهير " غريبان فى قطار " وفيه يتفق الشاب العاطل عزيز مع المهندس عادل على أن يقتل له زوج أمه الذى يشك أنه قتل أباه ، فى مقابل أن يقتل له عادل زوجته سوسن ليستولى على بوليصة تأمين تخصها . وينفذ عزيز الاتفاق أما عادل

فيتراجع ولكن تحت تهديد عزيز يبدأ عادل مهمته . وعندما تضبطه سوسن بالمنزل يدعى لها أنه جاء لسرقتها لسداد عجز فى عهدته بالعمل . وعندما تقرضه المال ويلمس إنسانيتها ، يعدل تماماً عن الاتفاق ويعترف لها بالحقيقة ، ويقرر حمايتها . ويثور عزيز وتنشب معركة بينهم تكون نتيجتها مصرع سوسن وعزيز.

فى نفس العام (١٩٧١) أخرج عاطف سالم لنفس السيناريست . محمود أبوزيد الذى كتب " القتلة " لأشرف فهمى ، فيلم " بنات فى الجامعة " الحافل بالقتل والانتقام والابتزاز . ففيه تتورط أميرة مع زميلها عادل وتحمل منه . وعندما تلح عليه ليتزوجها ، يرفض ويقتلها . ثم يحاول التقرب من زميلته ليلى ، فتصده ويقرر الانتقام منها . ينجح فى اغراء زميله مراد الذى يمتلك استديو صغير للتصوير ، بتلفيق صورة تجمع بين ليلى وأستاذها الدكتور أحمد فى وضع غير لائق . ويرسل الصورة إلى عميد الكلية فيفصلهما من الجامعة . وعندما يكتشف عصام زميل أميرة حقيقة موتها ، يقتل عادل . عندئذ يستيقظ ضمير مراد ويعترف بالحقيقة ، ويعود أحمد وليلى إلى الجامعة .

وكان لحسام الدين مصطفى نصيب الأسد فى أفلام السبعينيات التى تدور حول القتل والانتقام والعنف ، فأخرج أربعة أفلام " الخطافين " ١٩٧٢ ، و "الأبطال" ١٩٧٤ ، و" صابرين " ١٩٧٥ ، و"الشياطين. 1977 "

فى فيلم " الخطافين " يسافر جلال إلى ألمانيا لشراء ماكينات لورشة الخياطة التى يمتلكها ، ويترك أخاه شريف يباشر أعمال الورشة . ينجح حسين فى إقناع شريف بشراء بضاعة منه بمبلغ كبير مدعيا له أنها صفقة للشركة تدر عليها أرباحاً مضاعفة . ويفاجأ شريف أنها عبارة عن طوب أحمر ، فيصاب بالانهيار ويصمم على استرداد المبلغ . يشتبك شريف مع حسين لكنه يصاب . ويعود جلال وينجح فى استرداد نقوده بمساعدة الشرطة ، وتسفر مطاردتهم لحسين عن مصرعه .

فى فيلم " الأبطال " يشاهد الطفل أحمد مقتل أسرته وسرقة ثروة أبيه على يد أربعة جناة . ينقذه الشاب صابر من الموت بعد أن يحرق الجناة المنزل ، لكن التهمة تلتصق بصابر ويقضى خمسة عشر عاماً فى السجن !! (وكأن الطفل أحمد لم يتم إنقاذه على يد صابر وبالتالى لم يصبح شاهدا فى صالحه) !! المهم أن الطفل أحمد يكبر ويصبح بطلاً من أبطال الكاراتيه ، ويلجأ إلى صابر ليساعده فى العثور على الجناة لينتقم منهم (أي تيمة الكونت دى مونت كريستو مرة أخرى) . يوافقه صابر لأنه يريد منهم تعويضاً مالياً عن السجن ظلماً ! (وكأنهم على استعداد للاعتراف بجريمتهم وتعويضه ؟!) . ويقتل أحمد أحدهم بعد أنه يدله عن مكان زملائه الثلاثة ، لكن أحمد يلقى مصرعه فى آخر معاركه .

فى فيلم " صابرين " تضغط عنايات على صابرين لتتزوج من متولى ، فهى لا تبارك زواجها من حسن ضابط الشرطة الذى تحبه برغم رضوخه لجبروت أمه . فتعمل صابرين على الانتقام منهم ، وتنجح فى إيقاع سعيد فى شباكها ، فيطلب من أخيه أن يطلقها وعندما يرفض يقتله ، ويتم القبض عليه . ثم تلفق صابرين لحسن تهمة رشوة ، وتصاب الأم بالجنون ويفرج عن حسن لعدم كفاية الأدلة ، ويعرض على صابرين الزواج فترفض وتعترف له بجريمتيها .

فى فيلم " الشياطين " يرى المناضل أدهم برهان ورئيس جمعية وطنية أن العنف هو الوسيلة الوحيدة لقلب النظام والتخلص من الاستعمار الإنجليزى ، فى حين تعانى نادية زوجة عاطف عضو الجمعية من حياتها معه فيعدها بالابتعاد عن نشاطه بالجمعية ، لكن أدهم يقتله !! ويعجب الأمير نبيل بمحاسن الخادمة بالقصر ويتزوجها دون علم أمه . وتزداد خلافات أدهم مع أفراد الجمعية فيقتله أحدهم ، ويتم القبض عليهما . يطلق نبيل محاسن لتتزوج من زميله فكرى ، ويربيان ابن عاطف بعد وفاة نادية وهى تلده !!

فـى عـام ١٩٧٦ أخـرج سـمير سـيف فيلـم " دائـرة الانتقـام " المقتبـس مـرة أخـرى عـن روايـة " الكونـت دى مونـت كريسـتو " التـى اقتبسـها هـنري بركـات مرتيـن مـن قبـل فـى " أمـير الانتقـام " ١٩٥٠ " و" أمـير الدهـاء " ١٩٦٤ ، وكـأن تيمـة الانتقام قد استهلكت تماماً فلـم يتبـق سـوى تكـرار اقتبـاس هذه الروايـة الأجنبيـة . ففـى الفيلـم يتفـق جـابر مـع أصدقائـه فتحـى وشـريف وفـؤاد علـى سـرقة فيـلا عـم شـريف الـثرى ، ولسـوء الحـظ يتورطـون عندمـا يقتـل شـريف الخـادم . وعندمـا يختلفـون علـى مـا حصلـوا عليـه ، تـدور الخمـر بـرأس جـابر فـلا يشـعر بعد أن يستيقظ إلا وقد هـرب زمـلاؤه بالمـال ، وحولـه رجـال الشـرطة الذيـن يقبضـون عليـه بتهمـة السـرقة والقتـل ، ويحكـم عليـه بعشـر سنوات . ويصمم علـى الانتقـام منهم بعد الإفـراج عنـه ، وبـالفعل ينجـح فـى مهمتـه فيقتلهم . لكنـه يلقى مصرعـه بعد مطـاردة رجـال الشـرطة لـه .

فى عام ١٩٧٩ أخرج تيسير عبود فيلم " دعونى أنتقم " الذى تلقى فيـه هـدى زوجة الرائد محمود ، هى وابنهمـا مصرعهمـا علـى أيدى رجـال عصابـة تهريـب ذهب انتقاماً منه لأنه تسبب فى القبض علـى بعض أفرادهـا (وكعـادة المنتقم فـى السينما المصرية ، خاصة إذا كان ضابط شـرطة ، أن يستقيل مـن وظيفتـه ليتفـرغ للانتقام ، وكأن وظيفته فى جهاز الأمن تعوقه عن تحقيق العدالة !!) وبالفعل يستقيل محمود ويقرر البحث بنفسه عن الجاني . (وهى تيمه أمريكية ترسخت فى السينما الأمريكية منذ أيام الويسترن ، والتـى تتحقـق فيهـا العدالـة علـى يـد فـرد واحـد أخذ المهمة على عاتقه فأصبحت رسالة حياتـه) !! وينجـح محمـود فـى قتـل اثنيـن مـن أفراد العصابة ويحكم عليه بالسجن (أى أن الحل هـو أن يتحـول البطـل مـن رجـل أمن إلى مجرم قاتل) !! وفى داخل الزنزانة يتعرف على حسان أحد أفراد العصابة ويهربان ، ويقدمه حسان للعصابة ليعمل معهم . وعندما يتأكد له أن رئيس العصابة هو المجرم الذى قتل زوجته وابنه ، يصيبه إصابة قاتلة إلا أن عرفان يتحامل علـى نفسه ويصيبه فيموت .

فى نفس العام (١٩٧٩) أخرج عادل صادق فيلم " قصة الحي الغربي " برغم أنه لا يوجد فى مصر مثل هذا الحى الغربي ، بل هو موجود فى نيويورك حيث يتجمع المهاجرون من المكسيك وبورتوريكو ، سواء بناء على هجرة شرعية أو تسلل . وقد قدم المخرج الأمريكي روبرت وايز مسرحية ليونارد بيرنشتاين التى تحمل هذا الاسم فى فيلم نال نجاحاً ساحقاً فى الستينيات سواء على المستوى الفنى أو التجارى . لكن يبدو أننا لم نعد نجيد الاقتباس بدليل أننا ننقل العنوان بحذافيره دون أن تكون له أى دلالة تخصنا . ذلك أن الاقتباس لابد أن يرتبط بالتمصير الذى لا نجد له أية لمسات فى العداء الذى ينشب بين رجب وأصدقائه وبين طلبة وأصدقائه . ثم ينفصل سامى عن طلبة ويعمل فى أحد المحال ، ويربط الحب بينه وبين أمل شقيقة رجب الذى يرفض زواجهما . ثم يقوم طلبة وأصدقاؤه بالاعتداء على نوال خطيبة رجب فيثور عليهم سامى . ويقوم رجب بقتل طلبة وبدون أن يدرى يقوم سامى بقتل رجب ثم يلقى مصرعه على أيدى أصدقاء رجب !! (كل هذا القتل كأنه لا وجود للشرطة المصرية على الإطلاق .

وبحلول عقد الثمانينيات انطلق طوفان أفلام القتل والانتقام والعنف بصورة لم تشهدها السينما المصرية من قبل ، واستمر بنفس التدفق حتى نهاية التسعينيات ، لدرجة أن نسبة هذه الأفلام فى هذين العقدين تزيد حوالى الضعفين على كل ما أنتجته السينما المصرية منذ مطالعها فى العشرينيات . وربما كان هذا دليلاً على انتشار ظواهر العنف والقتل والانتقام ، سواء أكانت السينما هى أحد أسباب هذه الظواهر أو إحدى نتائجها . لكن يبدو أن مزاج المتفرج أيضا لم يعد رومانسياً أو تأملياً أو خيالياً ، بل أصبح بدوره عنيفاً ، وإن كان عنفاً نفسياً فى معظم الأحايين يريد أن ينفس عن بخاره المكتوم داخله بالعنف المادى الذى يراه على الشاشة ، وهو عنف لم يعد قاصراً على الرجل ، بل مارسته المرأة أيضاً بنفس الاقتدار ، سواء بالقتل بالساطور أو دس السم ... الخ .

فى عام ١٩٨٠ أخرج أحمد السبعاوى فيلم " وتمضى الأيام " الذى يتزوج فيه المهندس شكرى من ابنه خالته خديجة بضغط من أبيه عبد القادر برغم حبه للدكتورة راوية التى تقرر الانتقام من عبد القادر فتوقعه فى حبها ويتعلق بها ويهمل زوجته عديلة . وعندما يعرض عليها الزواج تفاجئه بخطتها وخداعها له ، كذلك ترفض الارتباط بشكرى الذى يضيق بحياته التى تكتشف علاقته براوية ، كما تنسحب خديجة من حياة شكرى .

أما عام ١٩٨١ فقد شهد تسعة أفلام من هذه النوعية دفعة واحدة : الشيطان يعظ و" الوحش داخل الإنسان " لأشرف فهمى ، و" فتوات بولاق " و" دندش " ليحيى العلمى " و " موعد على العشاء " لمحمد خان ، و" لن أغفر أبداً " لسيد طنطاوى ، و " الذئاب " لعادل صادق ، و" انتخبوا الدكتور سليمان عبد الباسط " لمحمد عبد العزيز ، و" بذور الشيطان " لياسين إسماعيل ياسين .

وكانت شخصيات الفتوات والحرافيش التى أبدعها قلم نجيب محفوظ ، مادة خصبة للكتاب والمخرجين كي يخوضوا فى دهاليز العنف والقتل والانتقام ، مثلما فعل أشرف فهمى فى " الشيطان يغط " الذى يهرب فيه شطا مع وداد خطيبة الدينارى فتوة المنطقة ، ويلجأ إلى الشبلى عدو الدينارى ليحميهما ويتزوجان . لكن الشبلى يطمع فى وداد ويقوم باغتصابهما على سبيل الانتقام من الدينارى . ويعود الزوجان إلى حيهما فى حين يصمم شطا على الانتقام من الشبلى الذى يحدد مع الدينارى موعد المعركة الفاصلة بينهما . وعندما تدور المعركة يخرج شطا من مخبئه ليقتل الشبلى لكن أحد أعوان الشبلى يقتله .

وهو نفس ما فعله يحيى العلمى فى " فتوات بولاق " لنجيب محفوظ أيضا . ففى الفيلم ينضم محروس لأعوان المعلم عباس فتوة حى بولاق ، فيطلب منه عباس أن يقتل خطيبته حميدة لكى يقتل فيه مشاعر الحب . يرفض محروس ويهرب ويوصى صديقه بحميدة . تنقطع أخباره فتوافق حميدة على الزواج من بيومى

وتعطيه مبلغاً من المال تسرقه من أمها ليعينه فى تكاليف الزواج . ينجح محروس فى قتل عباس ويخطط للانتقام من حميدة وبيومى . يقتل حميدة وتتهم الأم بيومى بقتلها لوجوده معها قبل الحادث . وتلتصق به التهمة بعد أن يعثر رجال الشرطة على المال المسروق من الأم فى منزله . ويتم الحكم عليه بالإعدام ويصاب محروس بالجنون .

فى فيلم " الوحش داخل الإنسان " يعود محمود إلى بلدته بعد إتمام دراسته ، فيجد صدفة التى كان على علاقة به قبل سفره ، وقد تزوجت من ابن خالتها سيد الشاب الأبله الذى تعانى من حياتها معه . وعندما يكتشف سيد علاقتهما ، يقومان بقتله ، كما يقوم جدعنة بقتل الراقصة لواحظ . وعندما تستدعى الشرطة صدفة للشهادة ، يعتقد محمود أنهم اكتشفوا الجريمة ، فيكتب خطاباً يتضمن اعترافه بقتل سيد حتى يبرئ صدفة ويحاولان اللحاق بمتولى ، ينزلق الحصان الذى يجر العربة فى البحر ليلقى العشيقان مصرعهما .

فى فيلم " دندش " تتزوج دندش من جارها مرسى الذى يدخل فى معركة مع أعوان مدبولى مزيف العملة والذين يتحرشون به ، فيصيب أحدهم ويوهمه مدبولى أنه مات ويهدده بتبليغ الشرطة ليضغط عليه حتى يعمل معه ، فى حين يخفى مرسى الأمر عن دندش التى تثور عندما تعلم وتبلغ الشرطة ضد مرسى فيهرب . تعمل دندش راقصة فى إحدى الفرق . عندئذ يصمم مرسى على الانتقام من مدبولى الذى يصيبه بعد مطاردة بينهما ، وينقل إلى المستشفى وتقف بجانبه دندش التى علمت الحقيقة الكاملة فى النهاية .

فى فيلم " موعد على العشاء " يتم طلاق نوال من زوجها عزت ، وتتعرف على حلاق السيدات شكرى ويربط الحب بينهما . وعندما يكتشف عزت علاقتهما ، يحاول إبعادها عنه ، لكنها تثور عليه لتدخله فى حياتها ، ويتم زواجها بشكرى . يدبر عزت لمقتل شكرى ، فتقرر نوال الانتقام منه وذلك بأن توهمه بأنها ستعود

إليه وتدعوه لتناول العشاء معها فى منزلها . تضع نوال السم فى أحد أصناف الطعام . ويطلب منها عزت أن تشاركه فيه . فيأكلان وتعترف له نوال بوجود السم فيه . ذلك أن العنف هنا عنف نفسى وأشد وقعاً من العنف المادى .

فى فيلم " لن أغفر أبداً " يموت والد حسين نتيجة إهمال الأطباء فى إحدى المستشفيات العامة ، فيقرر حسين الانتقام من الأطباء بسرقة سياراتهم !! وفى إحدى المرات يفاجأ حسين بوجود السائق توفيق فى المقعد الخلفى وهو نائم ، وعندما يستيقظ ، يستغيث بالمارة ، فيدفعه حسين خارج السيارة ويصاب بالشلل . يتعرف حسين على ابنته ياسمين ويتوب ويعيد تشغيل ورشة أبيه . وعندما يذهب حسين لمقابلة والد ياسمين ليخطبها ، يفاجأ بأنه توفيق ، فتنهار ياسمين وترفض الزواج منه .

فى فيلم " الذئاب " يكون رجل الأعمال صابر ثروته بطرق غير مشروعة ، ويكلف أعوانه بقتل موظف الشركة عزت لأنه شهد ضده فى إحدى القضايا . يسعى صديقه ناجى مع رجال الشرطة لمعرفة القاتل بحكم عمله فى الشركة نفسها ، وينضم إليهم الصحفى مكرم الذى يهاجم صابر فى مقالاته . ويواصل صابر إجرامه بالتخلص من كل من يقف فى طريقه ، فى حين يستغل ناجى إعجاب سوسن زوجة صابر به ، فيطلب منها إمداده بمستندات تدين زوجها . يسلمها لرجال الشرطة ويبوح بذلك لصابر !! يتعاركان ويلقيان مصرعهما !!

فى فيلم " انتخبوا الدكتور سليمان عبد الباسط " يتعرف الدكتور سليمان أستاذ القانون الجامعى على فتاة الليل ابتسام ، وفى أثناء وجوده فى منزلها ، يصل عشيقها المقاول توفيق الذى يشتبك مع سليمان الذى يقتله وهو يدافع عن نفسه . يقوم بنقل الجثة فى سيارته للتخلص منها، فيشاهده زغلول صديق توفيق ، ويطالبه بمبلغ من المال شهرياً مقابل كتمانه الأمر . يبدأ رئيس المباحث عادل التحريات – وهو صديق لسليمان – ويتوصل لشخصية زغلول من أوراق توفيق . وعندما

يعلم سليمان ذلك منه ، وقبل أن يصل إليه يقتله . يحصر عادل معارف توفيق ومنهم ابتسام التى تعترف بعد أن يضيق الخناق عليها ، ويتم القبض على سليمان .

فى فيلم " بذور الشيطان " يتزوج عصمت من الثرية العجوز إقبال عمة صديقه رأفت . ويقومان بقتلها ويتقاسمان ثروتها . ويتزوج رأفت من نيفين ابنة عم عصمت الذى يتفق معها على قتل رأفت حتى ترث نصيبه . وتنجح خطتها لكن عصمت يفاجأ بها بعد ذلك وهى تتفق مع شخص آخر للتخلص منه ، فيقتلها ويصل رجال الشرطة ويقبضون عليه .

فى عام ١٩٨٢ أخرج اشرف فهمى فيلم " الأقوياء " وفيه تلتقى نادية بالمهندس سالم ويتفقان على الزواج . ويعترض رمزى وعندما يفشل فى التفرقة بينهما . يقتله ويفلت من العدالة بنفوذ أبيه . يثور عادل على أخيه رمزى الذى يهدده بمسدس ، فيحاول أبوهما الباجورى انتزاع المسدس من يد رمزى فتنطلق رصاصة ترديه قتيلاً !! وعندما يحاول رمزى قتل عادل ، فإن الرصاصة تصيبه هو ليسقط قتيلاً !!

وفى نفس العام (١٩٨٢) أخرج نادر جلال فيلم " أرزاق يا دنيا " الذى يثور فيه أبوزيد مع زملائه على المعلم شمروخ صاحب الوكالة التى يعملون بها والتى تخضع لزعامة شوشو التى تخالف القانون . فيعملون فى وكالة جديدة ، مما يثير غضب شوشو ، فى حين تنتهى مدة عقوبة غراب زعيم الوكالة القديم الذى خرج ليحل محل شمروخ ، وسرعان ما يشرع مع أعوانه فى مهاجمة أبوزيد وزملائه . وعندما يقتلون أحدهم ، يعتدى أبوزيد على غراب الذى يحرض أعوانه على الاعتداء على زوجته سنابل . يقتله أبوزيد فيصيبه أحد أعوانه غراب إصابة خطيرة!!

ويشهد عام ١٩٨٣ ثلاثة أفلام من هذه النوعية : " الخبز المر" لأشرف فهمى ، و" أسوار المدابغ " لشريف يحيى ، و" غداً سأنتقم " لأحمد يحيى .

فى فيلم " الخبز المر " يعمل سالم على توفير المبلغ المطلوب لشراء أرض عزيزة التى يطمع فيها ابن بلدتهم عواد . وتدبر فهيمة ثمن الأرض وتعطيه لسالم ليعجل بزواجه من عزيزة التى ينافسه طلبة فى حبها . يحاول طلبه قتله ، وفى محاولته للدفاع عن نفسه ، يقتله سالم . فيقوم عواد بقتل رضوان لثأر بين العائلتين . وفى أثناء مطاردة إخوة طلبة لسالم ، يموت عتريس ويصاب سالم فى ذراعه .

فى فيلم " أسوار المدابغ يتواصل مسلسل الاقتتال والقتل عندما يسيطر المعلم خليل على تجارة الجلود بالحى ويعاونه ابنه فاضل ، أما ابنه الآخر حسين فهو يساند العمال . وعندما يقرر محسن إعادة تشغيل مدبغة أبية الراحل ، يقلق خليل ويحيل عليه أحد أعوانه فيمنحه سلفاً بفوائد حتى تتراكم عليه الديون ويتم الحجز على المدبغة . وعندما يفشل محسن فى تدبير المبلغ ، يضطر للعمل عند المعلم خليل ، وتتدهور حالته . وعندما يكتشف ما فعله خليل ، يقرر قتله ، لكنه يفاجأ بوفاته . عندئذ يحل فاضل محل أبيه ، ويواجهه محسن بجريمة أبيه ، فيشتبكان ويستطيع فاضل أن يقتله .

فى فيلم " غداً سأنتقم " تضحى حنان وتدخل السجن بدلاً من زوجها مدحت لتقضى ثلاث سنوات بعد أن يصدم أحد المارة حتى تتيح له فرصة إثبات وجوده فى الحياة !! لكنه يتخلى عنها بل ويطلقها ، ويرفض أن يأخذ مولودهما ليرعاه فيموت !! تنتهى مدة عقوبتها ويصبح مدحت رجل أعمال كبير ويتزوج عشيقته صافيناز . تقرر حنان الانتقام منه (وتتقمص شخصية الكونت دى مونت كريستو إلى حد ما) فهى تسبب له بخطتها فى خسائر مادية كبيرة . فعلى سبيل المثال ، تبلغه بخيانة زوجته له فيقتلها . يقبض عليه رجال الشرطة بعد أن تبلغهم حنان ليحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً ، ثم تعترف له بما سببته له .

فى عام ١٩٨٤ يواصل أحمد يحيى إخراجه لأفلام الانتقام فـى فيلم "حتـى لا يطير الدخان " الـذى يرفض فيـه كمـال ومدحت ورءوف إقراض صديقهم فهمـى المال اللازم لإجراء عملية جراحية لأمه التى تموت فيقرر الانتقام منهم . ينتهـى من دراسته ، ويكون ثـروة كبيرة بطريقـة مشبوهة . ينجح فهمـى فـى الانتخابـات ويتسبب بنفوذه فى تعطيل صفقة فاكهة لمدحت ، فيضطر لبيعها بمبلغ رخيص حتى لا تفسد . وتضيق خيرية بظروف زوجها مدحت الماديـة المتدهورة ، فتتقرب مـن فهمى الذى يشجعها على طلب الطـلاق كـى يتزوجهـا ويحقق انتقامـه منهـا عندمـا رفضت الزواج منه لفقره . لكنه فى ليلة زفافـه إلـى جارتـه القديمـة سنية ، تفاجئـه أزمة مرضية تودى بحياته !!

وفى عام ١٩٨٤ أيضاً يواصل أشرف فهمى إخراجه لأفلام القتل بالجملة فى فيلم " المجهول " الذى تعيش فيه مديحة مع أمها فـى كندا ، حيث تمتلـك الأم فندقـاً فى منطقة منعزلة ، ويقومان بقتل النزلاء ويسرقان نقودهم . (أى طبعة كندية مـن ريا وسكينة !!) ويساعدهما رجل أبله يلقى بالجثث فى البحيرة القريبة . وعذر الأم فى هذا أنها فى حاجة للمال لتسـدد دينهـا للبنـك !! ويصـل ابنهـا نـاجى مـع زوجتـه فاطمة إلى كندا ليبحث عنها ويعرف أسباب طلاق أبويه منذ طفولته !! ويعثر علـى الفندق ، وينزل باسم مستعار !! وتنفـذ الأم جريمتهـا فـى حين تكتشـف مديحـة مـن جواز السفر حقيقة ناجى فتنهار . تفاجأ الأم فتسرع لتلحق بالابنة ، وعندما تغـوص جثة ناجى فى أعماق البحيرة ، تلقى بنفسها وراءها لتنتهى هذه المأساة التى لا محل لها من الإعراب !!

وكذلك أخرج سيد سـيف فيلـم " كـلاب الحراسـة " فـى عـام ١٩٨٤ ، والـذى يتاجر فيه رجل الأعمال الكبير عفت فى المخدرات والمـواد الغذائيـة ، لكـن حمـدى موظـف الجمرك الشـريف يتصـدى لـه ويرفض الرشـوة ، فيلفـق لـه عفت قضيــة مخدرات يدخل بسببها السجن ثلاث سنوات ، ويخرج مصمماً على الانتقام . وتفشل

محاولته لقتل عفت ، ويهرب ويختفي عند حبيبته عنايات التي يطمع فيها حسونة الذي ينجح في التوصل إلى مكان حمدي ، ويشي به لعفت ، ويصطحبه أفراد من العصابة مع عنايات إلى مقر عفت الذي يطلق كلابه على حمدي لتقضي عليه لينفرد بعنايات التي يطمع فيها ، إلا أنه يقع في قبضة رجال الشرطة مع عصابته .

وشهد عام ١٩٨٦ حشداً كبيراً من أفلام القتل والانتقام والعنف ، نذكر منها " عصر الحب " لحسن الإمام ، و" الحناكيش " لعلي عبد الخالق ، و " الورثة " لأحمد السبعاوي ، و " الأوباش " لأحمد فؤاد ، و" أجراس الخطر " لمحمد عبد العزيز ، و" الحلم القاتل " لعادل الأعصر .

في فيلم " عصر الحب " المأخوذ عن رواية نجيب محفوظ ، يتزوج الكاتب المسرحي حمدي من الممثلة بدرية ، ويكتم صديقه عزت مشاعره لأنه يحبها . وينضم حمدي لجماعة ثورية تحارب الملك والإنجليز ، ويتم اعتقاله لكنه يهرب . يشك في وجود علاقة بين زوجته وزميله في الجماعة حسين ، فيطلقها ويقتل حسن يدخل السجن وتتزوج بدرية من الثرى نعمان إلا أن ابن عزت الطالب الثوري يقتله . وتنتهي مدة عقوبة حمدي ، ويتوصل لمكان بدرية ويعرب لها عن أسفه . وعندما يتحرش به عزت ، تقتله بدرية ويحكم عليها بالمؤبد . وأبسط تعليق على هذا الفيلم أن أبطاله لا يمكن أن يكونوا ثواراً رهنوا حياتهم من أجل تحرير وطنهم من الاستعمار ، بل هم حفنة من القتلة التافهين الذين يحلون مشكلات الجنس والزواج بالقتل كحل حاسم وسريع ومضمون ولا بديل له !! وكان من الأولى أن يسمى الفيلم " عصر القتل " وليس " عصر الحب !! "

في فيلم " الحناكيش " يستولى أحد رجال السلطة على فيلا طاهر سليمان أثناء غيابه بالخارج ، ويعترف لابنه عصام وعمر بأنه يدفن في حديقة الفيلا خزانة بها سبائك ذهبية . ويتفق مع عصام على تمثيل الحب على شغالة الفيلا عواطف لتسهيل مهمة استعادة السبائك . لكنه يقع في حبها بالفعل ، ويعترف لها بالحقيقة

فتشــترط أن يتزوجهـا ويمنحهـا مليـون جنيـه . وتنجـح الخطـة ويضـع طــاهر المجوهرات فى خبايا السيارة لسفرهم إلى الخارج بالباخرة . ويغدر طاهر بعواطف فيقتلها وينهار عصام . وعندما تنقل السيارة إلى الباخرة ، يسرع عصام ويحدث تلفاً لتسقط السيارة وتصطدم بطـاهر ليلقـى مصرعـه وتتبعثر المجوهرات علـى أرض الميناء (ولا يعرف أحد مـن أيـن أتـى المؤلـف باسم الفيلـم سـوى أنـه علـى وزن " الحرافيش " لنجيب محفوظ) !!

فى فيلم " الورثة " يفاجأ إسماعيل بأن أبـاه نقل ملكيـة المصنـع لأخيـه أحمد الذى يتزوج أيضاً من رشا ، فيزداد انهياره وحقده علـى أخيـه الـذى استولى أيضـا على حبيبته ، فيصمـم علـى الانتقـام منـه . ويبـدأ إسـماعيل بقتـل سـليم أحـد عمـلاء المصنـع ، لكنه يفشل فى إلصاق التهمة بأحمد . فيواصل انتقامه بـإحداث عطـل فـى سيارة أحمد فتنفجر وهو بداخلها ، ثم يتزوج إسماعيل من رشا . لكن يفاجأ الجميـع بعودة أحمد الذى فقد الذاكرة بعـد نجاتـه مـن الحـادث . وبـالطبع تعـود إليـه ذاكرتـه ويواجه إسماعيل بتدبير الحادث ثم يلقى إسماعيل مصرعه على أيدى أقارب سليم ، تطبيقاً لمبدأ من قتل يُقتل ولو بعد حين ، لكن ليست هناك صراعات نفسية أو تأنيب ضمير أو تردد فى إزهاق أرواح أقرب الناس إلى القاتل !!

فـى فيلـم " الأوبـاش " نعود مـرة أخـرى إلـى تيمـة " الكونـت دى مونـت كريستو " عندمـا يتعـرض شـريف وعروسـه صفـاء وهمـا فـى طريقهمـا إلـى منزلهمـا لهجـوم مـن سـتة شـبان ، يصيـب أحدهـم شـريف إصابـة خطـيرة ويمـوت ، ثـم يعتـدون علـى صفـاء التـى تنقل إلـى مستشـفى للأمـراض النفسـية . ويـتردد عليهـا المريـض أحمـد الـذى تعـرض لحـادث مشـابه عندمـا تعرضـت خطيبتـه لاعتـداء وحشـى حـال دون ممارسـة حياتهـا الطبيعيـة عندمـا تزوجـت ، بـل وأدى إلـى مصرعهـا بسـيارتها . عندئـذ يصمـم أحمـد علـى الانتقـام مـن الأوغـاد السـتة ويقتلهـم بـالفعل ويسـلم نفسـه .

فى فيلم " أجراس الخطر " ينتقم شكرى من زميل دراسته جابر الذى يسرق منه مستندات تدينه فيزج به فى السجن . وبعد انقضاء المدة يخرج جابر للانتقام منه بالتجسس على كل أسرار عملياته بل وينافسه فى صفقاته المشبوهة ، حتى يتمكن من سرقة أوراق تدين شكرى وتكشف لعملائه سرقاته . لكن دوامة الانتقام لا تتوقف ، إذ أنه عند خروج جابر بزوجته من المستشفى ومعها مولودها ، يصاب بطلق نارى قاتل من أعوان شكرى .

فى فيلم " الحلم القاتل " تتعرف الموظفة نيللى على النصاب أدهم الذى يوهمها بحبه ، وتشاركه فى عمليات السرقة . ثم يحاول أدهم إقناع زميلها رامى بقتل أمه الثرية لكنه يرفض ، إلا أنه يفاجأ بمصرعها وسرقتها . وتعمل نيللى راقصة لتسدد ديون أدهم لتاجر المخدرات . ويكتشف رامى أنها هى وأدهم قاتلا أمه . ويتخلى أدهم عن نيللى بعد أن يبتز نقودها فتقتله ، فى حين يفشل رامى فى قتلها ، بل إنه يتعاطف معها لأنها ضحية أدهم !!

ثم يأتى عام ١٩٨٧ بأربعة أفلام هى : "أبناء وقتلة" لعاطف الطيب ، و "حقد امرأة" لنادية حمزة ، و "يا صديقى كم تساوى" ليوسف فرنسيس ، و "المرأة الحديدية" لعبد اللطيف زكى .

فى فيلم " أبناء وقتلة " يتزوج شيخون من الراقصة دلال ويستولى على مصاغها لشراء حانة !! يرزقان بزهير وونيس . وتنتقم منه دلال فتفشى لضابط المباحث أحمد غانم تستره على خليل زوج شقيقته الهارب من السجن فيقبض عليه . وبعد خروجه من السجن ، يقتل دلال ويعمل بتجارة السلاح ويثرى ثراء كبيراً . ثم يقرر ابنه زهير الزواج من تلميذته بالجامعة ، فيفاجأ شيخون بأنها ابنة أحمد غانم فيحاول قتله !! وفى محاولة لمنع الجريمة يصاب زهير بطلقة قاتلة !!

فى فيلم " حقد امرأة " نواصل مسلسل القتل السهل والسريع !! إذ تعارض غالية زواج ابنتها نادية من حمدى الذى استولى أبوه فراج على ثروة أبيها عواد

قبل مصرعه ، إلا أن حمدى يسرق من أبيه مبلغاً كبيراً ويعطيه لغالية فتوافق !! وتشاء الصدف أن تفاجأ غالية فى أثناء حفل الزفاف بجارهم منعم وهو يعترف لها بأن فراج هو قاتل عواد ، فتنهار نادية وتطلب الطلاق . عندئذ تنتقم غالية من فراج بتبليغ زوج عشيقته عن علاقتهما فيقتلهما .. وينهار حمدى عندما تحصل نادية على الطلاق بحكم قضائى ، ويطلق عليها الرصاص فتصاب بالشلل ويصاب هو بالجنون .

فى فيلم "يا صديقى كم تساوى" يتعرف سيف على الأرملة الثرية ناريمان ، فى حين تطمع أمه فى أن يتزوج من سوسن شقيقة زوجة أخيه المتوفى . ثم يتضح أن ناريمان تنوى الانتقام من سيف ، فقد كانت زوجة لأخيه الراحل الذى أنقذته من الإفلاس ثم طلقها ليتزوج من شقيقته سوسن . وعندما يموتان فى حادث تؤول الثروة لسوسن . وتنجح ناريمان فى إيقاع سيف فى حبها ويتزوجان ، ويفاجأ بحقيقتها وأنه ضحية انتقامها ، إلا أنها تعرب له عن حبها الصادق لكنه يتخلى عنها فتنتحر !!

فى فيلم " المرأة الحديدية " تتقمص البطلة شخصية الكونت دى مونت كريستو الذى لا يمل السينمائيون المصريون من استدعائه بين الحين والآخر عبر نصف قرن ، وكأن مجتمعنا قد خلا من الموضوعات أو المضامين أو التيمات أو الأفكار ، برغم أنها ملقاة على نواصى الشوارع على حد قول الجاحظ ، وحياتنا اليومية بل والعادية زاخرة بها . ففى هذا الفيلم يدعى حسن لخطيبته ماجدة أنه يعمل بالاستيراد والتصدير . ويتزوجان لكنه يلقى مصرعه أمامها برصاص أربعة أشخاص ، يفشل رجال الشرطة فى التوصل إليهم ، فتصمم ماجدة على الانتقام بنفسها . أى أنها ستقوم بما عجز جهاز الأمن كله عن تأديته ، فتعثر بين أوراق زوجها على ما يفيدها ، وتتوصل إليهم دون أن تخبر الشرطة لأسباب لا ندريها إلا أنها تريد أن تثبت لنفسها ولنا أنها امرأة حديدية !!! وبالفعل تقتل ثلاثة منهم !! أما رابعهم بيومى فيبلغ الشرطة ليحتمى منها ! ويتعجب المتفرج كيف لهؤلاء القتلة أن

يتحولوا إلى قطط مذعورة هكذا أما هذه السيدة العجيبة ؟! ويعترف رابعهم بجريمتهم ، فهم عصابة لتزوير الأوراق المالية وقد استولى حسن على قيمة العملية الجديدة فينفذون جريمتهم . ويتم القبض على ماجدة التى لا تندم بعد أن تعلم حقيقة حسن ، ذلك أن القتل عندها لا يثير أى نوع من الندم !!

وفى عام ١٩٨٨ يستمر تدفق أفلام القتل والانتقام والعنف ، نختار منها على سبيل المثال : " المتمرد " لهنرى بركات ، و " أيام الرعب " لسعيد مرزوق ، و "مخالب امرأة" لعادل الأعصر و " أنا والعذراء والجدى " لأحمد النحاس ، و "حكاية نص مليون دولار" لسعد عرفة .

فى فيلم " المتمرد " يرحل هاشم من بلدته بعد أن يرفض قتل يحيى لوجود ثأر بين العائلتين ، ويعمل فى ميناء الإسكندرية مع المستخلص الكبير عونى الذى يلفق لمنافسه رمضان تهمة حيازة مخدرات ، لكن هاشم يشهد ببراءته . تتوثق علاقته به ويعمل معه ، كما يتفق مع ابنته ليلى على الزواج . ثم يفاجأ هاشم بمجيء يحيى ويزيلان الخلافات بينهما . ويتم القبض على عونى وأعوانه لجرائمهم فى التهريب . وفى ليلة الزفاف يصل أقارب هاشم ويحاول أحدهم قتل يحيى ، بحيث يصاب هاشم عندما يحاول إنقاذه .

فى فيلم " أيام الرعب " يصاب محروس الموظف بهيئة الآثار بالرعب بعد أن يصله خطاب من جده ، يبلغه فيه بالإفراج عن عويضة الذى يسعى لقتله أخذاً بالثأر . فيعيش محروس فى عزلة وتفشل محاولات خطيبته سلوى إخراجه من أزمته . لكنه يذهب إلى أحد الموالد حيث يفاجئه عويضة بطلقة نارية قاتلة ، ومع ذلك يتمكن محروس قبل أن يلفظ أنفاسه من إصابته بساطور ليسقط قتيلاً وتنهار سلوى !!

فى فيلم " مخالب امرأة " تموت هند وتشك أختها مفيدة أن زوجها صبرى قد قتلها فتقرر الانتقام منه ، لدرجة أنها ببساطة شديدة توافق على الزواج منه ثم

تقتله . ويبدأ رئيس المباحث في التحقيق وتحوم حولها الشبهات ، فتدعى وجود صديق لزوجها لا تعرفه كان معه قبل مصرعه . وعندما يقوم المحامى بهاء بالدفاع عنها ، يرتاب فيها ، فيضيق عليها الخناق حتى تنهار وتعترف ، وكأن المحامى قد أصبح محققاً !! ثم تقع مفاجأة في غاية الافتعال عندما يثبت التقرير الطبى أن صبرى لم يمت بطلقة مسدسها ، ويكتشف رئيس المباحث أن شريف هو قاتل خاله . ويتم القبض عليه ويعترف بأنه كان يطمع فى ثروته !!

فى فيلم " أنا والعذراء والجدى " يموت أبو المعاطى بعد أن يعترف لابنه سليم بأن حسين الذى تولى تربيته هو أخوه . يحرق سليم الأوراق التى تثبت ذلك ويخفى الأمر عن أخته نجوى طمعاً فى الثروة . ويتفق حسين مع نجوى على الزواج ، ثم يعترف لها سليم فجأة بحقيقة حسين لكنها لا تصدقه ، فيضطر إلى قتل حسين حتى يحسم الموضوع !!

فى فيلم " حكاية نص مليون دولار " تنتهى الأحداث بأن يقوم عامر بقتل سيف الذى يهدده بالشيك حتى يرغمه على مشاركته فى إحدى العمليات الجديدة . وتفشل محاولة حسين للانتحار بعد أن يقتل عامر ، ويتم القبض عليه . فالجميع يقومون بعمليات القتل كما لو كانوا يمارسون لعبة الكراسى الموسيقية !!

فى عام ١٩٩٠ أخرج أحمد يحيى فيلم " الخادم " الذى يدخل فيه كمال السجن بدلاً من شاهين صاحب الشركة التى يعمل بها وذلك بسبب مخالفاته القانونية ! (لاحظ تكرار ظاهرة دخول شخص السجن بدلاً من آخر لأسباب واهية فى أفلام عديدة) !! ويتفق معه على أن يربى محمود .ويخلف شاهين وعده ويتخذ محمود خادماً للأسرة . (وهذا سلوك متوقع من مجرم مثل شاهين لا يمكن أن يكون محل ثقة كمال) !! المهم أن محمود يكافح ويصبح محامياً ويصمم على الانتقام من شاهين . تنتهى مدة عقوبة أبيه فى حين يبدأ محمود انتقامه من شاهين بابنته مىّ فيوقعها فى شباكه ويبتز نقودها . ثم يدفع بأخيها علاء إلى الإدمان . ونظراً لسهولة

خطوات وحركات وانطلاقـات الشـخصيات فـى الأفـلام المصريـة ، يصبـح محمـود رجل أعمال كبير ، ويهجر ميّ التى تصاب بالانهيار . ثم يرشو أحد أعوان شـاهين ليحصل على مستندات تدينـه ويتم التحفظ على ممتلكاته . كما يشـترى محمـود فيـلا شاهين ، ويتزوج من ميّ لأنه يحبها بالفعل ، وهو الذى هجرها من قبل !!

وفى نفس العـام (١٩٩٠) أخـرج عبد اللطيـف زكـى فيلـم " البركـان " الـذى يرحل فيه هريدى بطفله أحمد إلى الإسكندرية هربـا مـن ثـأر بيـن عائلتـه و عائلـة أخرى . و يسافر إلى أمريكـا بعـد أن يـترك أحمـد فـى رعايـة التـاجر صـالح الـذى يقترح عليه فـى خطـاب أن يتبنـى أحمـد حتـى يحميـه مـن الثـأر فيوافـق (برغـم أن الشريعة الإسلامية تمنع التبنـى ، لكـن طالمـا أن التبنـى شـائع فـى السـينما الأجنبيـة فلماذا لا يشيع عندنا) ؟! ثم تتم خطبة احمد إلى الأرملة ليلى ، و يعود هريدى بعـد أن يصبح مليونيرا ، و يعترف لأحمد بحقيقته . ويتضح له أن ليلى تطمع فى ثـروة أحمد فيحاول إبعاده عنها ، لكن عبثا لدرجة أن أحمد يقاطعه . وعندما تصل العائلـة الأخرى للنيل من هريدى ، يسرع أحمد لإنقاذه !!

وشهد عام ١٩٩١ ثلاثة أفلام هى :"مسجل خطر " لسـمير سـيف ، و "رغبـة متوحشة " لخيرى بشارة ، و" شحاتين و نبلاء" لأسماء البكرى .

فى "مسجل خطر " تنتهى مدة عقوبة اللص سيد فيخـرج و معـه زميـلاه بـدر ومصطفى الذى يقرر الانتقام من شريكيه طارق وصفوت . وكـان قـد تحمـل تهمـة السرقة بمفرده على وعد منهما لعلاج زوجته المريضـة !!(و السـؤال هنـا : كيـف يثق لص فى زملائه ، ويدخل السجن نيابة عنهم كما حدث فى أفلام عديـدة ؟! نمـط ممل و سخيف وغير مقنع برغم تكراره) !! وبالطبع يتخليان عن زوجته فتموت . و يلجأ مصطفى لسيد وبدر ليسـاعداه ، خاصـة أنهم علمـوا بقيـام طـارق وصفـوت بعملية تهريب مخدرات جديدة ، وينجحون فى الاستيلاء على قيمة العملية . وتحدث مطاردة مع العصابة تؤدى إلى مصرع مصطفى فى حين تقع النقود فى النيل !!

فى " رغبة متوحشة " تفاجأ ناهد وابنتها وفاء وسميحة شقيقة زوجها بمقدم الشاب سيد غزال الذى يخبرهن بأنه زميل الزوج فى الزنزانة . والذى اعترف له قبل وفاته بوجود كنز من الدولارات ثمن عملية الجاسوسية التى قام بها ، ومدفونة بالقرب منهن . وتتنافس المرأتان على حبه ويعرب لناهد عن إعجابه بها . و يشرعون فى عملية الحفر لكن ناهد تصيبه فى رأسه بمؤخرة البندقية فيسقط فى البئر . تلحق به سميحة ظنا منها أنه لم يمت وتعثر على النقود . وعندما تعترف وفاء لأمها بكذب ادعائها بمحاولة سيد الاعتداء عليها ، تنهار ناهد لأنها سعت إلى قتله على سبيل الانتقام منه !

فى فيلم " شحاتين ونبلاء " يعيش الشاب جوهر حياة الصعاليك فى الحوارى المصرية . فهو مثقف لكنه محبط للغاية . أما صديقاه الكردى ويكن فيشكلان تنويعتين على حياة الصعلكة الثقافية التى كانت منتشرة فى فترة الأربعينيات . فالكردى مثقف آخر وصعلوك ولكنه أكثر واقعية ، أما يكن فهو من أشد المؤمنين بعبقرية جوهر التى لا نلمسها فى الفيلم على الإطلاق . يكفى أنه يرتكب جريمة قتل إحدى العاهرات ، وتتوالى التحقيقات ويعترف جوهر للضابط أنه القاتل ، لكنه لا يجد الدليل الكافى للقبض عليه . (وكأن الاعتراف الكامل دون إكراه لم يعد سيد الأدلة) !! وينتهى الفيلم بموقف مبكى لا معنى له ولا منطق له إذ أن الضابط يترك عمله ليعيش مع الثلاثة فى جو من الضياع والصعلكة !!!

وشهد عام ١٩٩٢ أربعة أفلام هى " لعبة الانتقام " لمحمد عبد العزيز ، "الهجامة" لمحمد النجار ، و " الشرس " لنادر جلال ، و" جحيم امرأة " لطارق النهرى .

فى " لعبة الانتقام " تتزوج نادية من صلاح برغم معارضة أبيها رجل الأعمال مرزوق ، ويرزقان بابنتهما مى ، ومع ذلك يستمر فى محاولات التفريق بينهما . ويطلق البعض الرصاص على مرزوق لثأر قديم فيصيبونه ويهربون ،

فينتقم مرزوق من صلاح فيتهمه بهذه الجريمة . وينجح ابن أخيه ضابط المباحث فى إثبات التهمة عليه ويحكم على صلاح بالسجن . تنتهى مدة العقوبة ويفاجأ صلاح بزواج نادية بعد أن طلقها منه أبوها غيابيا . و يلقى مرزوق مصرعه على يد أحد منافسيه ، فتلتصق التهمة مرة أخرى بصلاح ، بل وتصاب ابنته فى نفس الحادث . ويقع على فى صراع نفسى ينتهى بأن يطلق نادية لتستأنف حياتها مع صلاح وابنتهما مى بعد أن تثبت براءته .

فى فيلم" الهجامة " يعود سيد ومعه ثروة ضخمة من تجارة المخدرات وينافس المعلم العربى . تحاول نوسة خطيبته وابنة خالته إبعاده عن طريق الإجرام ، لكن بدون جدوى . وينتقم العربى من سيد فيجعل لولا - أخت نوسة - مدمنة ، وتموت بعد تجرعها كمية كبيرة . تنهار نوسة وتنحاز للعربى للانتقام من سيد بعد أن تظن أنه السبب ، بل وتقوم بحرق المخزن وهو بداخله ، فيقوم العربى بالإبلاغ عنها ويتم القبض عليها .

فى فيلم " الشرس " يطمع العجرودى أحد أفراد العصابة فى الزواج من فاطمة إلا أنها ترفض . و يتسبب العجرودى فى قتل زين أحد أعوان همام . ويصمم خميس - أخو همام - على الانتقام ، فيقتل ثلاثة من أعوان العجرودى الذى يطلب من همام قتل خميس . ويعترف يوسف - صديق خميس - لفاطمة بشخصيته الحقيقية ، وأنه مكلف بالقبض على كل من همام والعجرودى . يطلب همام من أخيه أن يعتذر للعجرودى إلا أن خميس يرفض ذلك فيقتله همام ، وفى تلك اللحظة تصل الشرطة .

فى فيلم " جحيم امرأة " يشاهد الطفل أحمد مقتل أبيه على يد المعلم أبو جبل . يشب أحمد ويقرر الانتقام منه ، ثم يعود إلى الحارة بعد أن أتقن الكاراتيه . ويساعد الأرملة بدرية التى يسعى أبو جبل للاستيلاء على مخزن زوجها بعد وفاته ، بل ويتزوج أحمد منها . لكن أبو جبل يختطف بدرية ويخفيها فى مخزن ،

فيلجأ أحمد إلى زكى عشيق زوجة أبو جبل ، وعن طريقه يتمكن من الوصول إلى المخزن . ويتم القبض على أبو جبل وأيضاً زكى .

فى فيلم " لهيب الانتقام " يرسخ سمير سيف تقاليد أستاذه حسن الإمام ، إذ تلفق إحدى عصابات المخدرات تهمة حيازة هيروين لضابط المباحث القدير مدحت لدرجة أنه يفصل من الخدمة . (وماذا كان يمكن أن يصيبه لو لم يكن قديرا ؟!) . المهم أن الحاج عبد الفضيل يعرض عليه مبلغا كبير مقابل التخلص من مجموعة من تجار المخدرات ، انتقاما لوفاة ابنته نتيجة إدمانها الهيروين . ويوافق مدحت لينتقم لنفسه أيضاً ، بل ويتحول هو نفسه إلى مجرم إذ يستعين بأحد المرشدين الأشقياء ، وينفذان جريمتين . لكن أمر مدحت ينكشف قبل أن ينفذ جريمته الثالثة ، ويقوم تاجر المخدرات المقصود بقتل عبد الفضيل . ثم يفاجأ مدحت (ضابط المباحث القدير !!) أن الشخص الذى اتفق معه ليس عبد الفضيل و إنما هو طلعت السحرتى تاجر المخدرات الذى سعى إلى مدحت ليخلصه من منافسيه . ويلقى السحرتى و أعوانه مصرعهم بعد أن يضع مساعد مدحت عبوة ناسفة فى السيارة . وفى النهاية يقف أحد الضباط الكبار بجانب مدحت ويعده أن يسانده فى قضيته ليعود إلى العمل . (وذلك برغم أنه أصبح مجرما !!) .

* * * * *

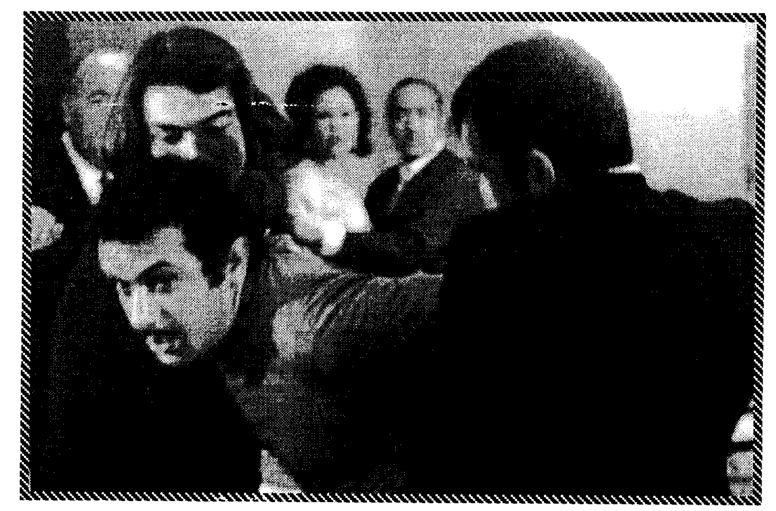
وربَ قائل يتساءل : وما العيب فى معالجة موضوعات الانتقام والقتل والعنف فى الأفلام ؟! أليست الحياة زاخرة بأمثالها ؟! أليس من حق الفنان السينمائى أن يعالج ما يتراءى له من موضوعات ومضامين ؟! و بالطبع فإن الإجابة عن هذه التساؤلات هى " نعم " بلا جدال . فمن حقه أن يفعل هذا ، بل من واجبه أن يؤدى هذه المهمة التنويرية والإبداعية . لكن عندما تتحول هذه الموضوعات والمضامين والتيمات إلى عناصر نمطية من خلال المعالجة النمطية ، فإن فن السينما برمته يتحول إلى مجرد أوراق للعب لا يملك اللاعب سوى إعادة تغطيتها أو ترتيبها لعله يكسب " بنطا " جديدا ، لكن تظل أوراق اللعب فى النهاية محدودة للغاية . ومهما كان اللاعب ماهرا فإنه لن يستطيع أن يأتى بأوراق جديدة تثير دهشة المتابعين أو تفتح أمامهم أفاقا لم تخطر ببالهم . وذلك فى حين أن السينما تملك أفاقا لغوية وتعبيرية تحسدها عليها الفنون الأخرى . فهى خلطة سحرية أو بوتقة عجيبة تنصهر فيها عدة لغات لتكون فى النهاية لغة خاصة بها تمتلك من الأبعاد والأعماق والإيحاءات واللمحات والألوان والأضواء والظلال والأصوات والألحان والصور والرموز والاستعدادات والتقابلات والمفارقات ما تعجز عنه لغة الأدب بمفردها أو لغة المسرح أو لغة الموسيقى أو لغة الفن التشكيلى ، إذ أنها استوعبت كل هذه اللغات لتمنح للعالم لغة فنية ليس لها نظير فى قدراتها التعبيرية التى لا حدود لها . فحرام أن تترك كل هذه اللغة الثرية والخصبة والمتدفقة ، لتدور فى فلك عناصر نمطية وأفكار مستهلكة .

وعندما نتكلم عن العناصر أو الأفكار ، فنحن لا نقصد أنها نمطية فى حد ذاتها ، لأنه لا جديد تحت الشمس فى هذا المجال منذ أن وعى الإنسان هذه الحياة . لكن الخطورة تكمن فى المعالجة النمطية المحددة بزوايا أو وجهات نظر أو رؤى أو مفاهيم هى بمثابة قوالب جامدة تصب فيها هذه العناصر أو الأفكار بحيث تبدو معظم الأفلام فى النهاية متشابهة . بمعنى أن رؤية فيلم عن عنصر نمطى معين

تغنى عن معظم الأفلام التى عالجت نفس العنصر ، فى حين أن السينما العالمية فى الدول المتقدمة تنتقل من مرحلة إلى أخرى ، ومن موجة إلى أخرى لتجدد أدواتها الفنية وأساليبها الفكرية ، حتى تواكب اهتمامات الناس ، وتجسد طموحاتهم واحباطاتهم ، آمالهم وآلامهم ، وتفتح أمام أعينهم نوافذ جديدة تمكنهم من استيعاب تيارات الحياة وتلمس معالم المستقبل .

لكن من الصعب تقسيم تاريخ السينما المصرية إلى مراحل أو موجات متبلورة منذ بدايته فى العشرينيات ، إذ يمكن تتبع العناصر التى بدأتها عزيزة أمير ووداد عرفى وإبراهيم لاما وتوجو مزراحى ، فى أفلام العقد الأخير من القرن العشرين . أى أن هذه المرحلة النمطية والميلودرامية استمرت ثلاثة أرباع القرن ، ولا تزال قادرة على المواصلة بلا ملل . لكن أجراس الخطر دقت أخيراً مع الأزمة المستحكمة التى أمسكت بخناق السينما بعد انحسار دور العرض ، والسيادة شبة المطلقة التى يمارسها التلفزيون ومعه الفيديو . ولا يمكن للسينما المصرية أن تواجه تحديات القرن الحادى والعشرون ، المحلية أو العالمية ، بهذه العناصر النمطية ، الفكرية والفنية ، فى عالم أصبح قرية صغيرة ، ليس على المتفرج سوى أن يضغط على زر كى يرى أمامه فى لمح البصر الإبداعات السينمائية العالمية التى لا تتوقف عن التجدد والتطور والانطلاق إلى آفاق مبهرة . ولذلك ليس من المبالغة ، القول بأن السينما فى مصر وفى الدول النامية بصفة عامة قد دخلت مرحلة أن تكون أو لا تكون . والسينما المصرية تملك من المواهب والقدرات والطاقات والخبرات ما يؤهلها لمواجهة هذا التحدى إذا ما استغلتها على أفضل وجه

* * * * *



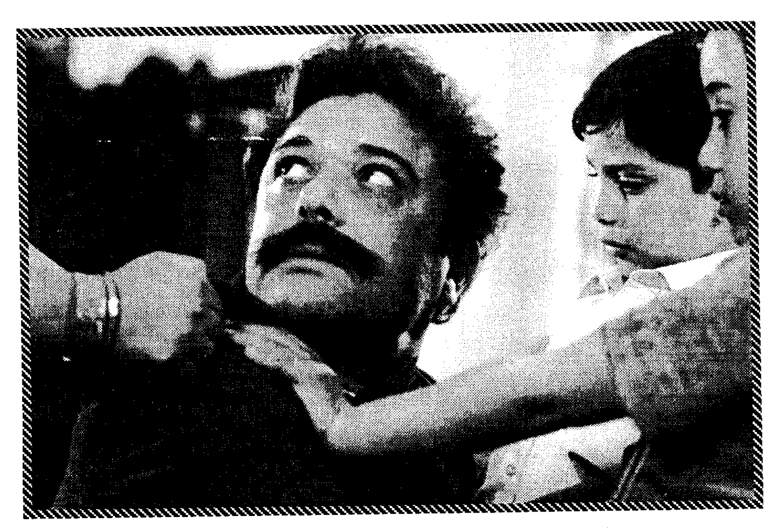
دائـرة الأنتقـــام   سنة ١٩٧٦



دائـرة الأنتقـــام   سنة ١٩٧٦



البؤســـاء   إخراج / عاطف سالم   سنة ١٩٧٨



ابنـاء وقتـله   إخراج / عاطف الطيب سنة ١٩٨٧

الأمراض والعاهات

كانت الأمراض المزمنة أو الخطيرة والعاهات الدائمة أو التي يتم شفاؤها بما يشبه المعجزات ، من العناصر النمطية والمليودرامية التي تركت بصماتها واضحة بل وغائرة علي مسيرة السينما المصرية منذ العشرينيات وحتي الآن ، وإن كانت حدتها قد خفت إلى حد ما منذ مطالع الثمانينيات ، إذ يبدو أن مزاج الجمهور لم يعد يحتمل تلك المآسي والمحن والتجارب القاسية التي تثير الأشجان والأحزان والآلام ، والتي أغرقت بها الأجيال الرومانسية السابقة التي وجدت فيها نوعاً من الإثارة الوجدانية والانفعالية التى تطهر النفوس المتعاطفة مع الإنسانية المعذبة ، وهي إثارة قد تصل في بعض الأحيان إلى ما يشبه المتعة أو الإدمان . وكان من المعتاد بالنسبة لهذه الأجيال أن تبكي وتتوجع بالفعل في متابعتها لمشاهدة الأمراض والعاهات .

وقد وجد الكتاب والمخرجون السينمائيون في الأمراض والعاهات أوتاراً مشدودة داخل المتفرجين ، قاموا بالضرب عليها بتمكن واقتدار ، وأحياناً بتكرار وإصرار قد يصل إلى حد المبالغة ، مما يفسر لنا إقبالهم علي تكرار إخراج رواية "غادة الكاميليا" مرات عديدة ومتتابعة دون رؤية جديدة ، ظناً منهم أن مجرد التمصير أو الاقتباس هو في حد ذاته صياغة جديدة ، وكانت محنة " غادة الكاميليا " أنها أصيبت بالسل في زمن كان يعد مرضاً خطيراً بل ومميتاً ، ولذلك اتخذ منه

الكسندر دوماس عنصراً قدرياً أدى فى النهاية إلى موت بطلته ، لكنه بعد مرور ما يقرب من قرن كامل ، وبعد ظهور المضادات الحيوية بكل أنواعها التي جعلت من السل مرضاً عادياً يمكن شفاؤه إذا التزم المريض بخطوات العلاج ، تأتى السينما المصرية لتجعله مرضاً مميتاً فى أواخر القرن العشرين .

لكن على سبيل الإثارة الميلودرامية ، استهانت السينما المصرية بأمراض مزمنة أو عاهات دائمة مثل الإصابة بالشلل أو فقدان البصر وغيرهما من الأمراض التى لا تزال تحير الطب الحديث الذى عجز عن إيجاد علاج ناجح لها ، وأوجدت لها السينما شفاءً مفاجئاً لكى ترفع الشخصيات - ومعها المتفرجين - من قاع اليأس والمرارة إلى قمة الأمل والنشوة فى لحظة نادرة من لحظات يوم موعود ؟ وخاصة أن السينما المصرية أدمنت النهايات السعيدة ، ولا يصح أن يغادر الجمهور دار السينما وبطله لا يزال مشلولاً أو بطلته الجميلة لا تزال عمياء ، خاصة إذا كان فى عينيها من السحر والبريق ما يجب أن يملأ الجمهور عيونه بهما .

لكن على المستوى الدرامى والفني نسي بعض الكتاب والمخرجين أن الإصابة بالأمراض والعاهات فى الحياة ، تختلف عنها فى الأعمال الدرامية والسينمائية حيث لابد أن تكون لها دلالة درامية أو إنسانية أو اجتماعية ، وليس لمجرد عنصر الصدفة أو الحظ السيئ أو الظروف المعيشية المحيطة بالإنسان ، ولذلك ليس من حق المؤلف أن يصيب بطله بمرض مزمن أو عاهة دائمة لمجرد أنه يريد تطوير الأحداث أو عقاب الشخصيات أو إثارة أشجان المتفرجين ، بل لدلالات أوسع وأعمق من ذلك بكثير ، ولذلك قال الناقد الإنجليزى إدوين موير فى كتابه " بناء الراوية " إن الشخصيات فى الرواية تموت فى الوقت المناسب ، أى أنه لابد أن تكون هناك دلالة درامية أو إنسانية وربما تاريخية أو حضارية وراء موتها ، أما الناس فيموتون فى الحياة اليومية لأن ساعتهم قد حانت .

لكن لم تكن كل الأمراض بهذه المأسوية ، فهناك أمراض خفيفة وقابلة للشفاء السريع - وأحياناً بدون علاج - يمكن أن تصلح مادة للكوميديا وهى أمراض يمكن أن تكون عضوية مثل البرد أوالأنفلونزا ، الأرتيكاريا وما يترتب عليها من عطس أو سعال أو هرش ، ويمكن أن تكون نفسية مثل الوهم والوسوسة وسوء الظن وتوقع المصائب لكنها كلها تشترك فى كونها غير مميتة أو يمكن علاجها سواء عضوياً أو نفسياً أو عصبياً .

وكان المخرج الرائد محمد كريم فى فيلمه " زينب " عام ١٩٣٠ ، قد أرسى المنظور الرومانسى للمرض ، الذى يجعل البطلة تموت قريرة العين من أجل حبيبها ، ولم يكن المرض عضوياً بقدر ما كان نتيجة للحزن على فراق الحبيب ، ذلك أن زينب فتاة ريفية تحب الخولى إبراهيم لكن أباها يزوجها من الثرى حسن . ويذهب إبراهيم لتأدية الخدمة العسكرية ، وتعانى زين من فراق إبراهيم والوحدة الموحشة ، فينال منها الحزن وتمرض وتلازم الفراش ، وكان إبراهيم يتألم بنفس الدرجة من هذا الفراق ، وفى النهاية تموت زينب فى الفراش وهى متشبثة بمنديل إبراهيم فى يدها .

فى عام ١٩٣٣ قامت فاطمة رشدى بتأليف وإخراج فيلم " الزواج " الذى يربط فيه الحب بين سلمى وابن عمها أحمد الذى يتقدم للزواج منها ، لكن أباها الجشع يرفض ، ويجبرها على الزواج من عزيز الشاب الثرى المستهتر بمجرد أن الأب كان على شفا الإفلاس . وتمر سبع سنوات ، ويصبح أحمد طبيباً فى حين تعانى سلمى الأمرين من حياتها الزوجية ، ويحدث أن تصاب ابنتها بمرض ، ويحاول أحمد إنقاذها ، لكنها تموت وتهجر سلمى زوجها ، ثم تصدمها سيارة وتموت فى اللحظة التى يصل فيها عزيز ليطلبها فى بيت الطاعة بالقوة الجبرية .

فى عام ١٩٤٠ أخرج إبراهيم لاما فيلم " رجل بين امرأتين " الذى يتعرف فيه الرسام رأفت على الفتاة الثرية آمال التى تذهب للقائه فتصدمها سيارة وتنقل

إلى المستشفى ، ويظن رأفت أنها قد غدرت به ، ويسانده صديقه فهمى فيطلب من ثريا أن تسرى عنه فى محنته ، ويتطور العطف إلى حب ينسيه حبه لآمال التى تغادر المستشفى لكنها تصاب بالسل وترسل خطاباً إلى رأفت يضعه بين شقى الرحى : ثريا وآمال التى تدعى أنها خطبت بعد أن عرفت أن أيامها معدودة ، وينغمس رأفت فى شرب الخمر لينسى همومه ، وعندما تباع لوحة آمال التى رسمها يعرف أنها اشترتها ، وعندما يسرع للقائها ، كان المرض قد تمكن منها تماماً .

وفي عام ١٩٤٢ أخرج توجو مزراحى فيلم " ليلى " الذى كان أول اقتباس لرواية الكسندر دوماس " غادة الكاميليا " ، ففى الفيلم يبلغ الحب مداه بين فريد والمطربة ليلى ، فيهمل دراسته ،وعندما يعلم أبوه بهذه العلاقة ، يسرع للقاء ليلى ، ويستعطفها أن تترك ابنه فتعده بذلك ، وتواجه ليلى فريد ، وتخبره أن علاقتها به كانت نزوة عابرة وأنها أصبحت تحب شخصاً آخر ، أما فى حقيقة الأمر فهى تعيش فى عزلة ، بل وتقع صريعة مرض السل الذى يشتد عليها ، وخوفاً من أن تموت دون أن ترى حبيبها ، تطلب من أبيه أن ينبئه بما جرى لها ، فيهرع للقائها بعد أن يعترف له أبوه بالحقيقة ، وفى النهاية تموت بين ذراعيه .

وفى عام ١٩٤٤ أخرج توجو مزراحى أيضاً فيلم "ليلى فى الظلام" الذى يربط فيه الحب بين ليلى وحسين منذ الصغر ، والذى يتوج بإتمام الخطبة ، ونظراً لأن حسين يعيش فى السودان ، فإن ليلى تذهب لتوديعه لكنها تصاب فى حادثة تفقد على أثرها بصرها ، وعندما يطلب منها إتمام الزواج ترفض وتفهمه أنها لا تحبه ، بل وتتجه لحياة اللهو والعبث ليكون هذا دافعاً قوياً ليتركها حسين ، لكنه فى النهاية يعرف الحقيقة ، فيزدادا بها تمسكاً لأنها أرادت التضحية بنفسها ، لعله يجد سعادته المفقودة مع غيرها، ويصمم على إتمام الزواج .

فى عام ١٩٤٦ أخرج محمد كريم فيلم " لست ملاكا " الذى يعيش فيه رؤوف المحامى الشاب مع خاله وابنته الضريرة ، وعندما يحضر حفلاً بمناسبة عيد القمح، تكون ملكته يسرية ابنة أبو الدهب بك ، فإنه يقع فى حبها ، ويقدم نفسه لأبيها على أنه مهندس حتى يظل بجانبها ثم يتراهن رؤوف مع صديقه " على " على أن يتزوج يسرية ، وتحدث مشاجرة تنتهى بأن تطلق عشيقة الصديق النار على رؤوف فإذ بصوت الرصاص يعيد البصر إلى ابنة خاله التى تشرع فى تمريضه ، بعد أن يتأكد من أن حبه لها أقوى من حبه ليسرية ، ويتزوجان .

وفى نفس العام (١٩٤٦) أخرج إبراهيم عمارة فيلم " الطائشة " الذى يصور حياة الشاب المعوق فؤاد ، وهو أديب انطوى على نفسه بسبب عاهته ، وتعانى أمه من حالته النفسية الكئيبة ، وتحاول جاهدة أن تزوجه من فتاة أحلامه وداد التى سرعان ما تكتشف فيه روحاً فاضلة نقية ، لكن القدر القاسى يحرمه من تحقيق أحلامه ، إذ يظهر شقيقه جميل وهو شاب وسيم تنشغل به وداد ، عندئذ يؤمن فؤاد أنه خلق لشىء آخر غير الحب والزواج ، فيتفرغ لأعماله الأدبية .

في عام ١٩٤٧ أخرج عزالدين ذو الفقار فيلم " أسير الظلام " الذى يفقد فيه أديب شاب من أسرة عريقة بصره على أثر صدمة قاسية تسببت فيها امرأة وهى فى حقيقة أمرها فتاة يتيمة تطردها زوجة أبيها فتخرج إلى الطريق ، ثم يرشحها طبيب من أصدقاء أبيها للعمل كممرضة لهذا الشاب الضرير ، لكن شقيقه المستهتر يتودد إليها ، فتحقد عشيقته عليه ، فى حين أنه ينقل لشقيقه الأعمى صورة مشوهة عن الممرضة ، بل إن عشيقته تحاول قتلها ، فينقذها كلب أمين ، وعندما يتسلل الشاب إلى حجرة الممرضة محاولا اغتصابها ، تفاجئه عشيقته وتقتله ، ويعود إلى الشاب بصره ، ويتزوج الممرضة . وقد كان للمخرج الرومانسى الكبير عز الدين ذو الفقار نصيب الأسد بعد ذلك فى الأفلام التى عانى منها أبطالها من أمراض مزمنة ، أو عاهات دائمة .

وفى نفس العام (١٩٤٧) كتب يوسف وهبى وأخرج فيلم " شادية الوادى " الذى يسافر فيه ثلاثة أصدقاء إلى باريس لطلب العلم ، وبعد أن يقضى أحدهم مدة طويلة بالخارج ، يعود إلى القاهرة عالماً ، فى فن الموسيقى ، ويرعى فتاة ويتعهدها بفنه لكى تصبح من مغنيات الأوبرا ويتزوجها ، ويسافر بها إلى الخارج حيث يصاب بشلل نصفى ، ولكن يضحى بنفسه من أجل حبيبته ، يتظاهر بكرهه الشديد لها حتى لا يتعسها ، وفى يوم افتتاح إحدى حفلاتها ينهار ويتحامل على نفسه، ويقاوم المرض ليقود الأوركسترا إنقاذاً لحبيبته .

فى عام ١٩٤٨ عاد عزالدين ذو الفقار إلى نغمته المفضلة فى فيلم " خلود " الذى يربط فيه الحب بين ليلى ومحمود منذ طفولتهما ، وفى الوقت نفسه يحاول حسن قتل محمود لكن ليلى تفتديه وتموت ، تمر السنوات ويعيش محمود وحيداً على ذكرى ليلى ، أما حسن فيتزوج ويرزق بنبيل الذى يتقدم لخطبة آمال ابنة أخت الدكتور إبراهيم صديق محمود الذى لا يوافق لأن أباه هو قاتل حبيبته ليلى التى تزوره روحها وتعلن موافقتها على زواج آمال ونبيل الذى يصبح بعد فترة كسيحاً ، فيوهمها أنه يحب غيرها على سبيل التضحية النمطية التى تكررت فى أفلام كثيرة ، إلا أن محمود يخبرها بما جرى من أحداث ، ويتزوجان فى النهاية .

وقد شهد عام ١٩٤٨ فيلمين آخرين من نفس النوعية " سجى الليل " لهنرى بركات ، و " الروح والجسد " لحلمى رفلة ، فى الفيلم الأول يعمل طبيب شاب فى مصحة للأمراض الصدرية ، ويحب ابنة أستاذه ، وعندما يقرر أن يتزوجها ، تظهر عليها أعراض المرض ، ويحاول الابتعاد عنها مشجعاً صديقه المهندس على الزواج من حبيبته ، وأخيراً تعرف الفتاة السر ، وتعلم أنه ما يزال يحبها لولا مرضها . ويتفقان على الانتظار حتى تشفى .

فى فيلم " الروح والجسد " شابان : الأول مغنى والآخر أديب . يتعرف الأول بمغنية ويتحابان دون أن يعرف ذلك الأديب الذى يحبها ويرسل إليها خطابات

فتظن أنها من المغنى الذى يبدأ نجاحه فى مجاله الفنى لكن راقصة تطـارده ، ويقـع له حادث يفقده بصره فيختفى عن الأنظار ، وتضطر حبيبته أن تتزوج مـن صديقـه الأديب ، وبعد فترة يعود المغنى لمجاله الفنى بعد أن يعود إليه بصره .

فـى فيلـم " أرواح هائمــة " ١٩٤٦ الـذى أخرجــه كمــال بركــات ، يســافر صحفـى شــاب إلــى ميـدان القتــال ليراسـل جريدتــه فــى أثنــاء حـرب فلسـطين فيصـاب فـى حـادث سيارة ينتــج عنــه تشـويه وجهــه ، ولا تكــاد خطيبتــه تـراه حتــى تنفـر منــه وتفســخ خطبتــه ويحــاول الشـــاب أن يـــتزوج بغيرهـــا إلا أن الفتيـات يعرضـن عنـه وينبذه المجتمـع بسـبب ذلـك التشـويه ، وفـى النهايــة يلتقــى بفتـاة كـانت تعمـل ممرضــة فـى المستشـفى العسـكرى ، فيــتزوج منهــا ، وتســافر معه إلــى سويسـرا حيـث تجـرى لـه عمليـة تجميـل ناجحـة .

فى عام ١٩٥٠ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " جوز الأربعة " الـذى يـتزوج فيه شاب بفتاة تبادله الحب ، وتريد عمته التى تصاب بالشلل بعد زواجهما أن تـرى لهما وريثاً ، لكن زوجته تصاب أيضاً بالشلل فتحثه عمته علـى أن يـتزوج بثانيـة ، فيحدث لها ما حـدث للزوجـة الأولـي ، ثـم يقـترن بثالثـة فتكـون مثلهم ، ثـم يقـترن برابعة فتصاب بالخرس ، لكنه يفاجأ بشفاء زوجاته السابقات على أثر غارة جوية ، مما يحيل حياته إلى جحيم يدفعـه إلـى التفكير فـى التخلص مـن زوجاتـه بالتظـاهر بالمرض ، إذ جعل ثلاثة منهن يطلبن الطـلاق منـه ، ولا يتبقـى بجانبـه إلا الزوجـة الأولى وتظل على وفائها له .

فى عام ١٩٥٢ أخرج يوسف شاهين فيلم " المهرج الكبير " الذى تمـوت فيـه الزوجة الثرية فيرث زوجها ملايينها ، ويفكر فى الزواج من جارته القديمة أسـرار فيبدأ فى التفريق بينها وبين حبيبها ، وأخيراً يتبين أنـه مصــاب بالسـرطان ، فيتخلـى عن جبروته ويحاول أن يعمل عملاً طيباً ، فيعيد الفتاة إلى حبيبها ، ويصرف ثروتـه كلها فى وجوه الخير .

وفى عام ١٩٥٢ أيضاً أخرج حلمى رفلة فيلم "حبيب قلبى " الذى يصور حياة موسيقار كبير يدعى سمير ، أصيب صديقه فتحى فى حادث أدى لإصابته فى صوته فاضطر إلى العمل فى وظيفة صغيرة ، لكنه يكتشف حلاوة صوت ناهد ، فيقدمها لسمير الذى يعجب بها ويقرر أن تؤدى ألحانه .

وفى عام ١٩٥٣ أخرج حلمى رفلة أيضاً فيلم " فاعل خير " الذى يتقدم فيه مطرب مشهور وثرى لخطبة حبيبته ، مما يثير حقد فتاة عابثة كان يعرفها وساعدته على احتراف الغناء ، فتسقيه شراباً يفقده صوته ، فيعمل على إبعاد خطيبته عنه حتى لا يظلمها ، لكن تجرى له عملية جراحية تعيد له صوته ومجده وحبيبته .

وفى نفس العام (١٩٥٣) أخرج عزالدين ذو الفقار فيلم "موعد مع الحياة " الذى يكتشف فيه الدكتور الكبير أن ابنته آمال مريضة بالقلب وحالتها خطيرة ، وعلى الرغم من أنه يخفى عنها ، إلا أنها بالصدفة تعلم ، وتعمل جاهدة لينصرف عنها أحمد وذلك بإيهامه بعدم حبها له ، ولكن تجرى لها عملية جراحية ناجحة لتعود المياه إلى مجاريها بينها وبين أحمد .

ثم يأتى عام ١٩٥٤ ومعه ستة أفلام دفعة واحدة من هذه النوعية " أقوى من الحب " لعزالدين ذو الفقار والذى يصاب فيه البطل فى حادث يفقده إحدى ذراعيه ، وفيلم " إنسان غلبان " لحلمى رفلة والذى يتعرف فيه البطل على فتاة ضريرة فيحبها ، ويشقى حتى يحصل على المال اللازم لعلاجها ، ويعود إليها بصرها ، وفيلم " حياة أو موت " لكمال الشيخ والذى يشكو فيه رجل من مرض القلب ، ويصاب بأزمة ، ويخطئ الصيدلى فى تركيب الدواء الذى تعود به ابنته ، لكن يتم إنقاذه فى آخر لحظة ، وفيلم " الحياة الحب " لسيف الدين شوكت والذى يعود فيه البطل من ميدان الحرب بإصابة فى عموده الفقرى ، تؤدى إلى شلل فى نصفه الأسفل ، لكن العملية تنجح فى النهاية ويتزوج من حبيبته ، وفيلم " علشان عيونك "

لأحمد بدرخان والذى يقع فيه مطرب ناجح فى غرام جارته الشابة الكفيفة ، التى تجرى لها عملية جراحية ناجحة تسترد بها بصرها ، وتتزوج من حبيبها ، وفيلم "لمين هواك" لحلمى رفلة أيضاً الذى يصاب فيه الفنان التشكيلى بشلل فى ذراعه اليمنى لكنه يقهره باستخدام اليسرى .

وفى عام ١٩٥٥ يتم عرض أربعة أفلام "حب ودموع " لكمال الشيخ والذى يجمع ما بين إصابة ريس المركب بالعرج ، وصديقه البطل بالسرطان ، وفيلم "نحن بشر" لإبراهيم عمارة والذى يتبنى فيه البطل طفلاً مصاباً بشلل الأطفال ، وعندما يعجز عن تدبير المال اللازم للعلاج ، ويموت الطفل ، ينتقم من الأغنياء ، وفيلم " الحبيب المجهول " لحسن الصيفى والذى تعانى بطلته من مرض القلب ، ويحبها طبيب جراح ويتزوجها ،ويجرى لها جراحة ناجحة بعد أن ينقل إليها صمامات قلب زوجة ابن عمه والتى ماتت حديثاً ، وفيلم " الجسد " لحسن الإمام والذى تموت فى نهايته البطلة بالسل بين ذراعى حبيبها .

وفى عام ١٩٥٦ تم عرض أفلام الأمراض والعاهات التالية : " وداع فى الفجر" لحسن الإمام والذى تصاب فيه البطلة بصدمة نفسية تنتهى بشلل فى ساقيها بعد أن يقع زوجها فى الأسر ويعلن اسمه فى عداد المفقودين فى حرب فلسطين ، وفيلم "ودعت حبك " ليوسف شاهين والذى يعانى فيه البطل من مرض التهم إحدى كليتيه ، وبعد صراع مع المرض يموت بعد أن يودع حبيبته وأصدقائه ، وفيلم " نداء الحب " لإلهامى حسن والذى يحب فيه البطل فتاة مشلولة عن طريق التليفون ثم يتزوجها وتبدأ مرحلة علاج جديدة ، وفيلم " موعد غرام " الذى تصاب فيه نوال فجأة بالشلل وتخفى ذلك عن حبيبها ، لكنها تسافر فى النهاية للعلاج وتفاجأ بحبيبها إلى جوارها فى الطائرة .

وفى عام ١٩٥٧ تم عرض الأفلام الآتية :" هارب من ا لحب " لعز الدين ذو الفقار والذى يرفض فيه البطل الزواج حتى لا يعذب أية امرأة أخرى لإصابته

بالصرع ، لكنه يتزوج من حبيبته فى النهاية ، وفيلم " الوسادة الخالية " لصلاح أبو سيف الذى يصاب فيه البطل بالمصران الأعور ، كما تنقل زوجته درية إلى المستشفى لإجراء عملية خطيرة لها ، فيموت الجنين ويتم إنقاذها مما يعيد حياتها الزوجية إلى وضعها الطبيعى ، وفيلم " إسماعيل يس فى جنينة الحيوان " الذى ينتهى بابتعاد البطل عن الفتاة الجشعة المتكبرة ليعود إلى الفتاة الكسيحة التى أخلصت له ووقفت بجواره دائماً .

وفى عام ١٩٥٨ عرض فيلم " الملاك الصغير " لكمال الشيخ والذى تضيق فيه الزوجة باهتمام زوجها بضحى فتصارحها بأن الفيلا التى تعيش فيها لم تعد ملكها ، فتنهار ضحى وتصاب بالشلل وتموت فى النهاية برغم ندم الزوجة .

وفى عام ١٩٥٩ عرض فيلم " حكاية حب" لحلمى حليم والذى يعول فيه مدرس الموسيقى المغمور أمه الكفيفة وشقيقه ، وبعد نجاحه وشهرته كمطرب يكتشف أنه مصاب بمرض فى قلبه ، لكنه يجرى عملية جراحية ناجحة فى لندن ، وفيلم " شمس لا تغيب " لحسين حلمى المهندس والذى تزل فيه قدم سها فيغمى عليها ، لكن الصدمة تسبب لها العمى ، ويتخلى عنها خطيبها ، لكن تجرى لها عملية ناجحة تعيد إليها بصرها وتعرفها حقيقة خطيبها ، وفيلم " من أجل حبى " لكمال الشيخ والذى تصاب فيه البطلة بصدمة نفسية تؤدى إلى شلل بالساقين ، لكنها تشفى عندما ترى طفلة على وشك الوقوع من على السور فتنهض من مكانها تنقذها ، وفى الوقت نفسه تنقذ نفسها من الشلل ، وفيلم " نور الليل " لريمون نصور والذى يذهب فيه البطل إلى الحرب ويصاب ويفقد بصره ، لكن تجرى له عملية بعد أن يتبرع أحد المرضى له بعينه ، ويعود إليه بصره .

وبدأ عقد الستينيات بثلاثة أفلام عام ١٩٦٠ ، فأخرج إبراهيم عمارة فيلم "حب وحرمان" الذى يصور مرضاً أو عاهة يخجل منها الرجال الشرقيون عامة والمصريون خاصة ، ولذلك يندر أن نجد ممثلاً يرحب بأدائها ، ولذلك تكاد تخلو

السينما المصرية من أفلام العجز الجنسى ، فالبطل فى هذا الفيلم يرفض إتمام الزواج لإصابته فى حادث جعله عاجزاً ، لكن تجرى له عملية تعيد له رجولته ويتزوج ، ولم يجرؤ على القيام بهذه الأدوار سوى ممثلين قلائل مثل رشدى أباظة فى هذا الفيلم ، وأحمد مظهر فى فيلم " الزوجة العذراء" ١٩٥٨ ، وعمر الحريرى فى فيلم " غصن الزيتون " ١٩٦٢ ، ونور الشريف فى فيلم " السراب " ١٩٧٠ .

كذلك فى عام ١٩٦٠ كتب محمود إسماعيل وأخرج فيلم " جسر الخالدين " الذى يتقابل فيه الفنان التشكيلى ثروت مع إخلاص التى تدعوه للعودة إلى منزله بدلاً من حياته فى منزل الراقصة ، فيدفعها نحو الأرض فتفقد بصرها ، ثم يدمن الخمر فيصاب بالسل ويموت ، وأيضاً أخرج حسن الصيفى فيلم " النغم الحزين " الذى يتسلل فيه اليأس إلى الراقصة سامية لغياب حبيبها فتقبل على الخمر حتى تسقط على المسرح وتصاب بالشلل فى ساقيها ، لكنها تشفى وتعود إلى الرقص ، ومن الواضح أن معظم حالات الإصابة بالمرض أو الشفاء فيه بلا أى أساس علمى ، إذا أنها مجرد عناصر نمطية ومفردات تقليدية يتم نقلها من فيلم إلى آخر دون استشارة الأطباء المختصين .

وشهد عام ١٩٦١ ثلاثة أفلام " الخرساء " لحسن الإمام ، وفيه تعانى فتاة خرساء بائسة من ظلم زوجة الأب ، ثم من الاغتصاب لكنها تتزوج فى النهاية دون أن تشفى على عكس معظم الحالات المرضية الأخرى فى السينما المصرية ، وكذلك فيلم " شاطئ الحب " لهنرى بركات ، والذى يصاب فيه الدكتور إبراهيم بنوبة قلبية ثم يتوفى وبعد ذلك تصاب زوجته بالشلل ، وهى التى كان قد طلقها لأنها هجرته من أجل عشيقها ، وفيلم " وحيدة " لمحمد كامل حسن والذى يصور حياة فتاة مصابة بالصمم وتضيق بعطف كل من يعرف سر عاهتها ، لكنها تقابل فى النهاية من يحبها ويتزوجها .

وشهد عام ١٩٦٢ خمسة أفلام : " الشموع السوداء" لعز الديـن ذو الفقـار ، و "صراع الأبطال" لتوفيق صالح ، و" طريق الدموع " لحلمى حليم ، و" يوم بلا غد " لهنرى بركات ، و" وفاء إلى الأبد " لأحمد ضياء الدين .

فى فيلم " الشموع السوداء" يعمق عزالدين ذو الفقار الخط الذى بدأه قبل ذلـك فى فيلم " أسير الظلام " ١٩٤٧ الذى يفقد فيه شاب بصـره علـى أثـر صدمـة قاسـية سببها امرأة ، مع وجود كلب أمين ومنقذ ، وفيلم " أغلـى مـن عينيـه " ١٩٥٥ الـذى يصاب فيه شاب بتشويه فى وجهه على أثر حادث ، فيفقد وظيفته وتهجره خطيبته ، لكنــه يحترف القمـار ويثرى ثم يتحـول إلـى العمل الشريف ، ويتزوج مـن فتـاة ضريرة ، لكنها تشفى بعد عملية جراحيـة ، أمـا فـى " الشموع السـوداء " فيكتشـف الشاعر أحمد عـاصم خيانـة حبيبتـه فتنتابـه نوبـة مـن الغضب ، فيركب حصانـه ، ويسقط من فوقه ويفقد بصره وينزوى بعيداً عن الناس ، لكنه قبل نهايـة الفيلم يقـع من على السلم ، فيعود إليه بصره لكنه يتكتم أمر شـفائه حتـى يتمكـن مـن التعـرف على قاتل شقيقه .

أمـا فـى فيلـم " صــراع الأبطــال " فينتشـر وبــاء خبيـث بيــن الفلاحيــن ، والـذى يثبـت فـى النهايـة أنـه وبـاء الكوليرا ، وبعـد صـراع بيـن الدكتـور شــكرى ممثـلاً للعلـم وأم هـلال الدايـة ممثلـة للدجـل ، يتعـاون الجميـــع فــى القضــاء علــى الوبــاء ، وفــى فيلـم " طريــق الدمــوع " نلمـس تلميحــاً واضحــاً للمــرض الــذى عـانى منـه الفنـان أنـور وجدي ، بعد النجـاح المدوى الـذى حققـه ، والـذى مــات بـه فـى النهايـة ، وفـى فيلـم " يـوم بـلا غد " تعـانى ليلــى مــن الإصابــة بالشــلل ، لكنهـا مـن فـرط سـعادتها لزيـارة المطـرب الشـهير ممـدوح لهـا وتلبيتــه لدعوتهــا، تشــفى وتتمكــن مــن الحركــة وتتزوجــه !! أمــا فــى فيلــم " وفــاء إلـــى الأبــد " فيرزق الزوجـان بابنـة مصابـة بشلل الأطفـال ، لكـن الأم تسـافر فـى النهايـة مـــع ابنتهـا للخـارج مـن أجـل العـلاج وتعـود بعـد أن تشـفى .

وشهد عام ١٩٦٥ فيلمين زاخرين بالجنون والشلل والقلب المريض: فيلم " الوديعة " لحسين حلمى المهندس والذى تصاب فيه منى بالشلل فى حادث سيارة ، أما أختها سميرة فهى فتاة مرحة ومنطلقة لكنها تكتشف فجأة أنها مريضة بالقلب وتموت وهى تضع مولودها . وفيلم " آخر جنان " لعيسى كرامة الذى يعالج ما أسماه بالجنون الوراثى بأسلوب يميل إلى الفارص والتهريج ، فالبطل يتخوف من احتمال إصابته بالجنون الوراثى لأن أبويه ماتا به ، فى حين أن عمتيه تقومان بقتل العجزة ودفنهم فى بدروم المنزل ، فيتم إدخالهما في مستشفي الأمراض العقلية ، ولا يطمئن على قواه العقلية إلا عندما يكتشف أنه لقيط تبناه الأب !! .

وفى فيلم " خان الخليلى " ١٩٦٦ لعاطف سالم ، يصاب أخو البطل ويموت بالسل فى النهاية ، وفى فيلم "عندما نحب " لفطين عبد الوهاب والذى عرض عام ١٩٦٧ ، يصاب بطل السباحة أحمد بمرض القلب الذى يمنعه من الزواج والاستمرار فى رياضته ، لكنه لا ينصاع لنصيحة الأطباء ، ويخفى الأمر عن خطيبته التى تشجعه على الفوز بالكأس التى تكلفه حياته .

فى عام ١٩٦٨ أخرج كمال عطية فيلم " قنديل أم هاشم " الذى جسد فيه الصراع بين العلم والجهل من خلال مقاومة الدكتور إسماعيل لخرافات أهل الحى الذين يستخدمون قطرات من زيت قنديل أم هاشم فى علاج عيونهم ، وهو ما كانت أمه تفعله فى علاج عينى خطيبته فاطمة ، لكنه يفشل فى تغيير عقليتهم ، وفى ثورته يحطم القنديل مما يثير غضب أهل الحى عليه فى حين تفقد فاطمة بصرها ، عندئذ يوهمها بأنه سيعالجها بزيت القنديل فى حين أنه يستخدم أدواته الطبية وتتماثل للشفاء .

فى عام ١٩٦٩ أخرج أحمد بدرخان فيلم " نادية " الذى تصاب فيه نادية بحروق تترك أثراً فى وجهها ، لكن حبيبها يتجاوز هذه الأمور

السـطحية ويتزوجهـا ، وفـى عـام ١٩٧٤ عـالج المخـرج عبـد المنعـم شـكرى مـرض القلب مـن منظـور فكـاهى فـى فيلـم " المهـم الحـب " الـذى يرعـى فيـه الممـرض فهمـى مريضـة القلـب شـاهيناز التـى تتعلـق بـه فيضطـر إلـى أن يسـايرها حتـى لا تصـاب بأزمـة لدرجـة أنـه يوافـق علـى الـزواج منهـا فـى الوقت الـذى يـتزوج فيـه مـن حبيبتـه نعناعـة التـى تعيـش فـى نفـس المـنزل ، ويدعيـان لشـاهيناز أنهـا أختـه ، لكـن الحقيقـة تتكشـف فـى النهايـة .

فى عام ١٩٧٥ أخرج أشرف فهمى فيلم "حتى آخر العمر" الذى تـتزوج فيـه منى من محمود الذى يذهب إلى الجبهة ويعود وقد أصيب بشلل فى ساقيه ، فى حين تتكرر زيارات صديقه محيـى الـذى يحـاول الاعتـداء علـى منـى التـى تقاومـه ، ثـم يصبح الأمل كبيراً فى شفاء محمود عندما يعود زميله المصـاب بنفس إصابتـه مـن الخارج وقد تماثل للشفاء تماماً .

فى فيلم " حبيبة غيرى " الذى كتبه وأخرجه أحمد مظهر عـام ١٩٧٦ يقف يوسف إلى جانب حبيبته الأولى ليلى التـى يتخلـى عنهـا زوجهـا بعد أن تفقد إحدى ساقيها ، برغم أنها صدته فى البداية عندما أعرب لها عن حبـه ، وفـى العـام نفسـه أخرج عبد الرحمن كيخيا فيلم " وداعاً إلى الأبد " الـذى يفاجـأ فيـه الوالـدان بإصابـة ابنهما عادل بالسرطان ويخفيان عليه . لكنه عندما يعرف ينسحب من حيـاة نجـوى ويسافر إلى الخارج وهو يبارك زواجها من شريـف .

وفى عام ١٩٧٧ كتب عبد الرحمن الخميسى وأخرج فيلم " زهـرة البنفسـج " الذى يصاب فيه كمال بمرض خطير يخفيه عن الجميع ، ومع ذلك كان على علاقـة بعشيقة ، مما جعـل زوجتـه سـميحة تحصـل علي الطـلاق ، وفـى النهايـة يصـارح عشيقته بحقيقة مرضه ويفارق الحياة ، وهى نفس الفكـرة تقريبـاً التـي نـهض عليـها فيلم " سكة العاشقين " لحسن الصيفـى عـام ١٩٧٨ ، باسـتثناء أن الحبيبـة تقـف إلـى جوار حبيبها فى محنته .

وفي عام ١٩٧٩ عرض فيلم " قاتل ما قتلش حد " لمحمد عبد العزيز ، وفيلم " لا تبكى يا حبيب العمر " لأحمد يحيى ، فى الفيلم الأول . يعمل الأرمل عادل مندوباً بشركة للتأمين وتتم خطبته إلى صفاء لكنه يفاجأ بأنه مصاب بورم فى المخ ويخفى الأمر عن صفاء ثم يطلب الثرى أحمد هلال من عادل أن يسحب بوليصة التأمين الخاصة بزوجته شريفة إلا أنه يلقى مصرعه ، فيعقد معها اتفاقاً أن يحمل عنها الجريمة مقابل أن تمنحه مبلغاً كبيراً من المال ليؤمن به مستقبل ابنته بعد وفاته ، ويحكم عليه بالإعدام ، لكن الطبيب يطلب من النيابة تأجيل تنفيذ الحكم بعد إجراء عملية لعادل ، فتنجح العملية كما ينجح عادل فى انتزاع اعتراف شريفة بالجريمة ويقبض عليها .

فى فيلم " لا تبكى يا حبيب العمر " تتكرر قصة الورم فى المخ ، عندما يفاجأ شكري أن أحمد ابنه وطالب الطب مصاب به ، ومصمم على أن يقوم أبوه - بصفته جراحاً كبيراً - بإجراء العملية ، لكن أحمد يموت ، وينهار شكرى ، ويستسلم تماماً للعب القمار لدرجة أن زميله فى اللعب يطعنه بمطواة ويصيبه إصابة بالغة لكن غير قاتلة ، ويعالجه زميله الدكتور حسين ويحثه على العودة إلى مرضاه وتلاميذه .

أما عقد الثمانينيات فقد افتتحه حسين كمال عام ١٩٨٠ بفيلم " حبيبي دائماً " الذى يتم فيه طلاق فريدة ، وتشتد آلام الصداع التى كانت تلازمها ، وتستدعى الجدة الدكتور إبراهيم الذى كانت تحبه قبل زواجها لكن أهلها أصروا على رفضه ، وينهار إبراهيم عندما يكتشف أنها مصابة بالسرطان ويخفى عنها وعن أهلها ، ويوافق والداها على زواجهما بعد إلحاح الجدة ويسافران إلى لندن لتجرى لها التحاليل والفحوص التى تؤكد أن حالتها ميئوس منها .

ثم شهد عام ١٩٨١ فيلم " وداعاً للعذاب " الذى يعود فيه أحمد يحيى إلى فيلم أستاذه حلمى حليم " أيامنا الحلوة " ١٩٥٥ ، ليقدمه بمعالجة أقل رومانسية وأكثر

تفاؤلاً ، فالأصدقاء فى فيلم حلمى حليم يزداد تعاطفهم عندما يكتشفون أن الفتاة مريضة ، لكنهم عندما يسارعون لتوفير المال اللازم لعلاجها ولإجراء عملية خطيرة ، لا يمهلها المرض لتسعد مع حبيبها ، وهى خاتمة رواية " البوهيمية " لهنرى ميرجيه التى تم اقتباسها ، أما فى فيلم أحمد يحيى فإن الأصدقاء يتمكنون من تدبير المبلغ اللازم للعملية التى تنجح ويزول الخطر عن الفتاة لتسعد مع حبيبها.

كما شهد عام ١٩٨٢ عرض فيلم " حدوته مصرية " ليوسف شاهين الذى كتبه عن تجربة عملية وشخصية له ، فبطل الفيلم مخرج سينمائى يصاب بأزمة قلبية ويسافر إلى لندن ليجرى له الجراح العالمى مجدى يعقوب جراحة قلب ناجحة ، وفى أثناء العملية تتراءى له بعض الأحداث الماضية التى تمثل أهمية خاصة بالنسبة له ، والتى تشكل نسيج السيناريو بصفة عامة .

وفى نفس العام ١٩٨٢ أخرج محمد عبد العزيز فيلم " رحلة الشقاء والحب " الذى يتعرف فيه صلاح على منى التى تمر بأزمة نفسية بعد فشلها فى تجربة حب وتتوطد علاقتهما ، لكن عندما تتم خطبتهما ، تصاب منى بمرض خطير وتدخل المستشفى وينتهى الفيلم بموتها .

وفى عام ١٩٨٤ عرضت ثلاثة أفلام من هذه النوعية : " أيوب " لهانى لاشين ، و" طير فى السما " لحسام الدين مصطفى ، و" اللعنة " لحسين الوكيل ، فى الفيلم الأول يصاب المليونير عبد الحميد السكرى بالشلل بعد تعرض أحد مشاريعه للخسارة ، لكنه يشفى نتيجة انفعاله بكابوس فى أثناء نومه ! وفى الفيلم الثانى تعانى جينا ابنة الملياردير عصمت المقيم فى أمريكا من فشل كلوي ، وعندما تتعرف على الشاب الفقير حسن ، يعرض عليه عصمت مبلغاً كبيراً من المال مقابل التبرع بكليته لجينا فيوافق ، وتنجح العملية ويتبرع حسن بالمبلغ لعمل خيرى !! وفى الفيلم الثالث ينجح الصحفى حمدى فى دخول مستشفى الأمراض العقلية لاكتشاف سر مقتل أحد النزلاء وينجح بالفعل فى القبض على القاتل ، لكن حمدى يصاب بمرض التخشب فى المفاصل وتنهار زوجته !!!

وفى عام ١٩٨٥ عرض فيلمان " الجريح " لمدحت السباعى ، و "الدرب الأحمر" لعبد الفتاح مدبولى ، مع ملاحظة أن الأمراض الواردة فى الفيلمين ليست لها أية علاقة بالأحداث الواردة فيهما ، فى الفيلم الأول يعود عصام الهلالى من سويسرا حيث يعالج من الصرع ، ثم يدخل فى صراعات حول قصر أبيه وعزبته وأرض الأرملة الثرية بدرية ، وتصل الصراعات إلى قمتها عندما يشتبك مع غريمه ويقتله ثم يصاب عصام بورم فى المخ يودى بحياته ، وفى الفيلم الثانى تدخل المحامية نعمة وزوجها فى صراع ضد المعلم سلطان الذى يعمل على طرد سكان عماراته لإقامة مشاريع استثمارية مكانها ، ويعود حمادة ابن المعلم سلطان من أمريكا ويتفق معه أبوه على قتل نعمة ، فيصدمها بسيارته لكنه يلقى مصرعه وهو يهرب فينهار أبوه ، وتفقد نعمة بصرها لكنها تسترده بعد عملية جراحية ، أى أن هذه العناصر النمطية مثل الأمراض والعاهات تفرض نفسها بشدة وبإلحاح على المؤلفين السينمائيين لدرجة أنهم لا يجدون مفراً من التلفيق .

أما عام ١٩٨٦ فقد شهد أربعة أفلام : " اليوم السادس " ليوسف شاهين ، و "موعد مع القدر" لمحمد راضى ، و" للحب قصة أخيرة " لرأفت الميهى ، و" قبل الوداع " لحسين الوكيل .

فى فيلم " اليوم السادس" يجتاح البلاد وباء الكوليرا عام ١٩٤٧، وتقوم صديقة برعاية حفيدها الذى يصاب بالمرض وترفض تسليمه للحكومة لعلاجه ، وتنتظر اليوم السادس الذى يفصل بين النجاة من المرض أو الموت ، بقلق بالغ ، ويموت زوجها فترحل بالطفل من القاهرة إلى الإسكندرية حيث تنهار عندما يأتى اليوم السادس ويموت الحفيد ، وواضح أن الروائية المصرية الأصل ، الفرنسية الجنسية أندريه شديد التى كتبت الرواية التى أخذ عنها الفيلم ، ليست لديها أدنى

فكرة علمية أو تاريخية عن طبيعة وباء الكوليرا الذى اجتاح مصر عام ١٩٤٧، لأنه كان يقضى على من يصاب به ولا ينجو منه ، فى ثمانى وأربعين ساعة على أكثر تقدير ، وليس فى اليوم السادس من تاريخ الإصابة به .

أما فى فيلم " موعد مع القدر " فيصاب الدكتور مدحت بالسرطان ويخفى الأمر عن الجميع ، ويقرر الابتعاد عن خطيبته نادية ، ويلعب لعبة التضحية النمطية القديمة التى بدأتها غادة الكاميليا ، فيعاملها بجفاء ، ويدعى أنه انتهازى ويستغل ثروة ومركز أبيها صاحب المستشفى الذى يعمل فيه ، بل ويتقرب من الممرضة الهام التى تحبه والتى يتزوجها بالفعل وتسافر معه إلى لندن للعلاج لكنه يعود ليموت فى بلده ، بعد أن تعترف الهام لنادية بالحقيقة .

فى فيلم " للحب قصة أخيرة " يجتاح الرعب سلوى من الموت المؤكد لزوجها رفعت المريض بالقلب ، وتلجأ إلى الأولياء والقديسين برغم أنها لا تؤمن بالمعجزات ، ويتفق رفعت مع طبيبه على إيهام سلوى بأن هناك كشفاً جديداً يحقق شفاءه ، عندئذ تغمر الفرحة سلوى وتظن أن المعجزة قد تحققت ، لكن تفاجئ رفعت أزمة تقضى عليه وتنهار سلوى .

فى فيلم " قبل الوداع " تعانى الممثلة المشهورة شيرين من آلام صداع نتيجة لورم فى المخ لابد من استئصاله ، برغم أن حالتها ميئوس منها ، وتتم خطبتها لعادل ثم تكتشف بالصدفة حقيقة مرضها ، فتثور عليه وتتهمه بأنه يشفق عليها ، لكنه يؤكد لها صدق عواطفه ويتزوجان وتموت بعد أن يتمكن المرض منها .

وشهد عام ١٩٨٧ ثلاثة أفلام : " جرى الوحوش " لعلى عبد الخالق ، و "رحلة النسيان" لأحمد يحيى ، و" امرأتان ورجل " لعبد اللطيف زكى ، ففى الفيلم الأول يفشل سعيد فى الإنجاب لبلوغ زوجته وفاء سن اليأس ، وعندما يقرر الزواج من أخرى تثور عليه وفاء ، أما عبد القوى فيتوهم أنه فقد القدرة الجنسية ويصاب بالجنون ، ويحدث أن يصاب سعيد بالشلل يوم زفافه فتلازمه زوجته الأولى وفاء

برعايتها ، وفى الفيلم الثانى تقتنع الأرملة هالة بالزواج من محمود بعد أن عاشت طويلاً على ذكرى زوجها صلاح الذى استشهد فى حرب أكتوبر ، لكنه يعود فجأة بعد سنوات الأسر ، فلا يتحمل محمود الصدمة ويصاب بأزمة قلبية تقضى عليه . أما فى الفيلم الثالث فتصاب سهام بمرض خطير ، ويعرض عليها معتز الزواج فتوافق ، فى حين تنهار ابنة خالته منى التى تحبه ، ثم يشتد المرض على سهام فتوصى معتز بطارق وتموت .

وفى فيلم " السجينتان " ١٩٨٨ لأحمد النحاس ، تصاب زينب بنزلة برد شديدة ، ولا تتخلى عنها ليلى ، لكن زينب تندم وتحث ليلى على الهرب قبل وصول رجال الشرطة ، لكنها ترفض ويشتد المرض على زينب وعندما يصل رجال الشرطة ، تلفظ أنفاسها الأخيرة وتنهار زينب . وفى فيلم " إلا أمى " ١٩٩٠ لعبد العليم زكى تتبلور قيمة الإرادة والتحدى فى مواجهة محنة المرض بأسلوب سلس مقنع من خلال شخصية محسن الراقص الماهر والبطل الرياضى الذى قرر أن يخطب زميلته وحبيبته بسمة ، لكن يقع لمحسن حادث يصيبه بالشلل ، وينهار ويطلب من أمه أن تخفى أمر مرضه عن بسمة التى تنتابها الحيرة لانقطاع أخباره ، وعندما تكتشف بسمة ما حدث لمحسن ، تتمسك به وتتم خطبتهما ، ثم يزاول العلاج الطبيعى الذى يجعله يتماثل للشفاء ، فى حين أن يس إسماعيل يس أخرج فى نفس العام (١٩٩٠) فيلم " حلقة الرعب " الذى قدم فيه شاباً مصاباً بالشلل وتوأمه المريض نفسياً بدون أى مبرر درامى .

فى عام ١٩٩١ عرض فيلمان " زوجة محرمة " لأحمد السبعاوى و" شاويش نص الليل " لحسين عمارة ، فى الفيلم الأول يصاب حسين فجأة بالشلل ، ويطلب من يوسف أن يتزوج سهام بعد أن يطلقها حتى يضمن مستقبلها ، لكن بعد فترة تجرى لحسين عملية جراحية تشفيه من الشلل ، فيطلب من شقيقه أن يطلق سهام

ليعيدها إلى عصمته ويتصاعد الصراع بينهما لدرجة أن حسين يموت من هول الصدمة . أما الفيلم الثانى فكان له السبق فى إدخال الإيدز ضمن قائمة الأمراض والعاهات التى عالجتها السينما المصرية ، وذلك من خلال شاب سار فى طريق الفساد والانحلال .

وفى العام التالى (١٩٩٢) أخرج كريم ضياء الدين فيلم " الحب والرعب " الذى يعالج الإصابة بالإيدز أيضاً من خلال شخصية الدكتورة هند التى تعترف لحبيبها السابق أحمد بأنها مريضة بالإيدز بعد أن قضت ليلتها فى شقته ، ينهار ويلجأ إلى أحد الأطباء الذى يؤكد أن العدوى انتقلت إليه ، ويقوم بالإبلاغ عن هند التى انتقل إليها المرض عن طريق زوجها ، ثم تقرر عصابة استخدام هند لقتل زعيم عصابة منافسة ، وترضخ هند بعد أن يخطفوا والديها وطفلتها ، لكن المرض ينتقل إلى الزعيم الأول إذ تخونه زوجته مع زعيم العصابة الثانية بعد معاشرته لهند ، وكأن الإيدز أصبح نوعاً من لعبة الكراسى الموسيقية ، وفى النهاية تلجأ هند للبوليس للكشف عن العصابة وتسلم نفسها

وكعادة السينما المصرية التقط الخيط الجديد في نفس العام ١٩٩٢ مخرج آخر هو أحمد فؤاد عندما قدم فيلم " الحب فى طابا " الذى يدور حول ثلاثة أصدقاء يذهبون فى رحلة إلى شرم الشيخ ، ويشتركون فى مغامرة مع ثلاث سائحات ، ثم تهبط عليهم الصاعقة عندما يعرفون أن إحداهن مصابة بالإيدز ، فينهارون ويعيشون فى رعب ، وعند عودتهم إلى القاهرة ، يطلق فخرى زوجته خوفاً من العدوى ، ثم يجتمع الثلاثة فى منطقة منعزلة عن ذويهم ، وعندما يذيع خبرهم ، يضطرون للذهاب لتسليم أنفسهم لمستشفى ، يجرى لهم التحاليل اللازمة .

* * * * *

وبرغم المعالجات الإيجابية والمنطقية والناضجة للأمراض والعاهات ، والتى كانت تومض بين الحين والآخر فى مسيرة السينما المصرية ، إلا أن العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية المعتادة استطاعت أن تفرض نفسها على كم كبير منها ، وعلى سبيل التأكيد فإنه ليس هناك حجر على الكتاب والمخرجين فى مجال معالجة الأمراض المزمنة والخطيرة أو العاهات الدائمة والقدرية ، ذلك أن من حقهم التوغل فى أى مجال يفتحون فيه آفاقاً جديدة للوعى والإدراك والتنوير والارتقاء إلى مستويات أعلى من الإحساس المرهف والتفكير الراقى ، لكن بشرط ألا يقعوا أسرى العناصر النمطية التي يمكن أن تصب إبداعاتهم في قوالب جامدة يمكن أن تحيلها إلى حفريات بمرور الزمن ، فليس هناك فن قادر على استكشاف آفاق المجهول والغامض والمعتم على مستويات فنية وفكرية لا يمكن حصرها ، مثل فن السينما .

* * * * *



قنديل أم هاشم سنة ١٩٦٨



جسر الخالدين سنة ١٩٦٠



بـاب الحـديـد   إخـــراج / يـوســف شـاهـين   سنة ١٩٥٨



أين عقلى   إخراج / عاطف سالم   سنة ١٩٧٥



أين عقلى   إخراج / عاطف سالم   سنة ١٩٧٥

العقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون

كانت العقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون من الحيل والألعاب التي مارسها الكتاب والمخرجون المصريون بشغف وإصرار وتكرار ، قل أن نجد لها نظيراً بنفس الدرجة فى أية سينما أخرى سواء فى الغرب أو الشرق ، وبرغم هذا التكرار فإن الأفلام التي اعتمدت فى علاجها لهذه العناصر والتيمات على أسس علمية وطبية وسيكلوجية كانت قلة ملحوظة ، إذ أن معظمها اعتمد علي الأفكار الشائعة والدارجة بين عامة الناس ، وهى أفكار غالباً ما تكون غير علمية أو مغلوطة أو خاطئة ، فقد كان هدفهم الاستراتيجى هو استغلال العناصر الميلودرامية والمثيرة التي يمكن أن تترتب على المفاجآت غير المتوقعة الناتجة عن العقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون ، بصرف النظر عن مصداقيتها العلمية .

وكانت أول إصابة بالجنون فى فيلم " الدفاع " الذى أخرجه يوسف وهبى مع نيازى مصطفى عام ١٩٣٥، فالبطل يصاب بالجنون فجأة قبل نهاية الفيلم بدون أى مبرر أو منطق ، سوى أن ضميره استيقظ واعترف بجريمته ، فقد كان طوال الفيلم بكامل قواه العقلية ، فهو جلال باشا المحامى الشهير الذى يصادق الراقصة فتحية ، فيحترق عشيقها عباس بالغيرة ويطلب منها أن تهجر الباشا ، وعندما ترفض فإنه يهددها بالقتل ، وفى جدال حاد بين الثلاثة ، تنطلق رصاصة تصيب الراقصة ،

فيهرب الباشا ، ويتم القبض علي عباس الذى يتوسل أبوه لجلال كي يقوم بالدفاع عنه ، وبالفعل يحاول أن يبرئه لكن بلا جدوى ، عندئذ يستيقظ ضميره ويعترف بجريمته ويصاب بالجنون فينقل إلى المستشفي ، لكنه يهرب فيلقي مصرعه علي يد رجال الشرطة .

فى فيلم "حياة الظلام " الذى أخرجه أحمد بدرخان عام ١٩٤٠، يأتي الجنون كعقاب ونهاية مأسوية لحياة المجون والظلام - إذ يحصل الابن على ليسانس الحقوق ، ويفرح أبوه لابنه الذى سيصبح محامياً ، لكن الابن يريد أن يكون أديباً وروائياً ، ثم تدخل الأحداث فى متاهة ليست لها علاقة بما سبق ، إذ يلتف أقران السوء حول الابن الذى ينقاد لهم ، بل ويضيع مال أبيه ويسرق مصاغ أمه لسد مطالب عشيقته ، مما يؤدى إلى وفاة أمه ، وعندما يفلس ، تهجره عشيقته ويصاب بالجنون .

أما إبراهيم لاما فقد سجل فى فيلمه "وحيدة "عام ١٩٤٤ أول حالة لفقد الذاكرة من خلال شخصية الفتاة التى تربت فى منزل جليلة هانم ، وربط الحب بينها وبين ابنها ممدوح ، لكن الأم ترفض زواجهما وتحاول أن تتخلص من وحيدة بتزويجها من سعداوى ، وعندما يحزن ممدوح ويمرض ، تحاول جليلة إعادة وحيدة إلى المنزل ، ويبحث عنها ممدوح دون جدوى ، إذا أنها قد هربت مع سعداوى من عزبته بسبب هجوم أعدائه على العزبة وإحراقها ثم قتله ، عندئذ تفقد وحيدة ذاكرتها التى تستعيدها عندما يعثر عليها ممدوح ويتزوجان .

ثم تصل تيمة فقد الذاكرة إلى قمة تربعت عليها ولم تتركها حتى الآن ، وذلك فى فيلم " الماضى المجهول " الذى كتبه وأخرجه أحمد سالم عام ١٩٤٦. ففيه يفقد أحمد الذاكرة على أثر إصابته فى حادث قطار ، ويدخل المستشفى ويطلقون عليه اسم حسن ، وترعاه الممرضة نادية بحب ، في حين تنتهز عائلته فرصة غيابه للاستيلاء على ثروته ، والتى تتعرف عليه عندما تنشر نادية صورته ، وعندما

يتزوج أحمد ونادية ، تصدمه سيارة فيستعيد ذاكرته ، وبالتالى يفقد صلته بالماضى وزواجه من نادية وأيضاً طفله ، وبالفعل يتقدم للزواج من ابنة عمه ، أما مدير المستشفى فيتعاطف مع نادية ويشير عليها باستغلال موهبتها فى الغناء في حفل زفافه كمحاولة لاسترجاعه عندما يتذكرها ، وتنجح نادية فيتذكر كل شئ ويعود إليها ولطفلها فى حين تقدر العروس الموقف ، أى أن فقد الذاكرة كان العمود الفقرى لكل أحداث الفيلم ومواقفه .

ويعود أحمد سالم إلى تيمة فقد الذاكرة فى فيلم " المستقبل المجهول "١٩٤٨ والذى تفقد فيه نادية أهلها فى الحرب ، وتصاب بصدمة عصبية تكاد تؤدى بها للانتحار ، ينقذها الدكتور أحمد ويتزوجها برغم حب سميرة له ، ثم تصاب نادية بصدمة تفقدها الذاكرة ، وتختفى من حياة زوجها وطفلها ، لكن سميرة تعيش في منزل أحمد لتدير شئونه وتربى طفله ، ثم يتفقان على الزواج ، لكن نادية تظهر من جديد وتكتشف علاقة زوجها بسميرة فتحاول قتلها بالسم ، وما أن ترى طفلها يحاول تناوله حتى تتناوله هى (وكان يمكن أن تمنعه من تناوله دون أن تتناوله هى) وهكذا تنتهى حياتها وتبدأ حياة أحمد وسميرة .

وكان فيلم " فوق السحاب " الذى أخرجه محمود ذو الفقار عام ١٩٤٨ أيضاً ، أول فيم يدور حول عقدة نفسية لأن الأفلام السابقة ركزت على الجنون وفقد الذاكرة ، فى هذا الفيلم تعانى فتاة من عقدة نفسيه لاعتقادها أنها تسببت في شقاء أختها منذ الصغر ، لذلك تجاهد وتكافح بقدر الإمكان لتتمكن من إسعاد أختها ، أما صديق طفولتها وصباها فلم ينسها أبداً وهو فى خضم معركة الحياة ، لكنها كانت تفر منه خشية أن يمنعها حبها من القيام بواجبها نحو أختها ، ولا تنحل عقدتها إلا بعد أن تطمئن على أختها ، فتستجيب لحبه وتتزوجه .

وفى عام ١٩٤٩ أخرج حلمي رفلة فيلم " المجنونة " الذى يتخذ من الجنون عموداً فقرياً ، لأحداثه من خلال شخصيتى عادل الطبيب النفساني وزميلته القديمة

التى تعيش مع عمها وزوجته اللذين يدبران خطة لتدمير عقلها بحيث أصبحت تشك فى كل شئ ، ويتولى عادل علاجها بإحدى المصحات ، وكان يعلم أن عمها يحاول تعذيبها لكى يظل وصياً على ثروتها الكبيرة ، خاصة عندما اكتشفت أن العم هو الذى دبر موت أخيه وزوجته ، وبالفعل يدبر العم خطة لقتل الطبيب لمنعه من علاجها ، لكن الشرطة تحبط هذه المؤامرة ، ويتم شفاء ليلى عندما تتكشف أسرار مرضها ، وتعود لتبدأ حياتها مع عادل الذى أحبها وأخلص لها .

وفى عام ١٩٥٠ أخرج نيازى مصطفى فيلم " أفراح " الذى جمع فيه بين عقدة النقص وفقد الذاكرة ، وذلك من خلال شخصية سامى الموسيقار المغمور الذى تدعوه سيدة أرستقراطية ليعزف فى صالونها الذى يموج بكبار الشخصيات ، فيقابل بالسخرية لأنه لايجاري الموسيقى الحديثة ، ثم يرحل مع إحدى الفرق المتجولة ، ويقع له حادث يفقده الذاكرة ، لكنها تعود إليه بعد عرض الأوبريت الذى قام بتلحينه وأثبت نجاحه .

وفى نفس العام (١٩٥٠) أخرج حسين صدقي فيلم " معركة الحياة " الذى يدور حول أخين : أحمد المحامي الناجح الذي يؤمن بالمثل العليا ، وفاضل الموظف بأحد المصانع الذى يؤمن بسلطان المال ، ويتزوج من سامية ابنة صاحب المصنع طمعاً فى ثروتها ، ويعيشان حياة كلها سهرات وحفلات صاخبة تنتهي بوفاته ، فيرعى أحمد شئون أسرة أخيه ، لكن سامية تحاول الدس بين أحمد وزوجته ، وعندما تفشل كل خططها ومؤامراتها ، تنتهي بها الحال إلى مستشفى الأمراض العقلية كنوع من التوابل التى كان حسين صدقى يلجأ إليها للتخفيف من ميله إلى الخطابة والإرشاد والوعظ المباشر بداع وبدون داع ، وخاصة أن مواقف الجنون وتقلباته غير المتوقعة تمنح للممثل والمخرج فرصة الخروج بالمشاهدين على المألوف والرتيب من المواقف .

فى فيلم " قطر الندى " ١٩٥١ ، استخدم أنور وجدى حيلة فقد الذاكرة لإشعال عنصر التشويق ، من خلال شخصية فنان استعراض بسيط متزوج من زميلته ، ويريد أن يلفت الأنظار إليه ، فيدعى أنه قتل زوجته ويسلم نفسه للشرطة ، وتكاد الحيلة تنجح ، ويحقق الشهرة التى تمناها !! لكن الصدفة تتدخل كالعادة وتكتشف جثة تجعل المحقق يوقن أنه مذنب ، وعبثاً يحاول الفنان أن يقنع المحقق أنه مظلوم ، وأن زوجته على قيد الحياة ، وعندما تطلب للشهادة ، تصاب فى حادث وتفقد الذاكرة !! ويقترب موعد النطق بالحكم ، ويحاول المحامى مساعدة الزوجة استرداد ذاكرتها لإنقاذ زوجها . (وإن كان من المفروض أن يقوم بهذه المهمة طبيب نفسانى) !! وفى اللحظة الأخيرة تتعرف عليه ويصدر الحكم ببراءته، ويخرج من السجن ليجد الفرق المسرحية تسعي إليه .

فى عام ١٩٥٢ أخرج كمال الشيخ فيلم " المنزل رقم ١٣" الذى فرض نفسه بعد ذلك على معظم أفلامه التى تمزج التشويق بالتحليل النفسى ، ففى هذا الفيلم يوحى طبيب نفسانى لمريضه وصديقه شريف بأنه قتل رجلاً بعد أن ينومه مغناطيسياً ، ليتمكن مع راقصته من أن يستولى على مبلغ بوليصة التأمين لصالح الراقصة ، وبعد قتله تكتشف انه يحرمها من المبلغ المؤمن عليه ، ويتم القبض على شريف ليلة زفافه . ثم يظهر فى النهاية أن الدكتور هو الفاعل الحقيقى ، وقد كاد يشرع فى قتل نادية خطيبة شريف بعد تنويمها ، ويتم القبض عليه كما يتم زواج شريف ونادية .

فى عام ١٩٥٤ يتم عرض فيلمين من أفلام الذاكرة المفقودة " آثار على الرمال " لجمال مدكور ، و " دلونى يا ناس " للسيد زيادة . فى الفيلم الأول يفقد المؤلف الموسيقى إبراهيم ذاكرته ، ويسعى الطبيب النفسانى لمعرفة سر مرضه ، فيتقابل مع خطيبته السابقة راجية التي تؤكد حبها لها ورغبتها في مساعدته ، وتعترف بأن جدها اعترض على زواجهما لأنه يفضل عليه ابن خالتها والذى تنفر

منه والذى ابتعد عن طريقها ، وفى النهاية يتضح أن مرض إبراهيم نتج عن موت أخته فى أثناء تسلقها الطاحونة ، وإحساسه أنه السبب فيه ، ويتم شفاؤه وزواجه من راجية .

فى فيلم " دلونى يا ناس" تقع ناهد فى حب حسن لكن أمها ترفض زواجهما ، ثم تفاجئ الأم ابنتها مع حسن فى مكان عام ، فتسرع ناهد وتصطدم بسيارة فتفقد ذاكرتها وتهرب لتقع فى يد منوم مغناطيسى يحتال عليها ويستغلها كمغنية ووسيط فى أعماله ، ويحاول بكل الطرق غير المشروعة تضليل كل من يبحث عنها ، لكنها فى النهاية تعود لأهلها وتتزوج حبيبها بعد أن تتأكد الأم من حبه وإخلاصه لها .

وشهد عام ١٩٥٥ عرض ثلاثة أفلام " الغائبة " لعز الدين ذو الفقار ، و " ثورة المدينة " لحلمى رفلة ، و " أحلام الربيع " لحسن رمزى، فى الفيلم الأول ينتهز أحد أصدقاء الزوج وقوع حادث للزوجة تفقد على أثره الذاكرة ليجعلها تشتغل فى ملهى ليلى ، وبعد أن يفقد زوجها الأمل فى العثور عليها يتزوج من ابنة خالته ، ثم تأتى الصدفة بمفعول السحر - كالعادة - ويقابل زوجته الأولى التى تعود إليها ذاكرتها ، ويعود إليها ، وفى الفيلم الثاني الذى لا يمت عنوانه بصلة إلى موضوعه ، سوى أن لفظ " ثورة " كان له رنين براق في أعقاب ثورة يوليو ١٩٥٢ ، تموت والدة فاطمة عندما تلدها ، فيلاحظ أبوها أن النساء فى عائلتها يمتن عندما يلدن لأول مرة ، وتعيش فاطمة أسيرة لعقدة نفسية هى أنها لو تزوجت وحملت فسوف تموت مثل أمها ، ومع ذلك تقع فاطمة فى حب أحمد وتتزوج منه ، وهى تنتظر مصيرها المحتوم لكنها تلد وتواصل حياتها الطبيعية ، وتتكرر نفس العقدة تقريباً فى الفيلم الثالث منذ أن شهدت البطلة موت أمها وهى تضع طفلتها الثانية ، فتصاب بعقدة نفسية وتنفر من الزواج فى حين تحب

أختهـا الصغـرى شـاباً وتنتظـر الـزواج منـه ، وتلجـأ إلـى طبيـب نفسـاني ليعالجهـا ، فتعود الثقة إليها ، وتقع فى حبه لكنه يكتشف أنه مريض بـالقلب، ولكـى تـتزوج الأخـت الصغـرى ، تزعـم أن الطبيـب طلبهـا لـلزواج ، وتصارحه بمبررات كذبها لكنه يصارحها بحبه وأن حالته تتحسن ويستطيع الزواج منها .

فى عام ١٩٥٨ قدم يوسف شاهين فيلم "باب الحديد" الذى تدور أحداثه فى محطة باب الحديد حيث يعمل بائع الصحف قناوى المعقد جنسياً بسبب عاهة تعجزه عن تحقيق أحلامه فى الزواج من هنومة بائعة الكازوزة التي تتفجر بالأنوثة والتي ينافسه فيها أبو سريع الحمال الذى يستعد للزواج منها ، وبعد صد هنومة له ، وتصاعد مستمر لأزمات قناوى الجنسية والنفسية ، يقرر أن يقتل هنومة حتى لا يأخذها أحد منه ، وحين يخطفها ويهدد بذبحها علي قضبان القطار ، ينقذها منه مدبولى صاحب الكشك الذى يهدئ من حالته فى حين تطبق عليه قوات الشرطة ورجال مستشفى الأمراض العقلية وقد جن تماماً .

فى نفس العام ١٩٥٨ كتب عباس كامل وأخرج فيلم " رحمة من السماء " الذى يفقد فيه عماد زوجته على أثر رصاصة طائشة تطلقها طفلتهما التى تصاب بعقدة نفسية تستمر معها ، ويعيش عماد على ذكرى زوجته فى حين يعالج صديقه الدكتور ابنته ، ويصادف الصديقان مغنية راقصة تشبه زوجته تماماً ، بحيث يستفيد الدكتور من هذا الشبه فى علاج الطفلة ، ويتصادف أيضاً أن تفقد المغنية طفلتها المريضة ، فتحاول الانتحار ، وينقلها الدكتور لمستشفاه وهناك تتقابل مع ابنة صديقه ، فتظن أنها أمها !! وتتعلق المغنية بها ، لكن الزوج يرفض الاقتران بها ، عندئذ يظهر له شبح زوجته التى تشجعه علي الزواج !! لكنه يقرر السفر مع ابنته إلى الخارج ، فيدبر صديقه طريقة للقائه بالمغنية التي يجدها فى انتظاره داخل الباخرة ، ويودعهم صديقه الدكتور متمنياً لهم السعادة !!

كما شهد عام ١٩٥٨ معالجة فكاهية ومرحة لموضوع الجنون فى فيلم " إسماعيل يس فى مستشفى المجانين " لعيسى كرامة ، وفيه تحب طعمة شاباً يعمل فى محل حلوانى ، ثم يظهر عريس جديد تومرجى فى مستشفى الأمراض العقلية ، فيتعهد بسداد المبالغ التى استولي أبوها عليها من العرسان الذين وعدهم كذباً بالزواج من ابنته ، ويقرر الأب التخلص من حبيب طعمة حتى يتزوجها التومرجى ، وذلك بمؤامرة تدخله مستشفي الأمراض العقلية ، لكنه يهرب في ليلة فرح حبيبته ويكشف الحقيقة إذ أن التومرجى مجنون ويفوز أخيراً بحبيبته !

ثم يأتى عقد الستينيات فيشهد عام ١٩٦١ وحدة خمسة أفلام تدور حول العقد النفسية والذاكرة المفقودة التى لا يمل كتاب السينما ومخرجوها من تكرارها واجترارها ، ومع ذلك كان فيلم " رسالة إلى الله " لكمال عطية من أرق الأفلام وأكثرها عذوبة فى هذا المجال ، بحيث أثبت أن العبرة ليست بنوعية المضمون أو الموضوع أو التيمة ، سواء أكانت هذه العناصر نمطية أم غير ذلك ، وإنما العبرة بالمعالجة والمنظور والزاوية التى يتم منها تجسيد الفكرة بحيث تبدو جديدة وغير تقليدية تماماً ، ولذلك يبدو فقد الذاكرة فى هذا الفيلم عنصراً عضوياً وضرورياً فى بناء الفيلم ككل ، وليس لمجرد الإثارة المصطنعة والمفاجأة المفتعلة ، ففى هذا الفيلم تصعد الطفلة عائشة إلى مئذنة الجامع لتطلب من الله أن يجعل عروستها تتكلم ، فتقع عروستها ، وعندما تحاول أن تستردها ، تسقط هى الأخرى وتفقد ذاكرتها من الصدمة ويعاني الأطباء في علاجها ، وينهار أبوها حسين الذى يعمل كمسارياً فى السكك الحديدية ، وتمر السنوات ولا تصلح عائشة للزواج بسبب مرضها الذى ترك أيضاً شللاً فى شفتيها وإحدى عينيها ، في حين يصبح جارها ميدو صحفياً ، ويتزوج منها وتنجب طفلة ، ويتم استبدالها بالعروسة التى كانت دائماً تحملها ، وبهذا تشفى من مرضها .

والفيلم الثانى عام ١٩٦١ كان " مخلب القط" لحسين حلمي المهندس ، والذى تحب فيه فتاة صاحب الفيلا التي تعيش فيها مع أمها ، وهو طبيب مصاب بعقدة تجعله لا يثق بالنساء ، ويحدث أن يصحب الفتاة فى نزهة بالهرم ، ويلتقيان بأسرة صديق ثرى وابنته وخطيبها ابن عمها ، ثم يقع حادث يفقد فيه الخطيب ذاكرته بحيث يتصور نفسه فى شخصية صديقه الثرى ، ويرى الطبيب أن يصطحبه معه إلى الفيلا ليعيش بشخصيته الجديدة ، ويحاول التقرب من الفتاة ، فتثور غيرة صاحب الفيلا الذى يبوح بحبه للفتاة ، ويسرع إلى إعادة تمثيل الحادث أمامه ، فتعود للخطيب ذاكرته ويعود إلى عمه وخطيبته ، وتتزوج الفتاة من صاحب الفيلا (ليعيشوا في تبات ونبات ويخلفوا صبيان وبنات) !!

أما الفيلم الثالث فى نفس العام فهو " امرأة وشيطان " لسيف الدين شوكت ، والذى يربط فيه الحب بين ممثل مسرحى وصاحبة الفرقة ، وهو يعانى من عقدة نفسية يصاب بها بعد أن تسبب فى قتل إحدى زميلاته أثناء التمثيل أمامها ، وتحقد عليه الراقصة التى كان يحبها ثم هجرها ، وتستغل عقدة الذنب عنده فتدس بينه وبين صاحبة الفرقة لكن محاولاتها تفشل ، ويتزوج الممثل من صاحبة الفرقة .

وكان الفيلم الرابع هو " غداً يوم آخر " لألبير نجيب ، والذى تقع فيه حرب السويس ، ويسافر أحمد للقيام بواجبه بعد أن يترك زوجته وطفلته وديعة فى يد صديقه رأفت ، وتأتى أنباء تفيد بأن الزوج مفقود ، وتصاب الزوجة بصدمة عصبية ، وترفض محاولات رأفت للزواج منها حتى يعوضها موت أحمد ، ثم يفاجأ الجميع بعودة أحمد بعد أن تعود إليه ذاكرته لتهنأ بحياتها مع زوجها وطفلتهما .

أما الفيلم الخامس " حياة وأمل " لزهير بكير ، فتقع فيه الطائرة التي تحمل فريق كرة القدم فى البحر ولا ينجو أحد من الركاب ، ويشتد الحزن بزوجة أحدهم لدرجة أنها تشترط على ابن عمها عندما يتزوجها أن يظل

الزواج بينهما صورياً ، ثم يتضح أن زوجها لم يمت في الحادث ، لكنه فقد الذاكرة ووصل سابحاً إلى شاطئ بيروت ! (كيف !؟ لا تسأل فهذه إرادة المخرج) !! وفي بيروت تنقذه فتاة وتتزوجه !! وتأتي به إلى مصر في بعثة دراسية حيث تتعرف عليه زوجته الأولى ، وكالعادة تعود إليه ذاكرته بعد تعرضه لحادث سيارة ! (إذ أن حادث الطائرة لم يكن كافياً) !! وتجرى له عملية جراحية فيعود إلى زوجته الأولى بعد أن ينسحب ابن عمها من حياتها لتهنأ مع من تحب !! (ولم يحدث في فيلم من الأفلام أن أصرت الذاكرة على عدم العودة !! فهي دائماً تعود بطريقة أو بأخرى وفي الوقت المناسب !! وهو ما يتوقعه المتفرج دون إثارة حقيقية) !!

وشهد عام ١٩٦٣ أربعة أفلام " الليلة الأخيرة " لكمال الشيخ ، و" الحقيقة العارية " لعاطف سالم ، و" سجين الليل " لمحمود فريد ، و" المجانين في نعيم " لحسن الصيفي ، في الفيلم الأول ، تدور الأحداث في دوامة من الغموض والتشويق إلى أن يدرك المشاهدون أن البطلة كانت قد أصيبت في إحدى غارات الحرب العالمية الثانية ، وفقدت ذاكرتها تماماً ، وهو ما استغله شاكر زوج أختها المتوفية في نفس الغارة حتى لا تفلت منه ثروة صهره ، فزور في الأوراق ليجعل نادية هي زوجته فوزية ، ولكنه ينكشف عندما تعود إليها ذاكرتها ، ويلقى مصرعه في حادث! أما في فيلم " الحقيقة العارية " فتخاف البطلة من الزواج بعد أن طلقت أمها من أبيها وللمتاعب التي تواجهها أختها مع زوجها ، لكنها تجد في النهاية الحبيب الذي يحل عقدتها .

أما في فيلم " سجين الليل " فيطلب الطالب الجامعي من المجرم أن يعلمه كيف يقتل لأن للطالب عقدة نفسية سببها أن أمه تسيطر عليه سيطرة تامة !! وأخيراً نرى المجرم يطلب منه أن يقتله قبل أن يقبض عليه ، وتنتهي القصة التي كتبها يوسف إدريس بعنوان " الغريب " ، بأن تحل عقدة الطالب الجامعي بقتل المجرم ،

(وهى أفكار غريبة لا تخطر إلا ببال يوسف إدريس) وفى فيلم " المجانين فى نعيم " يفرج عن البطل بعد أن يقضى عشر سنوات بمستشفى الأمراض العقلية ليواجه جحيم الحياة خارج المستشفى لدرجة أنه يعود مرة أخرى إلى المستشفى يرجوهم أن يسمحوا له بالدخول فى دنيا النعيم !!!

فى عام ١٩٦٤ أخرج أحمد ضياء الدين فيلمين " هل أنا مجنونة ؟ " ، و " لو كنت رجلاً " ، فى الفيلم الأول تتعلق هدى الفتاة الحساسة المنطوية على نفسها بأبيها تعلقاً شديداً بعد موت أمها وزواجه من أخرى ، وهى مصابة بعقدة نفسية تجعلها تشعر بالذنب لاعتقادها بأنها تسببت في طفولتها فى موت أمها ، وتجعلها عندما تثور تنقلب إلى العنف فتحطم كل شئ أمامها ، ويصور الفيلم الثانى فتاة تؤمن بأن الزواج يشكل أكبر عقبة فى سبيل طموحها ، لكن الأحداث تغير نظرتها للزواج الذى تكتشف أنه ألفة وتساند وقوة دفع وليس عقبة .

وفى عام ١٩٦٥ أخرج جلال الشرقاوى فيلم " أرملة وثلاث بنات " الذى يستولى فيه دياب على نصيب أسرة شريكه محفوظ بعد وفاته ، فى حين يعتدى جودت على زهرة ابنة محفوظ وهما لا يزالان فى مرحلة الخطبة ، ثم يتخلى عنها فتصاب بحالة نفسية مما يضطر الأم إلى أن تستدين حتى توفر المال اللازم لعلاج زهرة ، وتلجأ إلى دياب ليعيد إليهم نصيبهم ، فيشترط أن يتزوج من ابنتها هدى ، فتوافقان حتى تنقذا زهرة ، ويخرجون من أزمتهم .

وفى فيلم " الليالى الطويلة " ١٩٦٧ لأحمد ضياء الدين تتكرر عقدة الخوف من الموت أثناء الولادة ، بل وتتأكد وكأنها حقيقة لا يمكن تجاهلها ، فالأرمل مختار يتزوج من نهاد التى تقوم برعاية طفليه علاء وعزة ، وتكتمل سعادتها عندما تكتشف أنها حامل برغم معارضتها مختار لفكرة إنجابها خوفاً من تكرار مأساة زوجته الأولى التى ماتت وهى تلد ويشب ابنهما خالد لكن أثناء لهوه بالكرة أمام المنزل ، تصدمه إحدى السيارات ليموت ، لكن نهاد تجتاز أزمتها لتكرس عواطفها

لعلاء وعزة ، فهما يعوضاها عن خالد ، لكن تظل الفكرة توحى بأنـه إذا لـم تمت الأم ، فلابد أن يموت الابن عوضاً عنها !!!

فـى فيلم "حواء والقرد " ١٩٦٨ لنيازى مصطفـى تصـل غـيرة الزوجـة علـى زوجها إلـى عقدة نفسية مستحكمة فـى فكرهـا وسـلوكها ، خاصـة عندمـا تكتشـف أنـه علـى علاقـة براقصـة ، وتذهـب إلـى طبيـب نفسـاني ، يشـخص حالتها بأنهـا مصابـة بـازدواج فـى الشـخصية ، وتسـتغل هـذا التحليـل الطبـى فتتقمص شـخصية أخـرى ، وتدعـى أنها علـى علاقـة بشـخص آخـر ، وبـالفعل تتصـل بخطيبهـا السـابق وتقابلـه وتتجـاهل زوجهـا ، وفـى النهايـة تتكشـف حقيقـة تصرفاتها وتعـاهد زوجهـا بـالكف عـن غيرتهـا ، لكـن يظـل الأسـاس العلمـى والطبـي لمضمـون الفيلـم خاطئـاً لأن المصـاب بـازدواج الشـخصية لا يعـى انتقالـه من شـخصية إلـى أخـرى ، لكـن وعـى البطلـة هنـا يصـل إلـى درجـة تقمـص شـخصية أخـرى أى أنهـا واعيـة بذلـك تمامـاً ، وبالتـالى لا يمكـن أن تكـون مصابـة بـازدواج الشـخصية !! .

فى عام ١٩٦٩ أخرج كمال الشيخ فيلم " بئر الحرمان " الذى تتكرر فيه حالة ازدواج الشخصية ولكن على أساس علمى ، فالبطلة نـاهد تصـاب بمـرض ازدواج الشخصية ، فهى فى النهار تعيش بشخصيتها العادية ، وفى الليل هى مـيرفت الفتـاة اللعوب ، ويعالجها طبيب نفسـاني ، ويكتشـف أن مرضهـا نتيجـة لعقدة نفسـية منـذ طفولتها ، إذ يكتشف الأب خيانة الأم فيعاملها بجفاء ولا يقربها لتعيـش فـى حرمـان عاطفى قاتل ، وتترسب هذه التجربة فى أعماق ناهد ، وفى النهاية تشفى وتتخلص من شخصية ميرفت .

وفى نفس العام ١٩٦٩ أخرج حسن الصيفى فيلم " سكرتير ماما " الذى تفاجأ فيه كاميليا بعودة زوجها زعتر الذى فقد الذاكرة طـوال السـنوات الماضيـة بـلا أى مبرر درامى ، وخاصة أنه يقتـل فـى نهايـة الفيلـم بـلا أى مـبرر أيضـاً ، سـوى أن

المخرج أراد أن تتزوج كاميليا مـن سـكرتيرها شـلبى حتـى ينتهـى الفيلـم بالأسـلوب النمطى الذى أدمنته السينما المصرية .

فى عام ١٩٧٠ أخرج أنور الشناوى فيلم " السراب" عن رواية نجيب محفوظ التى نشرت بنفس الاسـم ، وهـى أول روايـة تعـالج عقدة أوديب بأسـلوب علمـى ، فالشاب الثرى كامل يـتزوج مـن ربـاب التـى تكتشـف عجـزه الجنسـى ، فيلجأ إلـى الدكتور أمين لعلاجه ، ويتضح له أنه شاب خجول ، عاش طـوال حياتـه منطويـاً ، وكانت أمه هى كل حياته بعد أن انفصلـت عـن أبيـه ، فـالتصق بهـا التصـاقاً كـاملاً بحيث ارتبط الجنس عنده بالمحرمات ، ويطلـب الدكتـور أميـن مسـاعدة ربـاب فـي علاج زوجها ، لكن بمرور الوقت تتوطد علاقة الزوجة بالطبيب ويتورطان لدرجـة أنها تحمل ويشفى كامل تماماً فى نفس الوقت الذى تموت فيه الزوجة أثنـاء عمليـة إجهاضها .

وفـى نفـس العـام ١٩٧٠ اخـرج سـيف الديـن شـوكت فيلـم " زوجـة لخمسـة رجـال " الذى يتكرر فيـه عقد قـران عفـاف للمـرة الرابعـة ثـم تهـرب ، ويبلـغ الأزواج الأربعـة عن اختفائها ، فيتولـى الضـابط سـيف القضيـة ويتمكـن مـن العثـور عليهـا ، وتقـدم للمحاكمـة بتهمـة تعـدد الأزواج ، ويعرضهـا سـيف علـي طبيـب نفسـاني يكشـف لـه الحقيقـة ، فهـى تعـانى مـن عقـدة نفسـية منـذ طفولتهـا نتيجـة معاملـة زوج أمهـا القاسـى لهـا ولأمهـا ممـا يسـبب كرههـا للرجـال ، وفـى النهايـة يفـرج عنهـا بشـهادة الطبيب ويتـم شـفاؤها وتـتزوج مـن سـيف .

فـى فيلـم" الاختيـار" ١٩٧١ جسد يوسـف شـاهين مـع نجيـب محفـوظ حالـة ازدواج الشخصية بأسلوب مأساوي يصـل بصاحبـه إلـى درجـة الجنـون . فالبحـار محمود يعيش حياة منطلقة ، وهو الشقيق التوأم للكاتب الكبير سيد الذى يتمتع بالمال والشهرة ، إلا أنه يعيش فى عذاب نفسى عندما يدرك زيف حياته ، ويقوم سيد بقتـل

محمود ويعيش الشخصيتين !! ثم يعثر رجال الشرطة على جثة محمود ، وتحوم الشبهات حول سيد ، ويكتشف رجل المباحث فرح أن سيد مريض نفسياً ، بل إنه يحاول الهرب وقد أصابه الجنون ، لكنهم يتمكنون منه ويدخلونه مستشفى الأمراض العقلية .

فى نفس العام ١٩٧١ أخرج نيازى مصطفي فيلم " المتعة والعذاب " الذى قام فيه بتوزيع العقد النفسية علي بطلاته الأربع ، فواحدة مريضة بالسرقة ، والأخرى تعانى من جنون الشهرة ، أما الأخريان فتشعران بكراهية نحو الرجال ، تكتشف إحدى العصابات أمر الفتاة اللصة ، فيحومون حولها هى وصديقاتها ، ويوقعهن فى حبائلهم ليشاركوهم فى جرائمهم ، وتصل تحريات الشرطة إليهم لتقبض عليهم جميعاً ، ومن خلال هذه التجربة القاسية التى مرت بها الفتيات ، تنحل عقدة كل واحدة منهن !!

فى عام ١٩٧٢ أخرج منير التونى فيلم " عاشقة نفسها " الذى يصور حياة فتاة جميلة تدعي دلال ومصابة بعقدة النرجسية لدرجة أنها تصد أطماع الرجال فيها لأنها تريد لجمالها الخلود ، ولذلك فهى توافق على الزواج من الرجل الذى يكبرها بسنوات ، ويحاول الدكتور النفساني مختار علاجها من عقدتها فى حين يشعر الزوج بالغيرة الشديدة عليها ، ولا يستطيع السيطرة على مشاعره لدرجة أن يؤدى به الانفعال الشديد إلى أزمة قلبية تقضى عليه . وينجح مختار فى تغيير مفهومها للحياة وغرس الحب داخلها .

وفى نفس العام (١٩٧٢) أخرج تيسير عبود فيلم " جنون المراهقات " الذى يعالج حياة الأوهام والبعد عن الواقع بأسلوب مرح خفيف ، فرجل الأعمال الكبير يعانى من بناته الثلاث المراهقات اللاتى يرفضن الزواج إلا من فتي أحلامهم الذى ترسمه كل واحدة منهن في أوهامها ، فالأول تحلم بالزواج من كازانوفا ، والثانية من هولاكو ، والثالثة من جيمس بوند ، ويعرض الأب بناته على الطبيبة النفسية

منى فتهتم وتنشغل بهن عن زوجها الذى يتفتق ذهنه عن حيلة للتخلص منهن بالعمل على تحطيم أوهامهن ، وذلك بأن يمثل أدوار فرسان أحلامهن ، وأن يشوه صورهم فى أذهانهن ، وبذلك ينجح فى إقناعهن بالعدول عن أفكارهن .

وشهد عام ١٩٧٣ ثلاثة أفلام : " ذات الوجهين " لحسام الدين مصطفى ، و" ثلاث فتيات مراهقات " لعبد الرحمن كخيا ، و" شئ من الحب " لأحمد فؤاد ، فى الفيلم الأول تصاب كريمة بانفصام فى الشخصية ، فهى زوجة المحامى الكبير قدرى وأم الهام ، والشخصية الأخرى هى ليلى البدوية التى تحب وائل وتهرب يوم عقد قرانها متسببة فى عار لا يمحوه سوى الدم ، ويقرر موسى قتلها ، فى حين يكتشف وائل حقيقتها ، وتتعقبها الهام حتى تصل إلى القبيلة ، وهناك يحاول موسى اغتصاب الهام فتستنجد بأمها التي تشفى من هول الصدمة ، وتصيب موسى بزجاجة لكنه يتحامل على نفسه ويطعنها فى ظهرها بسكين ويلقى الاثنان حتفهما .

أما فى الفيلم الثانى ، فتتعرض سامية في طفولتها لمحاولة السباك الاعتداء عليها مما ولد لديها عقدة هذا الزواج ، ويحول موقفها هذا دون زواج أختيها هالة وصفاء ، يعجب بها أحمد صديق ممدوح خطيب صفاء ، بل ويقرر المعلم رضا الزواج من أمهن ، ويتعاون الجميع فى تغيير موقف سامية وينجحون وتتم خطبتها لأحمد ، وفى الفيلم الثالث يغادر دوريش مستشفى الأمراض العقلية بعد علاجه ، ويذهب شريف للتفاهم معه على زواجه من إيناس ، فإذ بدرويش يطلب من شريف أن يتزوج من سلوى فى حين يتزوج صديقه عادل من إيناس لمدة أسبوع !!! ويعده إذا لم ينسجم كل منهما مع زوجته ، فسيوافق على زواجه من إيناس بعد أن يطلقها عادل ، وبالفعل يتم ما تمناه شريف إذ لم توفق إيناس مع عادل !!

وشهد عام ١٩٧٤ ثلاثة أفلام : " أين عقلى " لعاطف سالم ، و" قاع المدينة " لحسام الدين مصطفى ، و" فى الصيف لازم نحب " لمحمد عبد العزيز ، فى الفيلم الأول تعانى عايدة من زوجها الذى يحاول إيهامها بأنها مجنونة ، وتتردد على

الطبيب النفسانى زهدى الذى يبوح لـه أنهـا قبل زواجهـا ، تورطـت فـى علاقتهـا بحبيبها شريف الذى يموت فى حادث ، وتعـترف لـه أن توفيـق تنتابـه حـالات شـلل مؤقت عقب رحلات يقوم بهـا إلـى الإسـكندرية بصحبـة سـائقه ، ويتوصـل زهـدى لمشكلة توفيق وهى صراعه بين تقاليده المصرية والتقاليد الأوروبيـة أثنـاء دراسـته هناك ، ويتم علاجه ويعود الوفاق بينه وبين زوجته .

والفيلم الثانى يدور أيضاً حول متعة ممارسـة الجنـس مـع الطبقـات الأدنـى ، وإذا كان الفيلم الأول عن قصة لاحسان عبـد القـدوس ، فالثـانى عـن قصـة ليوسـف إدريس ، وفيه يصاب القاضى عبد الله بعقدة جنسية ، فيشير عليه صديقه أشرف أن يمارس الحب مع من هن دون طبقته ، ويجد ضالته فى خادمته شهرت التى توافق لحاجتها للمال للإنفاق على أطفالهـا ، ويعيش عبـد اللـه فـى صـراع ولا يكـف عـن التساؤل ، هل تمارس معه الحب عن حب أم لحاجتها للمال ؟! (وهو سؤال ساذج لا يصدر عن قاض يعلم جيداً أنها سلمت نفسها له من أجل المـال إذ لـم تكـن هنـاك أية بوادر حب من قبل) !! ويمنع عنهـا المـال فتتوقـف عـن الحضـور ، ويكتشـف سرقتها لساعته فيطردها ، وتدفعها الحاجـة للمـال لأن تنحـرف ، فيجتـاح عبـد اللـه إحساس قاتل بالذنب لأنه تسبب فى ذلك ، فيستقيل من عمله لأنه لم يكن عـادلاً فـى قضية تخصه ، فكيف يكون عادلاً فى قضايا الناس ؟! (ومن أين أتى بهـذه الفلسـفة المثالية وهو المعقد نفسياً والعاجز عن ممارسة الجنس مع أنداده ؟!!)

أما الفيلم الثالث " فى الصيف لازم نحب " فهو فيلم خفيف الظـل ، يتخـذ مـن الحالات النفسـية مـادة للمفارقـات الكوميديـة ، ففيـه يعـالج أحمـد وجنيـدى ومدحـت ويسرى فى مستشفى للأمراض النفسية والعصبية ، وينجح الدكتور نبيـل فـى إقنـاع مدير المستشفى بمصاحبة المرضى الأربعـة إلـى الإسـكندرية لاعتقـاده أن علاجهـم سيتم باختلاطهم بالناس ، وهناك يتعرفون بعبد الحفيظ الأب المتحفظ الذى يتشدد فى معاملته لبناته ، وسرعان ما يحدث استلطاف بين بناته وثلاثة مـن المرضـى ، لكـن

مدير الفندق يكتشف حقيقة المرض ، فيشيع الخبر ليعم الرعب على الشاطئ ، ويصل رجال الشرطة ، إلا أن الدكتور نبيل يعلن أمام الجميع عن شفائهم .

فى فيلم " صائد النساء " ١٩٧٥ لعبد المنعم شكرى ، تتكرر لعبة الإصابة بالجنون ودخول مستشفى الأمراض العقلية بالبساطة المتناهية التى اعتادت عليها السينما المصرية ، ذلك أن شريف المطرب المعروف بعلاقاته النسائية ، يقع فى حب زهرة ، ويحاول الإيقاع بها ، لكنه يفشل فيقرر أن يتزوجها ، ويسافران إلى الإسكندرية ، وعندما يستيقظ لا يجدها ، وينكر جميع العاملين بالفندق رؤيتهم لها ، وعندما يسأل عنها فى منزلها ، ينكرون معرفتهم بها ، ويصاب شريف بحالة من الجنون ، ويدخل مستشفى الأمراض العقلية ، وعندما تتأكد أميرة من حبه لها ، ويتضح أنها خططت لذلك كى تلقنه درساً ، يعقل ويعدها بالاستقامة .

وشهد عام ١٩٧٧ فيلمين " العذاب امرأة " لأحمد يحيى ، و " قطة على نار " لسمير سيف ، الأول مأخوذ عن مسرحية " الأب " للكاتب السويدى أوجست سترندبرج ، والثانى مأخوذ عن مسرحية " قطة علي سطح صفيح ساخن " للكاتب الأمريكى تنيسى ويليامز ، والمحور الذى تدور حوله المسرحيتان ، محور نفسى جنسى .

وفى الفيلم الأول يعانى الدكتور جلال الطبيب المشهور من تسلط زوجته الدكتورة إيناس التى تغير عليه ، وتشك فى وجود علاقة بينه وبين زميلته الدكتورة إيناس التى تغير عليه ، وتشك فى وجود علاقة بينه وبين زميلته الدكتورة ليلى ، لذلك فهى تشككه فى أبوته لابنه هشام ، فينهار جلال !! (هذا يمكن أن يحدث فى السويد ، أما فى مصر فمن المعتاد أن يطلق الرجل زوجته الخائنة وربما قتلها دون أن ينهار) ! المهم أن الطبيب المشهور الدكتور جلال يصاب بصدمة نفسية عنيفة ، ويفقد الذاكرة ، بل ويعمل فى أحد المطاعم باسم صادق ، وبعد بحث تكتشف ليلى مكانه ، وتبدأ فى علاجه ومحاولة إعادة الذاكرة إليه ، وتساعدها فى ذلك إيناس

التى تندم ويحدث أن يمرض ابنهما هشام ، فيصحبون جلال لرؤيته ، ويتكرر تردده على المنزل حتى تعود إليه الذاكرة بالتدريج .

فى الفيلم الثانى تعانى جيجى من حياتها مع أمين وترتاب فى علاقته مع صديقه عزت ، حتى تكتشف شذوذ عزت الجنسى ، وتواجه أمين الذى ينهار بعد انتحار عزت لافتضاح أمره ، وتزداد الفجوة بين الزوجين ، فى حين يوبخ الأب أمين على معاملته السيئة لجيجى ، فيكشف له أمين عن مرضه الخطير ونفاق الجميع له فينهار ، كما يعرب أمين عن ندمه لجيجى علي سوء معاملته .

وشهد عام ١٩٧٨ فيلمين " وثالثهم الشيطان " لكمال الشيخ ، و" واحدة بعد واحدة ونص " لحسين عمارة ، فى الفيلم الأول يعانى هشام إحباطاً شديداً بعد أن سحب منه مخرج مسرحية " هاملت " دور البطولة بعد أن كاد يخنق الممثلة نوال التى تلعب دور أمه لاندماجه فى الدور، ويعرض هشام نفسه على طبيب نفسانى ، فيتضح أنه يعانى من عقدة نفسية عندما اكتشف أن أمه تخون أباه مع عمه ، ويتفق الطبيب مع المخرج لإعادة الدور لهشام كنوع من العلاج الذى ينجح بالفعل .

أما فى الفيلم الثانى فيدعى نظيم لضابط المباحث أن هدى مصابة بازدواج الشخصية لأنه يهدف إلى إثبات عدم صلاحيتها لإدارة ممتلكاتها ، (وكأن رأيه هو القرار الفاصل فى هذا الموضوع الطبى المتخصص) !! وتشك هدى في عمها ، وتتفق مع ضابط المباحث على تقمص شخصية لولا الفتاة التى تشبه هدى إلى حد بعيد ، والتى استغلها العم فى سرقة محطات البنزين وإلصاق التهمة بهدى علي أساس أن لها شخصيتين ، ويتوصل ضابط المباحث إلى لولا التى تعترف بتحركات نظيم الذى يقع فى قبضته .

فى عام ١٩٧٩ قدم هنرى بركات فيلم " ولا عزاء للسيدات " الذى يتم فيه الطلاق بين حمدى وميرفت ، فيحاول العودة إلى راوية ، لكنها ترفض ، فيصاب بحالة نفسية تجعله يهمل عمله ، بل ويحاول قتل راوية ، ويدعى فى التحقيق أن

سبب جريمته يرجع إلى سوء سلوكها ، ويصدق الجميع أوهامه وأكاذيبه ، ويتخلى عنها طارق ، لكن التقرير الطبى يثبت أن حمدى مريض نفسياً ، وتقرر راوية تكريس حياتها لابنتها ، فالمرأة القوية تستطيع أن تعيش بلا رجل .

ومع مطلع الثمانينيات توالت أفلام الصدمات النفسية ، فقدم أحمد السبعاوى فيلم " الأخرس" عام ١٩٨٠ الذى يتسبب فيه المهندس أحمد بدون قصد فى وفاة زميله حسام فيصاب بصدمة عصبية تفقده النطق ، ويلتقى بعايدة التى يعجب بها وتبادله مشاعره ويتزوجان برغم اعتراض أبيها ، ويتفرغ لتأليف الكتب والأبحاث والترجمة ، وفى أحد لقاءات الأب مع أحمد يهينه ، وتكون المفاجأة عندما يسترد أحمد نطقه من شدة الانفعال فيتغير موقف الأب .

وقد شهد عام ١٩٨١ عدة أفلام من هذه النوعية ، نختار منها "أنا المجنون" لنيازى مصطفى ، و " مسافر بلا طريق " لعلى عبد الخالق ، و" أنا فى عينيه " لسعد عرفة .

فى الفيلم الأول يدخل حسان مستشفى الأمراض العقلية بعد أن يقوم بسرقة محل للمجوهرات ! (وكأنه لا توجد اختبارات طبية دقيقة ، لمعرفة المدعى من المجنون الفعلى) !! وطالما أن الفيلم كله ادعاء فى ادعاء فان نعيمة عشيقة حسان تتردد عليه ، وتدعى لآدم رئيس الممرضين أنها أخته ! (والرشوة هنا أكثر إقناعاً من الادعاء ، سواء بالنسبة لرئيس الممرضين أو المتفرجين) !! بل ويعرض آدم الزواج على نعيمة فتوافق !! وعندما تثبت التقارير الطبية أن حسان ليس مجنوناً ، يهرب بمساعده نعيمة ، ويطالبه شريكه حامد بنصيبه من المسروقات ، إلا أن نعيمة تهرب بحقيبة المسروقات ، ويتم القبض على حسان ، وعندما يكتشف آدم حقيقة علاقة نعيمة بحسان ، يقتلها ويصاب بالجنون بدون أى مبرر !!!

فى فيلم " مسافر بلا طريق" ، يتعرض الفنان التشكيلى أسامة وهو فى الأقصر لهجوم مسلح من عصابة تتاجر فى الآثار وتهربها ، وتسعفه الغجرية

أسرار ويفقد الذاكرة !! وتتوصل إلى مكانه خطيبته راندة وصديقه أشرف ، ويدخل المستشفى للعلاج ، وتحاول أسرار إعادته إلى الأقصر فهى تحبه ، تبدأ حالته فى التحسن لكنه يفاجأ بأشرف وهو يحاول إقناع راندة بالموافقة علي زواجها ، وتنشب بينهما معركة ويصيبه أشرف إصابة خطيرة يموت علي أثرها !!(ولا يمكن تبرير انقطاع العلاقات بين الفنان التشكيلى ، ومهرب الآثار ، والهجوم المسلح ، وفقد الذاكرة ، ومصرع البطل فى النهاية على يد صديقه ، إلا بمدرسة "سمك لبن ، تمر هندى " التى لا تزال تحكم قبضتها الحديدية علي التأليف أو بمعنى أصح على التلفيق السينمائى) !!!

أما فيلم " أنا فى عينيه" فيدور حول نفس العقد النفسية النمطية التي لم تخرج الكتابة السينمائية عن إطارها ، فى حين أن علم النفس زاخر بالدهاليز المثيرة والكهوف الغامضة التى يمكن أن يتوغل فيها الكتاب دون الخوف من أن يكرروا أفكارهم ومواقفهم ، لكن يبدو أن الكسل أو الاستسهال أو الاستكانة للمألوف والتقليدى والنمطى ، كانت وراء اقتصارهم على عقدة نفسية أو اثنتين أو ثلاث على أكثر تقدير ، منها على سبيل الحصر وليس المثال عقدة بطل هذا الفيلم الذي يرفض إعادة تشغيل المصنع الذى ورثه عن أبيه ، فقد تسبب وهو طفل فى قتل أبيه دون أن يقصد عندما عبث بأزرار كانت سببا فى سقوط آلة ضخمة على رأس الأب بحيث أودت بحياته ، إلا أن زوجته تنجح فى حل عقدته بحيث يقرر تشغيل المصنع! (مع إن أبسط احتياطات الأمن الصناعى تحتم أن تكون مثل هذه الأزرار أو المفاتيح بعيدة عن متناول غير الخبراء والمختصين ، ناهيك عن الأطفال) !!!

وشهد عام ١٩٨٢ خمسة أفلام عن الجنون وفقد الذاكرة والعقد النفسية المعتادة : " المعتوه " لكمال عطية ، و" ضاع حبى هناك " لعلى عبد الخالق " ، و" بريق عينيك " لمحمود عبد العزيز ، و " عروسة وجوز عرسان " ليحيى العلمى ، و " العسكرى شبراوى " لهنرى بركات .

فى فيلم " المعتوه" يعجب أحمد بثناء التى ظلت تصده إلى أن وقع له حادث عندما كان يلاحقها بسيارته ، فانقلبت به وأصيب بالعجز الجنسى ، والفيلم يحكى قصة انتقامه منها لدرجة اتهامها بمحاولة قتله ، وفى فيلم " وضاع حبى هناك " يتغيب حسين بعد اشتراكه فى حرب ١٩٦٧ وتظل زوجته تبحث عنه إلى ما بعد حرب ١٩٧٣ حتى تجده فى القنطرة شرق وقد تزوج من امرأة أخرى بعد أن فقد ذاكرته ، لكنه فى هذا الفيلم لا يستعيدها على غير عادة الأفلام المصرية ، وفى فيلم " بريق عينيك " تتوطد علاقة رجل الأعمال حازم بسلوى التى سقطت الطائرة بزوجها وليد ، وكانا ينتظران مرور السنوات الأربع القانونية لغياب الزوج حتى يتزوجا ، لكن وليد يعود بعد أن يسترد ذاكرته ويرفض أن يطلق سلوى ، وعندما يصرف حازم النظر عن الموضوع يطلقها وليد !! وفي فيلم " عروسة وجوز عرسان " تمر السنوات الأربع على غياب الزوج الذى غرقت الباخرة التي كان يستقلها ، فتتزوج ثريا من شاكر ، ثم يفاجآن بعودة عصام بعد أن يستعيد ذاكرته ، وتقع ثريا فى حيرة لأنها تحب الزوجين ، لكن شاكر يطلقها حتى تستأنف حياتها الزوجية الأولى ، وفى فيلم " العسكرى شبراوى " تبدو مستشفى الأمراض العقلية مكاناً لاستقبال أى إنسان يقول عنه الآخرون غير المختصين إنه مجنون ، بل ويمكن للعسكرى الذى يصطحبه أن لا يقوم بتسليمه للمستشفى إذا عرف منه فى الطريق إن جنونه مجرد إشاعة حتى يستولى الطامعون على أرضه !!(وذلك على الرغم من أن جوهر التأليف الدرامي يكمن في إقامة العقبات المثيرة ، والصعوبات التى تبدو مستحيلة ، والوقوف عند حافة الهاوية أو فى مفترق الطرق المصيرية .. الخ ، لكن يبدو أن تسهيلات أو تساهيل السينما المصرية لا حدود لها ، وأن معضلات عويصة يمكن أن تنشأ بسهولة وتنحل بسهولة أيضاً ، وبدلاً من أن تتوغل داخل المتفرجين وتأسر ألبابهم وتأخذ بشغاف قلوبهم ، حتى يتحولوا من مجرد متفجرين إلى مشاركين فى تخيل الأحداث واحتمالاتها الممكنة ، فإن الكتاب يجنحون إلى التبسيط المخل الذى يصل إلى درجة التلفيق المفتعل ، حتى لا يتجاوز

المتفرجون دورهم كمجرد متابعين لما يجرى ، وليس عليهم سوى أن يمروا عليه مرور الكرام) !!!

وشهد عام ١٩٨٤ خمسة أفلام من نفس النوعية : "آخر الرجال المحترمين" لسمير سيف ، و " الراقصة والطبال " لأشرف فهمى ، و " لك يوم يا بيه " لمحمد عبد العزيز ، و"فقراء لا يدخلون الجنة " لمدحت السباعى ، و" الشيطان يغنى " لياسين إسماعيل ياسين .

فى " آخر الرجال المحترمين " تحرك الأحداث كلها امرأة فقدت طفلتها بعد أن أجريت لها عملية جراحية حرمتها من الإنجاب مما سبب لها عقدة نفسية سيطرت علي كل أفكارها وتصرفاتها ، فتخطف الطفلة نسمة من مجموعة أطفال في رحلة إلى حديقة الحيوان ، وفى فيلم " الراقصة والطبال " تتخلى الراقصة عن الطبال وتهجره ، فيفشل في تقديم فاصل عزف بالطبلة بدونها ، فينهار ويدمن المخدرات ويصاب بالجنون فى النهاية . وفى فيلم " لك يوم يا بيه " يصاب عبد الفتاح بالجنون !! بعد أن تهدده زوجته بالفضيحة ، ويدخل مستشفى الأمراض العقلية ، كذلك ينتقل زوج ابنته ممدوح إلى نفس المستشفى بعد أن تدعى سكرتيرته نفيسة أنها حامل منه ، إلا أن الأم والزوجة يصفيان الموقف ويعود الوفاق بينهم بنفس البساطة التى دخلا بها مستشفى الأمراض العقلية ، وفى فيلم " فقراء لا يدخلون الجنة " تنتاب أحمد حالة نفسية منذ طفولته عندما يشاهد أبوه وهو يقتل أمه الخائنة ، وتنتهي به أحداث الفيلم إلى الإصابة بالجنون ، وفى فيلم " الشيطان يغنى " تموت بعض الشخصيات بنفس السم ، وتعترف البطلة فى النهاية بأنها تعانى من عقدة نفسية مستحكمة تجعلها تنتقم من كل من يأتى فى طريقها ومن نفسها أيضاً !!

وشهد عام ١٩٨٥ خمسة أفلام أيضاً : " المجنونة " لعمر عبد العزيز، و "الحكم آخر الجلسة" و "خللى بالك من عقلك" لمحمد عبد العزيز، و" أنا " لأحمد السبعاوى ، و " أولاد الأصول " لفايق إسماعيل .

فى فيلم " المجنونة " تبدو سعاد فتاة غريبة الأطوار ، فهى تارة لصة تتنقل من محل لآخر تعمل فيه وتسرقه ، وتارة أخرى شغالة فى منزل خطيبة الشاب الذى أحبته ، وفى النهاية يتضح أنها فتاة مجنونة ، وتعيش فى الخيال ، ويتم إدخالها مستشفى الأمراض العقلية ، وفى فيلم " الحكم آخر الجلسة " يتفشى الخوف من الجنون الوراثى لدرجة أن طبيبة فى علم الوراثة تريد أن تجهض نفسها خوفا من انتقال المرض إلى طفلها ، ويرفع الأمر إلى القضاء وينتهى الفيلم قبل صدور الحكم ، وفى فيلم " خللى بالك من عقلك " تعترف سلوى لوائل بسبب عقدتها التي ترسبت فى أعماقها منذ أن حاول محمود الاعتداء عليها ، ولذلك فهى ترهب الرجال خوفاً من تكرار المأساة وفى فيلم " أنا " تقنع أمينة زوجها شريف بهدم المنزل والمدرسة التى يمتلكها مع أخيه لطفى لبناء عمارة ضخمة ، يرفض لطفى فيدخله شريف مستشفى الأمراض العقلية التى يرفض مغادرتها فى النهاية لأنه يفضلها على قسوة الحياة خارجها !!! وفى فيلم " أولاد الأصول " يسترد عويس ذاكرته المفقودة ويعود ليستعيد أرضه من ابنه المغتصب .

وشهد عام ١٩٨٧ أربعة أفلام : " الهروب من الخانكة " لمحمد راضى ، و " لعدم كافية الأدلة " لأشرف فهمى ، و" العبقرى والحب " لأحمد السبعاوى ، و " الأقزام قادمون " لشريف عرفة ، فى فيلم " الهروب من الخانكة " يلقى مصطفى مصرعه وتصمم نشوة علي تبليغ الشرطة عن أخيها الذى يقرر مع صبرى التخلص منها بإدخالها مستشفى الأمراض العقلية حتى تسقط شهادتها ، لكنها تحصل فى النهاية على الدليل الذى يدينه ، وفى فيلم " لعدم كفاية الأدلة " ينكر إبراهيم معرفته بزوجته فوزية ، ويدعى لضابط المباحث أنها مجنونة لمجرد أنها لا تملك ما يثبت شخصيتها ، بل ويأتى بزوجين يدعيان أبوتهما لطفلتها ، فتنهار ويدخلونها مستشفى الأمراض العقلية !! وفى فيلم " العبقرى والحب " قصة وسيناريو وحوار فيصل ندا ، تدور نفس أحداث ومواقف فيلم "جنون المراهقات " ،

قصة وسيناريو وحوار فاروق صبرى ، والذى أخرجه تيسير عبود عام ١٩٧٢ وسبق أن تعرضنا له فى هذا الفصل ، وهذا يدل على أن المصدر الأجنبى واحد وإن تم تجاهله تماماً ، ففى هذا الفيلم أيضاً تتم خطبة الدكتور عمر وحنان الطبيبة النفسية المشغولة عنه بعلاج ثلاث مريضات مشكلتهن عدم الثقة بالرجل ، فيستغل موهبته فى التمثيل ويتقمص شخصية فتى أحلام كل منهن حتى يتماثلن للشفاء !!؟ أما فى فيلم " الأقزام قادمون " فيتمكن رضوان من إدخال شهاب مستشفى الأمراض العقلية بموافقة زوجته بعد أن يهددها بقتله !!؟

وشهد عام ١٩٨٨ فيلمين : " الفلوس والوحوش " لأحمد السبعاوى ، و "راجل بسبع أرواح" لمدحت السباعى ، فى الفيلم الأول تصاب حياة بالجنون عندما لا تجد النقود التى أخفتها عند جارتها عديلة دون علمها ، وعندما تعثر عديلة عليها تموت من شدة السعادة !! أما أدم زوج حياة فيفقد عقله !!! وفى الفيلم الثانى تتعرض مها لعملية خطف من ثلاثة شبان ، فينقذها شاب فاقد الذاكرة !! وعندما يفشل علاج الشاب ويعجز عن معرفة شخصيته الحقيقية ، يقرر العيش بالشخصية التى يريدها !! (برغم أن فاقد الذاكرة لا يمكنه أبداً اتخاذ مثل هذا القرار) !!

وشهد عام ١٩٨٩ فيلمين " بستان الدم " لأشرف فهمى و " الدنيا على جناح يمامة " لعاطف الطيب ، فى الفيلم الأول تتماثل نادية للشفاء من مرضها العصبى وتسافر إلى تونس حيث يعمل زوجها كمال هناك ، وحيث تفاجأ بوجود علاقة بين كمال وأمينة بل ويتعاونان على تحطيمها ، ويحاول كمال قتلها فينقذها الجناينى بركة ويقتل كمال ، وتنهار نادية فتقتل أمينة ، ويدفنهما بركة فى بستانه ، وتعترف نادية لرجال الشرطة بالجريمة لكنهم لا يصدقونها لأنهم يعرفون مرضها العصبى !! (ومهما كانت ثقتهم ضعيفة فيما تقوله ، فإن أضعف الإيمان يحتم عليهم الذهاب إلى البستان إياه بحثاً عن جسم الجريمة) !! أما فى الفيلم الثانى فإن سائق التاكسى يساعد إيمان فى العثور على حبيبها المهندس المعمارى الموجود فى

مستشفى الأمراض العقلية ، وينجح فى تهريبه معها !!! (بنفس البساطة السينمائية المعهودة) !!

وشهد عام ١٩٩١ خمسة أفلام : " قانون إيكا " لأشرف فهمي ، و " يا ناس يا هوو " لعاطف سالم ، و " يا مهلبية ... يا " لشريف عرفة ، و " أحذروا هذه المرأة " لسيد طنطاوى ، و" نص دستة مجانين " لحسن الصيفى .

فى فيلم " قانون إيكا " يصاب الدكتور حسين الأستاذ الجامعى بلوثة حين يعرف أن جثة زوجته قد سرقها لصوص المقابر الذين يتاجرون في الجثث ويتم القبض عليه بعد أن يأتي بتصرفات جنونية ، وفى فيلم "يا ناس يا هوو" تؤدى الحالة النفسية السيئة التى تمر بها الشخصية إلى القتل ، وفى فيلم " يا مهلبية ..يا " تعتزل عتاب الرقص وتؤسس حزباً ، ويستشهد أحمد مرة فى حرب ٥٦ ، ثم ٦٧ ، ويعود مرة أخرى عام ١٩٧٣ ، و ينتهى الفيلم والمخرج والمؤلف يقضيان فترة النقاهة بإحدى المصحات النفسية ، وفي فيلم " احذروا هذه المرأة " تعانى الدكتورة نادرة من مرض ازدواج الشخصية ، وتدخل مستشفى الأمراض العقلية ، لكن الأحداث تثبت أنها ليست مريضة ، وأن ما جرى لها كان مؤامرة دنيئة من عصابة الأطباء التي تريد تحطيمها !! وفى فيلم " نص دسته مجانين" يبدو الجنون بالجملة عندما يهرب مجانين أربعة من سيارة الترحيلات ، فيضطر التومرجى والسائق للقبض علي أربعة أشخاص بدلاً منهم لتسليمهم لإدارة المستشفى!! (هكذا بهذه البساطة !!!)

وشهد عام ١٩٩٢ فيلمين " ديك البرابر " لحسين كمال ، و" القاتلة " لإيناس الدغيدى ، فى الفيلم الأول يعانى المليونير الدخاخنى من التخلف العقلى الذى ولد به ابنه خلف ، ومع ذلك يفكر فى تزويجه من عشرية علي أن يطلقها بعد أن تنجب ولى العهد ، ولكن خلف يتصدى لأبيه ويطلق النار عليه فيرديه قتيلاً ، ويرفض أن

يطلق زوجته التى أنجبت له ابنا هو فى الحقيقة ابن سفاح من زوجها السابق ، وفى الفيلم الثانى يكتشف الضابط حسام أن جارته رجاء وراء كل أحداث القتل بدافع جنسى ، فقد اغتصبها رجل وهى طفلة ، فأصبحت تسعى لقتل الرجال الذين توقع بهم ، وفى النهاية تصل إلى حبل المشنقة برغم أن الضابط - وليس الطبيب ! - هو الذى شخص حالتها بأنها مصابة بانفصام نفسى !!

أما عام ١٩٩٣ فقد شهد فيلمين يعالجان الجنون بطريقة أقرب إلى العبث أو الفانتازيا أو الكوميديا السوداء : " مجانينو " لعصام الشماع ، و" ليه يا هرم " لعمر عبد العزيز ، فى الفيلم الأول يرفض دكتور آدم ما يراه من حوله ، وتبدو تصرفاته أقرب إلى المجانين ، وحلمى النويشى الذى حول الجميع إلى مجانين عن طريق حبوب الهلوسة التى يضعها فى الشاى لزبائنه ، ود. مرام المديرة المتسلطة التى تود أن تكون إمبراطورة لهذا العالم ، وبهجت الاشتراكى الذى تطارده فكرة المخابرات الأمريكية ، وجلال الحارس الوفى الذى يتحول إلى خادم السيدة ، ورجل الأمن الذى يرى ما يحدث داخل المستشفى من وجهة نظراً أمنية ضيقة ، يحيل التمرد إلى ثورة حقيقية لا يستطيع بعدها الخضوع لمطالبها بعد فشل محاولاته لاختراق التمرد ، ثم تحدث المواجهة الحاسمة .

وفى فيلم " ليه يا هرم " تسيطر على البطل فكرة مجنونة تجعله يؤكد لأبناء وطنه أن الأهرامات ليست تراثاً أو حضارة ، وإنما هى أكوام من الحجارة ، وذلك لكى يخبئوا سائلاً غريباً كان يتفجر من باطن الأرض ، فالأهرامات مقامة على أكبر بحيرة بترولية فى العالم ، ولذلك فان كل أمل البطل وطموحه أن يهدم الأهرامات ليستخرج البترول وبذلك تصبح مصر دولة عظمى !!

ولعل الفيلمين الأخيرين يكونان بمثابة فتح آفاق جديدة تتجاوز العناصر النمطية التى جعلت من تيمات العقد النفسية والجنون وفقد الذاكرة ، نغمات متكررة إلى درجة الملل ، وخاصة أن الآفاق العلمية والطبية الجديدة فى مجال علاج

الأعصاب والمخ والنفس ، قد تجاوزت هذه العناصر النمطية بعقود ليست قليلة ، كما أن مظاهر الجنون والأمراض النفسية والعصبية خارج أسوار مستشفيات الأمراض العقلية تزيد أضعافاً مضاعفة على الحالات الموجودة داخلها ، ويمكن أن يستغلها المؤلفون والمخرجون في الإيحاء بالأمراض الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية والحضارية والسلوكية التي يعاني منها المجتمع المعاصر بصفة عامة ، وليس إيداع المرضى في المستشفى لمجرد الاشتباه بالبساطة التي صورتها أفلام كثيرة ،أو لعبة إصرار المريض على عدم مغادرة المستشفى بعد شفائه بحجة أن الحياة داخل أسواره أرحم بكثير منها خارج أسواره ، في حين أن الجحيم المشتعل داخل هذه المستشفيات ليس خافياً على أحد ، ويشكل مجال العقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون مجالاً خصباً لآفاق جديدة من التعبير الفكري والفني ، قد لا يتأتى لمجالات فكرية أخرى ، وخاصة أن هذه الأمراض لم تعد قاصرة على الأفراد ، بل امتدت لتشمل عصوراً ومجتمعات بأسرها يمكن أن تفقد الذاكرة الجمعية تحت وطأة ظروف معينة ، بل هناك أحداث تمر بمجتمع ما وتحفر داخله عقداً نفسية قد يصعب التخلص منها ، وهناك أيضاً حكام مجانين يتلاعبون بمصائر بلادهم كما يلهو الأطفال بالكرة ، وغير ذلك من آفاق التعبير التي تمكن السينما المصرية من معالجة قضايا العصر الملحة علي المستوى الإنساني العالمي ، وليس على المستوى المحلي فحسب ، ولعل هذا يكون بمثابة ثغرة تنفذ منها السينما المصرية إلى المجال العالمي الرحب .

* * * * *



لا تسألنى من أنـا   سنة ١٩٨٤



أيــــن عمــــرى



علـى ورق سـلوفـان   سنة ١٩٧٥



اسكندرية ليـه   إخراج / يوسف شاهين   سنة ١٩٧٩



أحلام هند وكاميليا إخراج / محمد خان سنة ١٩٨٨



المرأة المجهولة سنة ١٩٥٩

الخيانة الزوجية

كانت الخيانة الزوجية من العناصر النمطية المثيرة التى أقبل عليها المؤلفون والمخرجون بشهية مفتوحة دائما بحجة أن السينما تسعى دائما لفضح الحرام وتعريته ، أما الحلال فأمره معروف وليس فيه ما يثير أو ما يجذب الجمهور للمشاهدة ، وخاصة أن هناك عوامل متعددة ومتنوعة ومتشابكة مع الخيانة الزوجية بحيث تحافظ على جدتها وقدرتها على الإثارة برغم نمطيتها فى أحايين كثيرة . فهى لا تقتصر على طبقه معينة ، أو مستوى اقتصادى معين ، أو مرحلة عمرية معينة ، وقد يكون الدافع إليها نفسيا أو عضويا أو مرضيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا ... الخ . وهذا بالإضافة إلى عوامل الشك والتوجس والقلق والخوف وتوقع أسوأ ما يمكن أن يحدث ، وما يتبعها من متابعة ورصد وتجسس وتخطيط وسوء ظن وسوء فهم وغير ذلك من التوابل التى تعد مادة خصبة للتوابل السينمائية ، ولذلك كانت الخيانة الزوجية من العناصر النمطية التى فرضت نفسها على السينما المصرية منذ بداية مسيرتها حتى الآن .

فى فيلم " أولاد الذوات " الذى أخرجه محمد كريم عام ١٩٣٢ ، يخون حمدى بك زوجته مع فتاة فرنسية وتكتشف الزوجة ذلك . بل ويسافر الزوج مع عشيقته إلى باريس ، وهناك تظهر حقيقتها إذ يفاجأ بعلاقتها مع شاب فرنسى يطلق

عليه الرصاص ويحكم عليه بالسجن اثنى عشر عاما يعود بعدها إلى مصر ليجدهم يحتفلون بزواج ابنه ، وتخبره زوجته أنها قد تزوجت من ابن عمها بعد أن علمت بوفاته فى السجن ، فيرحل يائسا ويلقى بنفسه تحت عجلات القطار . وكأن الخيانة الزوجية خطأ مأسوى يؤدى إلى القتل ثم السجن ثم الانتحار .

فى فيلم " أنشودة الفؤاد " الذى أخرجه ماريو فولبى عام ١٩٣٢ أيضا ، يلتقى الثرى أمين باشا براقصة أوروبية ، ويسافر بها إلى بلدته حيث تقيم معه فى قصره ، وكان من جيرانه إبراهيم بك وشقيقه حسنى المتزوج من نادرة . ويعجب حسنى بك بالراقصة التى تبادله مشاعره ، ويهجر من أجلها زوجته التى تشكوه لإبراهيم الذى يحاول إقناع الراقصة بالابتعاد عن طريق حسنى الذى يشتبك معه فى معركة تؤدى إلى إصابة إبراهيم بالعمى ، وفى الوقت الذى تضع فيه نادرة مولودتها يتم القبض على حسنى ، فلا تتحمل نادرة الصدمة . وقبل أن تموت توصى أمين باشا بتربية طفلتها .

وفى عام ١٩٣٦ أخرج توليو كارينى فيلم " أنشودة الراديو " الذى يقدم فيه عبده الموسيقى المغمور زوجته نادرة للإذاعة لاستغلال صوتها الجميل فى حين يلاحق احمد – تلميذ عبده – نادرة بحبه ويسافر عبده لزيارة عمه المريض ، فيصل خطاب عن خيانة زوجته . يوهم الجميع أنه انتحر ويتنكر فى هيئة شخص آخر وعندما يتقدم أحمد للزواج منها ترفض ، فيتأكد عبده من إخلاص زوجته ويقرر العودة إليها .

وفى عام ١٩٣٧ أخرج عبد الفتاح حسن فيلم " الحل الأخير " الذى ينشغل فيه الروائى الكبير بفنه عن بيته وزوجته . لكن ابن خال الزوجة يصل من أوروبا فيملأ فراغ حياتها وتقع فى غرامه لدرجة أنها تتصدى لزوجها وترفض تغيير موقفها بحيث لم يكن هناك سوى الطلاق وعندما يطلب أهلها من ابن خالها أن

يتزوجها يرفض برغم أنه السبب فى خراب بيتها فلا تجد الزوجة مناصا من ان تعود إلى زوجها نادمة على ما اقترفته فى حقه !!

وفى عام ١٩٣٨ أخرج يوسف وهبى " ساعة التنفيذ " الذى تنتصر فيه الخيانة الزوجية على الزواج الشرعى ولا تنتهى بنهاية الفيلم أى أنه فيلم غير نمطى لتأكيده على أن النفس البشرية لا تنتصر دائما للخير والشرعية والحلال . ففى الفيلم يعود رؤوف من أوروبا ويفاجأ بأن خطيبته سامية قد تزوجت من الثرى فؤاد بك لكنها لا تزال تحبه فيبادلها الحب وتنمو الصداقة بين رؤوف وفؤاد الذى يثق فيه فقد أنجب منها طفلين وظل جاهلا بخيانة زوجته له مع رؤوف حتى كشفت الخادمة السر له . عندئذ يستيقظ ضمير رؤوف ويقرر قطع علاقته بسامية لكنها تصر على الاتصال به وإذا به يضعف مرة أخرى ويعاودان علاقتهما .

ومع عقد الأربعينات تدفق سيل من أفلام الخيانة الزوجية . ففى عام ١٩٤١ أخرج توجو مزراحى فيلم " ليلى بنت مدارس " الذى تتزوج فيه صديقة ليلى من ابن عمها برغم حب ليلى له بل إنها تخونه فتكتشف ليلى ذلك لكنها تطرد من المنزل بمكيدة من الزوجة الخائنة . ثم يفاجئها زوجها فى منزل عشيقها فتلقى بنفسها من النافذة وقبل أن تلفظ أنفاسها تعترف له ببراءة ليلى التى تعود إلى المنزل وتتزوج ابن عمها الذى شعر أخيرا بحبها له .

وفى عام ١٩٤٢ أخرج حسين فوزى فيلم " ليلة الفرح " الذى تصل فيه سلمى إلى عزبة أبيها فؤاد الذى يطلّق أمها ويتزوج من فتاة صغيرة السن ويصل فى نفس القطار المؤلف المسرحى والمحامى حازم لزيارة صديقه رياض الممثل بالفرقة ويتضح لحازم أن رياض هو عشيق لأمينة زوجة فؤاد بك والتى تتفق مع جميل بك الثرى العجوز على أن تزوجه سلمى مقابل مبلغ من المال وتهرب سلمى ليلة الفرح لتعمل ممثلة وتنجح . وواضح من القصة – التى كتبتها عزيزة أمير وقامت ببطولتها – أن الخيانة الزوجية كانت من التوابل التى أضافتها إلى المواقف

لمجرد الإثارة أو الجذب الجماهيرى ، بل ويمكن حذفها دون أن تتأثر القصة فى مجملها .

وفى عام ١٩٤٣ أخرج توجو مزراحى فيلم " الطريق المستقيم " الذى يتفانى فيه الأب فى حب زوجته ورعاية أسرته إلى ان تعترض طريقه امرأة أوقعته فى حبائلها فينشغل بها عن زوجته وأولاده وعمله إلى أن يسقط ويتحطم وعندما تتضح له خيانة تلك المرأة وخداعها يقتلها ويهرب .

وفى عام ١٩٤٤ أخرج إبراهيم لاما فيلم " يسقط الحب " الذى يعيش فيه الموسيقار عزت مع زوجته روحية فى سعادة حتى يلتقى بفيفى الغانية وينمو الحب بينهما برغم علاقتها بفوزى بك عشيقها الثرى الذى يفاجأ بعزت وهو مع فيفى فتقوم مشاجرة بينهما تطلق فيها فيفى الرصاص على فوزى فيلقى مصرعه ويقبض على عزت بتهمة القتل وتقف روحية إلى جانب زوجها حتى تظهر الحقيقة ويعود إلى منزله بعد أن تصفح عنه .

وشهد عام ١٩٤٥ خمسة أفلام منها ثلاثة لجمال مدكور وحده : " الحب الأول " ، و" قتلت ولدى " ، و" كازينو اللطافة " ، ثم " قبلة فى لبنان " لأحمد بدرخان ، و" رجاء " لعمر جميعى .

فى فيلم " الحب الأول " تحب الراقصة إلهام الشاب نبيل الذى يتزوجها رغما عن أمه . ويتشدد فى معاملته الجافة لها فتخونه ويضبطها مع عشيقها فى غيابه فيطردها من البيت وتنتحر . وفى فيلم " قتلت ولدى " تقع للدكتور سامى حادثة يصاب على أثرها بالشلل وترفض زوجته سهام الطلاق رأفة به ، فيطلب من أخيه فؤاد ان يعتنى بها لكن بمرور الأيام ينزلقان إلى الخيانة الزوجية وتحمل سهام وعندما يعلم سامى بهذا العار ينتحر .

وفى فيلم " كازينو اللطافة " يصل لعلم عزيزة أن زوجها الباشا يخونها فتدبر مع صديقتها شريفة طريقة للتحقق من هذه الخيانة وذلك بأن تكتب صديقتها خطابا

للزوج للقائها بكازينو اللطافة . لكن الأمر لا يتعدى حدود سوء التفاهم ويعود الوئام إلى المنزلين .

فى فيلم " قبلة فى لبنان " تسافر فتحية إلى لبنان لتقضى فترة النقاهة من مرض ألم بها وتتعرف بشاب مصرى هناك فى حين يقع زوجها سامى فى حب فتاة لعوب وعندما تعلم الزوجة بخيانة زوجها لها تثور عليه وتعود للشاب الذى عرفته فى لبنان ويكشف الباشا والد سامى خيانة الزوجة فيعترف للشاب بحقيقة فتحية التى تخفى عنها زواجها . يهددها الباشا بإظهار صورة لها مع الشاب لابنه وخوفا من انهيار منزلها تعود فتحية لسامى ويمزق أبوه الصورة .

وفى فيلم " رجاء " يتزوج عادل ابن الباشا الممرضة رجاء فيوقع الأب بينهما إلى ان يطلق عادل زوجته ثم يسافر عادل إلى أوربا وعندما يعود يخطب أبوه له الفتاة المتحررة شوشو لكنها تخونه مع محسن وتحمل منه ويذهب أبوها إلى محسن ليستعطفه كى يتزوجها لكنه يرفض فيطلق الأب الرصاص عليه ثم ينتحر ويعود عادل إلى رجاء ليتزوجها مرة أخرى .

وشهد عام ١٩٤٦ أربعة أفلام : " عودة القافلة " لأحمد بدرخان ، و" غرام الشيوخ " ، و" الملاك الأبيض " لإبراهيم عمارة ، و" أحمر شفايف " لولى الدين سامح .

فى الفيلم الأول يبدأ شاب فى إغراء زوجة كان يود الزواج منها فتهمل منزلها وتتركه فيطلقها زوجها وتذهب للشاب فيعرض عنها ويرى أن تعيش معه بدون زواج فترفض ثم يعفو عنها زوجها فى النهاية . وفى الفيلم الثانى تقف البطلة حائرة بين زوجها وربيب نعمتها وبين حبيبها فتصاب بحالة نفسية تدفعها إلى الانتحار لكنها تفشل ويصاب الكاتب بفقدان بصره ويدرك استحالة الحياة مع الفتاة فيطلقها حتى لا يدفعها إلى الخيانة الزوجية . وفى الفيلم الثالث يتزوج كاتب

المحامى من سيدة ثرية وبعد فترة يكتشف خيانتها فيقتلها هى وعشيقها ويحكم عليه بالسجن .

أما فى الفيلم الرابع " أحمر شفايف " الذى ترجع شهرته لبطله نجيب الريحانى ففيه يرأف موظف طيب بحالة عاملة لعوب طردت من المصنع الذى يعمل به فيأخذها إلى منزله لتعمل خادمة لكنها سرعان ما تشرع فى مغازلته بخلاعة مما يثير شك الزوجة وتتهمه بالخيانة ويقع الفراق بينهما لكنها فى النهاية تدرك خطأها وتعود إلى زوجها بعد أن كاد يتزوج من الخادمة .

وفى عام ١٩٤٧ أخرج محمود ذو الفقار فيلم " هدية " الذى تكتشف فيه الزوجة أن شقيقة زوجها تخون زوجها مع صديقه فتحاول التستر عليها ويعتقد الزوج بطريق الخطأ أن زوجته تخونه فيطلقها لكن الحقيقة تتكشف وتعود المياه إلى مجاريها .

وشهد عام ١٩٤٨ فيلمين " العقاب " لهنرى بركات ، و" ورد شاه " لعبد الفتاح حسن . فى الفيلم الأول لم تصن الزوجة شرف زوجها واستغلت طيبته لتشبع نزوات عشيقها وعندما يهم الزوج للانتقام لشرفه تنتهى المعركة بقتله تاركا ابنه الطفل وتلتصق تهمة القتل بالخادمة . ثم يتحايل العشيق على الزوجة الخائنة ويسلبها كل ما لها فى هذه الدنيا . أما فى الفيلم الثانى فيضطر الضابط إلى ترك عروسه للذهاب إلى فلسطين للحرب . ويعهد إلى ابن عمها لحماية عروسه لكنه يحاول إغراء الزوجة التى تأبى فينتقم منها بسجنها ثم يأمر بقتلها غير أن خادمها يمهد لها سبيل الخروج وعندما يعود الزوج يبلغه ابن العم أن زوجته خائنة مع أحد الخدم وأعدمت . وفى يوم يخرج للصيد ويعثر على زوجته وطفلتها ويعود الصفاء لحياتهما . (وكلها مبالغات ميلودرامية لا تمتلك أية مصداقية ، والشخصية الشريرة شخصية كاريكاتيرية تكاد تحدث أثرا عكس المطلوب !!) .

وشهد عام ١٩٥٠ فيلمين : " قسمة ونصيب " لمحمود ذو الفقار ، و" بابا عريس " لحسين فوزى . فى الفيلم الأول يهجر الزوج زوجته المخلصة ويتزوج من فتاة لعوب وثرية لكن حالته المالية تتدهور كما يكتشف خيانة زوجته فيقتلها ويدخل السجن لكنه يعود إلى زوجته الأولى بعد انتهاء مدة عقوبته . وفى الفيلم الثانى يدفع الأب ثمن زواجه من غانية عندما اكتشف أنها تخونه مع آخر وتطمع فى ثروته وهو نفس المضمون الذى عالجه أحمد كامل مرسى فى فيلمه " البيت الكبير " الذى عرض فى العام السابق (١٩٤٩) وفيه تنصب إحدى الغانيات شباكها حول جراح كبير حتى يهجر زوجته ووليه ومرضاه ثم يتم الطلاق ويتزوج من الغانية ويعيش حياة عابثة حتى ينهار تماما ، وتهجره الغانية فهى لا تستطيع أن تضحى بشبابها مع شيخ محطم ويعود إلى البيت الكبير بعد أن يطلقها نادما مستغفرا .

وشهد عام ١٩٥١ فيلمين " ضحيت غرامى " لإبراهيم عمارة ، و" وداعا يا غرامى " لعمر جميعى . يعتمد الفيلم الأول على نفس التوليفة النمطية التى تضم الزوجة الوفية والزوج الذى يخونها مع راقصة (كما لو كانت الخيانة الزوجية عند الراقصات هى الغاية فى حين أن الرقص هو الوسيلة المؤدية لهذه الغاية) !! وعندما يندم الزوج ويقرر أن يخلص لزوجته تدس له الراقصة السم بحيث يفارق الحياة بمجرد أن يصل إلى بيته !!! وتتهم الزوجة بقتله لكن الحقيقة تظهر فى النهاية . أما الفيلم الثانى فيعتبر نسمة هواء وسط هذا الجو الخانق من الخيانات الزوجية نتيجة للهالة الرومانسية التى تجعل الحب قوة قاهرة وليس مجرد تخطيط دنئ لممارسة النزوات ، إذ يربط الحب بين فتى وفتاة ويتعاهدان على الزواج ويستدعى الفتى للخدمة العسكرية فيقطع علاقته بفتاته مضحيا بنفسه فى سبيل مستقبلها ، وتتزوج الفتاة من ضابط يكبرها بسنوات وتشاء الصدفة أن يعمل الفتى كجندى مراسلة لزوج فتاته . وتبدأ الفتاة فى مقابلة حبيبها خلسة وعندما يعلم الزوج

يطلق الرصاص عليه لكن الفتاة تفديه وتصيبها الرصاصة وتموت بين ذراعى زوجها .

وشهد عام ١٩٥٢ فيلمين : " ظلمت روحى " لإبراهيم عمارة ، و" غضب الوالدين " لحسن الإمام . فى الفيلم الأول يتزوج ثرى من شابة تصغره بسنوات ثم يتضح أنها على علاقة بشاب أغراها بقبول الزواج لابتزاز أموال الثرى ويهددها دائما بإفشاء سر هذه العلاقة لزوجها . ويحدث أن تتسلل الزوجة الشابة إلى شقة عشيقها فتفاجئه ومعه فتاة أخرى فتقتله وتعترف لزوجها بخيانتها . وفى الفيلم الثانى يكتشف الشاب خيانة زوجته فيقتلها ويحكم عليه بالسجن . ذلك أن القتل بطريقة أو بأخرى كان ملازما للخيانة الزوجية فى معظم حالاتها على الشاشة .

وشهد عام ١٩٥٣ ثلاثة أفلام : " الشك القاتل " لعز الدين ذو الفقار ، و" لحن حبى " لأحمد بدرخان ، و" المستهترة " لعبد الله بركات . فى الفيلم الأول تنتاب الزوج عقدة نفسية مستحكمة تجعله يشك فى وجود علاقة غير شرعية بين زوجته الشابة وصديقه المخلص فيدبر مكيدة محكمة لتنفيذ جريمته لكن الله ينقذها منها بعد وقوعها إذ تشهد أمه على براءتها وتعترف بأن ابنها قتل نفسه . وفى الفيلم الثانى تضطر الفتاة إلى العمل عند عشيق أمها ، بل إنها تضحى بسمعتها لإنقاذ أمها ثم يكتشف الأب خيانة زوجته التى تلقى مصرعها , وفى الفيلم الثالث تخون زوجة مستهترة زوجها الطبيب وتهمل طفلتها وتنشغل عنها بعشيقها الذى تطالبه بالزواج بعد أن يطلقها زوجها فيسخر منها ويهجرها بل ويتزوج من صديقة لها .

وشهد عام ١٩٥٤ فيلم " كدت أهدم بيتى " لأحمد كامل مرسى والذى أحال فيه الشك حياة الزوج إلى جحيم خاصة عندما تقع تحت يده مجموعة من الخطابات الغرامية التى تؤكد شكوكه فيتهم زوجته بالخيانة ويطلقها ، ثم يكتشف أن هذه الخطابات ليست لزوجته بل للمربية التى طردتها فيهرع إلى زوجته نادما وتعود السعادة إلى الأسرة !! (ألم يكن من الممكن أن يعرف أنها خطابات المربية قبل أن

يطلق زوجته ؟!) ولذلك كان فيلم " الشك القاتل " لعز الدين ذو الفقار أكثر مصداقية وإقناعا من هذا الفيلم كذلك كان فيلم " ما ليش حد " ١٩٥٣ أيضا لإبراهيم عمارة فيلما غير نمطى برغم معالجته لعنصر الشك النمطى ، وسنتناوله بالتحليل فى فصل الأفلام غير النمطية .

وشهد عام ١٩٥٥ فيلمين : " إنى راحلة " لعز الدين ذو الفقار ، و" لحن الوفاء " لإبراهيم عمارة . فى الفيلم الأول تصل الرومانسية قمتها عندما توحى الأحداث بأن الحب المخلص بين عاشقين أرقى وأسمى من الحياة الزوجية المزيفة أى أن الحب يكتسب شرعية خاصة به خارج الزواج . ومن السهل رصد أصداء رواية " انا كارنينا " للروائى الروسى تولستوى فى هذه الرواية بالإضافة طبعا إلى العناصر النمطية المصرية التى تجبر عايدة على الزواج من غير حبيبها تنفيذا لإرادة أبيها فى حين يتزوج حبيبها الضابط من فتاة أخرى وتضبط عايدة زوجها مع عشيقته فى منزلها فى حين تتوفى زوجة حبيبها فيتعاهدان على أن يعيش كل منهما لصاحبه . لكن حبيبها يموت بالمصران الأعور فتشعل النار فى نفسها وترقد بجانب جثة حبيبها لكى تأكلهما النار معا .

أما فى فيلم " لحن الوفاء " فيعانى الموسيقار المشهور من عقدة ترسبت فى داخله عندما خانته المرأة التى أحبها وأصبح لا يثق فى النساء إلا أنه يشعر بالحب نحو الفنانة الشابة سهير ويحاول الفوز بها لكنه يدرك خطأه فى النهاية ويبارك زواجها من حبيبها جلال .

وفى عام ١٩٥٦ أخرج كمال عطية فيلم " قتلت زوجتى " الذى تمر فيه السنوات دون أن يرزق الزوجان بمولود وأخيرا تحمل الزوجة وتنطلق الشائعات حولها وهى تبرر ذلك بعودة خطيبها السابق بعد غيبة طويلة ويقوم زوجها بقتلها دون أن يتروى أو يتأكد ، وتصل المأساة قمتها عندما يثبت للمحكمة أن الزوجة طاهرة .

وفى عام ١٩٥٧ أخرج صلاح أبو سيف فيلم " لا أنام " الذى تعمل فيه نادية على الإيقاع بين زوجة أبيها صفية وبين أبيها وتنجح فى إقناعه ان هناك علاقة بين صفية وعمها عزيز فيطلقها . ثم تعمل على زواج أبيها من صديقتها ثم تكتشف - بعد ان أصبحت زوجة أبيها الجديدة - أن لها عشيقا تغدق عليه من مال أبيها وتتحول الخيانات الزوجية فى الفيلم إلى ما يشبه لعبة الكراسى الموسيقية .

وشهد عام ١٩٥٨ ثلاثة أفلام : " الزوجة العذراء " للسيد بدير ، و" مجرم فى أجازة " لصلاح أبو سيف ، و" شارع الحب " لعز الدين ذو الفقار . فى الفيلم الأول يضحى مجدى بحبه لفتاته ويبقى على صداقته معه فقط إذ أنه تعرض لحادث أصابه بعجز جنسى ويصارح صديقه الدكتور فؤاد أمها بذلك إلا أن جشعها يجعلها تمضى فى الزواج ، ويفشل فى حياته فشلا ذريعا وتقاسى الزوجة ويساوره الشك بوجود علاقة بين زوجته وفؤاد فيقرر تغيير وصيته لكنه يمرض فجأة ويموت على اثر جرعات زائدة من الدواء . وتعترف الأم لابنتها بقتله بعد أن قرر تغيير وصيته . وفى الفيلم الثانى يستضيف المحامى مجرما حصل له على البراءة برغم أنه هو الذى سرق منزله وذلك على سبيل إصلاح حاله . (وهو ما لا يحدث فى أى بيت مصرى أو عربى على الإطلاق !!) بل إن زوجة المحامى التى تخونه وتتنقل بين موائد القمار تعجب بالمجرم لكنه يصدها !!! . وفى الفيلم الثالث تنجح ميرفت فى إقصاء المايسترو عن الحفل الموسيقى كى يفشل لكن ينقذ الموقف موسيقى مشهور قتل زوجته وعاش مع فرقة حسب الله تحت اسم مستعار ، وتكتشف ميرفت أمره فترشد الشرطة عنه إلا أن العقوبة كانت قد سقطت بمضى المدة .

أما عام ١٩٥٩ فقد شهد رقما قياسيا فى أفلام الخيانة الزوجية ، تسعة أفلام دفعة واحدة : " آخر من يعلم " لكمال عطية ، و" ارحم حبى " لهنرى بركات ، و "بفكر فى اللى ناسينى" لحسام الدين مصطفى ، و "السابحة فى النار" لمحمد كامل حسن ،

و" عاشت للحب " للسيد بدير ، و" فضيحة فى الزمالك " لنيازى مصطفى ، و" قلب من ذهب " لمحمد كريم ، و" قلب يحترق " و" من أجل امرأة " لكمال الشيخ .

فى " آخر من يعلم " ينشغل الدكتور عماد عن زوجته بعمله فتتوطد علاقتها بصديقه عمر وتخونه معه ويموت العاشقان لكن بعد أن تترك الزوجة طفلة ثمرة لعلاقتها بعمر ويعاملها عماد بوحشية لكنه يتراجع عن هذا السلوك بعد أن يدرك أنه يظلم طفلة بريئة .

وفى " ارحم حبى " تضطر نوال للاستعانة بأختها نادية لتتستر عليها وتضحى بنفسها مدعية أنها هى التى على علاقة برشدى . وتسافر نوال لتلتقى برشدى إلا أنها تلقى مصرعها فى حادث . ويكتشف رأفت علاقة نوال برشدى وخيانتها له فيندم عن تخليه عن نادية التى ظلت تحبه ويتزوجان .

وفى " بفكر فى اللى ناسينى " لا تقتنع الزوجة بزوجها بل تتجه إلى مشاغلة صديق زوجها الذى ينساق ويستجيب لها ، ثم يكتشف أنها تخونه مع رجل آخر فتحرقه الغيرة ويظل يتحرى عن أمرها حتى يضبطها لكنها عاشت للحب " يعيش الطفل حسنى مع زوجة أبيه ويكتشف خيانتها مع ابن عمها فينشأ وهو يعتقد ان جميع النساء خائنات مما يجعله يعانى فى علاقاته النسائية إلى أن يدرك خطأ اعتقاده .

وفى " فضيحة فى الزمالك " يتردد على منزل الشاب الفقير أحد أصدقائه الذى استهوته زوجة صديقه فيغرقها بالهدايا حتى تستسلم له . وفى إحدى زياراتها له يموت بين يديها وتهرب من المنزل وعندما يتأكد الزوج من خيانة زوجته تلقى بنفسها من أعلى عمارة بالزمالك .

وفى " قلب من ذهب " يتضح أن الزوجة التى صدمتها سيارة وقضت عليها كانت قد أمضت ليلتها فى منزل صديق زوجها ، وفى طريقها لمنزلها فى الليلة

التالية تصدمها سيارة ويفر قائدها . ولهذا فإن نادية بريئة أما الشخص الآخر الذى صدمته فلم يمت . وتوافق على الزواج من عادل زوج القتيلة الخائنة .

وفى " قلب يحترق " يطالب لطفى عشيقته زوزو بمبلغ كبير فتحرض زوجها فريد على أن يسرق مبلغ عشرة آلاف جنيه من الشركة التى يعمل بها وتأخذ ما تريده وتخفيه لدى صديقتها عايدة دون أن تصارحها وعندما يكتشف فريد أنه ضحية زوجته الخائنة يقتلها .

وفى " من أجل امرأة " يذهب مندوب التأمين ليعمل بوليصة لثرى متزوج من شابة جميلة تغريه حتى يقع فى شباكها وتتوطد علاقتهما . تعرض عليه التخلص من زوجها ثم الاستيلاء على قيمة البوليصة ، إلا أن الشركة تساورها الشكوك حول وفاة الزوج وتتفاقم الأمور لدرجة أن تقتل عشيقها الذى يعترف بالحقيقة قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة .

وبحلول عقد الستينيات استمر تدفق تيار أفلام الخيانة الزوجية فشهد عام ١٩٦٠ أربعة أفلام : " نهر الحب " لعز الدين ذو الفقار ، و" الرباط المقدس " لمحمود ذو الفقار ، و" لوعة الحب " لصلاح أبو سيف ، و" لقاء فى الغروب " لسعد عرفة .

فى فيلم " نهر الحب " المأخوذ عن رواية " انا كارنينا " لتولستوى تسافر نوال مع حبيبها إلى لبنان وتلتقط لها صور تدينها بالخيانة الزوجية فيطلقها زوجها طاهر باشا ويحرمها من طفلها ويموت حبيبها خالد فى الحرب فتحاول العودة إلى بيتها لكن طاهر يوصده فى وجهها فتنتحر .

فى فيلم " الرباط المقدس " المأخوذ عن رواية توفيق الحكيم ، يهمل الدكتور رأفت زوجته الشابة سميحة فى حين يتابع باهتمام مؤلفات الكاتب الروائى راهب الفكر (فى حين انه من المضحك ان ينشغل زوج بقراءة أعمال أديب معين عن الاهتمام بزوجته إلا إذا كان يقضى الليل والنهار فى

مثل هذه القراءة الكاريكاتيرية) !!! المهم أن سميحة تقابل راهب الفكر لتعرف السر فى استحواذه على كيان زوجها ، وتشرع فى إغرائه إلا أنه لا يتجاوب معها . ويشك الدكتور رأفت فى إخلاص زوجته له فيقرر أن يطلقها لكنه يستشير راهب الفكر قبل الإقدام على هذه الخطوة فينصحه بالتأكد من براءتها أولا .

فى فيلم " لوعة الحب " تتزوج آمال من سائق القطار محمود وتعانى من معاملته الجافة فتقع فى غرام مساعده وينتهز العاشقان فرصة غياب الزوج ويتورطان فى علاقتهما ويستيقظ ضمير مساعده لتماديه فى خيانة صديقه فيطلب نقله إلى الصعيد . وتعود الحياة الطبيعية إلى الزوجين خاصة بعد أن يتأكد محمود أن زوجته حامل .

فى فيلم " لقاء فى الغروب " تلتقى الزوجة فى الصيف بشريف الذى كانت على علاقة به فيلاحقها لكنها تصده إلا أنه لا يكف فتستسلم له إلى أن يكتشف ابنها علاقتها به . لكن شريف ينقذها من الغرق مما يجعله صديقا للعائلة لكن الزوج يغرق فى البحر فيظن الابن أن شريف هو السبب فيهرب لكن شريف يعيده لأمه بل ويتزوجها عندما تتأكد براءته فى نظر الطفل .

وفى عام ١٩٦١ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " ست البنات "الذى تلقن فيه الزوجة زوجها الخائن درسا لا ينساه فهو يستأجر عوامة ويجعل منها وكرا لملذاته فتستعين بوكيل مكتب زوجها المحامى ليمدها بالمعلومات الخاصة بزوجها الذى يكتشف أن علاقاته تسبب له مشاكل لا حدود لها فيستقيم ويخلص لها .

وشهد عام ١٩٦٢ فيلمين مأخوذين عن عملين أدبيين : الأول : " سلوى فى مهب الريح " قصة محمود تيمور وإخراج السيد بدير ، والثانى : " غصن الزيتون " قصة محمد عبد الحليم وإخراج السيد بدير أيضا . فى الفيلم الأول لا تجد سلوى مأوى سوى منزل والد صديقتها سنية التى يتقرب زوجها من سلوى التى تتجاوب

معه وعندما تكتشف سنية هذه العلاقة تطرد زوجها لكنه يعود إليها . وتبدأ سلوى فى نصب شباكها على رجل آخر هو رجائى لكنه عندما يكتشف خيانتها يهجرها . وفى الفيلم الثانى يشك المدرس عبده فى زوجته عطيات لدرجة أنه يظن أنها حملت من زميله جمال لكن نار الشك تنطفئ عندما يؤكد له جمال أنه عاجز جنسيا ولذلك فهو لا يتزوج .

وشهد عام ١٩٦٥ أربعة أفلام : " الخائنة " لكمال الشيخ ، و"سكون العاصفة" لأحمد ضياء الدين ، و" صبيان وبنات " لحسين حلمى المهندس ، و" المستحيل " لحسين كمال .

فى فيلم " الخائنة " تعانى إلهام من انشغال زوجها المحامى أحمد بمكتبه وقضاياه . ويتمكن أحد أصدقائها بأن يوهمها بأن زوجها يخونها مع موكلته عايدة بحيث يدفعها إلى خيانة زوجها الذى يشك فيها ويشرع فى مراقبتها لكنه لا يتوصل لشخصية عشيقها . وتضيق إلهام بحياتها فتنتحر وقبل أن تلفظ أنفاسها تعترف لزوجها بحبها له .

وفى فيلم " سكون العاصفة " يعانى عزت من ابنه شكرى الشاب المستهتر الذى يحاول إفساد ابن عمته وحيد بالانسياق فى تياره لكن وحيد يحاول إصلاحه ويعجب شكرى بزوجة والد وحيد وتتورط معه . ويكتشف وحيد خيانة زوجة أبيه فيقرر إبلاغه ليطلقها لكنه يموت ويعود شكرى إلى رشده .

وفى فيلم " صبيان وبنات " يعجب الصحفى مجدى بزينب لكنها تنشغل عنه بحبها لسعيد الذى يخدعها لأنه على علاقة بعواطف زوجة أبيها حامد . ويستدرج سعيد زينب إلى شقته ويحاول الاعتداء عليها لكنه يتصادف وصول أبيها فيتعاركان ويقتله حامد .

وفى فيلم " المستحيل " يلتقى المهندس حلمى بنانى زوجة صديقه وجاره عزيز التى تعيش حياة تعسة فيهرب إليها بهمومه من خلال علاقة روحية . ثم

يتعرف بجارته المطلقة فاطمة وهى محامية مثقفة ويتورط معها فى علاقة لكنه فى النهاية لا يجد مفراً من العودة إلى زوجته وابنه .

وشهد عام ١٩٦٦ فيلمين : " القاهرة ٣٠ " لصلاح أبو سيف ، و" زوجة من باريس " لعاطف سالم . فى الفيلم الأول يلتحق محجوب عبد الدايم بمكتب وكيل الوزارة قاسم وتدفعه انتهازيته للسماح لزوجته إحسان لأن تصبح عشيقة لقاسم خاصة عندما يصل إلى منصب وزير مقابل أن يصبح مديرا لمكتبه لكن زوجة الوزير تفضح الجميع فى النهاية . وفى الفيلم الثانى يعمل الدكتور ناجى فى واحة باريس ، أما صديقه المهندس وجيه فثائر على المرأة بعد أن يصدم بخيانة زوجته لكن يتزوج من المشرفة الاجتماعية الجديدة التى تستطيع بشخصيتها أن تزيل الأثر السيئ الذى تركته خيانة زوجته له .

وفى عام ١٩٦٧ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " كرامة زوجتى " الذى يقرر فيه محمود الزواج من نادية التى تشترط عليه أنه إذا خانها – نظرا لتاريخه الحافل قبل الزواج – فإنها ستخونه هى الأخرى !! ومع ذلك تكتشف أنه يخونها مع أخرى فتتصرف أمامه كأنها تنفذ الشرط المتفق عليه ويثور عليها ويطلقها لكنه يكتشف الحقيقة ويعودان لاستئناف حياتهما بعد أن لقنته هذا الدرس .

وفى عام ١٩٦٩ أخرج جلال الشرقاوى فيلم " الناس اللى جوه " الذى يخون فيه العربجى زوجته ، وسائق الأتوبيس الذى يعيش مع أخته اللعوب التى تغرى الأزواج بالخيانة الزوجية ، وتاجر الأنتيكات العجوز الذى يتشدد فى معاملة زوجته الشابة والتى يحاول سائق الأتوبيس الاعتداء عليها . ولعل الشرخ الذى يهدد المنزل الذى يسكنه هؤلاء هو بمثابة المعادل الموضوعى للخيانات والسلوكيات العفنة التى تسيطر عليهم ، وهو شرخ يهدد البيت الكبير بالسقوط لولا اتفاقهم فى النهاية على إصلاحه من مالهم الخاص .

وبدأ عقد السبعينات بفيلمين عام ١٩٧٠ : " غروب وشروق " لكمال الشيخ ، و " أشياء لا تشترى " لأحمد ضيـاء الدين . فـى الفيلـم الأول تـدب الخلافـات بيـن مديحة وزوجها الطيار سمير ذو الشخصية الضعيفة مما يدفعها إلى خـوض تجربـة غرامية مع صديقه عصام وعندما يكتشف سمير خيانتها فإنه يطلقها . ويدبـر الباشـا لقتله ويرغم عصام على الـزواج مـن مديحـة تجنبـا للفضيحـة . وفـى الفيلـم الثـانى يتزوج العمدة مـن شـابة وتعيش فـى القـاهرة مـع ابنتـه سـميرة الطالبـة بالجامعـة . وتخونه الزوجة مع آخر وتبتز نقوده لإنفاقها على عشـيقها الـذى يسـتغلها وتكتشـف سميرة خيانة الزوجة وتبوح لابن خالها بذلك . يطمع العشيق فى ثروة العمدة فيتقدم للزواج من ابنته فيوافق إلا أن سميرة ترفض وتكشـف لأبيهـا عـن حقيقـة العاشـق وخيانة زوجته له فيطلقها .

فى عام ١٩٧١ أخرج سعيد مرزوق فيلم " زوجتى والكلب " الذى يعمل فيـه مرسى بفنار الإسكندرية وهو شخص معـروف بعلاقاتـه النسـائية المتكـررة ومنهـن زوجات زملائه وأصدقائه . ويتزوج من سعاد التى تقيم فى المدينة . وعندما يستعد زميله نور للتوجه إلى المدينة فـى أجـازة يرسـل معـه مرسـى خطابـا لزوجتـه لكـن هواجس الشك سرعان ما تنتابه خشية أن يكرر نور مع زوجته ما فعلـه هـو كثيـرا وبرغم براءة نور وزوجته فإنه لا يستطيع التخلص من شكوكه وأوهامه .

وفى عام ١٩٧٣ أخرج على بدرخان فيلم " الحب الذى كـان " الـذى تعـترف فيه مها لكمال زوجها بخيانتها لـه مـع حبيبهـا السـابق سـامى فيثـور عليهـا أهلهـا . وعندما تتفق مع سامى علـى الـزواج ترفـض أمـه !!! ويعـارض الجميـع علاقتهمـا فيعيش سامى فى حالة نفسية سيئة تؤثر على عمله !!!

وشـهد عـام ١٩٧٤ سـبعة أفـلام دفعـة واحـدة : " الـزواج السـعيد " و" وكـان الحب " لحلمى رفلة ، و" امرأة عاشـقة " لأشـرف فهمـى ، و" رحلـة العمـر " لسـعد عرفة ، و" الساعة تدق العاشـرة " لهنرى بركـات ، و" غابـة مـن السـيقان " لحسـام الدين مصطفى ، و" لعنة امرأة " لنيازى مصطفى .

فى فيلم " الزواج السعيد " يضيق الدكتور شريف من حياته المملة مع زوجته الأديبة نانى وتتوطد علاقته بصديقتها ليلى ويسافران معا إلى بيروت وتكتشف نانى خيانة زوجها فتلحق بهما ويدعى شريف لمجدى أنها أخت زوجته ليلى فيقرر مجدى الزواج منها وتتفاقم الأمور إلى أن يعرف الجميع الحقيقة ويأخذ شريف درسا لا ينساه !

أما فى فيلم " وكان الحب " فيكتشف عصام خيانة زوجته ليلى مع صديقه مجدى وعندما يواجهها تلصق التهمة بأختها سحر التى تنقذ الموقف بتصديقها على ادعاء أختها . فقد كانت سحر تحب عصام منذ البداية وعندما يضغط عصام على مجدى ليتزوجها تثور ليلى وتصمم على الطلاق من زوجها لتتزوج هى من مجدى . وفى النهاية تعترف ليلى له بالحقيقة وتلقى ليلى مصرعها بسيارتها ويتزوج عصام من سحر . (لاحظ التشابه فى المواقف والشخصيات ، بل وأسمائها فى فيلمين أخرجهما نفس المخرج : حلمى رفلة فى نفس العام : ١٩٧٤) !!!

وفى فيلم " امرأة عاشقة " تعجب ليلى بأحمد ابن زوجها إسماعيل ولكنه يصدها وبمرور الوقت يتجاوب أحمد مع ليلى ثم يخشى التمادى فى العلاقة فيخطب ميرفت لكنه لا ينسجم معها ويفسخ خطبته ويسافر إلى الإسكندرية وتلحق به ليلى بناء على طلب زوجها لإقناعه بالعودة إلى ميرفت !! ويتورط العشيقان فى علاقتهما وتنهار ليلى وتنتحر !!

وفى فيلم " رحلة العمر " تسافر الفتاة المتحررة سلوى إلى المصيف حيث تلتقى بمحمود الذى يعيش مع زوجته حياة رتيبة وتعجب به سلوى برغم أنه يكبرها سنا وتنجح فى إيقاعه فى غرامها ويستسلم لها . وتنتهى الإجازة ويعود محمود إلى القاهرة لكنه يفشل فى نسيان سلوى التى تصده لأنه كان مجرد نزوة عابرة لها . ويزداد انهياره عندما تترك الزوجة المنزل بعد أن تكتشف خيانته .

فى فيلم " الساعة تدق العاشرة " يعمل الطالب الجامعى محمد سائقا للثرى عبد المجيد ويكتشف خيانة نورا زوجة عبد المجيد الشابة مع مراد وتطلب منه أن يتكتم الأمر بل وتنجح فى إيقاعه فى شباكها لكن سرعان ما يهجرها فتلاحقه وعندما يكتشف عبد المجيد خيانتها يدفعها من أعلى السلم لتلقى مصرعها .

وفى فيلم " غابة من السيقان " تعانى سمية من انشغال زوجها مصطفى عنها فتعجب بالمحامى الكبير حمدى وتوقعه فى غرامها ويستسلم لها إلا أنه يندم لكنها تلاحقه فتهتز معاييره وأخلاقياته ويهمل مكتبه وقضاياه بل ويشك فى زوجته ويراقبها ويسئ معاملتها حتى تصل حالته النفسية إلى الجنون !!!

وفى فيلم " لعنة امرأة " يقتل المهندس سالم زوجته التى خانته ولم يكن هناك شاهد على جريمته سوى الشغالة الصغيرة أمل ويوهم الجميع أنه انتحر ويهرب مع أمل إلى الإسكندرية ليتخفى هناك استعدادا للهرب خارج البلاد لكن أمره ينكشف ويتم القبض عليه .

وشهد عام ١٩٧٥ ثلاثة أفلام : " على ورق سلوفان " لحسين كمال ، و "شبان هذه الأيام" لعاطف سالم و " امرأتان " لحسن رمزى . فى الفيلم الأول تعانى قسمت من المشكلة الأبدية المزمنة وهى انشغال زوجها الدكتور محمد بعمله (وكأنه كتب على الزوج أن يعمل مربية لزوجته أو مضحكا للملك أو مهرجا فى البلاط حتى لا تخونه ؟!! ولم لا تكون هى مشغولة أخرى باهتمامات إيجابية مثمرة تحقق بها وجودها ؟!! لقد تكرر هذا العنصر النمطى إلى درجة الملل والاختناق !!) . المهم أن قسمت – كالعادة – تلتقى بهشام ويتكرر اللقاء وتخبره بظروفها وتتعلق به ويصبح مصدرا للإثارة بحيث يزيل عنها الملل الذى يعترى حياتها . (لكنه لا يزيل الملل عن الجمهور الذى سئم من تكرار هذه اللعبة السخيفة) !! وتخشى من التمادى فى علاقتها فتطلب منه الانسحاب من حياتها ثم تكتشف أنها لم تعرف

زوجها على حقيقته فهو موضع تقدير واحترام الجميع وأن هشام برغم صحبته الحلوة إلا أنه يتضاءل إلى جانبه .

أما فى فيلم " شبان هذه الأيام " فيبدو التناقض واضحا فى شخصية حسنى رئيس التحرير الذى ينادى فى مقالاته بالتحرر والتطور ، لكنه متزمت وضيق الأفق فى سلوكه الفعلى خاصة مع زوجته وأبنائه ، وفى الوقت نفسه مدمن للخيانة الزوجية التى لا تحتملها زوجته فى النهاية فتثور وتترك البيت .

وفى فيلم " امرأتان " المأخوذ عن مسرحية " مروحة الليدى وندرمير " لأوسكار وايلد يكتشف أدهم خيانة زوجته سميرة فيطلقها ويحرمها من ابنتها هدى . وتعمل سميرة فى فرقة استعراضية وتتم خطبتها للطيار مختار ثم تفاجأ بأن الدكتور كمال – صديق مختار – هو زوج ابنتها هدى التى تتوجس خيفة من سميرة فتذهب إلى منزل صديقهم رشدى وتلحق بها سميرة لتخبرها بحقيقتها . يصل كمال ومختار فتهربها سميرة من السلم الخلفى وعندما يعثر كمال على مروحة زوجته تدعى سميرة أنها تخصها . لكن مختار يرتاب فيها وينفصل عنها إلا أن هدى تكشف لهم الحقيقة ويتزوجها مختار .

فى عام ١٩٧٦ أخرج حسين كمال فيلم " بعيدا عن الأرض " الذى تكتشف فيه الدكتورة نوال خيانة زوجها لها فتطلب الطلاق ويستجيب لرغبتها وتسافر إلى أخيها فى تونس وتلتقى على الباخرة بمحمود الذى يتجاوب معها ويعرض عليها الزواج ، لكنها ترفض عندما يخبرها أنه متزوج وليس على وفاق مع زوجته حتى لا تبنى سعادتها على حطام امرأة أخرى .

وفى عام ١٩٧٧ أخرج نادر جلال فيلم " جنون الحب " الذى يعالج نفس الموضوع أو العنصر الممل المستهلك ، أى الزوجة التى تعيش فى ملل وفراغ بسبب انشغال زوجها عنها بعمله ومسئولياته . فتسافر منى مع ابنها خالد إلى تونس (ويبدو أنه كان موسم سفر الزوجات الضجرات إلى تونس !!) . وهناك تتوطد

علاقتها بالطيار حسين لكنها حريصة فى الوقت نفسه على زوجها وابنهما . وتندم منى على تورطها مع حسين لدرجة أنها تطلب الطلاق من زوجها الذى يوافق بعد أن تصارحه بما حدث ، إلا أن خالد ينهى الخلاف بين أبويه وينسحب حسين من حياة منى وتستمر الحياة بين الزوجين !!

وشهد عام ١٩٧٨ ثلاثة أفلام : " المرأة الأخرى " لأشرف فهمى ، و" ليالى ياسمين " لهنرى بركات ، و" القاضى والجلاد " لنادر جلال . فى الفيلم الأول تكتشف هدى خيانة سعاد لزوجها مع عادل فتحاول أن تثنيها عبثا . وعندما يضغط زوجها على هدى فإنها تصارحه بخيانة زوجته له فيطلقها فى هدوء كرجل أعمال لا يريد فضائح . وفى الفيلم الثانى تتعرف الممثلة ياسمين على مدير شركة كبرى وتتوطد علاقتهما . وتكتشف زوجته خيانته فتلفق له تهمة عجز واختلاس من الشركة التى تمتلكها والتى يديرها ، ثم تساومه على التنازل عن القضية مقابل حصولها على الطلاق وحرمانه من أولاده وأمواله فيوافق . وفى الفيلم الثالث يذهب رجل الأعمال كمال مع محمود خطيب ابنته ناهد إلى منزل صديقه شريف ليفاجأ بوجود زوجته عنده ، فينهار من هول الصدمة ويسرع بسيارته ويلقى مصرعه !

وشهد عام ١٩٧٩ فيلمين لأشرف فهمى : " كرامتى " ، و" لا يزال التحقيق مستمرا " ، وفيلما لهنرى بركات : " الشك يا حبيبى " . فى الفيلم الأول تكتشف أمل خيانة زوجها صلاح فتحاول الانتحار ولكن ينقذها طارق وعندما تلاحظ تعلقه بها ترحل إلى الإسكندرية وعندما يعلم أنها متزوجة ينسحب من حياتها خاصة بعد حادث سيارة وقع لها وأعاد الحياة بينها وبين زوجها . وفى الفيلم الثانى تثور زينب على عشيقها مدحت عندما يقرر الزواج من شقيقة زوجها حسين والاحتفاظ بعلاقتهما . تعترف لزوجها بخيانتها وينتهى الصراع بين العاشقين بأن يقتل كل منهما الآخر . وفى الفيلم الثالث تكتشف رباب أنها حامل بعد سنوات طويلة من زواجها ويساور الشك زوجها وتنقلب حياتهما إلى جحيم ويطلقها وتفقد الجنين .

لكن تيار الخيانة الزوجية انحسر إلى حد كبير في أفلام الثمانينيات والتسعينيات إذ يبدو أن الكتاب والمخرجين قد شعروا أنهم استهلكوه أكثر من اللازم ولم يعد يثير الجمهور بما فيه الكفاية لأن تكراره النمطى أدى إلى اعتياد الجمهور عليه ففقد كثيرا من عناصر الدهشة والإثارة والمفاجأة . ومع ذلك ظل موجودا حتى نهاية التسعينيات وربما استطاع أن يخرج من نمطيته بعد ذلك ، وإلا فإنه سيدخل فى حفريات سينما القرن العشرين .

فى عام ١٩٨٠ أخرج أشرف فهمى فيلم " الشريدة " الذى يتعرف فيه فتحى على فتاة الليل سوسن برغم حبه لزوجته ليلى التى تثور عليه عندما تعلم ويتم طلاقهما . كما تقوم ليلى بصفتها محامية بالدفاع عن موكلتها سهام التى تقتل زوجها بعد أن يكتشف خيانتها مع آخر . وتلم أزمة مرضية بفتحى فتهرع إليه ليلى لكنه يفارق الحياة .

وفى عام ١٩٨٢ أخرج عاطف الطيب فيلم " الغيرة القاتلة " الذى اقتبس عن مسرحية "عطيل" لشكسبير والذى يتزوج فيه عمر من دينا فيشعر مخلص صديق وشريك عمر فى مزرعة دواجن ، بالغيرة منه ، فيحاول هدم المشروع وإيهام عمر بأن دينا على علاقة بسامى . ويتأكد عمر عندما يعثر على قلادتها فى منزل سامى بعد أن دسها مخلص بنفسه هناك . وعندما يحاول عمر قتل دينا فإن سامى ينقذها .

وفى عام ١٩٨٣ أخرج نادر جلال فيلم " ولا من شاف ولا من درى " . يفاجأ مرسى بوجود زوجته فى غرفة نومها مع عشيقها فيقتلها ويحكم عليه بالبراءة لدفاعه عن شرفه ، ثم يعود إلى زوجته بائعة .

وفى عام ١٩٨٤ أخرج حسين كمال فيلم " أرجوك اعطنى هذا الدواء " الذى تعيش فيه ماجدة فى خلافات مستمرة مع زوجها رفعت بسبب علاقاته النسائية وخياناته الزوجية المتكررة ، لدرجة أنها تتردد على عيادة الطبيب النفسانى مصطفى بعد أن تنتابها حالة انهيار . وتحاول أن تستميل الطبيب نحوها لكنه

يصدها . ثم تصاب فى حادث بسيارتها فيهرع إليها رفعت معربا عن ندمه وعهده على الاستقامة لكنها تموت .

وفى عام ١٩٨٦ أخرج أحمد فؤاد فيلم " القطار " الذى يقتل فيه سائق القطار إبراهيم زوجته جمالات بعد أن يكتشف خيانتها مع مساعده صبحى ، ويسافر إلى أسيوط ليقتله ويشتعل الصراع بينهما فى أثناء قيادة القطار ويسقطان من باب غرفة القيادة بحيث يسير القطار بدون قيادة ، لولا قدرة أحد الركاب على إنقاذ القطار قبل وقوع كارثة .

وفى عام ١٩٨٧ أخرج خليل شوقى فيلم " الزوجة تعرف أكثر " وعبد الهادى طه فيلم "الطعنة" . فى الفيلم الأول يضيق عصام بحياته مع منى ويتردد على وفاء طالبا ودها لكنها تصده . يكيد محسن لوفاء ويقنع زوجها بخيانتها مع عصام فيطلقها إلا أن ليلى زوجة محسن تندم وتعترف لأبيها بإخلاص وفاء . وفى الفيلم الثانى تتزوج نانا من الثرى عبد الحميد وتحتفظ بعلاقتها بخالد ، لكن أخاه منير يطلب منها الابتعاد عنه . وبمرور الوقت يشعر منير بالحب نحوها !!! وتبادله نفس مشاعره ويتفقان على الزواج بعد حصولها على الطلاق من زوجها . لكنها تفاجأ بزيارة خالد لها فى لحظة وصول منير الذى يتهمها بالخيانة . ويثور خالد عليهما ويسرعان خلفه لكن سيارة تصدم نانا فتلقى مصرعها .

وفى عام ١٩٩١ أخرجت نادية حمزة فيلم " نساء صعاليك " الذى يصور الخيانة الزوجية بالجملة . ففيه تكتشف سعاد خيانة عادل لسامية مع سكرتيرته مها التى يتزوجها ثم تكتشف سامية وصديقتها نوال خيانة مها لعادل فتدبران ليضبطها عادل متلبسة . وعندما يهم عادل بقتلها ، تمنعه نوال ، وتأمل سامية فى أن يستقيم عادل إلا أنها تفاجأ به يتزوج من نوال .

وفى عام ١٩٩٢ أخرج فاروق الرشيدى فيلم " الفضيحة " الذى يبلور – على غير العادة – الأسباب الاقتصادية والدوافع السيكولوجية التى تؤدى إلى الخيانة

الزوجية . فعلى الرغم من فقر الزوج كامل إلا أن أمينة تبدو سعيدة هانئة بحياتها البسيطة . وتتعرض أمينة لمغازلة جارها الشاب العابث محسن الذى كون ثروة ضخمة من تجارة العملة ، ويدعوها لقضاء عدة أيام مع طفليها فى شقته الفاخرة بالإسكندرية وهناك تستسلم له . وعندما يكتشف أخوها علاقتهما يبوح لكامل ويطلب منه قتلها ، لكنه يكتفى بأن يطلقها . وعندما تذهب أمينة إلى عشيقها فإنه يتهرب منها ، فتقرر الانتقام منه بعد أن يتزوج من أخرى . وتضع له فى مشروبه جرعة منوم قاتلة ، لكنها لا تفلت بجريمتها لأن أخاها يقتلها .

* * * * *

ولعل الكتاب والمخرجين ينظرون إلى الخيانة الزوجية من زوايا جديدة تتميز بالتحليل العلمى الذى يبلور عناصر الفساد فى النفس البشرية وثغرات الضعف والانهيار التى يقف أمامها البعض عاجزا عن سدها . ذلك أن الخيانة الزوجية ليست مجرد عنصر نمطى أو قالب جاهز للاستخدام بل هى هاوية معتمة تحمل فى أعماقها عذابا نفسيا وفكريا متربصا بالعاشقين الباحثين عن المتعة واللذة والإشباع العاطفى ، لكنهم يكتشفون فى النهاية أنهم باحثون عن السراب . إن الخيانة الزوجية تيمة خطيرة وشائكة وتمس النفس البشرية فى صميم جوهرها ، وعلاجها الدرامى والفكرى والسينمائى ، يجب أن يكون على هذا المستوى من الحساسية والعمق والتحليل العلمى .

* * * * *



تـــوبة سنة ١٩٥٨ م



أبـــو أحمـــد سنة ١٩٦٠ م

الفصل الثامن

العصابات والمخدرات

لعبت العصابات وخاصة عصابات المخدرات دورا متميزا فى السينما المصرية ، لدرجة أن المتفرج الأجنبى الذى ليس على دراية بالمجتمع المصرى يمكن أن يتصور أنها تلعب نفس الدور المتميز فى هذا المجتمع . لكن نظرا للإثارة التى يمكن أن تنشأ عن مغامرات المهربين ومؤامرات المجرمين وهى إثارة غالبا ما تمتزج بالعنف والقتل والدماء وغير ذلك من العناصر الميلودرامية ، فإنها تشكل بضاعة مغرية وعناصر نمطية جاهزة للاستخدام . وعادة ما تكون هناك امرأة جميلة ومغرية دخلت العصابة بطريقة أو بأخرى ، بحيث تتعرى من حين لآخر ، حتى تكتمل مظاهر الجذب الجماهيرى .

وكان للمخدرات نصيب الأسد فى أفلام العصابات لما تحتوى عليه كل خطواتها من إثارة وخوف وعنف ومطاردة من السلطات ، ودهاء فى مواجهة دهاء ، وتخطيط فى مواجهة تخطيط ، سواء فى عمليات التهريب أو التوزيع أو الإدمان وما يتبعه من مآس وكوارث . ويبدو أن الكتاب والمخرجين اكتفوا بما ينطوى عليه هذا العنصر النمطى من إثارة فأحالوه إلى ما يشبه القالب الجاهز كى يصبوا فيه الشخصيات والمواقف والأحداث وحتى الكوارث التى تكاد تستخدم نفس التعبيرات والمفردات بحيث يكاد الجمهور يعرف سلفاً ما سوف يقوله زعيم

العصابة ، وكيف سيكون سلوكه تجاه الآخرين سواء أكان في كهف الجبل أو في قصر في أرقى الأحياء !

وكان فكرى أباظة أول من كتب قصة لفيلم يتخذ من عصابات تهريب المخدرات مضمونا له . وهذا الفيلم هو " الضحايا " الذى أخرجه إبراهيم لاما عام ١٩٣٢ . ويدور حول برعى الذى يتزعم عصابة تهريب مخدرات يطاردها بوليس السواحل بأسلوب شبه أمريكى . ويتزوج برعى من بهيجة دون أن تعلم شيئا عن شخصيته الحقيقية أو عمليات التهريب التى يقوم بها . لكن بهيجة تحب جلال الضابط الذى يطارد العصابة ومتزوج من شقيقتها الكبرى نازك ، وفى النهاية يقع برعى وعصابته فى قبضة البوليس .

ويبدو أن إبراهيم لاما الذى كان متأثرا إلى حد كبير بنمط العصابات فى الأفلام الأمريكية ، قد لاقى رواجا شعبيا كبيرا من جراء هذه النوعية من الأفلام ، فأخرج فى عام ١٩٤٨ وحده فيلمين : الأول " سكة السلامة " عن عصابات تهريب المخدرات ، والثانى " الحلقة المفقودة " عن عصابات تهريب الماس . فى الفيلم الأول يفقد صبى أمه فيتزوج أبوه من سيدة تسئ معاملته إلى درجة تدفعه إلى الهرب من المنزل فيصادف رجلا يحنو عليه ويساعده وأخيراً يتضح أنه أحد أفراد عصابة لتهريب المخدرات ويقبض عليه البوليس لكن الصبى يفرج عنه لبراءته ، كما أنه يدلى بمعلومات للبوليس ويتعاون معهم فى الاهتداء إلى وكر العصابة والقبض عليهم .

أما فيلم " الحلقة المفقودة " فيدور حول محمد بك أحد تجار الماس والذى يذهب مع سكرتيره عادل لإحضار كمية كبيرة من الماس ، فيسافران إلى الصحراء والغابة ! (برغم أنه لا يوجد بمصر غابات بمعنى الكلمة !!) . ويتعرضان لعصابة لصوص تقوم بقتل محمد بك وسرقة ما معهما . وعندما يعود عادل إلى القاهرة يقبض عليه البوليس بتهمة القتل ويسجن لمدة سبع سنوات ، إلا أن براءته

تثبت حين تعترف زوجة القاتل الحقيقى بجريمته ويطلق سراحه ويتزوج من ابنة محمد بك والتى كانت تضمر له حباً كبيراً .

وتتابعت عصابات الاحتيال والسرقة والنهب وتراوحت المعالجة السينمائية بين الميلودراما والمفارقات الفكاهية ، لدرجة أن عز الدين ذو الفقار مخرج الرومانسية الأشهر ، أخرج فى عام ١٩٤٩ فيلم : " أجازة فى جهنم " قصة وحوار يوسف جوهر ، وفيه يقدم عصابة للاحتيال بأسلوب كوميدى خفيف . فهى عصابة تتكون من صراف وساعى وجرسون ومونولوجست وراقصة : أى كل عناصر التسلية ، وينزلون فى فندق بالأقصر ليكون مقراً لنشاطهم . لكن الثرى أدهم يكتشف أمرهم ويختطف الفتاة ويجعلهم يعتقدون أنها قتلت ثم يقدمها إليهم على أنها روح !! ويدب الرعب فى قلوبهم حتى تختلط عليهم الأمور ، خاصة عندما يجمعهم أدهم فى مكان موحش يذوقون فيه ألواناً من الرعب والمهانة ثم يخرج إليهم ويلقى عليهم درسا فى الأمانة ، وأن يقنعوا بحياة شريفة حتى لو كانت فقيرة . وعندما يقتنع بأنهم تابوا وندموا يخبرهم بأنه ثمة فرصة أمامهم ، فهم لم ينتقلوا إلى الآخرة كما ظنوا بل لا يزالون فى الدنيا .

فى نفس العام (١٩٤٩) أخرج عباس كامل فيلم " حدوة الحصان " الذى تصل فيه عصابة الهمشرى إلى القاهرة للبحث عن كنز السلطان قلاوون المدفون تحت دار المعلم عوف الفطاطرى وتحاول العصابة أن تستحوذ على الكنز بمختلف الطرق فتلجأ إلى المال والحيلة والعنف ولكن عبثا ، فقد رفض أصحاب البيت بيعه لهم ، فيلجأ زعيم العصابة إلى الحب الذى يمثله على عزيزة ابنة صاحب المنزل ليخدعها ويتقرب منها ، إلا أنه يقع فى حبها بالفعل ، وتحاول العصابة أن تعيده لصفوفهم أو تقتله . يطلب من عزيزة أن تعطيهم الكنز فلم يعد يريد سوى حبها . وأخيرا لا تجد العصابة الكنز . ويتزوج الهمشرى من عزيزة ابنة الفطاطرى .

ومع بداية عقد الخمسينيات تدفق تيار أفلام العصابات . فقد شهد عام ١٩٥٠ فيلمين : " ست الحسن " لنيازى مصطفى ، و" طريق الشوك " لحسين صدقى . فى الفيلم الأول تدور الأحداث المقتبسة من " ألف ليلة وليلة " بين ولايتين كانت فى حروب دائمة إلى أن رأى أمير أحد الولايتين أن يزوج ابنة أخيه الشابة من ابن أمير الولاية الأخرى لعل هذه المصاهرة تعيد السلام إليهما . وفى الطريق يهرب ابن أخيه من مرافقيه فى الوقت الذى تكون فيه ست الحسن قادمة من مصر فى طريقها إلى بلادها . تلتقى بهذا الشاب الذى ينقذها من عصابة تعرضت لها ، وينمو بينهما حب دون أن يعلم كلاهما شيئا عن شخصية الآخر ويتم زفافهما السعيد .

وفى فيلم " طريق الشوك " يضل الضابط مجدى وصديقه خميس عن الحملة البوليسية التى يقودها الضابط لمهاجمة عصابة لتهريب المخدرات فى الصحراء . يتم إنقاذهما على يد بدوية تصحبهما إلى قبيلتها حتى يعرفهما أهلها فهم زعماء العصابة ويتفقون على التخلص من الضابط وصديقه . وتكتشف البدوية حقيقتهما وما يدور حولهما فتسعى لإنقاذهما ، ويضطر مجدى إلى اصطحابها معه خوفا من بطش أهلها . وينتهى الفيلم بالقبض على العصابة وزواج مجدى من البدوية .

فى عام ١٩٥١ أخرج محمد عبد الجواد فيلم " الخارج عن القانون " الذى يجبر فيه المجتمع صاحب السوابق على العودة إلى طريق الجريمة برغم نيته الصادقة فى الاستقامة . فينضم إلى عصابة ويتزعمها ويبث الرعب فى قلوب الآمنين وفى النهاية يلقى مصرعه على يد رجال الشرطة .

فى عام ١٩٥٢ أخرج السيد زيادة فيلم " الدم يحن " الذى تهرب فيه طفلة من قسوة زوجة أبيها لتقع فى قبضة عصابة نشل . وتمر السنوات لتقودها الصدفة لتعمل خادمة فى بيت أبيها دون أن يتعرف عليها وتتهم بالسرقة ويطردها أبوها لتقع مرة أخرى فى قبضة عصابة النشل التى يتضح أن زعيمها جلجل هو عشيق زوجة أبيها ، والذى يتفق معها عل قتل زوجها فتهرب سلوى من العصابة وتسرع

لإنقاذ أبيها وتنجح فى ذلك . أما جلجل فيصاب برصاصة وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة يعترف لعبد الرحمن أن سلوى ابنته .

وشهد عام ١٩٤٥ فيلمين من أشهر أفلام العصابات والمجرمين : " الوحش " لصلاح أبو سيف ، و" جعلونى مجرما " لعاطف سالم . فى الفيلم الأول يثير المجرم الشهير بالوحش الرعب بين الفلاحين ، يساعده فى ذلك رضوان باشا الذى يتستر على جرائمه والذى يستغله فى القضاء على خصومه ويصل ضابط المباحث إلى القرية وتستقبله عصابة الوحش بوابل من الرصاص وسرقة مجوهرات زوجته . وتدور معركة بين الضابط والوحش الذى يفر بعدها ليحتمى فى قصر الباشا فيذهب إليه فإذا بالوحش يقتل الباشا ويخطف ابن الضابط ويلجأ إلى الجبل ، حيث تدور معركة تنتهى بأن يقبض الضابط على الوحش .

فى فيلم " جعلونى مجرما " يضيع فتى فى الحياة فتلتقطه عصابة للنشل ثم يتم إيداعه فى إصلاحية وبعد أن يخرج يفشل فى أن يجد عملا شريفاً ، فلا يجد مفرا من أن ينضم إلى عصابة . ثم يلتقى بمطربة فى كباريه فيحبها فإذا بعمه الذى نهب ميراثه من قبل ثم أودعه الإصلاحية ، ينافسه فى حبها ، ويطارده فى كل مكان متهما إياه ظلما فى جريمة قتل ويقضى فترة العقوبة فى حين تحاول المطربة أن تحصل على دليل براءته ، وحين تحصل على هذا الدليل ، يكون قد هرب من السجن ، ويذهب لمقابلة عمه ويقتله ليصبح مجرما بالفعل .

وفى مجال الجريمة الضاحكة أخرج حمادة عبد الوهاب عام ١٩٥٥ فيلم " إسماعيل يس يقابل ريا وسكينة " الذى يقع فيه فتى وفتاة فى وكر عصابة ريا وسكينة الشهيرة التى اعتادت اجتذاب النساء اللاتى يتزين بالمصاغ ودفنهن فى جوف أرض الوكر . ويكاد الفتى والفتاة أن يلقيا حتفهما لكنهما يتصلان بالبوليس الذى يقبض على العصابة ويكشف جرائمهما .

ثم شهد عام ١٩٥٦ خمسة أفلام دفعة واحدة : " رصيف نمرة ٥ " لنيازى مصطفى ، و" سمارة " و" زنوبة " لحسن الصيفى ، و" إسماعيل يس فى البوليس " لفطين عبد الوهاب " ، و" إسماعيل يس فى متحف الشمع " لعيسى كرامة .

فى فيلم " رصيف نمرة ٥ " يتزعم مقاول الشحن فى الميناء عصابة خطيرة فى حين يتظاهر بالبراءة والطيبة . لكن الشاويش خميس يضبط بعض رجال العصابة فى أثناء عملية تهريب . ويبدأ صراع طويل بينه وبين العصابة التى تقتل زوجته بطريق الخطأ لأنه كان المقصود . ويدبرون له مكيدة يطرد على أثرها من الخدمة ويخطفون ابنه . وفى النهاية يتم القبض على العصابة كلها ويعود ابنه إليه كما يعود إلى عمله فى خفر السواحل .

فى فيلم " سمارة " يتزعم تاجر الفاكهة سلطان عصابة لتهريب المخدرات ويعمل فى الوقت نفسه لحساب رجل من أصحاب النفوذ . ويتزوج سلطان من سمارة ويضمها إلى عصابته . ويدس عليه البوليس ضابط مباحث ينضم إلى العصابة لكشف أسرارها . فتحبه سمارة ويبادلها عاطفتها . ويكشف سلطان الأمر ويطلق عليه النار فى الوقت الذى يصل فيه رجال البوليس ويقبضون عليه وعلى عصابته .

فى فيلم " زنوبة " يتزعم البلطجى عطية أبو حديد عصابة تسيطر على الحى كله . ويحب نعناعة المخطوبة لابن عمها العسكرى بالجيش . ويضع خطة ليوقع حسن شقيق نعناعة فى حب زنوبة التى يستغلها عطية فى مآربه الدنيئة ، ويتم زواج حسن منزنوبة التى تحبه حبا صادقا وتعمل على إنقاذه من براثن العصابة . ويثور عطية ويخطف زنوبة وتلفق جريمة قتل لحسن بحيث يعتقد أنه قاتل زوجته وابنه !!! ويجبره على كتابة اعتراف بذلك !!! ليبتزه به حتى يتزوج من نعناعة التى توافق إنقاذا لأخيها !!!

فى فيلم " إسماعيل يس فى البوليس " يحب زكى عسكرى البوليس جمالات لكنها تضيق ذرعا بوظيفته ومتاعبها ، وتفضل عليه مدرس ألعاب رياضية . ويتمكن زكى من القبض على مجرم يعلن عنه بالصحف نظير مكافأة كبيرة ثم يتضح أنه من رجال المباحث الذين يعمل زكى معهم . ثم تحدث حادثة سطو على محل جواهرجى ويتمكن زكى من القبض على زعيم العصابة وتصرف له مكافأة ويتزوج من جارته .

وفى فيلم " إسماعيل يس فى متحف الشمع " يعمل فريد موظفا بمتحف الشمع وهو خطيب سامية ابنة مدير المتحف . ويكتشف عصابة تستغل التماثيل فى تهريب المخدرات ويدور الصراع بين فريد ورئيس العصابة الذى يأمر بقتله ، فى جو يمزج الرعب بالفكاهة . ويتخفى أحد الضباط فى شخصية مصور ويتمكن من القضاء على العصابة فى حين يتضح أن فريد لم يمت ويتخفى فى أحد التماثيل ليراقب تحركات العصابة ويفاجأ بأن سامية خطيبته هى زعيمة العصابة !!!

وشهد عام ١٩٥٧ ثلاثة أفلام : " سجين أبو زعبل " لنيازى مصطفى ، و"تجار الموت" لكمال الشيخ ، و" ابن حميدو " لفطين عبد الوهاب " .

فى فيلم " سجين أبو زعبل " يلقى بشاب فى السجن وهو برئ لحقد تاجر مخدرات أجنبى عليه لمجرد أن عشيقته تحبه . ويشترك فى هذه المؤامرات مهرب مخدرات مصرى يحقد عليه بدوره لاعتدائه بالضرب عليه بعد أن ضبطه يغازل شقيقته . وفى غارة من غارات العدوان الثلاثى على مصر يهرب الشاب ومعه زميله من السجن وينضم الشاب للحرس الوطنى ويكتشف أن المهرب الأجنبى جاسوس يخفى فى منزله جنود المعتدين ، ويتعاون مع زملائه على قتله . ثم يعود الشاب ليقضى بقية مدة العقوبة فى السجن .

فى فيلم " تجار الموت " يخون الطبيب عباس مهنته ويعد بوليصة تأمين لكل ضحية ثم يتخلص منها ويشارك المستفيد فى قيمتها . وعندما يحتاج صديقه مراد

للإنفاق على مرض أمه ، يتفق عباس معه على أن يتزوج ثم يتخلص من الزوجة ويتقاسمان مبلغ التأمين . ويتزوج مراد من ليلى وفى موعد تنفيذ الاتفاق لا يقوى مراد على الوفاء به ، فيلجأ إلى البوليس لإنقاذه وإنقاذ زوجته ويتم القبض على عباس .

فى فيلم " ابن حميدو " يصل ابن حميدو مع زميله حسن فى منطقة صالحة للصيد ولتهريب المخدرات بالقرب من السويس وعندما ينافس الباز حسن فى حبه لعزيزة يدبر لهما جريمة للإيقاع بهما وفى مكتب المأمور يكشف حسن وابن حميدو عن شخصيتهما بأنهما من رجال المباحث ، جاءا متنكرين للإيقاع والقبض على عصابة لتهريب المخدرات ترأسها لتانيا . وفى النهاية ينتصر الحق والحب .

وشهد عام ١٩٥٨ ستة أفلام دفعة واحدة ، ثلاثة منها لنيازى مصطفى وحده " سلطان " و" أبو حديد " و" سواق نص الليل " ، ثم "شاطئ الأسرار " لعاطف سالم ، و" حبيبى الأسمر " لحسن الصيفى و " إسماعيل يس فى دمشق " لحلمى رفلة .

فى فيلم " سلطان " يضطهد المجتمع سلطان سواء فى صباه أو شبابه ويتهم ظلما ويدخل السجن وعندما يخرج منه يرفض الجميع مساعدته فيلجأ إلى عصابة فى الجبل ثم يهاجمها البوليس فيهرب الجميع ماعدا سلطان الذى يبيد القوة فيصبح رئيسا للعصابة وتتحول حياته إلى سلسلة من جرائم القتل والخطف ، وتنتهى بقتله على يد قوة ضخمة من البوليس .

فى فيلم " أبو حديد " يحتكر المعلم الحنش صيد السمك ويفرض على الصيادين ما يشاء ويهرب المخدرات بمساعدة جابر الذى يقتل أبو حديد . ويطمع الحنش فى الزواج من أمينة ابنة جابر فيساومه فى مقابل التستر على جريمته . وترفض أمينة لحبها لحسن ابن أبو حديد ويتفقان على الزواج ويرفض جابر تزويج ابنته لحسن فتهرب معه ويتزوجان وتتفاقم الأمور ويطلق حسن أمينة ويقتل الحنش

جابر ، ويتهم حسن الذى يهرب لكن الحق يظهر ويتم القبض على الحنش وتعود أمينة إلى حسن .

وفى فيلم " سواق نص الليل " تحب المعلمة الأوسطى حسن سائق إحدى عربات النقل لكن قلبه مشغول بحب خطيبته ، ويغار المعلم رئيس العصابة من الأوسطى حسن لأنه يحظى بحب المعلمة فيشتبك معه لكن الأوسطى حسن يهزمه ، وعندما يرفض حسن الاستجابة لرغبات المعلمة ، تحث رئيس العصابة لسرقة عربة النقل وحمولتها ويسجن حسن بتهمة التبديد . وتتطور الأمور فتقتل المعلمة رئيس العصابة ويتم القبض عليها ويعود حسن إلى خطيبته .

فى فيلم " شاطئ الأسرار " تعود علية إلى بور سعيد لأخيها لكنها تفاجأ باختفائه بعد أن لقى مصرعه على أيدى عصابة مهربى المخدرات التى ينتمى إليها سرا . ودون أن تعلم تلتقى علية بقاتل أخيها وتحبه ويحبها ويعرض عليها الزواج وتقبل ، وفى النهاية تكتشف أن زوجها ضابط فى مخابرات السواحل ، تظاهر بقتل شقيقها حتى يتمكنا من القبض على عصابة تهريب المخدرات ويعود الأخ .

فى فيلم " حبيبى الأسمر " تغرى راقصة شابا بالثراء إذا تعاون معها، وتقدمه لصديقها ليساعده فى تجارته ، ويكلفاه بالسفر إلى لبنان فى مهمة خاصة ويكتشف أن الصديق والزوج يكونان عصابة خطيرة لتهريب الأموال والمجوهرات . وفى النهاية تقتل الراقصة وصديقها ويتم القبض على الرجل الثرى .

فى فيلم " إسماعيل يس فى دمشق " (وهو فيلم أنتج فى فترة الوحدة بين مصر وسوريا !!) يساور الشك مدير شركة تأمين لاختفاء عدد من المؤمنين على حياتهم فى ظروف غامضة . ويكتشف أنهم يموتون بصورة مفاجئة بحيث يتم الحصول على أموال الشركة بطرق غير مشروعة ، لذلك يستدعى مفتشين من مفتشى الشركة ليعهد إليهما بالمحافظة على حياة أحد المؤمنين فى العثور عليه ،

فيكتشفان أنه رحل إلى دمشق ، ويتبعاه وهناك تبدأ قصة حب فى حين يستمر الصراع بينهما وبين اليد الخفية التى تتآمر على قتلهما ، وأخيرا ينجحان فى الكشف عن العصابة ويتزوج كل منهما فتاته ! (وكان هذا الفيلم هو انفعال السينما الوحيد بقيام الوحدة بين مصر وسوريا ، وقيام الجمهورية العربية المتحدة ، مما يدل على أنها كانت فى غيبوبة العناصر النمطية التى حرصت على اجترارها بحيث استغرقتها تماما ، وعزلتها عن الأحداث الاجتماعية أو السياسية أو الوطنية أو القومية ، إلا فى القليل النادر !!) .

وشهد عام ١٩٥٩ ثلاثة أفلام : " الرجل الثانى " لعز الدين ذو الفقار ، و "موعد مع المجهول" لعاطف سالم ، و" سجن العذارى " لإبراهيم عمارة .

فى فيلم " الرجل الثانى " يدير عصمت عمليات تهريب من خلال زعيم عصابة لا يعرفه ، ويتخذ أحد الكباريهات مركزا لنشاطه وإدارة العمليات ، وتشاركه عشيقته الراقصة سمر التى يتخلى عنها بعد أن تنجب طفلتها ويزوجها من أحد أتباعه . وتتابع أحداث القتل الغامض ، وينجح ضابط مباحث فى أن يدس نفسه فى العصابة إلى أن يكتشف عمليات تهريب الأموال ، وكذلك شخصية الرجل الأول ويتم القبض عليه بعد مطاردة عنيفة بين الطرفين .

وفى فيلم " موعد مع المجهول " تقوم عصابة من موظفى المصنع بقتل المدير لتسهيل مهمة تهريب الأموال إلى الخارج عن طريق المصنع . ويكتشف ضابط المباحث الصلة بين عمليات التهريب ومقتل مدير المصنع ، ويستطيع أن يتوصل إلى القاتل الحقيقى وهو أحد عمال المصنع بإيعاز من المدير الجديد فيقبض عليهما .

وفى فيلم " سجن العذارى " تتزعم أم أوسة عصابة نشل وتدخل أوسة الإصلاحية ، وينصلح حالها ، فترفض البقاء مع أمها وتهرب إلى الدكتور الذى درس حالتها ، فيأخذها إلى كمال حيث تعيش فى رعاية أمه . وتبحث المعلمة عن

ابنتها أوسة وتجبرها على الزواج من أحد أفراد عصابتها ، لكنها تهرب يوم زفافها إلى منزل الدكتور وتنقذه من محاولة لاغتياله ، وتتزوج من حبيبها كمال .

فى عام ١٩٦٠ أخرج حسن رضا فيلم " خلخال حبيبى " الذى يصور مقهى على الطريق يلتقى فيه سائقو السيارات ، وتديره حفيظة التى تتزعم عصابة مع أدهم وسند وهنداوى . وترقص ابنتها بهية لرواد المقهى فى حين يسعى أدهم للزواج منها ، لكنها تصده . ويهبط على المقهى الشاب الثرى أحمد الذى يقدم لها هدية خلخال وتحاول العصابة الاعتداء عليه ويلقونه فى النيل . وتحزن بهية لإحساسها أنها السبب فى غرقه . ثم يقبل على المقهى محسن الذى يهتم ببهية ، والذى يكتشف أدهم أنه شقيق أحمد ، فيدبرون لقتله ، لكن بهية تسرع لتحذره ، إلا أن أفراد العصابة يصلون ويتم القبض عليهم لأن عطوة خادم المقهى ليس إلا مخبر سرى ، ويتزوج محسن من بهية .

فى عام ١٩٦١ أخرج حسن الصيفى فيلم " سبع الليل " الذى تتعطل فيه سيارة سلوى فى الطريق الزراعى ، وتشاء الصدف – كالعادة ! – أن يمر عليها حسن الميكانيكى الذى يتولى إصلاحها على أن يعيدها للمنزل . ويفاجأ حسن بوجود شحنة مخدرات مختبئة داخل السيارة فيخفيها فى مكان ما بالطريق . وتقوم عصابة سبع الليل بخطف سلوى لتعيد إليهم المخدرات التى لا تعلم عنها شيئا . ويطارد رجال الأمن العصابة ويتعاون حسن مع رجال الأمن ويرشدهم إلى مكان المخدرات ، ويتمكنون من القبض على العصابة ويعيدون سلوى إلى منزلها .

وشهد عام ١٩٦٢ ثلاثة أفلام : " كلهم أولادى " لأحمد ضياء الدين ، و "الرجل الثعلب" لنجدى حافظ ، و" الحاقد " لريمون نصور . فى الفيلم الأول يطارد ضابط المباحث سالم العصابة فيكتشف أن أخاه مدحت عضو فيها !! (وهو العنصر النمطى الذى تكرر مرارا بلا مبرر لأنه ليس من المعقول أن يظل ضابط مباحث جاهلا تماما بحقيقة أخيه أقرب الناس إليه !!) . وفى الفيلم الثانى ينضم

فريد إلى عصابة مخدرات ويطارده مكتب المخدرات ، فيهتدى لحيلة تجنبهم متابعته ، وهى أن يخطب شقيقة رئيس مكتب المخدرات الذى سرعان ما يكتشف أمره ويسعى لضبطه متلبسا . وعندما يكتشف أفراد العصابة تخلى فريد عنهم ، يبلغون عنه ، لكن البوليس لا يجد شيئا فى بيته . عندئذ يبلغ هو مكتب المخدرات ويتم القبض على العصابة وتبرئته لأنه أرشد عنهم . وفى الفيلم الثالث يترك الطفل المدرسة بعد وفاة أبيه فى السجن ويعمل فى ورشة . ثم تمر السنوات ويصبح شريكا فى عصابة للصوص . وتحاول أمه إقناعه بالرجوع إلى الطريق المستقيم دون جدوى ، إلا أنه يقابل فى أحد الأيام فتاة من عائلة متوسطة يحبها ، ويترك من أجلها العصابة ويعيش شريفا .

وشهد عام ١٩٦٤ فيلمين : " الحقيبة السوداء " لحسن الصيفى ، و" الرسالة الأخيرة " لمحمد كامل حسن . فى الفيلم الأول يتزعم المعلم حنفى عصابة للسرقة والسطو لكن المعلم زرزور يقوم بسرقة الأموال من المعلم حنفى فى غفلة منه فيخطف المعلم حنفى ابنته ويتخذها رهينة لديه حتى يعيد إليه النقود ، فيرضخ وتشترك معه فى إتمام هذه المغامرة راقصة جميلة يتضح أنها من قوة المباحث التى تقبض على حنفى أثناء محاولته تهريب الأموال للخارج !!! . وفى الفيلم الثانى يقتل رئيس عصابة أحد أعوانه ، فتقسم ابنته على كشف أسرار العصابة خاصة أنها تجد ضمن أوراق أبيها ما يؤكد أن العصابة تعمل فى تهريب المخدرات . وتفشل العصابة فى الحصول على هذه الأوراق ويتم القبض عليها .

فى عام ١٩٦٧ أخرج نيازى مصطفى فيلم " أخطر رجل فى العالم " الذى مزج فيه مؤامرات العصابات الدولية والمفارقات الكوميدية ، وكان فيلما ناجحا لدرجة أنه فى عام ١٩٧٢ أخرج محمود فريد ما يشبه تكملة له بعنوان " عودة أخطر رجل فى العالم " ، ففى الفيلم يصل إلى القاهرة مستر إكس رئيس عصابة دولية للتهريب ومركز نشاطها شيكاغو وذلك لمزاولة نشاطها . ويعلم بأمره رجال

الشرطة المصرية ويراقبونــه ، مستغلين الشبه بين مستر إكس وموظف المطـار زكى فيستغلونه فى مهمتهم إذ يحل زكى محل إكس ويلم بأسرار العصابة وخططهم لعملية جديدة وتنجح مهمة زكى ويتم القبض على مستر إكس وعصابته .

فى عام ١٩٦٨ أخرج أحمد بدرخـان فيلـم " أفـراح " الـذى يـرث فيـه توفيـق أثاث منزل قريبة له ليسدد به ديونه لكنه يفاجأ بعد بيع الأثاث أن بـه جوهـرة ثمينـة مخبأة فى إحدى قطعه ، لكن الأثاث أرسل إلى لبنان . وفى الوقت نفسه كانت هناك عصابة تبحث عن الجوهرة وتسافر إلى بيروت ، كمـا يسـافر توفيـق الـذى يتعـرف علـى المضيفـة بثينـة التـى تشـاركه البحـث . وبعـد مطـاردات بيـن توفيــق وأفــراد العصابة يعثر على الجوهرة ويعود إلى القاهرة ويتفق مع بثينة على الزواج .

وشـهد عـام ١٩٦٩ ثلاثـة أفـلام تعتبر رائدة لمـا عــرف بعـد ذلـك بـأفلام المقاولات : " صـراع المحترفين " لحسن الصيفى ، و" الرعـب " لمحمود فريـد ، و " الشيطان " لمحمد سلمان . وإن كان من الممكن تتبع هذه الأفلام منذ العهود الأولى للسينما المصرية ، خاصة الأفلام التى تعتمد على ميزانية ضئيلة ويتم تصويرها فى وقت قياسى ولا تهتم بالجودة الفنية سواء فيما يتصل بالقصة والسيناريو والحوار أو التصوير أو الإخراج أو المونتاج أو حتى التمثيـل ... الـخ ، إذ أن هدفهـا الأساسـى الحصول على أسرع عائد ممكن حتى لو كان ينطوى على أرباح متواضعة .

فى فيلم " صراع المحترفين " يقوم الضـابط وحيد بمراقبة تـاجر المخـدرات غربـاوى للإيقـاع بـه مـع عصابتـه . ويمـر بمغـامرات عديدة حتـى يهـاجم رجـال الشرطة وكر العصابة فى الوقـت المناسـب لأنهـم كـانوا يراقبـون خطواتهـم لحمايـة وحيـد . وفـى أثنـاء المطـاردة يلقـى غربـاوى مصرعـه وتقـع العصابـة فـى قبضـــة الشرطة . وفـى فيلم " الرعـب " تختفـى شـحنة راديـوم واردة لأحـد معـامل البحـوث العلمية وتنشط إدارات الأمن لخطورتها . وتكتشف سـرقة عصابـة لهـا . ويسـتطيع رجال الأمن القبض على العصابة التى تعترف بمكان الصندوق الخطير . وفى فيلـم

" الشيطان " يخطط ماركو زعيم عصابة دولية لسرقة كنز أثرى ويبحث مع أعوانه عن حمدان أبو شامة الذى لديه حل الشفرة التى ترشد عن الكنز وعندما يحل ماركو الشفرة يتخلص من حمدان ويذهب مع رجاله إلى مكان الكنز لاستخراجه حيث كان رجال الشرطة فى انتظارهم .

فى عام ١٩٧٠ أخرج نجدى حافظ فيلم " رضا بوند " كنوع من المحاكاة الساخرة لأفلام جيمس بوند التى اجتاحت العالم منذ منتصف الستينيات من خلال المفارقة الكوميدية بين شون كونرى أول واشهر من قام بهذا الدور وبين محمد رضا المعلم والنجم الشعبى فى مصر . ففى الفيلم تبحث العصابة عن خريطة توضح مكان كنز نابليون الذى لا يعرف مكانه فى البحر سوى المعلم رضا الذى أخفى الخريطة فى قطعة أثاث . وتسوق عليه العصابة إحدى أفرادها وهى المرأة الجميلة هدى لكى توقعه فى شباكها وتعرف منه مكان الكنز بمساعدة زميل لها ، ويتعرفان بأسرته : زوجته وابنته لكنهما يفشلان فى المهمة ويتمكن رجال الشرطة من القبض على أفراد العصابة .

كذلك فى عام ١٩٧١ أخرج نجدى حافظ فيلم " الحسناء واللص " الذى ينفصل فيه اللص أحمد عن عصابة النمر لكى يعمل بمفرده ، وتشاء الصدفة أن يصدم بسيارته الفتاة أمينة التى تنوى الانتحار !! ينقلها إلى منزله ويقوم بإسعافها ويعرض عليها البقاء مع أسرته فتوافق دون أن تعرف حقيقة عمله . يخطف النمر أمينة ليضغط عليه فيوافق ، وتنجح فى إقناعه بالتوبة ، ويبلغ أحمد رجال الشرطة بموعد عملية السرقة الجديدة فيقبضون على أفراد العصابة ويتزوج من أمينة .

وبالإضافة إلى هذا الفيلم شهد عام ١٩٧١ أربعة أفلام أخرى : " حسناء المطار " السيد بدير ، و" حياة خطرة " أحمد فؤاد ، و" رجال فى المصيدة " محمود فريد ، و" عصابة الشيطان " حسام الدين مصطفى .

فى فيلم " حسناء المطار " تشترك جيلا فى عصابة لتهريب الدولارات وعند عودتها من بيروت تضطر لترك الحقيبة فى المطار خوفا من رصد الشرطة لها . وتظن العصابة أنها استولت عليها فتذيقها ألوانا من العذاب لتعترف بمكان الحقيبة ، ثم يفرجون عنها ويراقبونها وعندما يفقدون الأمل يقتلونها !! إلا أنهم يقعون فى قبضة الشرطة .

وفى فيلم " حياة خطرة " تصل لرجال الأمن تحريات عن عصابة جواسيس تستعد لمؤامرة داخل البلاد ويتعاون معهم شيخ قبيلة يعمل فى تهريب المخدرات . وينتحل ضابط شخصية مجرم يقيم فى نفس زنزانة أحد أقارب شيخ القبيلة الذى يمنح للضابط ثقته ويحكى له عن أسرار العصابة ، بل ويصطحبه لمقابلة شيخ القبيلة . وبعد أن يعرف كل أسرارهم يستدعى رجال الأمن للقبض عليهم .

وفى فيلم " رجال فى المصيدة " يصل رجال الشرطة إلى الملهى للبحث عن عصابة تهريب عملة . ويدس رئيس العصابة مبلغا كبيرا فى جيب المعلم درويش دون أن يشعر ، والذى يعطى معطفه بدوره لشخص آخر . وتفاجأ العصابة بما حدث للمعطف الذى يقع فى النهاية فى أيدى رجال الأمن ومعه العصابة !!

وفى فيلم " عصابة الشيطان " المأخوذ عن فيلم " اللغز " للمخرج الأمريكى ستانلى دونن ، يعمل عادل عضوا فى عصابة سرقة مجوهرات ، ويستولى على غنيمة إحدى العلميات ، ويوهم زوجته سحر بأنه يعمل بالاستيراد والتصدير . ويلقى عادل مصرعه ويشرع زملاؤه وديع ومجاهد وحمدى وجابر فى مراقبة سحر التى تلجأ للشرطة لحمايتها بعد أن تفاجأ بحقيقة زوجها . ويلقى الأربعة مصرعهم وتعثر سحر على المجوهرات مختبئة داخل تمثال فتسلمها للشرطة .

فى عام ١٩٧٢ أخرج نادر جلال فيلم " ولدى " الذى يدل على أن السينما المصرية لا تمل من تكرار تيمة الكونت دى مونت كريستو . ذلك أن جابر يقرر الإقلاع عن الإجرام بناء على إلحاح ابنه الصغير . وتحاول العصابة استعادته

للعمل معهم لكنه يهدهم بإبلاغ الشرطة عنهم ، فيقررون قتله إلا أن الرصاصة تصيب ابنه ليلقى مصرعه فينهار جابر وينتقم من أفراد العصابة الخمسة ، فيقتلهم الواحد تلو الآخر ثم يتم القبض عليه .

وشهد عام ١٩٧٣ ثلاثة أفلام " أبناء للبيع " لنيازى مصطفى ، و " رجال لا يخافون الموت " لمحمود فريد ، و" الشياطين فى أجازة " لحسام الدين مصطفى . فى الفيلم الأول ينضم حسنى لعصابة لصوص وعندما يقرر التوبة يضغط زعيم العصابة عليه ليشترك معهم فى عملية سرقة جديدة . يوافق بعد أن يهدده بإفشاء حقيقته لحمدى زوج ابنته مديحة التى تقرر الانسحاب من حياة زوجها لكنه يتمسك بها ويتم القبض على حسنى والعصابة . وفى الفيلم الثانى يهاجم قطاع الطرق عصابة شوقى للاستيلاء منها على مجوهرات مسروقة فى أثناء مرور لجنة البحوث الجيولوجية فى الصحراء بقيادة حمدى الذى يخلصهم منهم !!! . وفى الفيلم الثالث يسافر ثلاثة أصدقاء إلى أبى قير مستقلين عربة للموتى يتضح أنها ملك لعصابة عواد الذى يخفى الماس المسروق فى كاميرا تخص حمادة أحد الثلاثة . تصطدم السيارة بسيارة أخرى . ويهرب الأصدقاء الثلاثة من العصابة التى تتعقبهم، وتدور مطاردات تنتهى بفشل العصابة فى استرجاع الماس والقبض عليهم .

فى عام ١٩٧٦ أخرج نادر جلال فيلم " وعادت الحياة " الذى يختفى فيه الطفل علاء من المدرسة لتقابله مع أطفال السوء الذين يقودونه إلى زعيمة عصابة للنشل وبعد تحريات الشرطة تصل إلى وكر المعلمة ويقبضون عليها ويعود علاء إلى أبويه .

فى عام ١٩٧٧ أخرج حسن الإمام فيلم " دعاء المظلومين " الذى تدور أحداثه الرئيسية فى وكر عصابة للنشالين تديرها معلمة . وفى عام ١٩٧٨ أخرج زكى صالح فيلم " شقة وعروسة يارب " الذى تكتشف فيه كاميليا حقيقة خطيبها شوقى الذى يتاجر فى المخدرات ويقوم بتخزين بضاعته فى شقتها دون علمها

بحيث يتم القبض عليها لكن براءتها تثبت بعد ذلك ويتم القبض علـى شوقى . وفـى عام ١٩٧٩ أخرج يحيى العلمى فيلم " رجال لا يعرفون الحب " الذى يعمل فيه الأخان حسن ومحمود فى تجارة المخدرات ويتم القبض على حسن ويسلم محمود مبلغا كبيرا ليحتفظ به لحين الإفراج عنه . وتطارد العصابة محمود للحصول على النقود ، فى حين تحاول فاطمة إقناعه بتسليم النقود للشرطة . ويهرب حسن مع زميله عتريس من السجن ويصاحبه على أساس وصول طائرة خاصة تقلهم بعيداً ويظل الثلاثة فريسة للجوع والخوف . كذلك أخرج يحيى العلمى فى نفس العام (١٩٧٩) فيلم " الخدعة الخفية " الذى يختفى فيه الدكتور العالم رؤوف وينشر خبر وفاته لكنه كان يختبئ فى بيروت بسبب عصابة تطارده للحصول على مفكرة بها أسرار أبحاثه ونظرياته . بل إن العصابة تخطف ابنته شهيرة للضغط عليه لكن رجال الأمن يقبضون على أفرادها ويخلصون الرهينة من أيديهم .

وبحلول عقد الثمانينيات لم يتوقف تيار أفلام العصابات والمخدرات فأخرج محمد عبد العزيز فيلم " شفاه لا تعرف الكذب " ومحمد خان " ضربة شمس " عام ١٩٨٠ . فى الفيلم الأول يعمل حمدى بتهريب المخدرات مع عشيقته لوزة التى تتعرف على إيمان وتضمها معهما وتدعى أنهما يعملان بالاستيراد وفى النهاية يتم القبض على حمدى ولوزة التى تعترف ببراءة إيمان فيفرج عنها . وفى الفيلم الثانى يدعى شمس المصور الصحفى لتصوير حفل زفاف ويلتقط صورة لكلمة فى ورقة قبل حرقها وتقوده الكلمة إلى اكتشاف عصابة تتزعمها امرأة تقوم بتهريب قطع الآثار النادرة . وبعد مطاردات بين العصابة وشمس ، وعجز الشرطة عن الوصول إليه ، ينجح فى إنقاذ نفسه وموت المرأة .

وشهد عام ١٩٨٢ ثلاثة أفلام : " العار " لعلى عبد الخالق ، و " عصابة حمادة وتوتو " لمحمد عبد العزيز ، و " حسن بيه الغلبان " لهنرى بركات . فى الفيلم الأول تنهار أسرة الحاج عبد التواب عندما يخبرها الابن الأكبر كمال بحقيقة

أبيهم الراحل فهو مهرب مخدرات . وتصل شحنة مخدرات كانت آخر عمليات الأب إلى أعماق البحر ويطلب كمال من أخويه أن يتعاونا معه فى انتشالها ويعيش الأخوان فى صراع ينتهى بتخزين المخدرات فى صفائح فى الملاحات بطريقة خاطئة تتسبب فى ضياعها فينتحر أحد الأخوين ويصاب الآخر بالجنون وينهار كمال . وفى الفيلم الثانى يعانى حمادة وزوجته توتو من مشكلة عدم توفر المال اللازم لسداد أقساط المنزل وأثاثه فيضطران للسرقة التى تدر عليهما ثروة كبيرة ، لكن يقبض عليهما فى النهاية . وفى الفيلم الثالث يخطف النبراوى عائشة ابنة سالم ليضغط على رشاد وحسن لتسليمه المستندات ، إلا أنهما ينجحان فى العثور عليها ، ويسلمان المستندات لرجال الشرطة الذين يقبضون على النبراوى وعصابته .

وشهد عام ١٩٨٣ ثلاثة أفلام أيضا : " وحوش الميناء " لنيازى مصطفى ، و " إنهم يسرقون الأرانب " لنادر جلال ، و" نص أرنب " لمحمد خان .

فى الفيلم الأول يشترك العريف سلامة مع والده الصول خميس فى مهمة القبض على إحدى عصابات تهريب المخدرات والتى تقوم بخطف سلامة للضغط على خميس لتسهيل عملية تهريب لكن سلامة يهرب ويتم القضاء على العصابة . وفى الفيلم الثانى يسرق صديقان من صديق لهما فى السجن خريطة توضيحية للسطو على أحد البنوك . وعندما تنتهى مدة عقوبتهما يشرعان فى تنفيذ عملية السرقة لكن أمرهما ينكشف ويتم القبض عليهما . وفى الفيلم الثالث يستولى سراج على قيمة شحنة مخدرات خاصة بالعصابة التى يعمل بها . ولا تكف العصابة عن البحث عنه فى حين يلتقى سراج بإحدى الفتيات التى تفاجئه بأنها رئيسة العصابة وتقتله وتهرب بالحقيبة لكنها تلقى مصرعها وهى مسرعة بسيارتها .

فى عام ١٩٨٥ أخرج يحيى العلمى فيلم " جبابرة الميناء " الذى تنتهى فيه مدة عقوبة جلال فيخطط مع حبيبته نادية للإيقاع بعباس وعصابته ، لكن نادية تقتنع

عباس بضم جلال لعصابته فى تهريب الماس . ويسجل جلال تحركاتهم ويبلغ الشرطة ويقبضون عليهم جميعا .

فى عام ١٩٨٦ أخرج نادر جلال فيلم " رجل لهذا الزمن " الذى يتم فيه القبض على سيد أحد رجال عصابة تهريب مخدرات وتبدأ محاكمته . ويخطفون ابنته يسرية ليساوموه على براءة سيد الذى يهددهم بالاعتراف عليهم ويرفض كمال ويحكم عليه بالمؤبد ، لكن أفراد العصابة يتمكنون من تهريب سيد ثم يقتلونه . وعندما تحاصر الشرطة مقر العصابة يفاجأ الجميع بأن ناجى محامى سيد هو رئيس العصابة ويقبضون عليه بعد أن يعيد يسرية إلى المنزل لكنه يلقى مصرعه من طلقة نارية مصوبة إليه من المبنى المقابل .

وشهد عام ١٩٨٧ فيلمين من أفلام عصابات المخدرات : " العملية ٤٢ " لعادل الأعصر ، و" رجل فى فخ النساء " لأحمد صقر . فى الفيلم الأول تعمل زينات وزوجها كمال فى عصابة بيومى مهرب المخدرات ، ويتنكر العقيد سامى زوج ليلى شقيقة كمال فى شخصية مهرب مخدرات وينضم لعصابة بيومى وبعد سلسلة من المطاردات يكتشف بيومى حقيقة سامى فيخطف أعوانه زوجته وابنته ليضغط عليه لتمرير إحدى عملياتهم من المطار لكن رجال الشرطة يقبضون على العصابة ويعيدون ليلى وابنتها . وفى الفيلم الثانى تعمل ثريا وسميحة ضمن عصابة مهرب المخدرات عمر ، وتطمعان فى قيمة العملية الأخيرة . ويكتشف جابر الشاب الذى وعدتاه بالمساعدة حقيقتهما . ويهددهما بالقتل لكى يحصل على نصيبه . وفى الوقت نفسه تتوصل العصابة إليهم لكن الشرطة تستطيع أن تقبض على الجميع .

وفى عام ١٩٨٨ أخرج مدحت السباعى فيلم " نواعم " الذى يتنكر فيه ضابط المباحث جمال فى شخصية سيد المجرم الهارب من السجن ويلجأ للمعلم هريدى رئيس عصابة مخدرات ليعمل معه فيوافق . وعندما يكتشف عزيز رئيس العصابة الأكبر حقيقة جمال وحب نواعم له يبلغ هريدى ويحاصر رجال الشرطة وكر

العصابة فيثور هريدى على العصابة ويحاول قتل جمال لكن الطلقة تصيب نواعم لتلقى مصرعها ويتم القبض على أفراد العصابة .

وفى عام ١٩٨٩ أخرج مدحت السباعى أيضا فيلم " العميل ١٣ " كما أخرج نادر جلال فيلم " جحيم تحت الماء " . فى الفيلم الأول يتعاون مأمور الجمرك شريف مع الشرطة للقبض على عصابة لتهريب المخدرات والتى تطمئن لشريف وتشرع فى تنفيذ العملية الكبيرة ، فى حين يراقبهم رجال الشرطة ويلقون القبض عليهم بناء على المعلومات التى كان شريف يسربها إليهم أولا بأول . وفى الفيلم الثانى يستولى زكى على صندوق به ماس تقوم بتهريبه عصابة البرنس الذى يخفيه فى أعماق البحر فى الغردقة . ويتوصل البرنس لمكان زكى ويتفق معه على تقسيم الماس . وتتواصل الصراعات والمؤامرات إلى أن يلقى زكى مصرعه من مكان عال .

ومع مطلع التسعينيات شهد عام ١٩٩٠ خمسة أفلام : " جزيرة الشيطان " لنادر جلال ، و" حالة مراهقة " لسيد طنطاوى ، و" حنفى الأبهة " لمحمد عبد العزيز ، و" الشيطانة التى أحبتنى " لسمير سيف ، و" اللعبة الأخيرة " ليوسف شرف الدين .

فى " جزيرة الشيطان " يتوصل الشواف وجارته فاطمة والغطاس جلال لمكان الجزيرة التى بها صناديق الذهب ويستخرج جلال بعض سبائك الذهب فى حين تظهر عصابة الزغبى التى تراقبهم وتقرر قتل جلال وفاطمة ، لكنه يتمكن منهم حين يفجر لهم المركب ويتخلص منه ومن عصابته .

وفى " حالة مراهقة " يستعد رجل الأعمال بهجورى لتهريب ماسة ثمينة إلى روما ويكلف حسن الموظف بشركته بالسفر بها ، فى حين يخطط جاك رئيس إحدى العصابات للاستيلاء على الماسة فيجند منى سكرتيرة بهجورى لهذه المهمة . وتنجح فى إيقاع حسن .وبعد مطاردات يفاجأ الجميع بأن حسن يخدعهم منذ البداية

إذ أنه أعاد الماسة لصاحبها ويحمل أخرى مزيفة !! (بمعنى أن الموضوع كله كان لعب عيال منذ البداية) !! .

وفى " حنفى الأبهة " يقوم حنفى بسرقة محل مجوهرات مع زملائه ويستحوذ على الحقيبة المسروقة التى يخفيها لدى أخيه أحمد قبل القبض عليهم . ويتمكن شركاؤه الثلاثة من الهرب وخطف دعاء زوجة أحمد كى يستعيدوا الحقيبة . وتوافق السلطات على الإفراج المؤقت لحنفى ليرشدهم عن مكان زملائه . ويسلم أحمد الحقيبة للصوص لكن زوجته تموت بعد اغتصابهم لها . وعندما يثور عليهم يصيبه أحدهم ويصل حنفى إلى مكان المعركة ويستعيد الحقيبة بعد أن يقتل أحدهم ويقع الآخران فى قبضة الشرطة ويعود حنفى إلى السجن .

وفى " الشيطانة التى أحبتنى " يتعرف ضابط المباحث صلاح على عواطف النشالة المحترفة التى يكون أبوها عصابة سرقة واحتيال كبيرة . وينضم صلاح للعصابة بعد أن يوهمهم انه فصل من عمله وذلك للإيقاع بها وهى تخطط لسرقة بنك . وفى النهاية يتم القبض على العصابة .

وفى " اللعبة الأخيرة " يعمل شوقى فى إحدى عصابات الهيروين ، ويستغل زوجته كوثر فى عملياته دون علمها . وفى أثناء سفرها فى الخارج يرسل معها عميل زوجها عروسة بداخلها هيروين . وفى القطار تعجب الطفلة منى بالعروسة فتهديها إليها كوثر بعد أن تعرف اسمها واسم مدرستها . ويثور شوقى على ضياع العروسة ويعترف لها بالحقيقة بل ويخطف ابن أختها حسام حتى تعيد إليه العروسة !! وبالفعل تتمكن من استعادتها إلا أن العصابة تقع فى قبضة الشرطة ، ويلقى شوقى مصرعه ويعيدون حسام .

وشهد عام ١٩٩١ ثلاثة أفلام : " إحذروا هذه المرأة " لسيد طنطاوى ، و " الجبلاوى " لعادل الأعصر ، و" اللعب مع الشياطين " لأحمد فؤاد . فى الفيلم الأول تظهر لأول مرة عصابة من الأطباء الذين يشخصون حالة الدكتورة نادرة

بازدواج فى الشخصية ، ويدخلونها مستشفى الأمراض العقلية وذلك لتحطيمها لأنها اتهمتهم بالنصب والاحتيال عندما أعلنوا اكتشافهم لمصل يعالج السرطان . وتقتل عصابة الأطباء كل من يحاول فضح أمرها لكن رئيس العصابة يقتل فى النهاية !! (مثله فى ذلك مثل أى سفاح أو مجرم !!) . وفى الفيلم الثانى يعمل الجبلاوى لدى تاجر المخدرات عباس ويستولى على قيمة عملية قيمتها مليون جنيه لكن ابنه يطمع فى المبلغ ويهرب به فى الوقت الذى تقتل فيه العصابة الجبلاوى كما يقتل ابنه على يد غريمه بعد ذلك . وفى الفيلم الثالث يسكن أربعة زملاء فى الجامعة فى شقة يتصادف أن يخفى فيها سكان الشقة السابقون كمية من الهيروين . ويعملون على استعادتها !! (وهل يمكن نسيان أو إخفاء شئ كهذا فى شقة تركها مستأجروها ؟!) وتدور مطاردة بين السكان الحاليين والسكان السابقين الذين هم عصابة . ويتم القبض عليهم ويستذكر الطلبة فى السجن وينجحون وتنتهى مدة العقوبة !! (وتوتة توتة فرغت الحدوتة !!) .

وشهد عام ١٩٩٣ ثلاثة أفلام : " اللعبة القذرة " لحسام الدين مصطفى ، و " الثعالب " لأحمد السبعاوى ، و" اللعب مع الأشرار " لطارق النهرى . فى الفيلم الأول يكتشف المحامى الكبير خالد أن زوجته مشتركة فى عصابة تهريب يتزعمها فاروق رجل الأعمال الكبير صاحب المشاريع الاستثمارية والمستشفى الذى تعمل فيه الدكتورة نوال ابنة خالد !!! وتتبادل العصابات عمليات القتل ويصمم خالد على معرفة الحقيقة لكن العصابة تقوم بخطف نوال ويبلغ خالد رجال الشرطة عن فاروق الذى يحاول الهرب للخارج ولكن يتم القبض عليه مع أفراد عصابته وتعود نوال !! (وهل هناك تلفيق وافتعال واستهانة بالعقل أكثر من هذا ؟! إن أى شىء وكل شئ يمكن أن يقع على الشاشة المصرية !!) .

فى فيلم " الثعالب " يحاول رجل أعمال ثرى أن يطمس ماضيه حين كان يعمل فى مستهل حياته فى مجال المخدرات وله ابن يعمل فى نفس مجال أبيه ،

وتطارده الشرطة فيلجأ إلى أبيه الذى يخشى أن يعرف ابنه الثانى الذى تخرج فى كلية الطب فيضيع مستقبله . وتنتهى حياة الأسرة نهاية مأسوية عندما يقتل الابن الثانى زوجة أبيه ، فيفقد الأب ولديه !!

وفى فيلم " اللعب مع الأشرار " يعثر لص السيارات فرفور على حقيبة بها هيروين داخل إحدى السيارات ويتجه إلى عنوان صاحب السيارة كروان ليساومه على إعادة الهيروين مقابل مبلغ من المال لكنه يختلف معه ومع عصابته التى تقوم بخطف حبيبته شوشو لكى يجبروه على إعادة الهيروين لكنه ينقذها بالتعاون مع صديقه قنديل . ويضع فرفور الحقيبة فى سيارة كروان ويبلغ رجال الشرطة فيقبضون عليه متلبسا مع عصابته كما يتم القبض على فرفور وصديقه بتهمة السرقة .

* * * * *

من هذا الرصد التحليلى يتضح أن العصابات عامة والمخدرات خاصة كعنصر نمطى سرى فى أفلام مصرية كثيرة كانت أداة مفتعلة للإثارة والتشويق وإن كانت عوامل التكرار والنمطية والقولبة أضعفت هذه الأدوار إلى حد كبير بحكم أن المتفرج المواظب على مشاهدة الأفلام يعرف حيلها ومفاجآتها وصدفها وحلول مشاكلها مسبقا ، كان يمكن أن تكون عناصر الإثارة والتشويق مقنعة وصادقة ومتجددة إذا ما توغل الكتاب والمخرجون فى الدوافع السيكولوجية التى تجعل من الإنسان العادى مجرما ، والأسباب الاجتماعية والاقتصادية ، التى تساعد على تشكيل التنظيمات العصابية ، وإن كنا لا ننكر أن بعض الأفلام توغلت فى هذا المضمار ، لكنها تشكل مجرد استثناء من قاعدة عامة . ولعل هذا يرجع إلى عدم اهتمام مؤلفين ومخرجين كثيرين بدراسة الخلفية العلمية والعملية

والبيئيـة والفكريـــة للشــخصيات والأحــداث والمواقــف التــى يتناولونهــا فــى أفلامهـم .

ونظـرا لأن العصابـات عامـة والمخـدرات خاصــة كـانت البوابــة التــى دخلت منها السموم البيضاء إلى المجتمع المصرى فـى العقـود الأخـيرة وأدت إلـى كل مآسـى الإدمـان ، فإنــه مـن الضـرورى رصـد كيفيـة معالجـة الأفـلام لهذه الظـاهرة المرضيــة والمأسـوية ، وإلــى أى مـدى توغلـت فــى أغوارهـا أم ظلت عند سطحها تتخذ منها مجرد مـادة للإثـارة والمواقـف الميلودراميـة دون أى منهـج علمـى ؟! ومـن هنـا كـان الفصـل التـالى من هـذه الدراسـة يـدور حـول هذا العنصـر الـذى أصبح هـو أيضـا نمطيـا بحكـم تكـراره واسـتهلاكه فـى أفـلام عديـدة بنفس المنظـور والزاويــة .

* * * * *



موعد مع ابليس سنة ١٩٥٥



المــدمــن سنة ١٩٨٢



النمـــر سنة ١٩٥٢



بنت الأكابر سنة ١٩٥٣

الفصل التاسع

الإدمان والسموم البيضاء

فى أعقاب الحرب العالمية الأولى راجت فى مصر السموم البيضاء خاصة الكوكايين ، مع جنود الإمبراطورية البريطانية من أستراليين وهنود وبريطانيين أيضاً . انتشرت بين بعضهم فى أثناء الحرب ثم انتقلت إلى المصريين الذين اختلطوا بهم فى معسكراتهم ، واستمرت حتى مطلع الثلاثينيات . وكان الفنان الرائد سيد درويش قد عالجها فى دوره الشهير " شم الكوكايين .. خلانى مسكين " . ولكن يبدو أن جسم المجتمع المصرى فى تلك الفترة كان من القوة والمناعة بحيث لفظ هذه الظاهرة المرضية ، وأصبحت مجرد ذكرى تتندر بها الأجيال التى عاشت منذ منتصف الثلاثينيات وحتى منتصف السبعينيات حين لم تعد نتيجة لحرب معينة ، وإنما كانت هى حرباً عالمية فى حد ذاتها . ونظراً لموقع مصر فى قلب العالم بين تياراته المتضاربة ، فقد أصابها الوباء عل شكل كوكايين وهيروين ومورفين ، بحيث أصبح تعاطى الحشيش والأفيون " موضة " قديمة .

ومع صعود طبقات جديدة فى المجتمع ، تملك المال ولا تملك الوعى ، فى أعقاب ما عرف بسياسة الانفتاح ، انتشرت السموم البيضاء فى طبقات عديدة ، ولم تعد قاصرة على الطبقات الدنيا . وانتبهت السينما المصرية لهذا الوباء الجديد وشرعت فى التعامل معه منذ أن أخرج عاطف سالم فيلمه " هكذا الأيام " عام ١٩٧٧ . أما قبل هذا التاريخ ، فلم تقدم السينما سوى أربعة أفلام سواء بالنسبة

لإدمان السموم البيضاء أو تعاطى المخدرات التقليدية . وكان أول هذه الأفلام هو فيلم " الكوكايين " الذى أخرجه توجو مزراحى عام ١٩٣١ . وهذا دليل على أن السموم البيضاء على مدى ما يزيد على أربعين عاماً لم تكن ظاهرة تستحق الالتفات أو لم تكن ظاهرة على الإطلاق .

فى فيلم " الكوكايين " لتوجو مزراحى ، يحاول عامل استمالة زوجة صديقه فيفشل ، فيسعى إلى الوصول إليها عن طريق دفع هذا الصديق إلى إدمان الكوكايين ، فينحرف ويطرد من عمله . وتنهار أسرته ، وتتطور الأحداث حتى تصل إلى أن يقتل هذا المدمن ابنه ويحكم عليه بالإعدام . أما الصديق الشرير فيموت بعد سقوطه من فوق إحدى السقالات التى يعمل عليها فى إحدى العمارات .

فى عام ١٩٥٨ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " الأخ الكبير " الذى يحترف فيه شاب تجارة المخدرات طمعاً فى الربح السريع لأسرته . ويحرص على أن يجنب شقيقه الأصغر هذا الطريق وهو طالب فى كلية الحقوق .ويماطل الأخ الأكبر فى زواجه من عشيقته التى تنتقم منه بجذب شقيقه الصغير إليها ، ودفعه إلى إدمان الأفيون الذى حرصت على أن تضعه له فى فناجين القهوة . ويفاجأ الأخ الأكبر بذلك فيعمل على إنقاذ أخيه من تلك الهاوية ، ولم يجد وسيلة سوى اعترافه بتجارة المخدرات وإرشاد الشرطة عن عصابته ، فيقبض عليهم جميعاً بما فيهم الراقصة وبذلك يضمن إبعادها عن طريق أخيه .

أما عام ١٩٦١ فقد شهد فيلمين عن الإدمان ، الأول " لا تذكرينى " لمحمود ذو الفقار ، والثانى " بلا عودة " لريمون نصور . فى الفيلم الأول تنقل امرأة مسنة إلى المستشفى وهى فى غيبوبة . وتطلب طبيباً معيناً لعلاجها ، فهو زوجها السابق الذى خانته فطلقها . وتندمج فى حياة الثراء حتى تصبح ذات نفوذ ، لكن الصحافة كانت لها بالمرصاد لتهاجمها باستمرار وتندفع إلى الخمر والأفيون . وتتدهور

حالتها إلى أن ينتهى بها الأمر لبيع الحلوى . وتطلب من طليقها أن يأتى لها بابنتها لتراها وتموت دون أن تعرف الفتاة حقيقتها .

فى الفيلم الثانى تذهب عاملة فى محل أزياء بفستان جديد إلى العميلة لتسلمه لها . وكانت العميلة تقطن فى فيلا حفلت بأسباب اللهو ، وهى صديقة لرئيس عصابة لتهريب المخدرات . ويقع نظر رئيس العصابة على العاملة ، ويحاول التقرب منها ، ولكن بغير طائل . فيدس لها مخدر المورفين حتى تدمنه دون أن تشعر . ويكتشف البوليس أمر هذه العصابة . وبعد مطاردات عنيفة يتمكن ضابط البوليس من القبض على العصابة وإنقاذ الفتاة وعلاجها من المخدر الذى أدمنته .

والأفلام الثلاثة الأخيرة لا تعبر عن ظاهرة تجتاح المجتمع بقدر ما تعبر عن عنصر نمطى للإثارة الميلودرامية . ولذلك فإن فيلم " الكوكايين " الذى عالج توجو مزراحى انتشاره فى مطلع الثلاثينيات ، لم يجد له امتداداً فعلياً إلا فى عام ١٩٧٧ حين أخرج عاطف سالم فيلمه " وهكذا الأيام " ، وعندما أطلت ظاهرة الإدمان بوجهها الكئيب مرة اخرى ، وفى مختلف الطبقات ، وعلى نطاق أوسع ، إذ يبدو أن جسم المجتمع المصرى لم يعد يتمتع بنفس الحيوية والمناعة والحصانة التى كان يتمتع بها من قبل .

فى فيلم " هكذا الأيام " تصادق تهانى سلوى وهى فتاة سيئة السمعة ، فيثور عليها أخوها الأصغر عادل ويحاول قتلها ، فتهرب وتلجأ إلى سلوى التى تقنعها بالزواج من الثرى الدرديرى . ويستدل أخوها حسن على عنوانها . ويعترف له البواب أن زواجها من الدرديرى مزيف فيقتله حسن ويدخل السجن . وتختفى تهانى وتقع ضحية الإدمان وتسوء صحتها . وعندما تنتهى مدة عقوبة حسن ، يصمم على قتل تهانى ، لكنه يجدها فى حالة سيئة فيعطف عليها وتفارق الحياة وهى بين ذراعيه .

فى عام ١٩٨٣ أخرج يوسف فرنسيس فيلم " المدمن " الذى ينهار فيه خالد بعد أن تلقى زوجته وابنته مصرعهما . ويعالج بحقن المورفين لدرجة أن يدمنه . ويتولى الدكتور أحمد حليم وابنته الدكتورة ليلى علاجه حيث تربطهما صداقة قديمة . ويتم شفاؤه ، ويسافر إلى الإسكندرية وبصحبته ليلى حتى تتأكد من شفائه التام !! (أى أنها تركت عملها كطبيبة لكى تتفرغ تماما لعلاجه حتى الشفاء !!) . ويكتشف أبوها اختفاء زجاجة مخدر من المستشفى ، فتنهار ليلى لإحساسها بالفشل فى علاج خالد لشكها فى أنه استولى على المخدر وتثور عليه . وعندما يكتشف الدكتور أحمد براءة خالد ، يوضح لابنته الموقف ، وتعتذر لخالد ، ويبارك الأب زواجهما !! (نفس النهاية السعيدة المملة !!)

فى عام ١٩٨٥ أخرج على عبد الخالق فيلم " الكيف " الذى يفشل فيه الدكتور الكيماوى صلاح فى إبعاد أخيه جمال عن إدمان المخدرات . ويتمكن من تكوين تركيبة من مواد كيميائية بدلاً من الحشيش وتؤدى نفس وظيفته ولكن بدون أعراضه الأخرى . وتحوز التركيبة إعجاب مروجى المخدرات ، ويطلب المعلم البنط من جمال إمداده بطن مقابل مليون جنيه . وعندما تؤكد الأبحاث أن مادة التركيبة تسبب الإصابة بالسرطان ، ينهار صلاح ، فى حين يضطر جمال إلى أن يبوح بشخصية صاحب التركيبة بعد أن ينال ألواناً من العذاب الرهيب . ويهجم أعوان البنط على صلاح ويحقنونه بالمورفين ، ويرغمه البنط تحت تأثيرها على كتابة المكونات ، ويتم إنتاج الكمية المطلوبة .

فى عام ١٩٨٦ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " السكاكينى " ، كما أخرج فيلم " سكة الندامة " فى العام التالى ١٩٨٧ . فى الفيلم الأول يعمل سمير الطالب الجامعى فى منزل شوشو ليوفر نفقات دراسته . ويلتقى عندها ببسبوسة مدمنة المخدرات فيصمم على علاجها !! ويقترض من جاره المعلم جميل مبلغاً ويسلمه

إيصال أمانة به . ويؤجر لبسبوسة شقة وتتماثل للشفاء !! (من أين له بكل هذه الأموال وهو الذى يعمل فى بيت شوشو ليوفر دراسته ؟! أليست هناك نهاية لكل هذا التلفيق والافتعال ؟!) ثم ندخل فى موال آخر ليست له علاقة بما سبق ، إذ يهاجم شخصان سيارة عزب شقيق سمير ويسرقان المرتبات . ويندم سمير الذى يعترف لعزب أنه الجانى بالاشتراك مع جميل !! (كل هذا من أجل عيون بسبوسة !!) . ويذهبان ومعهما بسبوسة إلى مخزن جميل لاسترداد المبلغ وإعادته للشركة . ويتمكن جميل من إصابة سمير الذى يعترف لرجال الشرطة قبل أن يلفظ أنفاسه بجريمته مع جميل .

فى الفيلم الثانى " سكة الندامة " ترفض والدة مها إتمام زواجها على طارق المهندس المعمارى الشريف لأنه يرفض تحسين حالته المادية عن طريق الرشوة . وننتقل كالعادة إلى أحداث ومواقف ليست لها علاقة بما سبق فإذ بطارق المحترم يستسلم لحقن المورفين !!! فى حين تهرب فتاة الليل حميدة من القواد عزيز وتتوب وتلتقى بطارق ويتزوجان دون أن يعرف أحدهما حقيقة الآخر . ويتماثل طارق للشفاء ويفتح مكتباً هندسياً . ويحاول عزيز إعادة حميدة للعمل فترفض ، فيرسل لطارق صوراً فاضحة تكشف عن حقيقتها . فيعود إلى المورفين وينقل إلى المستشفى فى حالة خطيرة . وتبلغ حميدة شرطة الآداب عن وكر عزيز ، ويقبضون على الموجودين فى حالة تلبس . وتتحسن حالة طارق ويتسامح عن ماضى حميدة !!!

فى عام ١٩٨٧ أيضاً أخرج على عبد الخالق فيلم " الوحل " الذى يطارد فيه رجال الشرطة إحدى عصابات التهريب ، ويتمكن العقيد خالد من قتل عصام ، فيصمم أبوه رجل الأعمال ورئيس العصابة عصمت على الانتقام ، ويخطط مع أعوانه ميرفت ومراد على الإيقاع بزوجته فى براثن الإدمان . ويمدها مراد بالمخدر مقابل إفشاء أسرار زوجها ومعلومات عن تحركاته بحيث تفشل خططه

تماماً للقبض على العصابة . وتعترف برلنتى لزوجها بما حدث فينهار ولا يتخلى عنها . ويلقى عصمت مصرعه على أيدى أعوانه بعد أن يختلف معهم !! (فلابد أن ينال المجرم جزاءه بأية طريقة !!) وتدخل برلنتى المستشفى للعلاج .

فى عام ١٩٨٨ أخرج هنرى بركات فيلم " حالة تلبس " ، وأخرجت إيناس الدغيدى فيلم " زمن الممنوع " . فى الفيلم الأول تعمل غادة ضابطة شرطة فى حين يقع أخوها فريسة لأصدقاء السوء ويموت نتيجة تناوله جرعة كبيرة من الهيروين . تتوصل غادة لعقدة أحد أصدقائه ، وتقبض عليه وهو متلبس ومعه هيروين . ويتضح أنه ضمن عصابة تهريب مخدرات يتزعمها حازم وتشاركه زوجته بثينة وأخوها معروف اللذان يقومان بخطف أم غادة ليضغطا عليها لتغيير أقوالها ، فهما يخشيان من اعتراف عقدة .ويثور حازم عليها ويطلق زوجته ويصيبه معروف بطلق نارى ، وتتمكن غادة من مراقبة بثينة وتتوصل لمكان أمها وتنقذها ، ويتم القبض على أفراد العصابة .

فى الفيلم الثانى " زمن الممنوع " يرفض عاصم صاحب النفوذ زواج ابنته أميمة من زميلها هشام . وتنهار أميمة عندما تكتشف أن أباها يتاجر فى المخدرات ، وتستسلم للهيروين ، ويفشل هشام فى علاجها ، لكنه يتزوجها فيمنع أبوها عنها أى نقود كطريقة للعلاج . لكنها تغافله وتبيع أشياء وأجهزة كهربائية من المنزل لتتعاطى الهيروين . ويتم اعتقال هشام بصفته من الطلبة الثوريين ، وأثناء ترحيله بسيارة الشرطة يلمح أميمة التى أصابتها لوثة وتقوم برعى الأغنام ولا تتعرف عليه !!!

ثم شهد عام ١٩٩٠ ثلاثة أفلام " شبكة الموت " لنادر جلال ، و " تحت الصفر " لعادل عوض ، و " حلاوة الروح " لأحمد فؤاد درويش . فى الفيلم الأول تخطط أجهزة الأمن المصرية للقبض على بسيونى الذى يستقر فى اليونان ويتزعم عصابة لتهريب الهيروين إلى مصر . ويتوصل رئيس المباحث ربيع بتحرياته إلى

أن بسيونى كان على علاقة بنور التى تعانى من إدمان ابنتها هالة للهيروين ، فيطلب منها التعاون معهم وتسافر إلى اليونان حيث تدعى لبسيونى الذى يفاجأ بها أنها جاءت لعمل مشروع سياحى . ويتزوجان وتتمكن من تصوير مستندات هامة . وعندما يصطحبها إلى مصر ، تبوح له أن هالة ابنته هى نتيجة لعلاقتهما . وعند وصوله يلقى مصرعه على أيدى رجال مكافحة المخدرات .

فى الفيلم الثانى " تحت الصفر " يحقق سعد ثروة كبيرة من تجارة المخدرات ، فيصمم على تحطيم صديقه مصطفى لزواجه من رجاء التى يعجب بها . ويسافر مصطفى للعلاج بالخارج وعند عودته يتم القبض عليه لوجود هيروين فى حقيبته . ويلقى سعد مصرعه ويشهد قبل أن يلفظ أنفاسه ببراءة مصطفى .

فى الفيلم الثالث " حلاوة الروح " يلقى المسجونون السياسيون ألواناً من العذاب والهوان على يد الشاويش عباس ، وفى مقدمتهم الدكتور شوقى . ويبدأ عباس فى إدمان المخدرات ، فيتم استبعاده من وظيفته فتتدهور حالته ، وتستنجد زوجته نور بالدكتور شوقى دون أن تعلم أنه ضحية من ضحاياه ، ويحاول الاعتداء عليها انتقاما من زوجها !! إلا أن الجيران ينقذونها !

ثم شهد عام ١٩٩١ تياراً متدفقاً من أفلام الإدمان التى بلغت ستة أفلام : " المساطيل " لحسين كمال ، و " المزاج " لعلى عبد الخالق و " الكيت كات " لداود عبد السيد ، و " مراهقون ومراهقات " لأحمد يحيى ، و " بنت مشاغبة جداً " لأحمد السبعاوى ، و " الصعلوك والهانم " لناصر حسين .

فى فيلم " المساطيل " يربط الحب بين نادية وسمير الذى يرفض الزواج منها لفقرها وتتزوج بمن تكبره سناً حتى توفر له الحياة السهلة . وتضطر نادية للانحراف بعد أن تخسر وظيفتها وتتعرف على رفاق السوء

.وينضم سمير لسهراتهم محاولاً التودد لنادية لكنها تصده . يرغموه على تناول جرعة كبيرة من الهيروين تودى بحياته . وتعترف نادية لضابط المباحث أنها مع رفاقها قد تسببوا فى وفاته .

فى فيلم " المزاج " تصدم جميلة أحد المارة بسيارتها ويموت ويحكم عليها بالسجن لمدة عام ؛ حيث تسيطر أرواح تاجرة المخدرات على المسجونات . وتقوم ثناء شقيقة جميلة التى تعمل بالصحافة بفضح الحياة داخل السجن . لكن أرواح تتمكن من جذب جميلة إلى طريق الإدمان . وعندما تنتهى مدة عقوبتها تعالج فى إحدى المصحات . وتنجح أرواح فى الهرب من السجن ، فتقرر جميلة الانتقام منها ، وتذهب إليها وتجبرها على ابتلاع كمية من المخدرات ، فتفقد وعيها وترحل جميلة فى حين تحتدم معركة بين الشرطة وبين أعوان أرواح حتى تشتعل النار فى العوامة لتنتهى قصة أرواح .

فى فيلم " الكيت كات " يهوى الشيخ حسن الكفيف التلحين والطرب ويتحدى عاهته بأحلامه وخيالاته وإرادته القوية . ويبيع منزله الذى ورثه عن أبيه للمعلم هرم تاجر المخدرات مقابل نصيبه اليومى من الحشيش .

فى فيلم " مراهقون و مراهقات " تتزوج سهام من ثرى عجوز بعد أن تخلى عنها حبيبها وائل . وتعمل نوال فى بوتيك تملكه ريهام التى تعمل فى ترويج الهيروين . أما بديعة صديقتها فهى مصابة بالشلل ، ويستغلها زوجها المدمن صلاح فى الاحتيال على أصحاب السيارات وسرقتهم . وتحقد سهام على زميلتهم ماجدة الفتاة الثرية ، وتدبر مع نوال وريهام للإيقاع بها فى مصيدة الإدمان وينجحون . تموت ماجدة بعد تناولها جرعة كبيرة من الهيروين ، ويتم القبض على سهام ونوال وبديعة .

فى فيلم " بنت مشاغبة جداً " يدعى كمال لسحر التى يحبها أنه رجل أعمال لكنه يعمل مع عصابة أدهم لترويج الهيروين . ويخفى عمال مصنع الثلج بودرة الهيروين داخل ألواح الثلج الذى تمتلكه درية أم سحر . ويلفقون لها تهمة فتسجن وتموت من أثر الصدمة ، وتصمم سحر وأخوها مصطفى على كشف الحقيقة .

فى فيلم " الصعلوك والهانم " يعمل سيد فى ترويج الهيروين مع زميله عبد المنعم وصديقته سوزى ثم يقوم سيد بتوزيعها على سيدات المنازل كنوع من الكولونيا . وتثور أمه عليه بعد أن شكت فى مصدر نقوده وتطرده من المنزل . وينفصل عن زميله عبد المنعم ويعمل بمفرده مع سوزى . وتزداد حالة إحدى ضحاياهما سوءاً ، فيطلقها زوجها ، ويحرمها من ابنتها ، فتتعقب سيد وسوزى وتقتلهما انتقاما منهما !!

وشهد عام ١٩٩٢ فيلمين : " الحجر الداير " لمحمد راضى ، و " دماء على الأسفلت " لعاطف الطيب . فى الفيلم الأول يتزوج عادل من الثرية إجلال - برغم زواجه من عزيزة - وذلك لتحقيق حلمه ، وهى سيدة أعمال وتتاجر فى الهيروين . كما يتعرف عادل على شيرين الفتاة الثرية وابنة الحمزاوى رجل الأعمال المعروف . وتسقط شيرين فى دوامة الإدمان ، ويستغل عادل حبها له فيتزوجها أيضاً ، لكنها تنهار عندما تعرف أنه متزوج من امرأتين ، وتقبل بجنون على الهيروين ، فيعطيها عادل حقنة لكنها تموت بين يديه !!

وفى الفيلم " دماء على الأسفلت " يتهم الأب بسرقة ملف إحدى القضايا المهمة ، وتتدهور أحوال الأسرة ، فتتحول ابنته ولاء إلى فتاة هوى تتعاطى الهيروين . ولا تتصلح أحوال الأسرة حتى بعد أن تثبت براءة الأب .

وفى عام ١٩٩٣ أخرج علاء كريم فيلم " ٨٥ جنايات " الذى يحتوى على نفس التوليفة النمطية التى تجمع بين السجن والمطاردة والرشوة وترويج الهيروين والكسب الحرام والإثراء الفاحش . مما يدل على أن معظم الأفلام التى عالجت

قضية الإدمان والسموم البيضاء والمخدرات بصفة عامة ، لم تهتم بإلقاء الأضواء الفاحصة على الأسباب والدوافع السيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بقدر اهتمامها بالنتائج والمظاهر التى تحمل فى طياتها العناصر الميلودرامية النمطية . وبرغم أن عدد الأفلام التى تناولت هذه الظاهرة المرضية والمأسوية لم يكن كبيراً ، إلا أنها وقعت أسيرة النمطية أيضاً ، لأن التوليفة التى قدمتها الأفلام المبكرة فى هذا المجال غالباً ما تتحول إلى قوالب جاهزة لصب المضامين التالية فيها ، مع تنويع بسيط فى التفاصيل والتوابل . وهذا يدل على أن سلاح السينما المصرية الوحيد لتحطيم سطوة هذه العناصر النمطية ، يتمثل فى الدراسة العلمية والتحليلية لأبعاد القضايا والتيمات التى تتناولها أولاً ، ثم يأتى بعد ذلك دور الصياغة الفنية والدرامية بكل ما تنطوى عليه من عوامل الجذب الفكرى والإثارة الوجدانية .

* * * * *



الطوق والاسورة إخراج / خيرى بشارة سنة ١٩٨٦



الســـادة الرجـــال سنة ١٩٨٧



اغتيال مدرسة اخراج / اشرف فهمى سنة ١٩٨٨



زمن حاتم زهران سنة ١٩٨٧

الأحلام والرؤى والأشباح والشعوذة

كانت لعبة الأحلام والكوابيس والرؤى والأشباح والأرواح والسحر والشعوذة من اللعب المفضلة فى السينما المصرية ، خاصة فى أفلام الكوميديا أو أفلام الرعب أو الأفلام التى تمزج هذه العناصر لإحداث أكبر تأثير ممكن فى الجمهور . وإن كانت أفلام الرعب لا تعد نمطية فى السينما المصرية التى لا تتقنها وليس عندها شخصيات من أمثال دراكولا وفرانكنشيتن وذى اللحية الزرقاء أو القصور المهجورة أو الأماكن النائية التى تسكنها الأشباح والأرواح • فقد كان المزاج المصرى يميل لاستخدام هذه العناصر فى إحداث مفارقات كوميدية وفكاهية ومفاجآت غير متوقعة وأحياناً غير معقولة لكنها مقبولة من الجمهور ذى الشهية المفتوحة للضحك والمرح . ولذلك بدأت هذه العناصر التى أصبحت نمطية فيما بعد مع البدايات الأولى للسينما المصرية ، كنوع من الفانتازيا الخيالية التى تنطلق بالجمهور بعيداً عن قيود الواقع الروتينى المحدود ، وخاصة أن لدنيا تراثاً عريقاً من الجن والعفاريت والأساطير وألف ليلة وليلة ، جعلنا نميل إلى الاستمتاع بهذا المجال بصرف النظر عن مصداقيته الواقعية . فالعبرة هنا بالمصداقية الفنية والخيالية التى جعلت السينما الأمريكية نفسها مقبلة ومستغلة لهذا المجال منذ نشأتها حتى الآن .

وكان أول فيلم يستغل هذا العنصر النمطى هو فيلم " الساحر الصغير " الذى ألفه وأخرجه وقام ببطولته عام ١٩٣١ مخرج لم نسمع عنه بعد ذلك واسمه محمد خليل راشد . وكان الفيلم من تصوير الرائد الكبير محمد بيومى ، والموسيقى من وضع الموسيقار محمد عبد الوهاب . فى الفيلم يقوم الدكتور راشد وابنه مصطفى برحلة إلى الهند . وهناك تعرض ساحر هندى عجوز لمحاولة قتل ، وقام الدكتور وابنه بإنقاذه . ولكى يرد العجوز الجميل عرض عليه أن يعلم ابنه السحر بشرط ألا يستخدمه إلا فى مكافحة الشر . ويلتقى مصطفى ببهلول ويصادقه ، لكن بهلول يصادق راقصة ويشرب الخمر ويشم الكوكايين ، مما يؤدى به إلى مستشفى الأمراض العقلية . وبعد فترة يهرب بهلول من المستشفى ، وتحدث مطاردات بينه وبين الناس حتى يقع فى أيدى مطارديه ، لكن مصطفى بسحره الذى تعلمه من الهندى ينقذه بشرط ألا يشرب الخمر ويشم الكوكايين . وينطلق الصديقان مرة أخرى معاً فى طريق الخير .

فى عام ١٩٣٧ أخرج توجو مزراحى فيلم " الساعة سبعة " الذى يعمل فيه عثمان محصلاً فى أحد البنوك . ويضطر لشرب الخمر هرباً من كابوس حماته التى تنغص عليه حياته . وذات ليلة يفرط فى الشراب ، وينام ويحلم بعصابة تسطو عليه لسرقة ما فى عهدته من نقود ، ويوجه إليه اتهام السرقة أو التبديد ، فيهرب من البوليس وهو فى زى امرأة ٠ وينهال الناس عليه ضرباً . وفجأة يدق جرس المنبه حيث يستيقظ عثمان مذعوراً ليذهب إلى عمله فى البنك كعادته .

فى عام ١٩٣٨ أخرج أحمد بدر خان فيلم " شىء من لا شىء " الذى يريد فيه أحد السلاطين المماليك أن يزوج ابنة أخيه الأميرة نجمة من ولى عهده الأمير عنتر ، لكن الأميرة ترفض . ويثور السلطان ويحكم عليها أن تتزوج أسيراً شاباً هو هلال الذى يحبها برغم احتقارها له . وكانت هناك جماعة إرهابية تخطط للقضاء على الأمير عنتر فترسل أحد أعضائها لقتله ولكنه يفشل . وبمرور الوقت

تقع نجمة فى حب هلال ، وتعين سلطانة على وطنها ، وينتهى حبها بالزواج . وفى النهاية يتضح أن هذا لم يكن سوى حلم شاهده السلطان فى منامه .

كما أخرج أحمد بدر خان أيضاً فى عام ١٩٤١ فيلم " عاصفة على الريف " الذى يهاجم لأول مرة الدجل والشعوذة من خلال شخصية الدكتور أشرف الذى يعمل مفتش صحة فى الريف ، ويشكل خطراً يهدد مكاسب حلاق الصحة والعمدة والعطار ومن يمثلون الدجل والشعوذة فى القرية . ولم يتراجع الدكتور أشرف بل استخدم كافة الوسائل ، وفى النهاية ينتصر عليهم ، خاصة بعد أن خلص القرية من وباء الطاعون . وهى نفس الفكرة التى أقام عليها توفيق صالح فيلم " صراع الأبطال " عام ١٩٦٢ .

فى عام ١٩٤٤ أخرج يوسف وهبى فيلم " برلنتى " الذى يخبر فيه أحدهم المحامى سامى انه سيموت فى نفس الوقت الذى تموت فيه امرأة من نفس برجه العذراء ، فيفاجأ بأن صفات هذه المرأة تنطبق على نانا زوجة صديقه عادل ، لكن الشيء الظريف أن هذه النبوءة ليس لها أى تاثير على مسار الأحداث بعد ذلك ، وإنما تمر الشخصيات بالصراع التقليدى الزاخر بالمؤامرات والقتل .

وفى عام ١٩٤٤ أيضاً أخرج نيازى مصطفى فيلم " طاقية الإخفاء " الذى يعتقد فيه المعلم عباس السمكرى أن المال هو سر سعادة الإنسان . ويعثر على طاقية الإخفاء ، وينال المعلم كل ما يتمنى بها . لكنه يعرف الخيانة والغدر فيمن يحيطون به عندما يغتنى ، ولم يجد من يحبه بعد الطاقية وكانوا كثيرين قبلها ، فيمزق الطاقية ويعود إلى منزله وهو يحمد الله على سلامته .

فى عام ١٩٤٥ اخرج يوسف وهبى فيلم " سفير جنهم " المستوحى من رواية " فاوست " للأديب الألمانى جيته ، وفيه يعمل رجل تعيس ، يسمى رمضان، مدرساً ، ويصادف شحاذاً فيصرفه بالحسنى . فيبلغ الشحاذ مولاه سفير جهنم بعثوره على رمضان الذى يصلح صديقاً للشيطان ، إذ أنه تعيس وتشكو زوجته من

الأمـراض ، وابنتـه ناقمـة ، وابنـه مدمـن وصـديـق راقصـة . وينصحـه الشيـخ جـاد المولى بالصبر ، لكن الشيطان يسيطر على بيت رمضان ،ويظهر في شـكل كونـت أنيق ، ويعرض مليون جنيه إغراءً للزوجة ، والابن يحكم عليـه بـالإعدام ، والابنـة تتزوج من رجل عجوز ثرى ثم تدخـل مستشـفى الأمـراض العقليـة ، ويخسـر الأب أمواله . وتستيقظ الأسرة كلها من كابوس واحد !!!

فى عام ١٩٤٦ أخرج محمد عبد الجواد فيلم " عودة طاقيـة الإخفـاء " الـذى ترتبـط فيـه الزوجـة بصديـق شـرير يجمـع مالـه عـن طريـق الحـرام ، ويحـاول أن يفرض سلطته على ابنتها ، ويخطط ليزوجها من شاب مجـرم . ويقـف فـى طريقـه زوجها ، فيدبر له مكيدة إجرامية ليزج به فى السجن ٠ وعن طريق طاقية الإخفـاء ينتصر المظلوم ويحل البرىء محل المجرم فى السيطرة على الأمور

وشهد عام ١٩٤٧ ثلاثة أفلام : " كنز السعادة " لإبراهيـم لامـا ، و " السـتات عفاريت " لحسن الإمام ، و " عروسة البحر " لعباس كامل . فى الفيلـم الأول يوجـد رجلان : الأول نجد له زوجة وولدان ، والثانى صاحب قهوة له زوجة وابنة تحـب ابن المنجد ويحبها ويستخدم ابن المنجد عصا سحرية يسخر بها جنية لكى تحقق لـه كل مطالبه . وفى النهاية يتضح أنـه كان حلمـاً رآه الشـاب فـى منامـه . وفـى الفيلـم الثـانى يعيـش زوجـان حيـاة غير مستقرة لكثـرة النـزاع بينهمـا . وتمـوت الزوجـة فيتزوج الرجل من صديقة لها ، فيلاحقها شبح الزوجة ويسـبب لهـا القلـق . وأخيـراً تتركهما يعيشان فى أمان بعد أن تتأكد من حب وحنان الزوجة الأخـرى علـى ابنتها . وفى الفيلم الثالث يتمنى صياد أن يصبـح غنيـاً فيحلـم انـه اصطـاد عروسـة البحر التى بدموعهـا يمكن أن تحيل المعدن إلـى ذهـب ، ولكنـه يشـقى فـى حياتـه الجديدة إذ يضطر أن يقتل ويسجن وأخيراً يستيقظ من نومـه ويرضـى بحياتـه كصيـاد !! (وذلـك طبقـاً للمقولـة التـى اعتنقتهـا السـينما المصريـة طويـلاً وهـى أن التعاسة فى الغنى والسعادة فى الفقر) !!

وفى عام ١٩٤٨ أخرج حسين صدقى فيلم " القاتل " الذى يعترف فيه القتيل قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة أنه انتحر ، فيطلق عادل وكيل النيابة سراح الراقصة المتهمة بقتله . ثم يغفو عادل قليلاً فيرى أنه قتل عشيق الراقصة فى منزلها ، ويحاول إخفاء جريمته ، ويلتمس العدالة لكن أحد المجرمين يفضح أمره ويهدده فينتحر . وعند احتضاره يصله خبر موت هذا المجرم . ويستيقظ من حلمه على صوت الضابط طالباً تصريحاً بدفن جثة القتيل !!!

وشهد عام ١٩٤٩ فيلمين :" سر الأميرة " لنيازى مصطفى ، و"عفريتة هانم" لهنرى بركات . فى الفيلم الأول تهرب فتاة من الأقصر لتقع فى براثن منوم مغناطيسى ، يستغلها ليجمع ثروة عن طريق إيهام الناس بأنه يحضر روح أميرة فرعونية . ويطاردها ابن عمها الذى حاول قتلها من قبل ، فتقتله . وتحب شاباً يكشف سرها فيعمل على نجاتها ويتزوجها ويتصدى للمنوم ويمنعه من استغلالها . وفى الفيلم الثانى تنجح الراقصة علية فى إيقاع ميمى فى حبائلها . وبرغم أنها تحب المطرب عصفور ، فإنها تخطب لميمى بك ويتقابل عصفور مع رجل عجوز يدله على مصباح علاء الدين الذى يمنحه كل شيء من خلال عفريتة اسمها كهرمانة . لكن عصفور يفقد المصباح ، ويعود لسيرته الأولى ، ويبتسم له الحظ هذه المرة وتستجيب له علية .

وفى عام ١٩٥٠ أخرج يوسف شاهين أول أفلامه " بابا أمين " الذى يحلم فيه رب الأسرة بأنه مات فجأة ونزلت بأسرته النكبات والديون ، واضطرت زوجته لبيع أثاث المنزل . وتعمل ابنته راقصة فى ملهى . ويسعى خطيبها لإنقاذها من هذا المصير . ويفيق من حلمه ويسرع لصديقه الذى أخذ منه كل ما يملك لاستغلال ثروته فى مشروع خيالى ، ويسترد منه ما أخذه منه .

وفى عام ١٩٥١ أخرج أحمد خورشيد فيلم " السبع أفندى " الذى يضيق فيه السبع أفندى الموظف البسيط بإهانات رئيسه فى العمل وخاصة أنه قريب أيضاً

لشربات الفتاة التى يحبهـا . وعندمـا يتقدم لخطبتهـا ، يقـف فـى طريـق زواجهمـا . ويغفو السبع أفندى ليرى فى حلمه تحقيقاً لكل أمانيه ، فينتصر على رئيسه ويتغلب على عدوه . وفى النهاية يصحو ويتزوج بالفعل من شربات !!!

فى عام ١٩٥٣ أخرج عيسى كرامـة فيلم " حرام عليك " الذى يعمل فيـه إسماعيل وعبده فى محل لبيع الآثار ، ويحضران صندوقـاً بـه موميـاء . ويراقبهما رجل يدعى أنه عالم آثار وقادر على إحياء المومياء ، وأنه قرر أن يضع إسماعيل تحت سيطرته ليستخرج مخه ليضعه فى الموميـاء . ولا يتصدى لـه سوى خطيب ابنته الطبيب فيحدث صراع بينه وبين العـالم المدعـى فيسقط العـالم والموميـاء من علو شاهق يموت على أثره .

فى عام ١٩٥٤ أخـرج حسن الصيفـى فيلـم " عفريتـة إسماعيل يـس " الـذى يعمل فيه مغنى وراقصة فى كباريه ، ويتفق صاحبه مع مجرم علـى قتـل الراقصـة ليقبض قيمة التأمين على حياتها . ومن خلال أحداث هزليـة تظهـر روح الراقصـة للمغنى تطالبه بالكشف عن شخصية القاتل الذى يتم القبض عليه ، ولـذا تـترك روح الراقصة المغنى ويتزوج من الفتاة التى يحبها .

وشـهد عـام ١٩٥٥ ثلاثـة أفـلام : " موعـد مـع إبليـس " لكـامل التلمسـانى ، "عروسة المولد" و " تـار بـايت " لعبـاس كـامل . فـى الفيلـم الأول تتكـرر تيمـة فاوست الـذى بـاع نفسـه للشيطان فـى شـخصية طبيـب نـاقم علـى فقـره ، فيظهـر لـه الشيطان ويعقد معـه اتفـاق يمكنـه من التعرف على حالـة المرضـى حسـب شحوب وجوههم وينقذهم فـى اللحظـة الأخيرة . ويشـتهر ويـثرى ثـراءً فاحشـاً لكنـه يلاحظ شحوب وجـه وحيده الطفل وينقلـه إلـى المستشـفى لإجـراء عمليـة لـه . لكنـه ييـأس فيهـرع إلـى إبليـس يسـتنجد بـه لكنـه يتنكـر لـه . ويصـاب الطبيب بـالعمى فـى حيـن يشـفى ابنـه فـى اللحظـة التـى يخطـره فيهـا إبليـس بوفاتـه . عندئـذ يتنكـر اللـه فيختفـى إبليـس مـن حياتـه .

أما فيلم " عروسة المولد " فقد صنع منه عباس كامل فيلماً استعراضيا جميلاً وغير نمطى من خلال مجموعة من حلاوة المولد على أشكال عرايس وفرسان ، وتتمنى احداهمـا أن تدب فيها الحياة لترقص وتغنى وتستمتع بمباهج الحياة . وتذهل عندما يتحقق حلمها ، لكنها تذهل أكثر عندما تتابع ما يجرى أمامها من مأس زاخرة بصور النفاق والرياء والخيانة والغدر والحقد والاستغلال . وعندما لا تجد نفسها قادرة على أن تكيف نفسها مع هذه الحياة تلقى بنفسها فى صهريج الحلوى لتصهر من جديد .

فى فيلم " تار بايت " يعود عباس كامل إلى لعبة الحلم لكى يبرر فى نهاية الفيلم الأحداث غير المنطقية التى وردت فيه ، من صراع على قطعة أرض ، ومنع زيجة ، وإلصاق تهمة القتل بآخر ، وقيام كبير الرحيمة بقتل من اتهم بالقتل ، ويندم على فعلته ثم يفيق من حلمه لتسوية الخلاف مع شقيقه ويتم زواج الخطيبين .

وقد شهد عام ١٩٥٦ فيلمين لعاطف سالم :" معجزة السماء " و " صوت من الماضى " . فى الفيلم الأول يطمع موظف أن يقوم ببطولة استعراض غنائى . ويلتقى بفتاة يحبها ويتزوجها وينجب منها ويواصل حياته البسيطة لفشله فى تحقيق الشهرة والثروة ويصاب فى حادث ، وفى حالة الإغماء يحلم بذهابه إلى الإسكندرية ووقوعه فى غرام فتاة لكنه يقتلها ليله زفافها . ويفيق لنفسه منزعجاً ، ويعود لسابق حياته مع زوجته وأولاده . وفى الفيلم الثانى رأى صبى أمه الحبيبة إلى قلبه والمتوفاة فى حلم ، تخبره فيه بأنه سيقع له حادث تصادم لقطار يركبه لكنه سينجو منه ، وأن أخته ستموت فى ليلة زفافها إلى أحد الضابط ، كما أنه سيموت فى منتصف ليلة عيد ميلاده الخامس والعشرين !! ويكبر الفتى ويدخل كلية الطب . ويقع له الحادث الأول ، ثم يعلم أن أخته ستتزوج ضابطاً يحاول منعها لكن السيارة تنقلب بأخته وزوجها وتموت . ويحب زميلته فى الكلية ويتفقان على الزواج لكن الحلم لا يزال يطارده ، فيحاول أن ينهى حياته بيده لكن خطيبته تنقذ حياته فى

اللحظة الأخيرة فى ليلة عيد ميلاده ، ويعود إليه الأمل فى الحياة . وهى نفس التيمة التى عالجها محمد حسيب فى فيلم " الكف " عام ١٩٨٥ .

فى عام ١٩٥٨ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " ساحر النساء " الذى يخرج فيه سجين من سجنه ليستغل مقدرته على النصب والاحتيال على سيدات الطبقة الراقية بادعائه تحضير الأرواح ، واستغلاله لسيدة جاءت إليه طالبة من الأرواح شفاء زوجها من الشلل ، فيأخذ مالها ويسلبها شرفها وينتهى به الأمر بعودته إلى السجن مرة أخرى .

أما عام ١٩٥٩ فقد شهد أربعة أفلام :" سر طاقية الإخفاء " لنيازى مصطفى ، و " أم رتيبة " للسيد بدير وفيلمين لحسن رضا : " عفريت سمارة " و " المبروك " .

فى " سر طاقية الإخفاء " يدور الصراع النمطى على ملكية طاقية الإخفاء ، بين من يحاول أن يستخدمها فى الخير ومن يسرقها لأهداف شريرة ، لكنها تعود فى النهاية إلى أصحابها الخيريين . وفى " أم رتيبة " يتوهم شاب بأنه مريض بالقلب ، ويثق بقوة شقيقه على استحضار الأرواح لشفائه ، لكن حبيبته تزعزع ثقته بالأرواح وتتفق مع فتوة الحى ليشتبك معه فى معركة تؤكد له سلامة قلبه . وفى " عفريت سمارة " تظهر روح سمارة متجسدة أمام حبيبها ضابط البوليس الذى يعيش حزيناً عليها ، وترفض أن يتزوج من قريبة لأمه ، لأنها على علاقة بقضية المخدرات التى عهد بها إليه ، والتى ثبت له بعد ذلك صحة كلام روح سمارة عنها . وفى " المبروك " تعيش الأرملة بهيجة هانم وحدها ، وتسلم قيادها للدجالين . وعند أحد الأضرحة تقابل المحتال المبروك الذى يوهمها أن لها أعداء يكيدون لها . ويسيطر المبروك بعد ذلك على تفكيرها ، ويعتدى على ابنتها زينب ويحاول أن يلصق التهمة بابن عمها وحبيبها صابر . لكن أهل القرية يطاردون المبروك ويقبض عليه البوليس ويعترف بجريمته مع زينب .

وافتتح فطين عبد الوهاب عقد الستينيات بفيلم " الفانوس السحرى " عام ١٩٦٠ الذى يأمل فيه فراش فقير طيب القلب فى أن يصبح ثرياً ، ليتزوج من فتاة أحلامه ويتخلص من إيذاء مديره . ويعثر على الفانوس السحرى ، فيطلب من عفريت الفانوس مبلغ عشرة آلاف جنيه فيشترط عليه أن ينفق هذا المبلغ فى يومين . كما يطلب منه أن يحل محل المدير الذى يصبح بدوره فراشاً . لكن المدير يتمكن من سرقة الفانوس ويستخدمه فى إذلاله وإيذائه ، لكن الفراش يستطيع استعادته ويدور الصراع بينهما . أما الحل العقلانى فيفرض نفسه عندما يتقدم لمجلس إدارة الشركة بمشروع يحقق أمله فى الزواج من فتاة أحلامه .

وفى نفس العام (١٩٦٠) أخرج حسن الصيفى فيلم "إسماعيل يس فى السجن " الذى تتشل فيه محفظة حاجب محكمة فى أول الشهر فيجابه موقفاً حرجاً مع صاحب المنزل الذى يهدده بالطرد . ويغفو ويحلم أنه يرغب فى سداد ديونه ، فيأخذ أسورة زوجته ليرهنها لدى صاحب المنزل المرابى لكنه يموت فجأة بين يديه ، فيحمله إلى منزله ، كما تسرق خزانة صاحب المنزل ويقدم الحاجب للمحكمة . وتضطر زوجته إلى العمل كمطربة . ويحكم عليه بالإعدام . ويصحو من حلمه على صاحب المنزل يطالبه بالأجرة !! (ففى الحلم متسع لكل الأحداث المعقولة وغير المعقولة وربما تلك التى لا لزوم لها) !!

وشهد عام ١٩٦٢ ثلاثة أفلام :" جمعية قتل الزوجات " لحسن الصيفى ، و " القصر الملعون " لحسن رضا ، و " انسى الدنيا " لإلهامى حسن . فى الفيلم الأول تغير أم عبده على زوجها نوح غيره عمياء . وهى تؤمن بالسحر فتلجأ للشيخ عجايب لكى يسحر لزوجها ولا يجعله ينظر إلى غيرها ، وتجعله يقيم فى غرفة بينهما . ويزداد تبرم نوح بأحوال زوجته فيؤلف جمعية من الأزواج لتخليص أعضائها من زوجاتهن . تبلغ زوجته البوليس الذى يداهم المكان فيجد أنها جمعية وهمية . وفى الفيلم الثانى تتقمص نجية شخصية يسرية وتحاول قتل أبيها ، كما أن

شقيق فهمى التوأم يخرج من السجن فيحل محل شقيقته بعد أن يسجنه فى قاعة سرية بأسفل القصر ليقتله فى الوقت المناسب في جو كابوسي . وفى الفيلم الثالث يلتقى شاب فقير بساحر يخبره أن فى إمكانه أن يمنحه كنزاً فيفرح الشاب لأن كل أمله كان فى الفوز بفتاة أحلامه التى ينافسه فى حبها فكهانى الحى الذى يغرق الأسرة بهدايا كثيرة ، لكن لم يكن الشاب يتصور أن الكنز هو تسخير الجان للذين يلتقون بالفكهانى ويضربونه ويعذبونه حتى يتخلى عن الفتاة ، وهكذا يفوز الشاب بخطيبته ويزف إليها ، لكن ما يلبث أن يصحو من حلمه !

فى عام ١٩٦٣ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " عروس النيل " الذى يباشر فيه المهندس سامى عملية تنقيب عن البترول ، وعند الحفر تظهر له آخر عرائس النيل ، وتشرع الفتاة فى معاكسته وتوقعه فى ورطة شديدة لكنه يرتبط بها بعلاقة حب . وفى نهاية الفيلم تدخل صحفية تشبه عروس النيل تماماً لتجرى تحقيقاً صحفياً مع المهندس سامى الذى يذهل عندما يراها .

كما اخرج فطين عبد الوهاب فى عام ١٩٦٤ فيلم " اعترافات زوج " الذى يدور حول حلم غرامى يمر به الزوج فتتصور الزوجة أنه حقيقة . وتتولد المواقف الحرجة الزاخرة بالشك وسوء التفاهم ، لكن الأمور تعود إلى طبيعتها فى النهاية .

فى عام ١٩٦٥ أخرج محمود فريد فيلم " العقلاء الثلاثة " الذى يعانى فيه أمين صاحب محلات تجارية من أحلام مزعجة يرى فيها جمعياً نفس الشاب ويفاجأ أمين بصلاح الشاب الذى يشبه الشاب الذى يظهر له فى الحلم ، يطلب منه عملاً ، فيوافق تحت إلحاح ابنته سامية التى وقعت فى حبه ويتفقان على الزواج ، لكن أباها يرفض ويطرده . ثم تعود الأحلام للأب فيرى صلاح وهو يخطف منه زوجته . ويتردد الأب على الطبيب النفسانى الذى لا يرى أى علاج له سوى فى موافقته على زواج ابنته من صلاح .

فـي عـام ١٩٦٩ أخـرج إبراهيم عمـارة فيلـم " مـن أجـل حفنـة أولاد " الـذى يتزوج فيه المدرس مرة ثانية لعله يستطيع أن ينجب ، فيفاجـأ بـأن زوجتـه الأولـى حـامل وكذلك الثانيـة . ونظـراً لظروفـه الماديـة الصعبـة ، توافـق الزوجتـان علـى الإقامة فى منزل واحد ، وتلد كل زوجة عدداً من الأطفـال لتنقلب حيـاة حسـن إلـى جحيم . ويكتشف حسن أن كل هذا ليس سوء كابوس رآه فى منامه !!

فى عام ١٩٧١ أخرج كمال عطية فيلم " البعض يعيش مرتيـن " ولـم يتـذرع فيه بالحلم أو السحر أو الشعوذة ، وإنما يلعب لعبة الفنتازيا بصراحة ووضوح علـى أساس أن الفن ليس صورة مطابقة للحياة ، ولا يقول ما تقوله الحياة ، وإنما يضيـف إليها رؤية جديدة ، ويعيد صياغتهـا نحـو الأفضـل فمثـلاً يمـوت الأب مـن الصدمـة لتفكك أسـرته وانهيارهـا ، لكنهم يفاجـأون باختفـاء جثتـه ، ثـم يكتشـفون أن روحـه تتجسد فى الجعران الملكـى الـذى اكتشـفه بحكـم عملـه كعـالم آثـار . وينجـح طـوال أربعين يوماً فى تقويم أولاده ، ثم تفارقه روحه إلى الأبد .

فى عام ١٩٧٢ أخرج محمـود ذو الفقـار " بـرج العـذراء " الـذى تعـانى فيـه إلهام من إيمان زوجها فهمى بالمنجمين ، فتخطط مع نانا على إبعاده عن طريقهم ، وتدعيان له أن منجماً تنبأ لنانا أنها سوف تموت وهـى حـامل ، وأنـه سـوف يمـوت وتتزوج إلهام من بعده . وتدعى نانا كذباً أنها حامل ويعيش فهمى فـى حالـة نفسـية سيئة ، فيكشفان له الحقيقة ، وأخيراً يكف عن التردد عليهم .

فى عام ١٩٧٣ أخرج يحيى العلمى فيلم " المرأة التى غلبت الشيطان " الـذى يعتبر تنويعة أخرى على تيمة فاوست مـن خـلال شـخصية شـفيقة التـى تعـانى مـن سخرية الناس وقسوتهم عليها لدمامتها . ثم يظهر لها أدهم حفيد إبليس ويعقـد معهـا صفقة إذ يلبى كـل مطالبهـا مقـابل أن تسـلمه روحهـا بعـد عشـر سـنوات . وبـالفعل تتحول إلى مليونيرة ، وتبدأ سلسلة انتقامها من كل من أسـاء إليهـا ، إلا أنهـا تنهـار وتسلم روحها وهى بين يدى الله أثناء الحج .

فى عام ١٩٧٦ أخرج حسن الصيفى فيلم " ممنوع فى ليلة الدخلة " الذى تعترض فيه ظريفة على زواج ابنتهما منى من تحسين ، فهى تريد لها زوجاً ثرياً لكن أباها يبارك الزيجة . وتموت ظريفة ويتفق عاشور مع زوبة التى يحبها على موعد لزواجهما . وتظهر روح ظريفة للأربعة وتهددهم بعدم إتمام الزواج . يحتارون فيذهبون إلى أحد محضرى الأرواح الذى ينصحهم بظهور شخصية أخرى كانت تخشى منها ظريفة • ويقع اختيار عاشور على أمه حفيظة ، وبالفعل تسلمها حفيظة إلى بوليس الآخرة ويتزوج .

فى عام ١٩٧٨ اخرج أنور الشناوى فيلم " الاعتراف الأخير " الذى تموت فيه درية فى حادث سيارة فيظل زوجها وفياً لذكراها . ثم يلتقى بسميرة زميلته فى الجامعة وتعترف له أنها أحبته فى صمت ، وتخبره أن درية كانت زوجة خائنة وتقدم له الدليل على أنه لا جدوى من حزنه . وتتركه سميرة فيفاجأ أن مكان لقاءه بها ليس سوى المقابر ، وان التى قابلها ليست سوى شبح سميرة التى ماتت ، ويقرأ اسمها وتاريخ وفاتها على أحد المقابر .

فى عام ١٩٧٩ أخرج يحيى العلمى فيلم " خطيئة ملاك " الذى ينزل فيه الملاك طومار ليعيش بين البشر ، ويلتقى بالساحر سليمان الذى يكتشف أن لطومار عيناً سحرية فيقنعه بالعمل معه . ويطمع سليمان فى ياسمين شقيقة زوجته ويغتصبها . ويستغل سليمان أصابع طومار التى بلا بصمات فى سرقة خزينة الفندق الذى يعمل به ، لكنه يفشل لمراقبة رجال الشرطة له . تقوم ياسمين بقتل سليمان بعد أن تضيق به ويتم القبض عليها • ويعود طومار إلى عالم الملائكة !!

فى عام ١٩٨٤ أخرج نيازى مصطفى فيلم " فتوة الناس الغلابة " الذى يمتلك فيه كامل مكتبة لبيع الكتب القديمة حيث يعثر على قلادة داخل كتاب ، وتجعله يختفى عن الأنظار عندما يرتديها ، بل وتحقق مطالب حاملها ، لكن مفعولها يبطل إذا أخبر مكتشفها أحد بذلك . ويحقق كامل بعض متطلبات أسرته . لكن ابنه الفاسد

سمير يكتشف سر القلادة ويسرق بها أحد البنوك ، فيعترف كامل بسر القلادة للشرطة ويتم القبض على سمير .

فى عام ١٩٨٥ ظهرت أربعة أفلام من هذه النوعية : اثنان منها لمحمد حسيب : " الكف " و " استغاثة من العالم الآخر " ، و واحد لمحمد راضى " الإنس والجن " ، والرابع ليس إسماعيل يس " بصمات فوق الماء " .

فى فيلم " الكف " يتنبأ الزغبى العراف البارع من قراءة كف المستشار مختار أنه سيرزق بثلاثة أبناء وسيموتون ليلة زواجهم . وبالفعل يلقى ابنه حسام مصرعه برصاصة طائشة ليلة زفافه ، والثانى شهاب يلقى مصرعه مع عروسه بعد الزفاف بسيارتهما . ويصل عمر الابن الثالث من هولندا ليتزوج من إيناس ، وترضخ العائلتان أمام إصرارهما ، ويتم الزواج ويسافران إلى هولندا ، لكن الطائرة تحترق على أرض المطار ، لكنهما لا يموتان ويعالجان من إصابتهما .

فى فيلم " استغاثة من العالم الآخر " تتمتع تهانى بقدرة على الاتصال بأشخاص من العالم الآخر ، وتحلم بالدكتور النفسانى الراحل عدلى الذى يخبرها بوجود مفتاح آخر لخزانة منزله ، لكن أرملته سوسن تأخذ المفتاح . ويتضح أنها قتلت عدلى بمعاونة شريكها أبو العلا . وتفاجأ أن عدلى أوصى بثروته كلها لطفلته هبة فى حين يتمكن المحامى صفوت خطيب تهانى من العثور على مستند مهم يدين سوسن التى تخطف تهانى وتهدده بقتلها ليعيده إليها ، إلا أنها وشريكها يقعان فى قبضة العدالة .

فى فيلم " الإنس والجن " تعود فاطمة من أمريكا بعد أن تحصل على الدكتوراة ، وتتقابل فى الطائرة مع جلال الذى يخبرها أنه خبير سياحى . ثم تفاجأ بجلال فى غرفتها يحذرها من الزواج من الدكتور أسامة ، لأنه ينوى الزواج بها برغم أنه من الجن ، بل ويهددها بقتل أسامة . وتنهار فاطمة وتحاول الانتحار ، لكن أسامة ينقذها بتلاوة بعض الآيات القرآنية فيختفى جلال نهائياً من حياتها وتتزوج أسامة .

فى فيلم " بصمات فوق الماء " يستولى رمزى على ميراث أخته التى حرمها منه أبوها لزواجها من الكلاف سويلم ، فتنتحر حرقاً . ويظهر خيال لشخص بمنزل رمزى يثير رعبهم . وتصل الأحداث إلى ذروتها عندما تظهر بسيمة وتهم بقتل رمزى لكنها تقع من النافذة ، وتعترف له قبل أن تلفظ أنفاسها أنها سرقت الجثة ثم أخذت تبث الرعب فيهم .

فى عام ١٩٨٦ أخرج أحمد ياسين فيلم " دقة زار " الذى يقرر فيه أبو الريش الزواج من معزوزة التى أكدت لها الدجالة توحيدة أنها محرم عليها الزواج من عالم الإنس ، أما أبو الريش فهو الجن سلطان . وينجح مسعود حبيب معزوزة فى إقناعها بخرافات توحيدة ، ويتفقان على الزواج ، إلا أنه يلقى مصرعه بأمر من توحيدة . ويعترف القاتل بجريمته وتقع توحيدة فى شر أعمالها .

وشهد عام ١٩٨٧ ثلاثة أفلام " الأونطجية " لسيد طنطاوى ، و " البيت الملعون " لأحمد الخطيب ، و " التعويذة " لمحمد شبل .

فى " الأونطجية " ترفض عايدة زواج ابنها هشام من زوبة للفارق الاجتماعى بينهما ، ولكى يرتبط بابنة خالته ثناء . وتلجأ للمشعوذ حنجل وشريكته بسيمة لعمل سحر للتفريق بين الحبيبين . لكن يتعاطف حنجل وبسيمة معهما ويرسمان خطة لهشام ليكشف حقيقة أمه التى تدعى الجنون لتضغط عليه . ويأتى بالمأذون ليعقد قرانه على زوبة فتثور عايدة ويتأكد هشام من ادعائها وترضخ لرغبة ابنها وتبارك زواجه من زوبة .

فى فيلم " البيت الملعون " تعانى مديحة من ظهور أشياء غريبة تطاردها ، فتصارحها عمتها بأن أمها ماتت مقتولة (وكأنه يفترض فى ابنتها ألا تعرف !!) . ويتهم الأب بقتلها وعندما يفشل فى إثبات براءته يصاب بالجنون وينتحر . ويقوم الطبيب النفسانى صلاح بعلاجها ، إلا أن الزوجين يشكان فى تصرفاته . ويتضح أن صلاح هو قاتل سعاد التى كان يحبها ، ثم يقوم بمطاردة مديحة للنيل منها لكن شريف يصل ويقتله بالرصاص !!!

فى فيلم " التعويذة " يفشل سالم صاحب المنزل فى إقناع محمود وأسرته بترك الشقة . فيلجأ لأعمال السحر والشعوذة ليخيفهم . وتنهار أخته بعد أن يسلط سالم أعماله السحرية عليها . ويفشل محمود مع مفتش المباحث عاطف خطيب نادية فى تفسير هذه الظواهر . لكن تردد الأم آيات قرآنية بالمنزل وتنجح فى طرد الأرواح الشريرة نهائياً .

فى عام ١٩٨٨ أخرج أحمد ياسين فيلم " أصدقاء الشيطان " كما أخرج يس إسماعيل يس فيلم " عاد لينتقم " . فى الفيلم الأول يخشى جلال من الموت ، ويلجأ للعراف الساحر شاور يطالبه بالخلود ، فيطلب منه أن يختفى فى مكان منعزل لمدة شهور ويبيع روحه للجن !! ويعود جلال بشخصية مختلفة ويغرق فى الخطيئة ، ويقرر الزواج من ابنة المأمور طمعاً فى مزيد من السلطة . ويقرر الجميع التخلص منه مستغلين زينات التى تحرقها الغيرة لزواجه من أخرى ، وتضع له السم فى مشروبه ليموت وتنهار .

وفى الفيلم الثانى " عاد لينتقم " يؤجر الدكتور هاشم قصراً من نجلاء صديقة أخته . وتتراءى له أشياء مخيفة بالقصر ، ويتوصل مع نجلاء إلى مقتل الطفل جمال ابن أسرة كانت ساكنة للقصر ، على يد زوج أمه ودفنه فى الحديقة . ويستعينون بأحد العلماء الروحانيين لتحضير روح الطفل ويكتشفون انتحال جمال شوكت لاسم الطفل مستغلاً قرابته به وعدم معرفة أحد بمصرعه . ويتمكن من الاستيلاء على ثروة وممتلكات الطفل . ويواجهه هاشم بحقيقته وجريمته فينهار ويموت من الصدمة .

فى عام ١٩٨٩ أخرج محمد شبل فيلم " الكابوس " الذى تعانى فيه ميرفت من كابوس يومى يخطفها فيه بعض الأشخاص ويقيدونها فى مخزن قصر مهجور . وتلمح فى الكابوس عمها صفوت . وعندما تهتدى ميرفت مع خطيبها يحيى إلى مكان القصر ، تفاجأ أنه قصر عمها المتوفى . وتذهب معه وكذلك أخوها حمدى

ليفتحا لها باب القصر حتى تهرب منه فى الكابوس . وبالفعل تهرب بعد أن تقتل شخصاً ما فى الحلم . وعندما تعتقد ميرفت أنها قد تخلصت من الكابوس ، تفاجأ بعمها صفوت الذى يتعقبها فى الواقع فتحاول الهرب منه .

فى عام ١٩٩٠ أخرج على عبد الخالق فيلم " البيضة والحجر " الذى يؤجر فيه مستطاع مدرس الفلسفة حجرة فى أحد المنازل ، فيعتقد السكان أنه على صلة بعالم الجن مثل ساكنها القديم . وينجح بلباقته فى التوفيق بين زوجين تتكرر خلافتهما . ويتبارك به أهل الحى ، فيستغل ذلك فى أمور الشعوذة التى يتعلمها ويتقنها . وتتسع دائرة تعامله ويثرى ثراءً كبيراً . لكنه يضيق بتصرفاته فيسلم نفسه لرجال الشرطة ويطالب بمحاكمته !!!فيفرجون عنه لكنهم يضعونه تحت المراقبة .

وفى عام ١٩٩٣ أخرج محمد خان فيلم " الغرقانة " الذى تدور أحداثه فى قرية الغرقانة حيث يضفى حجاب خادم الضريح على أهل القرية الكرامات . ويتزوج من وردة بعد أن يقنع أمها بأن الجن يلبسها ، ولا حل لها إلا بالزواج منها طبقاً لأمر سيده صاحب الضريح . وتلد وردة طفلها مبروك الذى لا يتكلم ولا ينمو . ويصل إلى القرية سعد الذى يلتقى بوردة ويجعل منها راقصة ، ويوافق الزوج عندما يغرقهما سعد فى المال ، لكن مبروك يغرق ، ويلتف أهل القرية ليغرقوا وردة فى البحر .

وهكذا كانت الخرافات عنصراً نمطياً رئيسياً فى مضامين أفلام عديدة ، لكن قليلين من الكتاب والمخرجين هم الذين أدركوا أن المنبع الرئيسى لهذه الخرافات يكمن فى التراث الشعبى والفولكلورى المتناقل عبر الأجيال ، ولذلك توغلوا فيه واستخرجوا منه دلالات ثقافية وفكرية وسلوكية متعددة تفرض نفسها على الواقع المعاش بالفعل . أما فيما عدا هؤلاء فقد استخدمت الخرافات كنوع من المفارقة الكوميدية أو الإثارة الميلودرامية ، وبرغم نمطيتها إلى حد كبير فإنها كانت من التوابل السينمائية التى لم تفقد جدتها وجاذبيتها للجمهور .


السقا مات سنة ١٩٧٧


الجوازة دى مش لازم تتم سنة ١٩٨٨



قفص الحريـــم   سنة ١٩٨٦



أرض الأحـــلام   إخـراج / داود عبد السـيد   سنة ١٩٩٣

الفصل الحادى عشر

الصدف والمفاجآت والوصايا

نظراً لأن الهدف الاستراتيجى لأفلام مصرية كثيرة كان التسلية ، أكثر من الاهتمام بالقضايا الفكرية والاجتماعية والثقافية التى قد يصعب على المتفرج العادى أن يستوعبها ، فإن اللجوء إلى افتعال الصدف والمفاجآت غير المبررة والوصايا واليانصيب والثروة المفاجئة التى تهبط على رأس الشخصيات من حيث لا تعلم ، كان من العناصر النمطية المفضلة عند الكتاب والمخرجين وأصبحت مفضلة بدورها عند الجمهور بحكم تعوده عليها ، وبحكم المفاجآت المثيرة وغير المتوقعة التى تنطوى عليها ، وبحكم تحولها إلى ما يشبه حلم اليقظة الذى يتمنى الجمهور - ولو على مستوى اللا شعور - أن يشارك الأبطال فيها . فهى صورة شبه واقعية للتحولات الأسطورية والفولكلورية التى تبلورت فى أفلام أخرى أو أحلام أخرى فى مصباح علاء الدين وخاتم سليمان وطاقية الإخفاء وكل ما من شأنه الإتيان بالخوارق والعجائب التى تضيف التوابل الحريفة إلى المذاق الرتيب للحياة العادية والذى كثيراً ما يصبح بلا طعم على الإطلاق ، خاصة عندما يشعر الإنسان بعجزه عن تحقيق ما يتمناه وما يحلم به . فإذا كانت ظروف الحياة عاجزة أو معوقة لتحقيقه فليتحقق على الشاشة . ففى الحلم والخيال بل والرؤية العينية للفيلم تعويض عن هذا العجز بطريقة أو بأخرى ، وفيه متسع للجميع .

فى عام ١٩٣٠ أخرج محمد صبرى فيلم " جناية نص الليل " الذى تلعب فيه الوصية دوراً جوهرياً من خلال شخصية أمينة التى تحب فخرى فى حين يطمع أحمد الذى تكرهه فى ثروتها ، لكن أمها تتفق مع أحمد على أن تتضمن وصيتها أن ترث ابنتها كل ممتلكاتها إذا قبلت الزواج من أحمد الذى يقتل الأم معتقداً أن جريمته لن تنكشف ، ويطالب أمينة بتنفيذ الوصية إذا كانت تريد أن ترث أمها . لكن البوليس يتوصل إلى الحقيقة ويقبض على أحمد وتتزوج أمينة من حبيبها فخرى . ومن الواضح أن هذه التوليفة تحولت إلى عنصر نمطى استمر فى الأفلام حتى الآن .

وفى عام ١٩٣٥ اشترك كل من شكرى ماضى وفوزى الجزايرلى فى إخراج وتأليف فيلم " المعلم بحبح " الذى يدور حول بائع لبن هو المعلم بحبح الذى يترك هذا العمل ليعمل كمسارياً ، وينقذ أحد الركاب فيعطيه ورقة يا نصيب مكافأة له يخفيها فى برواز صورة مطرب . وعندما تربح الورقة ، يبحث عنها فلا يجدها لأنه نسى أين خبأها !! يفصل من عمله ، ويعمل فى مقهى لكنه يطرد منه . ثم يعمل فى ستديو سينمائى وفيه يعثر على الصورة التى أخفى فيها ورقة اليانصيب . ويتبرع بجزء من الجائزة لعمل خيرى وبجزء آخر لإنشاء مصنع للألبان . وبرغم سذاجة القصة وأحداثها الملفقة ، إلا أن هذا الفيلم يعد أول فيلم حدد العناصر النمطية للعبة ورقة اليانصيب التى تقلب حياة الشخصيات من حال إلى حال عبر مفاجآت مثيرة وغير متوقعة . وهى اللعبة التى مازال جمهور السينما يقبل عليها حتى الآن .

فى عام ١٩٣٦ أخرج ماريو فولبى فيلم " ملكة المسارح " الذى قامت ببطولته بديعة مصابنى . ففى الفيلم بعد ثلاث سنوات على غياب الزوج ، يتقدم شخص إلى بديعة يدعى عشم ، ومعه وصية من الزوج يوصى فيها بمبلغ كبير ، نصفها لعشم والنصف الآخر لبديعة ، بشرط أن يتزوج عشم منها ، وإذا خان أحد

الزوجين الآخر ، يسقط حقه في الوصية . ويغرى المال بديعة فتتزوج عشم ، ويغرى المال عشم فيحاول أن يوقع بديعة فى الخيانة ليصبح المال لـه كله ، إلا أن بديعة تنتصر عليه فى النهاية ، كما انتصرت من قبل فـى عالم المسرح فأصبحت ملكة المسارح .

وفى نفس العام (١٩٣٦) ألف توجو مزراحى وأخرج فيلم " ١٠٠ ألف جنيه " الذى يموت فيه ثرى يوصى بان توزع ثروته الكبيرة إما بين سورى أو عم عثمان بشرط أن الأعزب منهما يتزوج فتاة جميلة صغيرة فى مدة خمسة عشر يوماً من وفاة المورث !! (برغم أن الوصايا لا يمكن أن تحتوى على هذا الهزل أو التهريج أبداً ، لكن من أجل المفارقات الهزلية كل شى يهون) المهم أن السورى متزوج من امرأة جميلة ، لكن عثمان غير متزوج .. فيدعى السورى أنه أعزب ، ويتصاعد الصراع بينهما حتى ينكشف الأمر ويرث عم عثمان الثروة كلها ، ويتزوج من فتاة يحبها !!

وفى عام ١٩٣٧ أخرج توجو مزراحى أيضاً فيلم " العز بهدلة " الذى تربط فيه الصداقة بين شالوم بائع اليانصيب وعبده صبى الجزار . و يتمكن شالوم من شراء بعض الأسهم التى يرتفع ثمنها فيصبح مليونيراً ويشاركه فى أعماله صديقه عبده ، إلا أنهما يتعرضان لأحداث يفقدان خلالها الثروة ويعودان لحياتهما السابقة . وعنوان الفيلم يحمل فى طياته عنصراً نمطياً أصبح مزمناً بمرور الأيام ، وهو أن الثروة هم وغم وضيق وتعاسة ، أما الفقر فهو راحة البال والسعادة والانشراح بلا حدود . ولذلك فإن الثراء عندما يحل بالإنسان فكأنه دخل به إلى الجحيم ، وعندما تزول الثروة فإنه يعود مرة أخرى إلى جنة الفقر ، فيرقص ويغنى ويشاركه الآخرون نشوته !!وهو ما تكرر فى أفلام كثيرة بعد ذلك .

فى عام ١٩٤٢ أخرج هنرى بركات فيلم " لو كنت غنى " الذى يؤكد فيه نفس تيمة الفيلم السابق ، جنة الفقر وجحيم الثروة . فالأوسطى محروس حلاق

بسيط يحلم بالثراء ، وفجأة يتحقق أمله ، فيفقد توازنـه تماماً هو وعائلتـه ، وينتقل بأسرته إلى فيلاً فاخرة ، وتجذبـه أضـواء الكباريهات ، ويبدد مالـه ويهمل بيتـه ، ويسرق صـهره أموالـه ، وتهجره زوجتـه ، وينحرف ابنـه . وعندمـا يفقد ثروتـه ويقرر أن يعود حلاقاً كما كان ، تعود إليه زوجته لتقف بجانبه !!!

وشهد عام ١٩٤٤ فيلمين :" مـن الجـانى ؟ " لأحمد بـدر خـان ، و " ابنتـى " لنيازى مصطفى . فى الفيلـم الأول يوصـى الثرى منصـور باشـا بأملاكـه لولديـه : عمر الذى يخلفه فى تجارة العطارة ، وعثمان أحد قضاة المحـاكم ، علـى أن تـؤول الثروة من بعدهما إلى ورثتهما من الذكور دون الإناث . وتعلن وصيتـه بعد وفاتـه وتتسبب الثروة فى إصابة الأسرة بالشرور التى تكاد تقضى عليها لولا أنها أدركت بشاعة مصيرها واستعادت توازنها . والسؤال الذى ينطوى عليه عنوان الفيلـم ليس فـى حاجـة إلـى إجابـة : فالجـانى هو الثروة ، وليس غبـاء وتفاهـة وجهـل الذيـن استخدموها !!! وكذلك فى الفيلم الثانى " ابنتى " يبدد الـزوج ثروتـه علـى عشـيقته ، بل يضبط وهو يقوم بالسرقة ويتم القبض عليه لأنه ضحية الثروة !!!

فى عام ١٩٤٥ اخرج فؤاد الجزايرلـى فيلـم " الحـظ السـعيد " وبطلـه يسـمى سعيد برغم أنه عاطل وسيئ الحظ . يلتقى بالفتاة سـمية التـى يتمنـى أن يتزوجهـا ، لكن أباها يرفض الفكرة . ولا تحل مشكلة سعيد إلا بموت عمه الذى يترك له ثـروة طائلة ، لكن يتضح أنه ليس الوارث الوحيد ، بل هناك زوجة وطفلة ، لكن سمية لا يهمها المال وتصر على زواجها من سعيد بعد أن انتفت حجة أبيها .

أما عام ١٩٤٦ فقد شـهد ثلاثـة أفـلام : " رجـل المسـتقبل " لأحمـد سـالم ، و "الخير والشر" لحسن حلمى ، و " تجف " لكامل حفناوى . فى الفيلم الأول الذى ألفه أحمد سالم أيضاً ، يرث الشاب كامل ثروة كبيرة تنقله من حياة الفقر إلى حياة الغنى والـترف . وتجد الصحفيـة سـهير فـى هذا التحـول المصـيرى مـادة خصبـة للتهكـم والسخرية من هذا المليونير العبيـط الـذى لا يعـرف مـاذا يفعـل بثروتـه ! ويسـتغل

قريب لـه هذه المقـالات ويطـالب بـالحجر عليـه . لكـن سـهير تسـانده بحيث تحكـم المحكمة بأنه فى حالة عقلية سليمة . ثم تقع فى حبه وتستقيل من عملهـا ويتزوجـان ويستعد كامل لتنفيذ خطته لتحسين حال العمال وإسعادهم .

فى الفيلم الثانى " الخير والشر " يوصى الوالد بكل ثروته لابنه الكبير ويحرم منها الأخ الأصغر بسبب عشقه للموسيقى والغنـاء ، والـذى يهجر المـنزل ويسـعى لتكوين مستقبله فى حين ينفق الأخ الأكبر ميراثه فـى الحفـلات والسكر والعربـدة . ويصاب فى حادث فيزوره شقيقه الأصغر ، ممـا يجعلـه يعـود إلـى صوابـه . وفـى الفيلم الثالث " نجف " يربح حامد ورقة يانصيب بمبلغ كبير ، فتظهر فى حياته نـاهد التى تطمع فى ثروته فتوقعه فى حبائلها ، لدرجة أنـه يطلـق نجـف ويـتزوج نـاهد . وترتبك أحوال حـامد ويثقل كاهله بالديون ، فتتخلى عنـه نـاهد ، ويقتلهـا مـع عشيقها . ويدخل السجن فى حين تعمـل نجـف فـى حياكـة الملابـس ثـم ممرضـة . وعندما يخرج حامد من سجنه ، يستعطف نجف التى تقبله من أجل مستقبل الأبناء .

كما شهد عام ١٩٤٧ ثلاثة أفلام :" البريمو " لكـامل التلمسـانى ، و " صبـاح الخير " لحسين فوزى ، و " عدو المجتمع " لإبراهيم عمارة ٠ فى الفيلم الأول يقـع ثرى فى ضائقة مالية ، فى حين يكسب خادمه البريمو فى ورقة اليانصيب ، فيخفـى المبلغ فى مكان ما وهو مخمور بحيث ينسى أين وضعه عندما يفيق . وتقع مطربـة فى حبه على أنه الثرى لا الخادم ، فى حين تتدهور أحوال الثرى ويحجـز الدائنـون عليه . وفى هذه اللحظة يعثر الخادم على المال ويقبل أن يسدد ديون سيده .

وفى الفيلم الثانى " صباح الخير " تلعب الصدفة دوراً أساسياً من خلال سـوء التفاهم التى يترتب على انتحال الزوج لشخصية مطرب لبنانى يحضر هو شـخصياً بـالفعل إلـى مصـر ، وتتعقـد الأمـور لكـن سـرعان مـا تحـل النهايـة السـعيدة لكـل الأطراف المعنية . وفى الفيلم الثالث " عدو المجتمـع " يرتكـب عـامل فقـير جريمـة قتل لحاجته إلى المال ، فيسجن لكنه يهرب من السجن ، ويرتكب عدة جرائـم

أخرى . ويبحث عن زوجته وابنته فلا يجدهما !! ويشترك مع عصابة لتزييف النقود ويحقق ثراء فاحشاً !! ثم تجمعه الصدفة بمغنية جميلة يشعر نحوها بعاطفة الأبوة ، ويعمل على إسعادها ويزوجها بمن تحب !!

وشهد عام ١٩٤٨ ثلاثة أفلام :" أحب الرقص " لحسن حلمى ، و " الصيت ولا الغنى " لحسن الإمام ، و " المليونيرة الصغيرة " لكمال بركات .

فى الفيلم الأول يحارب رجل متزمت ومتطرف الرذيلة التى يعتبرها جزءاً من الفن والمدنية الحديثة . وتتراكم عليه الديون من جراء كتبه التى يؤلفها ولا يشتريها أحد . وفجأة يموت أحد أقاربه ويترك له ثروة كبيرة تتمثل فى صالة للرقص . وينص فى وصيته أن يدير الصالة . يثور الرجل المتزمت ويرفض الميراث حتى لا يخالف مبادئه . وتتراكم عليه الديون بمرور الوقت ، فيغير من أفكاره ، خاصة عندما يقع تحت تأثير غانية تجعله يحب الرقص ، ويقبل على إدارة الصالة بعد أن يغير نظرته إلى الحياة .

فى فيلم " الصيت ولا الغنى " يجمعالحب بين شابين وفتاتين فقراء وعندما يشرعون فى الزواج ، تهبط على الشابين ثروة طائلة ، فتنقلب أحوالهما وتتغير طباعهما ، ويحاولان أن ينكصا بعهودهما مع الفتاتين ، إلا أنهما يفقدان الثروة ويعودان لحالتهما الأولى ، بعد أن تلقنا درساً مفيداً هو أن " الفقر حشمة و العز بهدلة " !! وسرعان ما جمع الفقر بين المحبين مرة أخرى . وفى فيلم " المليونيرة الصغيرة " تحب فتاة جميلة ضابطاً طياراً وتتمنى الزواج منه لولا جدتها التى توصى فى وصيتها بعدم إتمام هذا الزواج ، لكنها ترجع إلى الحق وتعدل فى وصيتها وتموت لتصبح الفتاة ثرية ، فإذ بخطيبها يتراجع عن خطبتها حتى لا تظن أنه يطمع فى مالها ، لكنها تقنعه بخطأ تفكيره وتتزوجه لأنها تثق فى صدق عواطفه .

ومع الأيام أصرت السينما على تعميق الفكرة الرومانسية الساذجة وهى أن الثروة كارثة تلم بصاحبها . وهى فكرة استراحت لها الطبقة الإقطاعية الأرستقراطية ، واقتنعت بها الطبقة الفقيرة الأخيرة إيماناً بمبدأ أن القناعة كنز لا يفنى ، وبأن التعاسة من نصيب الأثرياء . ففى فيلم " المصرى أفندى " الذى أخرجه حسين صدقى عام ١٩٤٩ يتزوج محمد المصرى المهندس المعمارى من سامية التى تشاركه نفس ظروف الفقر وينجبان عدداً من الأبناء . لكن صديقه إسماعيل يشاركه فى مشروع إسكان ، وتبدأ رحلة الثراء والتعاسة !! يخرج ابنه حسن ولا يعود ، و يموت له طفل آخر فى حادث سيارة ، وتصاب ابنته عائشة بالشلل . ويضطر إلى أن يبدأ حياته من جديد وقد فقد كل شىء . والظاهرة الغريبة أن هذا الفيلم الكئيب يحمل اسم " المصرى أفندى " ،أى أن بطله ليس حالة خاصة وإنما هو بطل نمطى يرمز إلى المصرى أينما كان ، وهو ما كان يحرص عليه حسين صدقى فى معظم أفلامه التى حاول أن يبدو فيها مصلحاً اجتماعياً وأخلاقياً مع كثير من التجهم والكآبة .

وفى عام ١٩٥٠ أخرج عباس كامل المعروف بأفلامه الخفيفة ، فيلم " أسمر وجميل " الذى يحب فيه بائع روبا بكيا فتاة تبيع له ملابس جدتها . وعندما يفتح الحقيبة فى منزله يعثر فى بطانتها على ثروة طائلة مخبأة داخلها تزيد على المائة ألف جنيه . يصعق البائع حين يرى هذه الثروة ، ويحتار بين أن يسلم الحقيبة لأصحابها أو يحتفظ بها لنفسه . ثم تأخذه سنة من النوم ، لكن حلم اليقظة يطارده فى منامه ، فيرى أن المال الذى هبط عليه من السماء قد جر عليه الكثير من المصائب فيستيقظ من حلمه سعيداً بأن الأمر كله كان مجرد كابوس .

وشهد عام ١٩٥١ فيلمين : " بيت الأشباح " لفطين عبد الوهاب ، و " نهاية قصة " لحلمى رفلة . فى الفيلم الأول يتوفى ثرى تاركاً ثروة كبيرة ، واشترط فى وصيته أن يبقى أقاربه شهراً فى قصره ، لكن وكيل الدائرة يدعى أن القصر به

أشباح . وكانت مدة الشهر كافية لتنفيذ خطته والتخلص منهم حتى يستولى على الثروة ! (واضح أن شرط المتوفى فى وصيته شرط مفتعل وسخيف ، وكأنه ذكره خصيصاً لزوم هذه الحبكة !!) . بالإضافة إلى وجود خادم أخرس بالمنزل يتمكن من كشف أبعاد الخطة ، وهو فى حقيقة الأمر من رجال المباحث . وينال كل منهم حقه فى الميراث .

وفى الفيلم الثانى " نهاية قصة " شاب غنى يهوى تأليف القصص ، ويؤلف قصته حول فتاة تحب ابن عمها لكن أباها يرى أنه يطمع فى ثروته . ويوصى قبل موته بأن تتزوج ابنته من رجل آخر تختبر خلاله ابن عمها . أى نفس المخططات أو المناورات النمطية التى تسعى لكشف المشاعر الحقيقية تجاه الإنسان أو تجاه الثروة .

وشهد عام ١٩٥٢ فيلمين : " قدم الخير " لحلمى رفلة ، و " حلال عليك " لعيسى كرامة . فى الفيلم الأول يوصى الثرى إبراهيم أن تؤول ثروته بعد وفاته لابنته الوحيدة مبروكة ، ويحرم منها أخاه الشرير مسعود الذى يدبر لقتل مبروكة حتى يفوز بالثروة لكن كل محاولاته تبوء الفشل . ويعترف لها فى النهاية بنواياه الإجرامية فتسامحه .

وفى الفيلم الثانى يتوفى ثرى تاركاً لأسرته وصيته يعلن فيها أن ثروته تؤول لمن يجدها منهم ، وهى مخبأة فى مكان مجهول فى قصره . ويشتعل الصراع بين أفراد الأسرة فى بحثهم عن الثروة ، خاصة الشرير فيهم الذين يريد الثروة لنفسه ولعشيقته ، لكنه يفشل بعد أن يعثر عليها ابن شقيق المتوفى . وتقسم بينهم جميعاً حسب الشرع والقانون .

وشهد عام ١٩٥٣ ثلاثة أفلام : " مليون جنيه " لحسين فوزى ، و " الدنيا لما تضحك " لمحمد عبد الجواد ، و " نشالة هانم " لحسن الصيفى . فى الفيلم الأول أربع قصص يرويها أبطالها ، والرابط بينهما الثروة التى تقلب حياتهم رأساً على

عقب . فالأول يحطم منافسيه فى البورصة ، والثانى يتنكر لزوجته ويعربد فيدخل السجن ، والثالثة تحاول مضاعفة أرباحها فى سباق الخيول فتصاب بالجنون ، والرابعة تتنكر لكل من عرفته ، ثم تظهر شخصية خامسة مناقضة تماماً ، وهى المنفذة للوصية وتخشى على نفسها من الثروة ، فتهب نصيبها للجمعيات الخيرية .

فى الفيلم الثانى " الدنيا لما تضحك " يدور رهان بين مليونير شاب وملاحظ عمال يتحتم عليه صرف مبلغ ستة آلاف جنيه شهرياً . وينتهى الموقف بأن يخسر الملاحظ الرهان ، وتعرف شقيقة الملاحظ حقيقة الشاب الذى أحبته دون أن تعرف أنه المليونير الذى أمد أخاها بالمال لعله يكسب الرهان . ولذلك فهى تتزوجه لشخصه وليس لماله .

فى الفيلم الثالث " نشالة هانم " تنشأ فتاة فى وسط فاسد يعبد المال ويحاول الحصول عليه بأى أسلوب . فتبرع الفتاة فى النشل وتستغلها العصابة إلا أنها نضيق بحياتها ، فيهددها رئيس العصابة ويكلفها بسرقة جوهرة ثمينة اشتراها أحد الأغنياء ، لكنها تحب ابن شقيق الرجل الثرى وتشاء الصدفة – كالعادة – أن تكون النشالة ابنة لهذا الرجل الذى كلفت بسرقة جوهرته .

فى عام ١٩٥٥ أخرج توفيق صالح " درب المهابيل " الذى يشترى فيه عامل ورقة يا نصيب لعله يفوز بالجائزة الأولى حتى يتمكن من إتمام زواجه . ويقدمها لحبيبته لتحتفظ بها لكن أباها الرجل المتدين يرميها لأن هذا مخالف للدين . ويلتقطها مجذوب الحارة ، ويشاء الحظ أن تكون هى الورقة الرابحة للجائزة الأولى . وينقلب هدوء الحارة إلى ضجيج ، فيطارد كل فرد فيها المجذوب الذى يخبئ المال فى بطن المعزة التى تهرب مع قطيع من الماعز . وفى الخلاء يقوم الماعز بتقطيع أوراق البنكنوت المخبأة فى بطن ماعز المجذوب !

وشهد عام ١٩٥٦ فيلمين :" النمرود " لعاطف سالم ، و " حب وإنسانية " لحسين فوزى . فى الفيلم الأول تهبط ثروة على شاب فقير فى أحد الأحياء

الشعبية ، فينقلب إلى إنسان آخر ، متكالب على ملذات الحياة إلى أقصى حد ، ويتمرد على ماضيه ، وينتقم لمن كان له صلة بهذا الماضى ، وتفشل حبيبته فى إنقاذه ، وأخيراً يتضح أن الثروة ما هى إلا أموال مسروقة من أحد البنوك ، ويقبض عليه مع أفراد العصابة التى سرقت المبلغ ويحكم عليه بالسجن . وفى الفيلم الثانى يتقابل هايص الموسيقار الفقير العاطل مع ممثلة يعجب بها . وفجأة يتوفى عمه الثرى فى أمريكا ويوصى بثروته لبناته الثلاث على أن يقوم هايص بتوزيعها عليهن ، لكنه يطمع فى الدفعة الأولى منها ، ويقرر صرفها على الممثلة التى تمثل عليه الحب ، وتبتز المبلغ ، فتثور بنات عمه عليه . وفى النهاية يدرك خطأه الجسيم فى التصرف فى ثروة عمه ويتزوج من ابنة عمه الكبرى .

فى عام ١٩٥٧ أخرج السيد بدير فيلم " ليلة رهيبة " الذى يفاجأ فيه الدكتور مجدى بالشك فى نسبه . فقد صرح عمه بأن مجدى ليس ابن أخيه ، وأن هناك أختاً غائبة هى صاحبة الميراث والعم شريكها فيه . ويعترف عبد الستار لمجدى بأنه والده ، وأن السيدة التى يقيم معها ليست أمه ، لكنها اضطرت لاستبداله وهو رضيع بابنتها الوليدة سميرة لتحتفظ بميراث زوجها من أن يغتصبه شقيقه . ويعود مجدى إلى المنزل ليجد العم يحاول قتل زوجة أخيه ، فينقذها ويلتقى بابنتها الحقيقية سميرة ويتزوجها .

فى عام ١٩٥٨ أخرج نيازى مصطفى فيلم "إسماعيل يس طرازان" الذى يتوفى فيه رجل ثرى تاركا وراءه ثروة ضخمة لعدد كبير من الورثة ، ويشترط فى وصيته ألا يستلم أحد نصيبه من الميراث إلا بعد أن يعثروا على ابن له فقده فى الغابة منذ ٢٥ عاماً . ويتطوع اثنان من الورثة للبحث عن الابن المفقود حرصاً على نصيبيهما ، وعندما ينجحان فى إحضاره ، يقع فى حب إحدى الوارثات التى تحبه بدورها ويهرب بها عائداً إلى الغابة .

فى عام ١٩٦٠ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " وداعاً يا حب " الذى يعثر فيه الملحن شريف على عقد ثمين ، ويقابل صاحبته وتدعوه لحفلة عيد ميلادها . وتعرض عليه وظيفة ناظر عزبتها فيوافق ، وتنمو بينهما علاقة حب ، فى حين يطمع رمزى فى الزواج من أمانى لثروتها . وعندما يموت أبو أمانى ، تسرق رجاء عشيقة رمزى وصية الأب التى تثبت أن أمانى ابنة غير شرعية !!! (شىء لزوم الشىء على رأى نجيب الريحانى !!) وينجح شريف فى مشواره الفنى ، ويعود للقرية لتسليمها وصيته أبيها ! لكن رمزى يعترض شريف ليمنعه من الوصول لأمانى ، ويقتله ، فيسارع رجال العزبة بإطلاق النار على رمزى !!!

فى عام ١٩٦٢ أخرج نيازى مصطفى فيلم " آخر فرصة " الذى يلازم فيه سوء الحظ شاباً يمر بكارثة فى كل مكان يعمل فيه ، فتحترق الشركة التى يعمل بها ، ويموت صاحب المحل الذى انتقل إليه . وعندما التحق كمندوب لشركة تأمين ، يؤمن على حياة طفل وحيد لأسرة ثرية ، ويموت الأب ليرث الطفل كل ثروته . ويحاول الأهل التخلص من الطفل للاستيلاء على الميراث وعندما يعلم مندوب التأمين بذلك ، ينقذه منهم .

فى عام ١٩٦٤ أخرج أحمد ضياء الدين فيلم " دعنى والدموع " الذى يتزوج فيه رجل متوسط الحال من حبيبته بشرط عدم إنجاب أطفال لفترة من الزمن تسمح لهم بادخار المال اللازم لمصاريف الأطفال . ويرث ثروة كبيرة عن عمه فيقرر الإنجاب لكنه يفاجأ بأن زوجته عاقر . فيلجأ إلى الزواج من أخرى ، إلا أن الزوجة الجديدة تستنزف أمواله ، وتنجب له طفلاً سرعان ما يموت ، فيرجع إلى زوجته مستغفراً و آملاً فى علاجها .

فى عام ١٩٦٦ يعود عيسى كرامة إلى الوصايا التى تنص على شرط سخيف لا معنى له سوى التسلية وإحداث المفارقات الهزلية ، وذلك فى فيلم " مطلوب أرملة " الذى يربط فيه الحب بين سعاد وأحمد . وقبل أن

يتم زواجهما ، يبلغه المحامى أن أحد أقاربه المقيمين بالخارج ، أوصى له بثروة كبيرة بشرط أن يتزوج من أرملة !! ويقع أحمد فى صراع بين حبه لسعاد ورغبته فى الثروة . ولكى يفوز بالاثنين ، يقنعها بالزواج من الفنان البائس منير الذى ينوى الانتحار ، وبذلك تصبح أرملة . ويعدل منير عن الانتحار خاصة أن سعاد أحبته وقررت أن تتزوجه ، فى حين يضطر أحمد للزواج من جارته منى التى يتضح أنها أرملة بالفعل !!

فى عام ١٩٦٨ أخرج حسن الصيفى فيلم " المليونير المزيف " الذى يختفى فيه حمدى ويعلن عن موته بعد عجزه عن الإنفاق على اختراعاته !! ويطلع المحامى زوجته ناهد على وصية شقيقة الذى توفى فى المكسيك بأن تؤول ثروته لأخيه سعيد فى حالة وفاة حمدى الذى يفاجأ الجميع بعودته منتحلاً شخصية سعيد ليرث الثروة ، لكنه يفاجأ بوصول سعيد من المكسيك . وينتهى الفيلم بعودة حمدى لحياته العملية واختراعاته العلمية .

وفى عام ١٩٧٤ يعود حسن الصيفى إلى لعبة الوصية فى فيلم " رحلة العجائب " الذى يتلقى فيه العامل عباس خطاباً من محامى عمه المقيم فى أمريكا يبلغه فيه بموت العم ، ويطلب منه الحضور للإطلاع على الوصية التى تذهله لأن عمه أوصى بكل ثروته لابنته سيمون ولعباس بشرط أن يتزوجا . يرفض عباس احتراماً لزوجته أرواح إلا أن المحامى ينجح فى إقناعه بالزواج دون علم أرواح حتى يحصل على الميراث ثم يطلقها . ويهرب عباس ليلة زفافه وتلحق به سيمون وتشتبك مع أرواح . لكن الوفاق يسود ، ويعود عباس وزوجته إلى القاهرة كما تعده سيمون بزيارتهما !!

فى عام ١٩٨٣ أخرج أحمد فؤاد فيلم " العربجى " الذى يرجع فيه إلى تيمة " الفقر حشمة والعز بهدلة " فى شخصية العربجى سيد الذى يكسب فى يانصيب ، إلا أن المال يجلب له المشاكل فيتخلص منه بإلقائه فى النيل !!! (فلم يكن هناك

أمامه أى حل آخر ، حتى لو صرفه فـى وجوه الخير !!) واستمرار للتلفيق فـإن جنش صديقة يلتقط النقود ويستثمرها مع رجل أعمـال فـى الأمـن الغذائـى . ويبيـع جنش كمية من لحم البولوبيف الفاسد ، ويقبض عليه . لكـن الحـل السـحرى السـعيد يأتى على يد العربجى سيد الذى يوضح لضابط المباحث أن البيانات المكتوبـة علـى إيصال الاستلام مكتوبة باللغة الإنجليزية التى يجهلهـا جنـش فيفـرج عنـه ! (وهـى حقيقة يدركها العربجى ولا يعيها الضابط !!!) وتصـل السـذاجة إلـى قمتهـا عندمـا يتمكن الضابط بمساعدة سيد وجنش من القبض على رجل الأعمال وأعوانه .

وفـى عـام ١٩٨٩ أخـرج عبـد اللطيـف زكـى فيلـم " صـراع الأحفــاد " الـذى يمـوت فيـه الجـد تاركـاً وصيتـه لزوجتـه زهـيرة علـى أن تـؤول ثروتـه لأفضـل حفيـد مـتزوج !! ويتنـافس الأحفـاد الثلاثـة لكسـب الـثروة ، فيعمـى الجشـع الكـلاف حجـازى لدرجـة النصـب والاحتيـال ، وينهـزم الملاكـم مجـدى علـى يـد أحـد منافسيه . أمـا الكـاتب المسـرحى برهـان فيصـاب بـالجنون بعـد أن يغير المخـرج أفكـار مسرحيته مـن أجـل النجـاح الجمـاهيرى (لـو كـانت الحـال هكـذا لأصيـب معظـم الكتـاب المسـرحيين بـالجنون !!) وتطـالب زوجتـه المحـامى بمنحـه الـثروة لأنـه الحفيـد الأفضـل بعـد نجـاح مسـرحيته ، لكنـه يفاجئهـا بأنـه لا يستحقها فهو مجنـون !!!

* * * * *

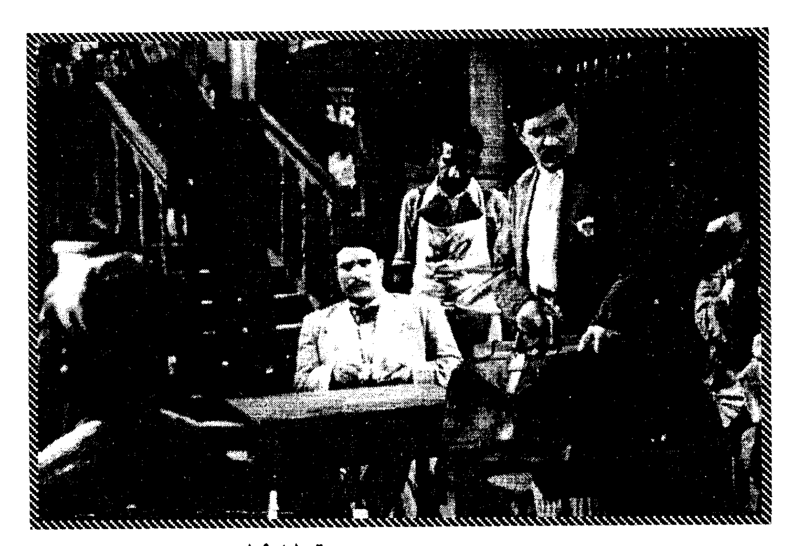
هذا عن الوصايا واليا نصيب والمفاجآت غير المبررة والـثروات التـى تهبـط من بين طيات الغيب ، أمـا الصـدف فحدث عنهـا ولا حـرج . فهـى الوعـاء الـذى يحتوى معظم هذه العناصر النمطية ، وهـى الحـل السـحرى الـذى يلجـأ إليـه معظـم المؤلفين والمخرجين لحل المشاكل التـى يواجهونهـا أو المـآزق التـى يقعـون فيهـا ، لكنها للأسف – حلول مفتعلة ومصطنعـة خصيصـاً لتحويـل مجـرى الأحـداث طبقـاً لمـزاج المؤلـف أو المخـرج أو الجمهـور . ولذلـك لا تدخـل الأحـداث فـى الأفـلام

المصرية فى طرق مسدودة أبداً ، لأن الصدفة كفيلة بفتح ثغرة واسعة فى جدران هذه الطرق بحيث تمر منها الشخصيات بمنتهى الارتياح والسعادة ، فى حين أن هذه الطرق المسدودة هى قمة الاحتكاك الدرامى الذى يستغله المؤلفون والمخرجون المبدعون فى توليد نتائج جديدة ومشوقة من أسباب سابقة وقد تكون نمطية . ذلك أن جوهر الصراع الدرامى يكمن فى توليد الأحداث وتطويرها من داخله ، وليس فرضها عليه من خارجه . والصدفة هى عنصر دخيل يفرضه الكاتب أو المخرج على سياق الأحداث من عنده كى يضمن له الاستمرار لأنه عاجز عن منحه قوة الدفع النابعة منه . ونظراً لأنها عنصر سهل وجاهز للاستعمال دائماً ، فقد كانت فى حسبان معظم المؤلفين والمخرجين ، يستخدمونها بوعى أو بلا وعى ، تجنباً لإعمال الفكر وقدح زناده ، والإصرار على المصداقية الدرامية والفنية التى تحترم عقل المتفرج مهما كان نصيبه من الثقافة أو العلم متواضعاً . ولا شك أن تجنب الصدف والمفاجآت المفتعلة والتحولات غير المنطقية ، يشكل تحدياً للمؤلفين والمخرجين لابد أن يواجهوه وإلا سيواصلون الدوران فى الدائرة الضيقة والخانقة لهذه العناصر النمطية .

* * * * *



سى عمر سنة ١٩٤١



سى عمر سنة ١٩٤١



الحـــــرام سنة ١٩٦٥ م



البوسطجى سنة ١٩٦٨ م

الفصل الثانى عشر

ألاعيب الشخصية الشريرة

تتراوح ألاعيب الشخصية الشريرة بين القتل والاحتيال والسرقة والتزييف والتآمر والخطف والابتزاز والتهديد والشائعات والاغتصاب وتلفيق التهم وغير ذلك من العناصر النمطية التى حفلت بها الأفلام المصرية ، وكانت بمثابة التوابل التى منحتها طعماً حريفاً ، وجاذبية جماهيرية برغم نمطيتها ، فهى جاذبية ترجع لنجوم شعبيين من أمثال فريد شوقى فى مراحله الأولى ، وكذلك محمود المليجى وتوفيق الدقن وأحيانا استيفان روستى وغيرهم .

والشخصية الشريرة فى السينما المصرية ، شخصية واضحة بل وصريحة إلى حد كبير . فهى تحكى عن خططها ومؤامراتها بلا حرج أو حساسية ، خاصة مع القريبين منها . بل وتكاد تشرح للجمهور تفاصيل هذه الخطط والمؤامرات مباشرة ، بحيث لا تحتاج لحل ألغازها وكشف أعماقها . فالقتل - بطريقة أو بأخرى - هو الحل الحاسم للتخلص من الخصم ، حتى يتفرغ الشرير لخطوته التالية وهكذا . والحدود بين الشر والخير واضحة ومحددة مثل الحدود بين الأبيض والأسود بلا ألوان أخرى فيما بينهما ، ولا درجات بينهما أيضاً ، وذلك على الرغم من أن النفس البشرية زاخرة بالتناقض الذى قد يمزج بين الخير والشر فى لحظة واحدة داخل الشخص نفسه . فالنفس البشرية أكثر تعقيداً وغموضاً من هذه البساطة

المخلة بوعينا العميق بها ! وخاصة أن الجمهور يعلم مقدماً أن الشرير مهما بغى وتجبر فإن هزيمته فى نهاية الفيلم أمام الشخصيات الخيرة مهما كانت هزيلة ومتهافتة ، هزيمة مؤكدة ، حتى لو كانت هذه الهزيمة مضادة لقانون السبب والنتيجة بكل حتميته التى لا يستطيع الإنسان أن يهرب منها . وإذا تحولت الشخصية الشريرة - ولا نقول تطورت - من الشر إلى الخير نتيجة درس قاس تلقنته ، فإن التحول يتم بسرعة عجيبة كأنها شخصية آلية ، تم الضغط على زر داخلها فتحولت من الشر إلى الخير . فهو تحول وليس تطوراً ينطوى على صراع نفسى بين شد وجذب .

والصراع فى معظم الأفلام ليس صراعاً بين قوى متضادة تجسيداً لسنة الحياة الإنسانية وجوهر النفس البشرية ، وليس بالضرورة بين خير وشر . إنه صراع انحسر فى الدائرة الضيقة المحدودة للصراع المباشر بين الخير والشر ولم يخرج عن نطاقه فى أحايين كثيرة ، فى حين أن تفاعلات الصراع الدرامى والفكرى أكثر وأعمق من ذلك بمراحل ، من خلال الجدليات التى لا تتوقف بين المتناقضات على اختلاف أنواعها ، بل إن هذه المتناقضات تجرى فى داخل الإنسان الفرد الواحد ، وليس بالضرورة بينه وبين الآخرين ، وهو الصراع النفسى الذى لم تركز عليه السينما المصرية إلا فى حالات قليلة . ونظراً لأن الصراع الدرامى كان صراعاً فى الأساس بين الشخصيات الشريرة والشخصيات الخيرة ، فقد واكبت الشخصية الشريرة السينما المصرية منذ بدايتها الأولى ولا تزال مستمرة بأسلوبها النمطى حتى الآن .

فى عام ١٩٢٨ أخرج إبراهيم لاما فيلم " قبلة فى الصحراء " ، كما أخرج جاك شوتز فيلم " سعاد الغجرية " . فى الفيلم الأول يتحول شفيق إلى شرير برغم أنفه بعد أن اتهموه ظلما بقتل عمه ، فينضم إلى عصابة من قطاع الطرق بعد أن يهرب إلى الصحراء ، حيث تعترض العصابة إحدى القوافل ويلتقى فيها بحبيبته

الأمريكية هيلدا ، فيطلب من رجاله ألا يتعرضوا لها ، وتتأكد من براءته خاصة بعد أن ينقذها من براثن الرجال الثلاثة الذين اختطفوها . وفى الفيلم الثانى يظهر لأول مرة الشرير الذى ينتمى إلى قبائل الغجر ويرتكب الجرائم التى التصقت بهم مثل السرقة والخطف .

فى عام ١٩٢٩ أخرج وداد عرفى فيلم " غادة الصحراء " الذى تتم فيه خطبة سلمى لابن عمها فى حين يطمع فيها شيخ قبيلة أخرى فيخطفها إلى منطقته ويتزوجها بالإكراه وتنجب ابنة له . ويسهل لها الخادم سليمان الهرب بهدف الانفراد بها والاعتداء عليها ، لكنها تقاومه وتقتله . وعندما تصل قبيلتها ، يهرع زوجها مع مجموعة من رجاله لمنازلة ابن عمها ورجاله ، وتتم هزيمة الزوج الذى يطلب العفو والمغفرة .

فى عام ١٩٣٦ أخرج أحمد جلال فيلم " البنكنوت " الذى تتخذ فيه امرأة مستهترة كل يوم عشيقاً لها ، وتندمج فى المجتمعات الراقية لتنصب شباكها حول طلاب المتعة . ومع تطور الأحداث تنأى عن طريق الغواية وتصبح زوجة وفية لزوجها وابنها . لكن لابد من استمرار عنصر الشر ، فتتهم فى جريمة قتل زوجها . وتظهر الحقيقة ، فهناك محتال وامرأة يدبران المكائد والدسائس لها ، وتنجح فى كشف أمرهما .

فى عام ١٩٤٢ أخرج هنرى بركات فيلم " المتهمة " الذى يتمكن فيه ضابط الشرطة كامل من القبض على برعى تاجر المخدرات وسجنه . فتقرر زوجته إفساد حياة كامل ، فتبلغه أن زوجته سميحة تخونه ، ويطردها من المنزل . ويصبح ابن كامل من المحاميين النابغين فى حين يخرج برعى من السجن ويقابل سميحة محاولا ابتزازها لكنها تقتله ، ويقوم ابنها بالدفاع عنها ، ويحكم لها بالبراءة ، ويلتئم شمل الأسرة مرة أخرى .

فى عام ١٩٤٤ يبلور كمال سليم فى فيلم " حنان " الفكرة التى تؤكد أن الشر يقضى على نفسه بنفسه إذا لم يجد من يقضى عليه ، وذلك من خلال تلاعب مراد وأعوانه فى مواد البناء بالإضافة إلى موبقات أخرى قاموا بارتكابها . وتنهار المدرسة التى أشرفت الشركة على بنائها ، ويقع مراد وأعوانه فى يد العدالة .

فى عام ١٩٤٥ أخرج ستيفان روستى فيلم " جمال ودلال " الذى يربط فيه الحب بين جمال ودلال . ثم يقابل جمال راقصة شريرة تحاول ابتزاز أمواله لكنه لا يستجيب لها ، فتورطه فى جريمة قتل . وتصبح الأدلة كلها ضده، فتحثه على الهرب معها إلى تونس حيث تستنزف كل ما لديه من مال . ويلتقى بصديقه الموسيقى الذى يبدأ معه رحلة الغناء فى الكباريهات . وعندما يعود إلى مصر ، يقبض عليه ، وتثبت الأيام براءته ويتزوج من دلال .

فى عام ١٩٤٦ أخرج عبد الفتاح حسن فيلم " أرض النيل " الذى قدم فيه لأول مرة شخصية المرابى على الشاشة . وهى شخصية غير نمطية وغير متكررة كثيراً إلا أنها تنضوى تحت بند الشخصية الشريرة . فالمرابى يمتص دماء أهل القرية بمن فيهم الرجل الثرى رجب باشا ، لكن ابنه فؤاد لا يرضى عن هذا الاستسلام ويحث الأهالى على التعاون معه لمقاومته . وتنجح أولى محاولاته ويقبل الفلاحون على المساهمة فى مشروعه ، وتتحسن حال القرية مما يثير استياء المرابى فيعمل على تدبير المؤامرات ضد فؤاد ، وحرق المخازن لكن براءته تثبت . ويقرر البوليس القبض على المرابى الذى يسرع إلى الفرار وهو يحاول إغراق القرية ، إلا أن فؤاد يتمكن من القبض عليه وتسليمه للبوليس ، ويستأنف فؤاد مساندته لأهل القرية من جديد .

وشهد عام ١٩٤٧ ثلاثة أفلام : " قلبى دليلى " لأنور وجدى ، و " سلطانة الصحراء " لنيازى مصطفى ، و " زهرة " لحسين فوزى . فى الفيلم الأول يظهر نموذج العصابة بأعضائها الذين يتراوحون بين الخبث والانتهازية والخوف من

الزعيم والتآمر والخطف ، وينتهى الأمر بمعركة مع البوليس الذى يقبض عليهم ، وإنقاذ المخطوفة . وفى الفيلم الثانى يرتكب إعرابى جريمة تؤدى به إلى السجن سنوات طويلة بسبب أحد جيرانه الذى أثبت عليه التهمة . فيصمم المجرم على أن ينتقم منه ، فما يكاد يخرج من سجنه حتى يختطف ابنته سلطانة ويهرب بها إلى الصحراء . لكن شمل الأسرة يلتئم فى نهاية الفيلم كالعادة . وفى الفيلم الثالث يتقدم خورشيد بطلب يد بهيجة ابنة عرفى باشا ، فيرفضه أبوها لمستواه المتواضع . فيتحول خورشيد إلى شرير ينجح فى القضاء على الباشا مالياً فيصاب بأزمة قلبية ويموت . لكن خورشيد يقتل فى ظروف غامضة وتتهم بهيجة بقتله لكن براءتها تثبت . (وثبوت البراءة فى السينما المصرية شيء مفروغ منه مهما كان الشرير داهية من دواهى الدهر !!) .

ويؤمن الكتاب والمخرجون بأن عدالة السماء لا تغفل ولا تنام فى مواجهة الشر ، قد تمهل لكنها لا تهمل . وبهذا المفهوم أخرج أحمد كامل مرسى فيلم " عدل السماء " عام ١٩٤٨ ، والذى لا يجد فيه المظلوم ملجأ يلوذ به سوى العدالة الإلهية . فالشبهات تحوم حول موظف فى جريمة قتل مدير الشركة التى يعمل بها فيسجن ظلماً . وعندما تخرج زوجته للحياة لتعول ولديها ، تقع فى براثن مجرم خطير يدير نادياً ليليا ، ويستغلها فى الإيقاع بالرجال والاستحواذ على مالهم . وعندما يخرج الزوج من السجن يشرع فى قتل صاحب الكباريه ، لكن شخصاً آخر يسبقه فى الانتقام له ، ويعترف أنه القاتل الحقيقى لمدير الشركة ، ويطلب منه الصفح عن احتماله عذاب السجن لجريمة لم يقترفها . (لكن من الواضح أن ضمير المجرم يستيقظ فى الوقت الذى يحدده المؤلف أو المخرج ، وليس طبقاً للتفاعلات والصراعات النفسية التى يمر بها وتؤرقه !!)

وكان نصيب الراقصة من النمط الشرير ملحوظاً فى افلام كثيرة ! (إذ يبدو أن ميلها للشر أعمق وأرسخ من ميلها للخير برغم أنه ليست هناك علاقة بين

الرقص والشر !!) ففى فيلم " كلام الناس " الذى أخرجه حسن حلمى عام ١٩٤٩ ، تحب راقصة مطرباً وتقرر الزواج منه ، لكنه يحب غيرها ويستعد للزواج منها . وفى الحال تنتقم منه الراقصة بخطف حبيبته وإخفائها . لكن النهاية المضمونة فى معظم الأفلام تكلل بحث المطرب عن حبيبته بالنجاح ويتزوجان .

وشهد عام ١٩٥١ فيلمين " حكم القوى " لحسن الإمام ، و " اشكى لمين " لإبراهيم عمارة . فى الفيلم الأول يتبلور الخير والشر فى شريكين يملكان مصنعاً : مدحت الذى يقدر كلمة الشرف ، وقاسم الذى لا يقيم وزناً لأية قيمة أخلاقية ؛ ويفقد ماله فى القمار ، فيلجأ إلى رجل ثرى يوهمه بمشروع سيدر عليه مالاً وفيراً ، لكنه يكتشف أنه نصاب وتحدث مشادة بينهما تنتهى بأن يقتله قاسم . وبخطة محكمة يلصق قاسم التهمة بمدحت الذى يحكم عليه بالإعدام ، لكن قبل التنفيذ بلحظات تتكشف الحقيقة ، ويقبض على القاتل ، وينال عقابه !!

أما فى الفيلم الثانى " اشكى لمين " فيظهر نمط الشرير الذى يمارس لعبة الابتزاز على البطلة المسكينة ، والذى تكرر فى أفلام كثيرة . ففيه تضطر فتاة فقيرة إلى العمل فى كباريه يرى صاحبه أنها تصلح أن تكون راقصة ، ويلتقط لها بعض الصور ويهددها بها ، إلا أن المحكمة تنصفها ويحكم عليه بالسجن . ويلتقى بها أحد الشباب فى حين يخرج صاحب الكباريه من السجن ليعمل مديراً لأعمال هذا الشاب ! (وغالباً ما تأتى الحبكة بهذا الافتعال !!) . فقد تزوج من الفتاة ، فيرى الشرير أنها فرصة مناسبة لابتزازها وإلا صارحه بماضيها . تحاول أن تشترى سكوته بالمال ، بل ويحاول الاعتداء عليها لكن عمها الفقير المكافح يقتله ليعش الحبيبان حياة زوجية سعيدة !

وشهد عام ١٩٥٣ فيلمين : " حكم الزمان " لهنرى بركات ، و " كلمة حق " لفطين عبد الوهاب . فى الفيلم الأول يعلن عادل خطبته على حبيبته وداد ، فلا ترضى الغانية عن ذلك لأنه سيفلت بثروته من شباكها ، وتتفق مع أنيس الذى كان

يطمع فى وداد أن يوهمها بأن الغانية أمها . ويعرف عادل وصديقه منير الحقيقة ويسرعان لإنقاذ وداد التى تخطفها الغانية وأنيس ، وينتصر الخير على الشر فى النهاية . وفى الفيلم الثانى يقوم صاحب شركة يدعى أمين بطرح أسهم شركة وهمية فى السوق كى يسلب بها أموال الناس ليصرفها على راقصة تستغله لعلمها بحقيقة احتياله ونصبه . وفى النهاية يعرف الجميع حقيقته .

وشهد عام ١٩٥٤ أكثر من فيلم عن الاحتيال والنصب : " المحتال " لحلمى رفلة ، و " حدث ذات ليلة " لهنرى بركات " ، و " أمريكانى من طنطا " لأحمد كامل مرسى ، وأيضاً عن الابتزاز : " عزيزة " لحسين فوزى ، و الخطف : " المجرم " لكمال عطية .

فى فيلم " المحتال " يدعى برعى لمدير الكباريه أثناء خروجه منه أن سيارة صدمته ، ويطلب منه أن يوصله للطبيب . ثم يواصل ابتزازه خاصة عندما يعلم خيانته لزوجته فيهدده بإفشائها لها . ويدعى برعى الثراء ويلتقى بفتاة تدعى الثراء أيضاً ، ويتفقان على الزواج طمعاً فى مال الآخر . وأخيراً تتضح الحقيقة بعد أن يتمكن الحب منهما ويتزوجان وتستقيم حالهما .

فى فيلم " حدث ذات ليلة " تفاجأ زوجة بشاب يزعم لها أن زوجها أصيب فى حادث فتذهب معه لتطمئن عليه ، لكن يتضح لها أنه محتال ، مما يحدث شرخاً فى حياة الزوج ، ويطلق زوجته ويسافر إلى أوروبا لكى ينسى . وبعد فترة تتقابل صدفة مع الشاب ، فتتودد إليه حتى تنتقم منه وتقتله بالفعل . تهم بالانتحار لكن توأم هذا الشاب !!! ينقذها ويتولى الدفاع عنها . ويحكم عليها بالسجن ويعاهدها المحامى على انتظارها ليتزوجا !!

فى فيلم " أمريكانى من طنطا " يقرأ موظف فقير خبراً فى صحيفة عن مليونير مصرى مهاجر إلى الخارج ، قرر أن يعود إلى مصر ليبحث عن أقربائه . فيرسل الموظف إليه برقية على أنه أحد أقربائه ، ويستأجر لذلك شقة فاخرة

لاستقبال المليونير الذى يصل ويطالب الموظف بـأموال للصـرف منهـا حتـى يصـل المال من الخارج لدرجة أن الموظف يفلس . وفى النهاية يتضح أن المليونير ما هو إلا شخص فشل فى تحقيق الثروة ولا يملك شيئاً ويعود الموظـف لحياتـه السـابقة ، فى حين يعمل المليونير جرسوناً .

فـى فيلـم " عزيـزة " تضطـر عزيـزة إلـى الغنـاء والرقـص لتعـول شـقيقتها الصغرى التى أدخلتها مدرسة داخليـة . ويقـع فـى غرامهـا رجـل بوليس فـى حين يهددها أحد المجرمين ويتوعدها الانتقام إن لم تخضـع لرغباتـه . وبمسـاعدة حبيبهـا تستطيع أن تمنعه من إفشاء حقيقة عملها لناظرة المدرسة التى خطبت شقيقة عزيـزة لابنها . ويلقى المجرم جزاءه (كالعادة) ، ويتم زواج شـقيقتها دون أن تعلـم حقيقـة عزيزة !!

فى فيلم " المجرم " يخطـف أحـد المجرميـن طفلـة مـن عائلـة ثريـة ، ويعهـد مختطفها لأسرة فقيرة لتربيتها مع ابن لهـا . وتكتشـف سـيدة ثريـة فـى ابـن الأسـرة الفقيرة شبهاً كبيرا فى ابنها الذى فقدته . ويطلب زوج السيدة الثرية أن يقـوم بتربيـة هذا الابن . وفى النهاية يتعرف الشـاب على الفتاة فيتزوجها وينـال مختطفهـا جزاءه .

فى عام ١٩٥٦ أخرج حسن الصيفى فيلم " صاحبة العمارة " الذى تتزوج فيه الأرملة الثرية منيرة من الفنان غـزال .ويتفقـان علـى تبنـى طفـل ، يحـرص غـزال على أن يكون ابنه من زوجتـه الأولـى التـى يسـتدعيها لتعمـل مربيـة لـه . وعندمـا تكتشف منيرة حقيقتهما ، تتخلص من الطفل بـدس السـم لـه فـى طعامـه ، وتلصـق التهمة بالمربية . لكن الشبهات تحوم حول منيرة التى تثبـت عليهـا الجريمـة ويحكـم عليها بالسجن .

فى عام ١٩٥٨ أخرج حسن رضـا فيلـم " المعلمـة " المـأخوذ عـن مسـرحية شكسبير " عطيل " التى أصبحت فيها شخصية إياجو من أشهر الشخصيات الشـريرة

فى الأدب العالمى . وفى الفيلم يبدأ الصديق خطة جديدة للتفريق بين الزوجين بإثارة الشك فى نفس الزوج بوجود علاقة بينها وبين كاتب المحل ، ويستخدم فى ذلك أحد عماله الذى يدمن الأفيون الذى يمده به . وعندما يضيق العامل به يقتله ويعترف للزوج ببراءة زوجته وغدر صديقه . ويعود الزوجان ليعيشا فى أمان . أى أن النهاية السعيدة التى أدمنتها السينما المصرية تنتصر على النهاية المأسوية التى خنق فيها عطيل ديزيدمونة ثم قتل نفسه .

فى عام ١٩٥٩ قدم محمود ذو الفقار فى فيلم "المرأة المجهولة " النمط النموذجى لشخصية البلطجى الذى لا يعانى من أى وخز للضمير ولا أى نوع من الصراع النفسى ، وكأنه الشيطان نفسه . ففى الفيلم المأخوذ عن رواية " مدام إكس " ، تضطر فاطمة إلى العمل مغنية ، فيطلب منها البلطجى عباس إتاوة من أجل حمايتها . وعندما ترفض فاطمة ، يحاول قتلها إلا أن صديقتها سعاد تفتديها وتموت . ويحكم على عباس بالأشغال المؤبدة . وتمر الأعوام ويصبح ابنها سمير محامياً مشهوراً فى حين يخرج عباس من السجن ويستأنف ابتزاز أسرتها فتقتله ، ويتولى ابنها الدفاع عنها .

فى نفس العام (١٩٥٩) أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " العتبة الخضراء " الذى يصل فيه الشاب الصعيدى الساذج إلى القاهرة حيث يلتقى بمحتال كبير ، لكنه يثق فيه لدهائه الذى أوهمه بأن فى استطاعته أن يبيع له ميدان العتبة الخضراء . ويرى الصعيدى فى هذا العرض فرصة لا تعوض فيدفع كل ما يملكه له . ثم يوقع المحتال ممثلة سينمائية ناشئة فى شباكه إلا أنها سرعان ما تفيق من غفلتها ، وتكتشف خداع المحتال لها ، تتكشف حيلته مع الصعيدى ويتم القبض عليه .

شهد عام ١٩٦٠ فيلمين : " ملاك وشيطان " لكمال الشيخ ، و " نهاية الطريق " لكمال عطية . فى الفيلم الأول تسطو عصابة شحاتة على فيلا الثرى شوكت وتضطرها الظروف إلى خطف ابنته ، ويطالب رئيس العصابة شوكت

بفدية مقابل عودتها . وتعيش الطفلة مع مجرم آخر يدعى عزت بالإسماعيلية ومع عشيقته خيرية . وتتمكن الطفلة من تغيير سلوكياتهما . وعندما يطلب شحاتة من عزت قتل الطفلة ، فإنه يقرر إعادتها لأسرتها ، فتنشب مشاجرة بين عزت وأبو شفة تنتهى بقتله وإصابة عزت الذى يعود بالطفلة والمسروقات إلى أهلها ويلفظ أنفاسه الأخيرة متأثراً بإصابته .

فى فيلم " نهاية الطريق " يقوم الابن بقتل أبيه ويدخل السجن ، وتحصل شربات زوجة أبيه على الميراث والثراء الذى كانت تسعى إليه . لكن يدخل حياتها نصاب يسلبها ثروتها باسم الحب . فتقرر العودة إلى حبيبها السابق فتجده قد أصبح محامياً مشهوراً ومتزوجاً وسعيداً فى حياته الجديدة فتبتعد عن حياته .

وشهد عام ١٩٦١ فيلمين " النصاب " لنيازى مصطفى ، و " نصف عذراء " للسيد بدير . فى الفيلم الأول يريد الشرير أن يتخلص من أخيه التوأم الطيب فيزج به فى مستشفى الأمراض العقلية ، لكن لا يلبث أن يلجأ لإعادته !! (فليس هناك أسهل وأبسط من دخول مستشفى الأمراض العقلية والخروج منها !!) فقد قرر أن يعتمد على شدة الشبه بينه وبين شقيقه التوأم ليواجه أعداءه !! وفى الفيلم الثانى يتم القبض على الدكتور أنور مدعى الطب النفسى الذى استخدم التنويم المغناطيسى للسيطرة على المريضة زينب ثم اغتصابها !!

فى عام ١٩٦٢ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " الأشقياء الثلاثة " الذى يقضى فيه الأصدقاء الثلاثة أوقاتهم فى اللهو . وفى ليلة وهم سكارى يصدم رمزى بسيارته عاملاً ويهربون . ويستغل أحمد هذه الحادثة فى ابتزاز رمزى بحجة ضمان سكوت العامل ، حتى يستطيع أحمد الإنفاق على عشيقته . وأخيراً يكتشف رمزى الحقيقة إذ أن العامل سليم . وفى النهاية يلقى أحمد مصرعه فى مطاردة مع البوليس .

فى عام ١٩٦٣ أخرج السيد زيادة فيلم " شباب طائش " الذى عالج فيه عنصراً نمطياً تكرر كثيراً فى الأفلام المصرية ، وهو أن التدليل لابد أن يؤدى إلى الفساد والشر . فالأرمل يتزوج من أخرى، وينجبان ابناً ينشأ مدللاً ومغروراً فى حين تستبد زوجته بولديه ولا يقوى على الاعتراض . وينجح الابن الأكبر فى دراسته ويتخرج ويعتمد على نفسه فى حين يفشل الآخر ويندفع فى طريق الفساد والجريمة ، بل ويحاول التنكيل بأخيه فيلفق له تهمة جريمة قتل لكن أخته وخطيبها ينجحان فى إنقاذه منهما ..

وشهد عام ١٩٦٥ فيلمين " هارب من الأيام " لحسام الدين مصطفى ، و " المشاغبون " لمحمود فريد . فى الفيلم الأول يدعى كمال الطبال البلاهة فى حين أنه داهية يقف وراء جرائم السرقة والرعب فى القرية . فهو زعيم عصابة الدفراوى التى يحرك أفرادها دون أن يكشف عن شخصيته . وفى النهاية ينكشف أمر كمال ويفاجأ أهل القرية بحقيقته ويلقى مصرعه . وفى الفيلم الثانى تنتهى مدة عقوبة أمين فيذهب إلى رئيس العصابة يوسف ليأخذ نصيبه من عملية التهريب الأخيرة ، فيدعى له أن شريكتهم الراقصة نادية استحوذت على قيمة الصفقة بعد أن أصابته برصاصة . لكن نادية تكذبه ، فيخطفه أعوان يوسف ويعذبونه لكن نادية تنقذه ، ويتم القبض على العصابة ، ويتزوج أمين من نادية .

وشهد عام ١٩٦٩ فيلمين " أبواب الليل " لحسن رضا ، و " الحرامى " لنجدى حافظ . فى الفيلم الأول يقع سلامة فى براثن مجرم يقوم بتزييف الأوراق المالية ، ويكون منها ثروة كبيرة . ونظراً لأن ضميره لم يمت تماماً كما يحدث للشخصية الشريرة النمطية ، فإنه ينسحب من حياة ابنة عمه التى تحبه لأنه لا يستطيع مواجهتها ، فهى تمثل له ماضيه الشريف الذى لا يزال يحن إليه والذى أيقظ ضميره فى النهاية وعاد إلى الطريق القويم . وفى الفيلم الثانى يقدم العريس لفاطمة شبكة عبارة عن جوهرة ثمينة ، ثم تفقد منها . ويتضح أن سارقها هو

صديق أخت العريس ، بل ويتضح أنها جوهـرة مزيفـة وأن العريـس الـثرى وأختـه وصديقها يكونون عصابة .

فى عام ١٩٧٣ أخرج حلمى رفلة فيلم " شلة المحتـالين " الـذى يحـترف فيـه بسيونى والأرناؤطى النصب والاحتيال ، ويلتقيان بنوال وسعاد وهما أيضاً يحترفان النصب . ويدعى كل منهما كذباً أنـه مليونـير ، لكـن الراقصـة إلهـام تكشـف حقيقـة الجميع . ومع الأيام يقررون التوبة .

وشهد عـام ١٩٧٥ فيلمين " شهيرة " لعدلى خليل ، و " حب أحلـى مـن الحـب " لحلمـى رفلـة . فـى الفيلـم الأول تعجـب الممثلـة المســرحية الشــهيرة فــى الثلاثينيات شهيرة بالمؤلف الجديد كمال ، مما يثير غضب فخـرى باشـا الـذى يلفـق تهمة سياسية لكمال يدخل بسببها السجن لكن شهيرة تتمكـن بنفوذهـا مـن إخراجـه . وفى الفيلـم الثـانى تبـوح الابنـة الكـبرى للمربيـة ليلـى عـن علاقتهـا بشـاب يخدعهـا بعواطفه ويهددها بخطاباتها إليه . تقابله ليلى لتستردها منه مقابل مبلغ مـن المـال . وعندما يراها رفعت أبـو الأولاد والـذى كـان قـد عـرض عليهـا الـزواج ، مـع هـذا الشاب ، يظن بها السوء ويطردها ، لكنها تعترف لها بالحقيقة فتصبح زوجتـه وأمـاً حانية على أولاده .

وشـهد عـام ١٩٧٦ ثلاثة أفـلام " لا يا من كنت حبيبـى " لحلمـى رفلـة ، و " الدموع الساخنة " ليحيى العلمى ، و " ليتنى ما عرفت الحب " لأنور الشناوى . فــى الفيلم الأول يلفق شوكت بك مدير إحدى شـركات المقـاولات للمهنـدس عـادل تهمـة قتل المقاول حمودة ، فتلجأ خطيبته نجوى إلى المحامى مدحت ليدافع عنه فيسـاومها على تبرئة عادل مقابل أن تهبه نفسها . وفى الفيلـم الثـانى تهـرب حنـان مـن خالهـا القواد وزوجة أبيها التــى تريـد أن تجعـل منهـا راقصــة . وفـى الفيلـم الثـالث تعيـش سلوى فى عذاب نتيجة لمطـاردة فريـد لهـا والـذى يطالبهـا بمبلـغ مـن المـال مقـابل التستر على جريمة قتلها لزوجها .

وشهد عام ١٩٧٨ فيلمين " المجرم " لصلاح أبو سيف ، و " ليلة لا تنسى " لحسن يوسف . فى الفيلم الأول تتزوج إنصاف من ابن عمتها الأبله زغلول الذى يطمع صديقه منير فى ثروتها ، فيصحب الزوجين لنزهة ، ويتمكن من إغراق زغلول فى النيل ويدعى للجميع أنه لم يسعفه لجهله بالعوم . ويتزوج من إنصاف ويشرع فى ابتزازها . لكنها مع الأيام تدرك أنه قاتل زغلول ، ثم تضبطه العمة وإنصاف وهو يسرق المصاغ فيحاول قتلهما ، لكن الأهالى يطاردونه ويلقى مصرعه . وفى الفيلم الثانى تشاهد ليلى من نافذة حجرتها جريمة قتل وتبلغ رجال الشرطة ، فتدبر العصابة التى وراء الجريمة مؤامرة وتخطفها بالفعل ، لكن رجال الشرطة ينقذونها بعد القبض على العصابة .

وشهد عام ١٩٧٩ فيلمين " خائفة من شىء ما " ليحيى العلمى ، و " خدعتنى امرأة " لسيد طنطاوى ، وهما يؤكدان أنه لا يفل الحديد إلا الحديد بمعنى أنه لا يفل الشر إلا الشر لأن كليهما يملكان نفس الجبروت والعنف والقسوة والخبث والدهاء .. الخ . فى الفيلم الأول يقوم راشد بخطف عصمت إلى منزله ، ويتفق مع صديقه حافظ ليلحق به ، لكنه يفاجأ قبل أن يعتدى عليها باللص رؤوف الذى ينقذها ويقتله ويهرب بها . وفى الفيلم الثانى تتورط عواطف فى علاقة مع المحامى أحمد ، وتفاتحه فى الزواج فيماطلها . وعندما تعلم بخطبته لهناء ، تدبر له اختلاس كمبيالات من أحد موكليه .

فى عام ١٩٨١ أخرج محمد راضى فيلم " أمهات فى المنفى " الذى يرفض فيه حسونة موظف الجمرك المستقيم ، رشوة رجل الأعمال الكبير شاهين لتسهيل أموره . لكن عشيقة شاهين مايسة تنجح فى الإيقاع بحسونة فى حبائلها وتسجل له ما يحدث بينهما ، فى حين يدعى له شاهين أنها زوجته ، ويهدده بالشريط حتى يضغط عليه لتغيير موقفه ، وخاصة أن شاهين استطاع رشوة زملائه الذين يبلغ حسونة عنهم فى النهاية .

فى عام ١٩٨٢ أخرج خيرى بشارة فيلم " العوامة ٧٠ " الذى أكد فيه فكرة غير نمطية على الإطلاق ، وهى أن هزيمة الشر ليست ضرورة فكرية أو درامية تحتمها نهاية الأحداث فى الفيلم . ذلك أن كتلة الشر المتمثلة فى الاختلاسات والسرقات وعمليات القتل وتوريد المخدرات أكبر من كتلة الخير التى يمثلها بطل الفيلم ، وبالتالى فإنه من الطبيعى أن ينتهى الفيلم والبطل غارق فى شعوره بالإحباط والفشل .

فى عام ١٩٨٣ أخرج سعد عرفة فيلم " مرزوقة " الذى تبدو فيه الشخصية الشريرة شخصية زئبقية وقادرة على خداع كل من تقابلهم ، والتلاعب بكل من تتعامل معهم ، بما فى ذلك سلطات القضاء التى تعتمد المستندات المزيفة التى تقدمها ، لكنها فى نشوة انتصارها ، تقتلها الفتاة مرزوقة التى كانت ضحية شرها برغم ما قدمته لها من حب ومساعدة .

فى عام ١٩٨٤ تألقت الشخصية الشريرة فى أربعة أفلام : " الأرملة والشيطان " لهنرى بركات ، و " الخادمة " لأشرف فهمى ، و " والنصابين " لأحمد يحيى ، و " اثنان على الطريق " لحسن يوسف . فى الفيلم الأول تتردد الأرملة الثرية حنان على محل الحياكة الذى تعمل فيه لبنى التى تخطط مع عشيقها عاطف لابتزاز حنان التى تنقاد له وتقع فى حبه . وتفتعل لبنى الثورة عليه ، فيدعى بدوره أنها قتلها وأخفى جثتها فى مكان مهجور مع حنان التى تهددها سيدة مجهولة تليفونياً بتبليغ الشرطة عن الجريمة لابتزازها . وتكتشف حنان الحقيقة وأن لبنى لم تمت ، وتنجح فى الإيقاع بين لبنى وعاطف بإيهامه بأنها تخونه . فيقتلها ثم يقع فى قبضة رجال الشرطة .

فى الفيلم الثانى " الخادمة " يتفق أبو سريع مع عشيقته فردوس على إيقاع علاء ابن مخدومتها الثرية حكمت فى حبها حتى يبتزا ثروته . وتصاب حكمت بالشلل عندما يتزوج ابنها من فردوس التى تدير شركة حكمة مع الموظف الكبير

فتحى الذى يشاركها عمليات الاختلاس وتتخلص فردوس من أبو سريع بأن تسهل لـه عملية سرقة مجوهرات حكمت ، ثم تبلغ الشرطة فيقبضون عليه متلبساً . وعندما يكتشف علاء علاقة فردوس بفتحى يطلقها . وعندما تعود فردوس إلى منزلها ، تفاجأ بأبو سريع الذى تنتهى مدة عقوبته ويقتلها .

فى الفيلم الثالث " النصابين " تتمنى السيدة الثرية فوقية أن تتزوج من أمير !! وبرغم غرابة هذه الأمنية فى مثل هذا العصر ، فإن النصاب حمدى يدعى لها بأنه أمير إمارة مرزانا التى طرده أهلها منها بعد ثورتهم عليه ، وأنه يحتاج إلى مبلغ من المال ليسترد الحكم . وتتم خطبتهما ، وتعطيه فوقية ما يحتاجه من مال !!! ويتقابل حمدى مع زميله عماد ، ويتفقان على ابتزا فوقية . يختفى حمدى فتبلغ فوقية رجال الشرطة ، وتتهم الأعداء بخطفه . ويعرض عليها بعض صور النصابين ، فتتعرف على حمدى وعماد ويقبض عليهما !!! (وإدعاء حمدى هذا بأنه أمير لا يصدقه طفل فى هذه الأيام ، وليس امرأة ناضجة مثل فوقية !!! وكان من الممكن أن تكون أكثر إقناعاً لو أنها كانت متخلفة عقلياً ، أو كان الفيلم فانتازيا كوميدية مثل تلك التى برع فيها نجيب الريحانى) !!

فى الفيلم الرابع " اثنان على الطريق " يطمع عزت فى حنان التى تصده فيستولى بنفوذه على مصنع والدها ، ويتمكن أيضاً من وضع ممتلكاته تحت الحراسة . ويصاب الأب بالشلل ، فتضطر حنان للاستسلام له ليعيد لوالدها ممتلكاته . وتتعرف حنان على ممدوح وتحبه وتبوح له عن ظروفها . وعندما يعلم عزت بعلاقتهما ، فيلفق لممدوح تهمة يلقى بسببها ألواناً من العذاب ، لكن يتم الإفراج عنه ويلقى عزت مصرعه .

فى عام ١٩٨٥ أخرج عادل الأعصر فيلم " صفقة مع امرأة " الذى يرسم فيه عصام خطة لقتل ابن عمه رجل الأعمال الثرى عبد العظيم بمشاركة زوجته نجوى التى تهدف لوراثته ، وبمساعدة صديقه الطبيب النفسى المزيف شريف الذى عليه

أن يخفى الجثة ، والذى يثور على نجوى بعد أن أوهمته بحبها له . ويصل عصام إلى فيلا نجوى ويسترق السمع لحوارهما ، فيتفتح أنبوبة البوتاجاز ليتسرب الغاز ثم يطلق الرصاص فتشتعل الفيلا .

فى عام ١٩٨٦ أخرج محمد خان فيلم " مشوار عمر " الذى عالج فيه مأساة حلم الثراء السريع الذى يجتاح شباب هذا الجيل ، ويدفعه لانتهاج أى سبيل - مهما كان غير شرعى - لتحقيقه . فالفيلم عبارة عن رحلة الضياع والتى تؤكد أن طريق السرقة والخمر والجنس والفساد لا يمكن أن يؤدى إلا لنتائج من نوعه ، فلا يمكن فصل السبب عن النتيجة ، والوسيلة عن الغاية .

وشهد عام ١٩٨٧ فيلمين " مهمة صعبة جداً " لحسين عمارة ، و "الملعوب" لعثمان شكرى . الفيلم الأول مأخوذ عن فيلم "غريبان فى قطار" لألفريد هيتشكوك . الذى يتفق فيه أحمد على مع وحيد على أن يقتل له زوج أمه ، مقابل أن يقتل أحمد سلوى زوجة وحيد لكى يستحوذ على بوليصة تأمين تخصها . وينفذ وحيد الاتفاق ، أما أحمد فيتعرف بسلوى ويعترف لها بالخطة ، ولأن الشر لا يلد إلا الشر فإن الأمور تتفاقم إلى أن يلقى وحيد مصرعه برصاص الشرطة . وفى الفيلم الثانى يصاب عاطف فى حادث وينقل إلى المستشفى ، ويتفق مع أخوه حسين موظف التأمين على الادعاء بإصابته بالشلل حتى يحصل على قيمة التامين ، وهى حيلة تكررت فى أفلام كثيرة وإن كانت بأساليب مختلفة .

وشهد عام ١٩٨٨ فيلمين : " كل هذا الحب " لحسين كمال ، و " رجل ضد القانون " لحاتم راضى . الفيلم الأول لا يحمل من عنوانه أية دلالة . فهو زاخر بالانتقام ، وتلفيق التهمة الاختلاس ، والحكم بالسجن سبع سنوات ، وخطف طفل ، وينتهى الفيلم النهاية النمطية التى اشتهر بها حسن الإمام فى أفلامه الميلودرامية ، عندما يستدل البطل بمشاعر الأبوة على مكان ابنه فى أحد الملاجئ بعد بحثه الطويل عنه ، فأين هو كل هذا الحب ؟!! وفى الفيلم الثانى يلعب البطل الشرير

الدور النمطى المستهلك عندما يخطف جارته كى يتزوج منها بالإكراه ، لكن زوجته تثور ضده وتقتله !!

وشهد عام ١٩٨٩ فيلمين " اغتصاب " لعلى عبد الخالق ، و " يا عزيزى كلنا لصوص " لأحمد يحيى . فى الفيلم الأول تتعرض الممرضة عفاف لعملية خطف من ثلاثة شبان فى منطقة نائية ، ومع ذلك تتمكن من الهرب منهم والاحتماء بأصحاب المكان . وعندما يتم استئناف المطاردة يستيقظ ضمير أحدهم ويساعدها على الهرب مرة أخرى !! وفى الفيلم الثانى يشارك اللص محروس مع زميليه فى سرقاتهم ، على أن يخطط لهما العمليات ويقومان بالتنفيذ . وعندما يبدأ بخزانة عبد الله ، يعثر على أوراق تدين صاحبها مع مسئولين ، ويشرع فى ابتزازه . لكن صاحب الخزانة ينجح فى استعادة الأوراق من محروس ، إلا أنه يملك صورا أخرى من المستندات .

وشهد عام ١٩٩٠ أربعة أفلام زاخرة بالنصب والاحتيال والقتل : " ليس لعصابتنا فرع آخر " لكمال عطية ، و "إعدام قاض" لأشرف فهمى ، و " السقوط " لعادل الأعصر ، و " المطب " لحسن الصيفى .

فى " ليس لعصابتنا فرع آخر " يخترع النصاب عباس عسلية يشيع أنها تقوى الجسم وتشفى من الأمراض ويتهافت عليها الناس . ويتزوج عباس من نظيمة مما يثير غضب رئيسة الحكيمة بأحد المستشفيات لأنها تحبه لكنه يصدها ، فتبلغ الشرطة بوجود حالات تسمم ووفاة نتيجة تناول العسلية . ويتم القبض على عباس ، وتندم رئيسة التى تثبت براءته وتعود إليه زوجته ، ويقتنع عباس أن الوهم الذى أسعد الناس كاد أن يقضى على سعادته .

فى " إعدام قاض " يفشل رفيق الحناوى مدير المباحث فى إقناع القاضى النزيه رفعت بتزييف إحدى القضايا ، فيأمر أعوانه بقتله . ويقوم وكيل النيابة عادل باستبدال محضر التحقيق بآخر يثبت فيه انتحار رفعت . تمر السنوات ويفاجأ عادل

الذى أصبح محامياً بعلا ابنة رفعت ، تطلب منه أن يخطط لها جريمة قتل لرفيق . وتهدده بالمحضر الأصلى الذى وجدته بالصدفة . ويدعى لرفيق أن علا تطالبهما بمبلغ كبير مقابل التكتم ، إلا أنه يكتشف خديعة عادل . ويحاول أعوان رفيق قتل علا فيدافع عنها عادل الذى يصيبه رفيق بطلق نارى ، وقبل أن يلفظ أنفاسه يتمكن من قتل رفيق !! (وهكذا يطفح الفيلم بعوامل الشر والفساد لدرجة أن رجال المباحث والنيابة والقضاء والمحاماة يتحولون إلى مجموعة من السفاحين والقتلة والمجرمين !!)

فى " السقوط " يعمل حسن وتوحيدة فى مصلحة التليفونات ، ومن خلال تنصتهما على المكالمات يكتشفان العديد من الأسرار والجرائم التى يسجلانها ويهددان بها أصحابها ويبتزونهم ، ثم يبلغون عنهم رجال الشرطة . ويكونان ثروة كبيرة ويتزوجان . ويجرف الجشع حسن فيطالب إحدى ضحاياه بمليون جنيه . وبعد أن يصرف حسن المبلغ ، إذ بيد خفية تطعن توحيدة ، وهى تنتظره داخل البنك لتلقى مصرعها وينهار حسن .

فى " المطب " يعيش الزوجان فرج وفكرية حياتهما بالنصب . فهى تتصيد الرجال وتدعوهم لتناول العشاء . ويشترى الضحية كل ما يلزم من طعام ، وعندما يصل إلى الشقة يفاجأ بفرج الذى يدعى أنه أخوها فيهرب . أما فرج فهو يلقى بنفسه أمام السيارات مدعياً الإصابة ليبتز أموال صاحب السيارة بدلاً من تدخل الشرطة . وتأتى فكرية برجل مسن ، وعندما يظهر فرج يفقد الرجل وعيه ، فيستدعى فرج الدكتور تمبل وقد كان أحد ضحاياه فيوهمه أنه مات حتى يلقنه مع زوجته درساً يجعلهما يتوبان .

هكذا فرضت الشخصية الشريرة نفسها على السينما المصرية منذ بداية مسيرتها حتى الآن . وهذه ظاهرة طبيعية فى أية سينما أخرى فى العالم ، إذ أن الشر عنصر جوهرى ، وسيظل مواكباً للحياة التى لا يمكن تصورها بدونه . لكن

الظاهرة غير الطبيعيـة أن تتحـول الشـخصية الشـريرة إلـى كيـان نمطـى مسـطح لا يحتوى على أيـة جوانب أو أعمـاق أو أبعـاد أخـرى ، برغـم اختـلاف أنـواع الشـر والإجرام والفساد والانحراف ، وبرغم اختلاف الشخصيات الشريرة طبعاً لاختـلاف بيئتها وظروفها وتفكيرها وسلوكها . لذلك آن للسينما المصريـة وهـى تدخـل القـرن الحادى والعشرين أن تنفض يديها من الشرير النمطى الذى لا يعـانى مـن أى وخـز للضمير ، ولا أى صراع نفسى ، ويخطط لارتكاب الشر كأنه الشيطان نفسه .

إن الغـوص فـى أعمـاق الشـخصية الشـريرة يسـتدعى الدرايـة الواعيـة بعلـوم النفس والاجتماع بـل والاقتصـاد والسياسـة أيضـاً . فهـذه الشـخصية لا تـأتى مـن فـراغ ، ولا تولـد شـريرة ، بـل غالبـاً مـا تدفعهـا ضغـوط المجتمـع إلـى الانحـراف إلـى طريـق الشر ، عندمـا تجد طريـق الخيـر مسـدوداً فـى وجههـا . وفـى هـذا المجـال متسـع لجميـع المؤلفيـن والمخرجيـن بحيـث يصولـون ويجولـون فيـه دون خـوف مـن الوقـوع فـى براثـن العنـاصر النمطيـة الخانقـة والتـى حفظهـا الجمهـور عـن ظهـر قلـب .

* * * * *



سونيا والمجنون سنة ١٩٧٦



شـئ مـن الخـوف سنة ١٩٦٩



نســـاء الليـــل   سنة ١٩٧٣



المذنبـــون   سنة ١٩٧٥



شئ من العذاب   سنة ١٩٨٩

الفصل الثالث عشر

مـآسـى بنــات اللــيل

كـانت السـينما المصريـة بصفـة عامـة ، متعاطفـة مـع بنــات الليـل وحانيـة عليهـن بصفتهـن ضحايًـــا للمجتمـع . فهـن مجـرد نتـائج لأسـباب لا قبـل لهـن بهـا ، ولا يعتـبرن أسـباباً ومنـــابع للغوايـة و الإغـراء والفســاد . والظــاهرة الجديـرة بــالرصد والتحليـل أن السـينما المصريـة لـم تركـز الأضـواء علـى قضايـا بنـات الليل بصفـة منتظمـة إلا مـع مطلـع الخمسـينيات ، إذ يبـدو أنهـا لـم تكـن تشـكل قضيـة أو مأسـاة قبـل ذلـك ، إذ أن الدعـارة كـان مسـموحاً بهـا رسـمياً حتـى الأربعينيـات ، وتحـت إشـراف طبـى منتظـم ، وبالتـالى كـانت حرفـة مقبولـة مـن المجتمـع الـذى اعتادهـا ، فرآهـا تحمـل فـى طياتهـا المواصفـات والخصـائص العاديـة للحـرف ، وإن كـانت تنضـوى فـى الواقـع علـى بعض التوابل التى تجب التوابل التـى يمكـن أن تزايـد بهـا السـينما علـى هذا الواقع الـذى كـان أكثر إثـارة مـن أى فيلـم يـدور حولـه .

ومع المنع الرسمى للدعارة ، وانتقالها من تحت الضـوء إلـى حيـاة الظـلام ، فإنها اكتسبت إثارة وغموضاً بل وعناصر دراميـة وميلودراميـة ، يسـيل لهـا لعـاب السينما . فتحولت الحرفة إلى مأساة بمعنى الكلمة ، وأثيرت قضيـة الكيـان المنتهك للمرأة ، والظلم الذى يمارسه عليها المجتمع ، ويدفعها بـلا رحمـة إلـى السير علـى

الأشواك ، لأن لم تجد ما تتعامل به مع المجتمع سوى جسدها وشرفها وكرامتها . وهى قضايا لم تكن مطروحة بهذه المأسوية حتى الأربعينيات .

وكان المخرج الرائد كمال سليم أول من ألمح إلى هذا العنصر - الذى أصبح شبه نمطى بعد ذلك - عندما قدم معالجة مصرية لرواية فيكتور هوجو الشهيرة " البؤساء " عام ١٩٤٣ ، فى فيلم بنفس الاسم ، إذ يخرج الشرقاوى من السجن لسرقته خبزاً يسد به رمقه . وعندما يأويه الشيخ عبد الله ، يسرق أدواته الفضية ، ويبدأ فى تكوين ثروة من خلال مصنع للنسيج ويتسمى باسم شريف . ثم يقوم بإنشاء ملاجئ ومدارس ، وينفق الكثير فى سبيل الخير . وفى مصنعه تعمل درية التى لها ابنة غير شرعية ، تقوم المديرة بطرد ابنتها فتحترف الدعارة ، فيهيئ لها شريف منزلاً لها وابنتها . وعندما تموت الأم ، يتبنى الابنة التى تحب فتحى ، كما يتمكن شريف من تخليص الضابط الذى يراقبه من أيدى عصابة لصوص ، وفى النهاية تتزوج الابنة من فتحى وبحضور شريف باشا !

وكان حسن الإمام من أكثر المخرجين عطفاً على هذه الفئة البائسة من خلال أفلامه التى تجاوزت فى عددها أفلام أى مخرج أخر . فهو يرى أن سوء الحظ ولؤم الآخرين وضغوط المجتمع من العوامل المأسوية التى ألقت بهن فى طريق الأشواك والصخور ، وليس بسبب فجورهن وعهرهن وطبيعتهن التى فطرت على الفساد وصيد الرجال . ففى فيلم " ساعة لقلبك " الذى أخرجه حسن الإمام عام ١٩٥٠ ، يتزوج الثرى تيسير بك بعد وفاة زوجته الأولى من امرأة لعوب تخطط لتزويج ابنه أحمد من ابنتها ، برغم أنه تعاهد مع نعمت العاملة فى مصنع أبيه على الزواج . تتفق زوجة الأب مع عشيقها الملاكم على استدراج نعمت إلى بيت يدار للدعارة ، وهناك يقبض عليها البوليس وتودع السجن . يصمم خال نعمت وهو ملاكم أيضاً على أن ينتقم لها بمساعدة تيسير بك الذى لم يشك لحظة فى شرف الفتاة . ويتقابل الملاكمان فى حلبة الملاكمة ويتغلب عليه ويعترف له بالحقيقة .

وفى عام ١٩٥٥ أخرج حسن الإمام فيلم " بنات الليل " الذى يدور حول فتاة اضطرتها الظروف لكسب قوتها فتعمل راقصة . (ولم تكن الحدود واضحة و متبلورة بين الراقصة وفتاة الليل فى أفلام حسن الإمام ، بل كثيراً ما كنا نرى الراقصة وهى تنعى حظها البائس الذى أجبرها على امتهان الرقص !! والطريف أن هذا الدور كانت تقوم به راقصة وممثلة دوت شهرتها فى الآفاق !!!) . المهم أن الراقصة تصطحب بحاراً فى إحدى ليالى الغارات ثم يختفى من حياتها . وتكتشف أنها حامل . وترسل إليها العناية الإلهية حسين العامل البسيط الذى يحبها ويصمم على إنقاذها من هذا الوسط الموبوء والزواج منها ، لكن عائلته ترفض ، فتنسحب من حياته حفاظاً على مستقبله . وتبيع طفلتها لسيدة لا تنجب !! وتمر السنوات وتحاول استرجاع طفلتها لكنها تطمئن عليها عندما تعرف أنها تعيش مع أبيها الحقيقى ، وتموت فى النهاية .

وفى نفس العام (١٩٥٥) أخرج أحمد بدر خان فيلم " عهد الهوى " المقتبس عن رواية " غادة الكاميليا " وفيه يقع مطرب فى غرام عاهرة تتطهر بحبه فتتوب ، ويحاول أبوه إبعاده عنها دون جدوى فيذهب الأب إليها ويطلب منها أن تهجر ابنه صوناً لمستقبله وليتم زواج شقيقته . تلبى الرجاء وتهجر حبيبها ، وتسافر إلى الإسكندرية حيث تعيش بين المرض والوحدة . وبعد أن تتزوج شقيقته يشتد عليها المرض ، فتتصل بالأب تستعطفه لرؤية ابنه . ويسرع إليها الابن ليعلم مدى تضحيتها وتودعه وتموت .

(وهى الفكرة الرومانسية والميلودرامية التى عشقتها السينما المصرية ، والتى تؤكد أن جسدها الذى تلوث بالرجال ، لم يؤثر على نقاء سريرتها وقلبها) !!

وشهد عام ١٩٥٧ فيلمين : " حياة غانية " لحسام الدين المصطفى ، و "طريق الأمل" لعز الدين ذو الفقار . فى الفيلم الأول تترك حورية منزل أسرتها

بعد أن تموت أمها ويتزوج أبوها من أخرى تسومها العذاب . وينقذها الشاب صلاح من محاولتها الانتحار ويأخذها إلى مسكنه ويعتدى عليها . ويتضح أنه من تجار الدقيق الأبيض ، ويورد للكباريهات كل صيد يقع فى يده . وبالفعل تتألق كراقصة فى عالم الليل ، ثم تتقابل مع الكاتب حازم الذى يعجب بها ، فتقرر هجر حياة الليل ، فى حين يحاول صلاح أن يعيدها إلى عالمها ، لكنها فى نوبة غضب تطعن بسكين ، فيخرج مسدسه ويطلق الرصاص عليها فى نفس اللحظة التى يصل فيها حازم فتلفظ أنفاسها بين يديه .

وفى فيلم " طريق الأمل " تشتغل سنية مع أمها بحياكة الملابس . وفى إحدى الليالى تذهب لتوصيل فستان لمدام سطوحى التى تجعل من بيتها وكراً للدعارة ، فيراها عباس ويفتن بها . وفى الوقت نفسه يتردد على البيت الطيار حسين الذى يعجب بسنية ويتودد إليها ، وعندما يقبض عليها يدفع حسين الغرامة ويقنعها بالسفر معه إلى الإسكندرية لكى تبدأ حياة جديدة . وتعيش سنية فى الشقة التى يشترك فيها حسين مع صديقه رفعت وخطيب شقيقته ليلى . وعندما يعرض حسين عليها الزواج ، ترفض أمه وتطردها من البيت . وتبوح ليلى لسنية أنها تحب شخصاً ، تفاجأ سنية أنه عباس ، فتواجهه وهو يحاول الاعتداء على ليلى ، فتطلق عليه الرصاص وتحث ليلى على الهرب .

فى نفس العام أيضاً (١٩٥٧) أخرج حسن الإمام فيلم " وكر الملذات " الذى يعتبر نموذجاً أو نمطاً فرض نفسه - إلى حد كبير - على معظم الأفلام التى تناولت الحياة فى البيوت السرية ، والصراعات المأسوية التى تمر بها بنات الليل تحت وطأة ضغوط المجتمع الذى لا يرحمهن . وإن كان التركيز على الأحداث الميلودرامية الحادة أكثر من الاهتمام بالعالم الداخلى لكل ضحية من هذه الضحايا ، والخلفية الاجتماعية التى أدت إلى مثل هذه المآسى . فالفيلم يبدأ بنعيمة الفتاة التى لا مأوى لها ، والتى تلجأ إلى منزل الهانم وهى امرأة قوية يهابها الجميع ، هرباً من

البوليس بعد معركة بينها وبين رجل حاول اغتصابها . ولا تلبث نعيمة أن تصبح من البنات اللاتى يعملن لحساب الهانم ويصبح اسمها دلال . وتعترف لحسين ابن الهانم والذى يربط الحب بينهما بقصتها ، فيزداد تمسكاً بها ويقرر الزواج منها ، إلا أن أمه تسعى للتفريق بينهما . ويكتشف حسين حقيقة أمه والأوكار التى تديرها !! (وكأنه بعد كل هذا العمر لم يكن يدرى حقيقة عمل أمه !!) . ونظراً لأن الفساد لابد أن يعاقب ، بصرف النظر عن قانون السبب والنتيجة ، والذى يحتم ألا تكون النتيجة مفتعلة ودخيلة على سياق الأحداث ، بل محصلة طبيعية للأسباب التى سبقتها ، فإن حريقاً يشب بالمنزل ويكاد يقضى عليه ، وتفدى الأم ابنتها ويتزوج الحبيبان .

فى عام ١٩٦١ ألف حسين حلمى المهندس وأخرج فيلم " تحت سماء المدينة " الذى ينسج فيه ثلاث قصص لثلاث فتيات : الأولى سعاد التى تتزوج من محام شاب صاحب ضمير حى أما هى فيغريها بريق الحياة فتطمع فى الترف ، ولو على حساب الأسرة . والثانية منى فتاة فقيرة لفظها البيت الذى عاشت فيه فتهيم على وجهها حتى تقع فى يد عصابة من المتاجرين فى الأعراض وتجعل منها امرأة ساقطة . والثالثة بسيمة التى يخدعها رجل ثرى وباسم الزواج يغتصبها ثم يلفظها لتقع فى يد عصابة .

فى عام ١٩٦٢ أخرج إبراهيم عمارة فيلم " خذنى بعارى " الذى تعمل فيه ليلى فى مصنع تريكو ، وتنقاد للقواد شرف ، فى حين تقدم كل ما تجمعه إلى أبيها السكير وأمها . وتلتقى بحسن الذى يصر على أن يتزوجها ، لكنها تطلب منه أن يراجع نفسه حتى يعلم عنها كل شىء وعندما يعود أصدقاء السوء إلى ملازمته للترفيه عنه بالنساء الساقطات ، يجد نفسه أمام ليلى التى يغفر لها خطيئتها ، لكنها تموت فى حادث قبل إتمام زواجهما .

فى عام ١٩٦٣ أخرج حسن الإمام فيلم " زقاق المدق " كما أخرج نجدى حافظ فيلم " حياة عازب " . فى الفيلم الأول يظهر فى حياة حميدة فرج القواد الذى يدير حانة كبيرة ، ويسلب لب حميدة بل ويسلب شرفها أيضاً فتصبح راقصة يقدمها للضابط والإنجليز . ويعود عباس الحلو حبيب حميدة فى إجازة من أحد معسكرات الجيش البريطانى ، وتحمله المصادفة إلى البار . فيرى حميدة ويفهم كل شىء ، ثم تدور معركة رهيبة يقتل فيها فرج القواد كما تسقط حميدة مضرجة بدمائها ، فيحملها عباس إلى الزقاق حيث تلفظ أنفاسها الأخيرة .

وفى الفيلم الثانى " حياة عازب " يحلم عمر الموظف بشركة التأمين بالزواج من جارته هدى لكن أباها يرفضه لضآلة مرتبه . ويقضى مع أصدقائه ليلة حمراء مع فتاة من فتيات الليل . وتصاب الفتاة بإغماء ، فيظن أنها ماتت ، ويقرر الأصدقاء التخلص من الجثة ، فيفكر أحدهما فى إذابتها بالأحماض . وفجأة تفيق من إغمائها بعد أن يظن الجيران أن هناك حريقاً فى شقة عمر . ويرى والد هدى أنه السبب فى انحراف عمر فيغير رأيه ويوافق على زواجها منه . وهذا الفيلم من الأفلام القليلة التى عالجت موضوع فتيات الليل بهذه الروح المرحة الخفيفة .

فى عام ١٩٦٤ أخرج أحمد ضياء الدين فيلم " فتاة شاذة " المأخوذ عن قضية كريستين كيللر ، فتاة الليل الشهيرة التى وقع فى غرامها جون بروفميو وزير الدفاع البريطانى عام ١٩٦٢ ، والذى اضطر إلى الاستقالة لأنها كانت على علاقة بالملحق العسكرى السوفيتى فى لندن فى الوقت نفسه . فى الفيلم تحيا فتاة مستهترة حياة الفساد والمجنون بمصاحبة رجال من الموسرين ، منهم الوزير والدبلوماسى ، ويعاونها طبيب يعمل قواداً . ويحاكم الطبيب فى حين تحاول الفتاة الدفاع عن نفسها واتهام المجتمع بالحالة المزرية التى بلغتها .

فــى عــام ١٩٦٦ أخــرج صــلاح أبــو سـيف فيلــم " القــاهرة ٣٠ " الــذى يقبل فيـه محجـوب عبــد الدايـم أن يعمـل قـواداً لزوجتــه إحســان التــى ترضــخ لرغبـات الوزيـر قاسم ، مقـابل أن يصبـح زوجهـا مديـراً لمكتبــه .

وقد شهد عام ١٩٦٧ فيلمين :" السمان والخريف " لحسام الدين مصطفى ، و " نورا " لمحمود ذو الفقـار . فـى الفيلـم الأول يلتقـى عيسـى الدبـاغ السياسـى الـذى قضت عليه ثـورة يوليـو بفتـاة الليـل ريـرى التـى تتعلـق بـه وتخلـص لـه . وعندمـا يكتشف أنها حامل يطردها ، ويعيش متخبطاً . وتمـر سـنوات ويفاجـأ بريـرى التـى تتزوج من صاحب محل عجوز ، وترفض أن تعود إليه . وفى الفيلم الثانى تضطـر نورا لامتهان الرقـص فـى أحـد الملاهـى لتنفـق علـى أختهـا المريضـة . ثـم تحتـاج الأخت إلى إجراء عملية جراحية تتكلف كثيراً ، فيدفع زوجها نوراً إلى بيع جسدها حتى توفر المال اللازم للعملية .

وشهد عام ١٩٧٠ ثلاثة أفلام : " دلال المصرية " لحسن الإمام ، و " ونحن لا نزرع الشوك " لحسين كمال ، و" حب المراهقات " لمحمود ذو الفقار . فى الفيلـم الأول تتورط عطيات مع فؤاد ابن مخدومتها الذى يتخلى عنهـا ، وتطردهـا سيدتها دون أن تعـترف لهـا عـن الجـانى . وتعمـل عطيـات فـى مصنـع وتتطـور علاقتهـا بزميلها محمد ، وتصطحبها زميلتها إلى القوادة فاطمة لتضمها للعمل عندها وتغير اسمها إلى دلال ، وتتهم ظلماً فى جريمة قتل . وتشاء الصدفـة أن يكـون فـؤاد أحـد القضـاة ، ويحكم عليها بالسجن خمسة عشر عاماً . ويستيقظ ضمير فـؤاد ، فيسـتقيل من عمله ليصبح محامياً ، ويدافع عنها حتى يظفر لها بالبراءة . وعندما يطلب منها الزواج ، ترفض !!! وتــتزوج محمـد الـذى لا يـزال علـى حبـه لهـا وغفرانـه لماضيها .

فى فيلم " نحن لا نزرع الشوك " تقـع الفتـاة الفقيرة اليتيمـة سـيدة فـى شـباك بائعات الهوى وتصبح واحدة منهن ، وتكـون ثـروة كبـيرة مـن ممارسـة الدعـارة .

وتلتقى بصديق طفولتها عباس الذى يطمع فى ثروتها ، فيتزوجها ويبدأ فى ابتزاز نقودها . وتضع طفلها ، وتضيق بالحياة مع عباس فتلجأ إلى أسرة حمدى الذى أحبته فى صمت عندما عملت خادمة لديهم فى مطلع حياتها . لكن المأساة لابد أن تواكب حياة العاهرة ، فيموت ابنها فى حادث سيارة وتتدهور صحتها لتموت بين يدى حمدى .

فى فيلم " حب المراهقات " يصل الدكتور لزيارة ابنته فى بيت الطالبات ، لكنه يخطئ العنوان ويقصد بيتاً للدعارة !! ويتصادف وجود أحد مصورى الصحف فيلتقط له صورة تفضحه ظلماً !!! ويستبعده أعضاء جمعية أنصار الفضيلة برغم أنه رئيسها !!! (إلى هذا الحد لا يستطيع الدكتور حمدى التفرقة بين بيت الدعارة وبيت الطالبات ، بمجرد أنه يعيش فى المنصورة !! وهى نكتة أشد وطأة من نكتة الصعيدى الذى اشترى الترام !!!)

فى عام ١٩٧٢ أخرج حسين كمال فيلم " أنف وثلاث عيون " الذى تتحول فيه البطلة إلى فتاة ليل بدون أى مبرر درامى . فالقصة عبارة عن لعبة الكراسى الموسيقية التى تمارسها الشخصيات بحيث وجدت أمينة نفسها ملقاة خارج اللعبة فى ظلمات الليل . فقد التقت أمينة بالدكتور المعروف هاشم وتعلقت به ، إلا أنه ينصحها بالزواج من خطيبها لكنه لا يفكر فى الزواج . وتدب الخلافات بينها وبين زوجها فيطلقها . وتتردد مريضة القلب نجوى على عيادة هاشم ، فيعجب بها ويعرض عليها الزواج ، لكنها تفاجئه بزواجها . يلتقى بالفتاة المتحررة رحاب التى تفشل فى جذبه إلى عالمها ، ثم يفاجأ هاشم فى أحد البارات بأمينة التى أصبحت فتاة ليل !!!

وشهد عام ١٩٧٣ ثلاثة أفلام : " امرأة سيئة السمعة " لهنرى بركات ، و "دمى ودموعى وابتسامتى" لحسين كمال ، و" حمام الملاطيلى " لصلاح أبو سيف . فى الفيلمين الأولين تكتشف هناء أن زوجها كمال شاب وصولى يدفعها للخطيئة ،

فتستسلم لرئيس الشركة سعفان الذى يكافئه بتعيينه مديراً للمبيعات . تلتقى هناء بأحمد جارها القديم ، وتخفى عنه سلوكها ، ويتفقان على أن تطلب الطلاق ليتزوجها . وتضيق هناء بحياتها وبعلاقتها بسعفان ، فتعترف لكمال بعلاقتها بأحمد ، وتطلب الطلاق ، فيهددها بحرمانها من طفلها لتفاجأ بأحمد الذى يكشف علاقتها بسعفان ، ويرفض الارتباط بها فتعود للضياع .

فى فيلم " دمى ودموعى وابتسامتى " تلجأ ناهد لممدوح حبيبها فيعقد صفقه مع زوجها سعيد يكون شرطها أن يمنح ناهد الطلاق وعندما تتزوج ناهد من ممدوح ، تكتشف أنه وصولى ويجبرها على الاستسلام لمديره عباس مقابل أن يتولى إدارة مكتب الشركة بالمغرب .

أما فى فيلم " حمام الملاطيلى " فيقيم أحمد فى حمام الملاطيلى حيث المبيت به أرخص ، وحيث يتقابل مع الفتاة نعيمة الهاربة من أهلها ، والتى تتعيش ببيع جسدها ، ويستسلم لها تماماً . وفى الوقت نفسه تعجب به زوجة المعلم أمين صاحب الحمام فتشاغله وتوقعه فى شباكها فينصرف عن نعيمة . ويفاجأ بأهل نعيمة الذين توصلوا إلى مكانها ، ويقتلونها ليمحوا عارهم .

فى عام ١٩٧٤ أخرج محمد راضى فيلم " الأبرياء " الذى تعود فيه المومس الفاضلة للظهور بنفس تقاليد إنكار الذات والتى وضعها الكسندر ديماس من قبل فى رواية " غادة الكاميليا " وذلك من خلال شخصية الأرملة فردوس التى تقع فى يد القواد شوقى لكنها تهرب منه ، وتعمل ممرضة فى مستشفى . وعندما يحتاج الدكتور ممدوح لنقل كلية ، تتبرع له بكليتها ، لكنها تخفى عنه تبرعها ، وينمو الحب بينهما . لكن شوقى يتمكن من التوصل إليها ويوشى لممدوح بأنها مومس . وفى مصارحة بينهما توضح له فردوس ظروف سقوطها ، وتعترف له بتبرعها بكليتها . عندئذ يلحق بهما شوقى وهما فى قارب ، فيتعارك مع ممدوح ، فيلقى مصرعه ، وتموت فردوس غرقاً .

وشهد عام ١٩٧٥ ثلاثة أفلام بها ثلاثة بيوت تدار للدعارة : " الأنثى والذئاب " لنيازى مصطفى ، و " سؤال فى الحب " لهنرى بركات ، و " الحب تحت المطر " لحسين كمال .

فى " الأنثى والذئاب " تعيش سلمى حياة ضائعة بعد انفصال أبويها وزواج كل منهما بآخر . تستسلم لشفيق الذى يغمرها بحب كاذب ووعود زائفة بالزواج بعد أن يغتصبها . وينكشف لها خداعه وحقيقته كقواد يدير منزلاً للدعارة . وتهرب منه ويلحق بها أعوانه فى محاولة لقتلها . وينقذها أدهم الذى يصمم على تبليغ الشرطة بعد أن أخبرته بحقيقة شفيق ، إلا أن أعوان شفيق يتوصلون إليها ويقتلونها . ولكى تأخذ العدالة مجراها النمطى فإن حنان شقيقة سلمى تتعاون مع أدهم ورجال الشرطة فى القبض على شفيق وعصابته .

فى " سؤال فى الحب " يستمر ممدوح فى علاقاته النسائية بعد زواجه ، أما أخوه فتحى فيعانى من انشغال زوجته منى الدائم بعملها . يصطحبه ممدوح معه لمنزل إقبال التى تديره للدعارة ليشغل فراغه !! تتطلع أختها محاسن لحياة أفضل ولذلك فهى دائمة الخلاف مع زوجها . وتكتشف منى خيانة زوجها ، فتترك له المنزل . كما تضيق زوجة ممدوح بتصرفاته فتترك أيضاً المنزل . ويفاجأن كذلك فى منزل العائلة بمحاسن إلا أنهم يندمون على أخطائهم ويعود كل إلى منزله .

فى " الحب تحت المطر " يتعرف المخرج السينمائى محمد رشوان على مرزوق ويعرض عليه دوراً فى فيلمه أمام الممثلة المشهورة فتنة التى تعجب به وتنجح فى إيقاعه فى حبها ، فينشغل بها عن خطيبته عنايات . ويعجب المخرج عادل بفتنة ، لكنها تتزوج من مرزوق فينتقم منها بتشويه وجهها بماء نار . وتعود عنايات لسيرتها وتتردد على منزل الدعارة . وتتأزم علاقة مرزوق بفتنة ، فيطلقها ليعود إلى عنايات ويغفر لها سقوطها .

وشهد عام ١٩٧٦ ستة أفلام دفعة واحدة : " وبالوالدين إحساناً " لحسن الإمام ، و" سيقان فى الوحل " لعاطف سالم ، و" رحلة الأيام " لهنرى بركات ، و " أنا لا عاقلة ولا مجنونة " لحسام الدين مصطفى ، و " أمواج بلا شاطئ " لأشرف فهمى ، و " لا وقت للدموع " لنادر جلال .

فى فيلم " وبالوالدين إحساناً " يختلس محمود من الشركة التى يعمل فيها مع أبيه الساعى الذى يدبر المبلغ ويسدده . وينقله المدير إلى فرع الشركة بالأقاليم ، فى حين تسافر زوجته لولا لعلاج طفلتها بالقاهرة . يلحق بها محمود فى منزل أختها التى تديره للدعارة ، ليفاجأ بأكرم يحاول الاعتداء عليها . يتعاركان ويطعن لولا بطريق الخطأ لتموت . ويزوره والداه فى السجن فيطلب منهما الصفح .

فى فيلم " سيقان فى الوحل " تقضى فردوس مدة عقوبتها فى السجن بسبب سرقتها ساعة . وتلازمها فى نفس الزنزانة سامية التى تعمل فى إحدى الفرق الاستعراضية . ويتم القبض عليها ظلماً فى منزل للدعارة .! ويندم خطيبها على تخليه عنها ، وتعود إلى الفرقة بعد أن يتأكد الجميع من براءتها .

فى فيلم " رحلة الأيام " تفاجأ ياسمين بمكالمة هاتفية ، يخبرها فيها مجهول بأن أمها على قيد الحياة ، وترقد مريضة فى إحدى الشقق وتسرع إليها فى نفس اللحظة التى يداهم فيها رجال الشرطة الشقة التى تدار للدعارة ، ويتم القبض على الجميع . ويطلق مجدى زوجته ، وتمر السنوات ليتقابل مع الطفل سامح ، وتنشأ بينهما صداقة ، ثم يفاجأ بأنه ابنه عندما يلتقى بياسمين ويعود بينهما الوفاق .

فى فيلم " أنا لا عاقلة ولا مجنونة " تعيش نادية حياة قلقة بين والديها المطلقين . ويربط الحب بينها وبين المحامى حازم ويتزوجان إلا أنها تطلب منه الطلاق بعد أن يضيق بسيطرة أمه . وتعيش مع أمها وزوجها . لكنها تضبط فى قضية دعارة بترددها على منزل ميمى الذى تديره لهذا الغرض دون أن تعلم نادية ، ويقوم حازم بالدفاع عنها ! (هل يمكن لفتاة مثلها تزوجت وطلقت

واختبرت الحياة ، أن تكون من السذاجة أو الغباء بحيث لا تدرك أن مثل هذا المنزل يدار للدعارة ؟ !!)

فى فيلم " أمواج بلا شاطئ " يكشف حسام لنادر عن علاقة صالح بأمه نازك فينهار عندما يتأكد من ذلك . ويسافر إلى الإسكندرية ويتزوج فتاة الليل ميمى لينتقم من أمه !! وتسوء علاقته بصالح ، وتكثر الديون على المصنع الذى ورثه عن أبيه ، لكن صالح يستطيع أن يصلح ما أفسده حسام . وترحل ميمى بعد أن تفشل فى إصلاح نادر ! (بصفتها مومس فاضلة !!) ويندم على موقفه من أمه وصالح ويعود بينهم الوفاق . ويحاول إعادة ميمى فترفض وتعود لسيرتها الأولى كفتاة ليل !!!

فى فيلم " لا وقت للدموع " تكتشف عزة أن صفاء تعمل فى ملهى ليلى لتوفر المال اللازم لعلاج عزة نفسها . وعندما يقبض على صفاء فى قضية دعارة ، تلجأ عزة إلى خليل صاحب الملهى لكى يقرضها مبلغاً لتوكل محامياً ، فيشترط عليها أن تعمل فى الكباريه . ويحكم على صفاء بالسجن وتفاجأ عزة بعودة خطيبها عمرو الذى ظنت أنه مات فى مهمته العسكرية ، وتعترف له بما حدث ، ويتمسك بها ويحدد موعد زواجهما لكنها تنتحر !!

وشهد عام ١٩٧٧ أربعة أفلام :" سونيا والمجنون " لحسام الدين مصطفى ، و " عندما يسقط الجسد " لنادر جلال ، و " همسات الليل " لحسين حلمى المهندس ، و " آه يا ليل يا زمن " لعلى رضا . فى الفيلم الأول يلتقى الطالب مختار بسونيا التى تدفعها ظروف حياتها لاحتراف الدعارة ، فيطلب منها أن تتوقف عن العمل مقابل أن يمدها بالمال لأنه يحبها . وفى الفيلم الثانى ينصح محمود مديحة بعدم التردد على منزل طلعت الذى يديره للدعارة ، فتعترف له باضطرارها للانحراف نتيجة لحياتها المضطربة . ومع ذلك يقرر الزواج منها ، لكنها تواصل انحرافها وتحاول الانتحار بعد القبض عليها عند مداهمة الشرطة لمنزل طلعت . فيقرر

محمود العودة إلى بلدته ويتزوج من هنـاك • وفـي الفيلـم الثـالث يفشـل طـارق فـي معاشرة زوجته مديحة ، ولا يجد علاجاً لحالتـه إلا عنـد فتيـات الليـل . فتشـير أمـه على مديحة بتمثيل وتقمص فتاة ليل بعد أن تغير مظهرهـا . لكـن طـارق لا يشـفى من عقدته إلا بعد موت أمه بسـقوطها مـن مكـان عـال . وفـي الفيلـم الرابـع يسـاوم إلياس فاتن كى تقضى يوماً مع أحد الأمراء العرب ، فيتعارك حبيبهـا محمـود معـه بحيث يلقى إلياس مصرعه ، ويصاب محمود فى سـاقه . ويعـود بفـاتن إلـى مصـر لكنها تنسحب من حياته لأنه متزوج !!

وشـهد عـام ١٩٧٨ فيلمين : " سوزى بائـعة الحب " لسيمون صـالح ، و " شفيقة ومتولى " لعلى بدر خان ، فى الفيلم الأول يلتقـى فتحى بفتاة الليل سـوزى ، ويأتى بها إلى الشقة التى يشاركه فيها سعيد وأحمد المعيد بالجامعة الذى يستعد لنيـل الدكتوراة ، والذى يطلب من سوزى أن تكف عن عملها مقابل مبلغ يدفعـه لهـا بعـد أن علم الظروف الصعبة التى دفعتها للانحراف . وفـي الفيلـم الثـانى يذهـب متولـى مع آلاف المصريين للمشاركة فى حفر قناة السويس . وتستجيب أخته شفيقة للشـاب الفاسد دياب الذى لا يكـف عـن ملاحقتهـا . وعندمـا يكتشـف أهـل القريـة علاقتهمـا الآثمة يضطران للرحيل مع القوادة هنادى إلى أسيوط . ويعود متولى فيفاجأ بسقوط أخته ، وعندما يهم بقتلها بالخنجر ، تصاب بطلقـات رصـاص أفندينـا خوفـاً مـن أن تفشى سره كتاجر للعبيد .

وشهد عام ١٩٨١ فيلمين مقتبسين : الأول " المشبوه " لسمير سيف عن فيلـم " لص لمرة واحدة " لألان ديلون ، والثانى " سأعود بلا دموع " لتيسـير عبـود عـن مسرحية " زيارة السيدة العجوز " لدورنيمات . فى الفيلم الأول يتعرف اللص مـاهر على فتاة الليل بطة فى أثناء قيامه بسرقة أحد المنازل . ويشـتبك مـاهر مـع ضـابط المباحث طارق ويصيبه وينزع مسدسـه . ويهرب ببطة ويتزوجـان ويقـرران التوبة . وفى الفيلم الثانى ترحل هند عن بلدتهـا هربـاً مـن اضطهـاد الأهـالى لهـا ،

وتتعرف على القواد سالم وتكون ثروة كبيرة من احترافها الدعارة ، وتتزوج من المليونير الهلباوى الذى يكتب كل ثروته باسمها . ثم تعود إلى البلدة وتمارس انتقامها من كل الذين اضطهدوها وتصاب بالجنون .

فى عام ١٩٨٢ أخرج أحمد ياسين فيلم " أشياء ضد القانون " الذى يتخلى فيه رءوف عن أزهار ويتزوج من سهام ابنة راشد . وتتزوج أزهار من القواد زغلول الذى يرغمها على العمل معه . ويفاجأ رءوف بأزهار متهمة فى قضية دعارة . ويندم لموقفه منها ويقف بجانبها . ويضغط على زغلول حتى يطلقها بالفعل ، وعندما يقرر الزواج يتفق الدكتور راشد أبو بسهام ، مع زغلول على الانتقام منهما بتلفيق تهمة دعارة لها ويحكم عليها بالسجن ثلاث سنوات .

وشهد عام ١٩٨٣ فيلمين غاصا فى أغوار حياة بنات الليل وبيوت الدعارة : " درب الهوى " لحسام الدين مصطفى ، و " خمسة باب " لنادر جلال . فى الفيلم الأول تدير حسنية فندقها للدعارة بمساعدة صالح . ويتردد على الفندق مراد وصديقه عبد العزيز الأستاذ الجامعى الذى يقع فى حب أوهام ويقرر الزواج منها !! (وما أسهل اتخاذ قرار الزواج فى السينما المصرية حتى لو كان بين أستاذ جامعى ومومس !! ذلك أن الذكر على الشاشة سرعان ما يسيل لعابه لأية أنثى يقابلها بصرف النظر عن أى اعتبار اجتماعى أو ثقافى !!!) . أما مراد فيتودد لسميحة ، ويوهمها بحبه ويتفقان على سرقة مصوغات حسنية بمساعدة صالح بعد أن توهمه بحبها . وتكتشف سميحة خديعة مراد ونيته للاستحواذ على المصوغات فتقتله . ثم ينهار عبد العزيز عندما يفاجأ بمقتل أوهام على يد أخيها الذى يخرج من السجن ويعلم بانحرافها .

فى فيلم " خمسة باب " يلفق القواد عباس وتراضى تهمة حيازة مخدر للكونستابل منصور مما يؤدى إلى فصله من عمله . ولكن بمرور الوقت تتوطد علاقته بتراضى التى تضطرها ظروف مرض ابنها لاحتراف الدعارة بعد وفاة

زوجها . ويتنكر منصور في شخصية كرياكو الذى يستحوذ على تراضى ، فيخطف عباس ابنها ليضغط عليها لتعود للعمل . وعندما تفشل محاولته يتفق معها على استدراج كرياكو إلى مكان مهجور ليستولى على نقوده مقابل أن يعيد إليها أبنها ، فتوافق . وعندما يهم عباس بقتل كرياكو ، يكشف له عن حقيقته ويشتبك معه ، ويتم القبض على عباس وأعوانه ، وتعود تراضى بابنها إلى المستشفى .

وشهد عام ١٩٨٤ ثلاثة أفلام : " شوارع من نار " لسمير سيف ، و " بحر الأوهام " لنادية حمزة ، و" شقة الأستاذ حسن " لحسين الوكيل . في الفيلم الأول يعتدى الشاويش إمام على أحد الجنود الإنجليز فيفصل من الخدمة . ويشتبك مع القواد جلال وينتصر عليه ويحل محله ، ويتزوج من العاهرة نفيسة ويمنعها من العمل . ويحول المنزل إلى كباريه عندما تلغى الحكومة الدعارة ، وتحاول نفيسة إقناعه بالعمل الشريف لكنه يرفض . وفي الفيلم الثاني تقع سامية في يد نواعم التي تدير منزلاً للدعارة وتجارة المخدرات . وينمو الحب بينها وبين القواد ماهر ويقرران الهرب ، لكن الظروف تحول دون تمكن ماهر من اللحاق بها ، وبعد حين يلتقيان ويقرران التوبة والزواج ، ويتعاونان مع الشرطة في الإيقاع بنواعم . وفي الفيلم الثالث يترك حسن الموظف البسيط شقته لرؤسائه كي يستغلوها لمقابلة النساء فيها مقابل ترقيته ، وهو مأخوذ عن فيلم " الشقة " لبيلي وايلدر .

وشهد عام ١٩٨٥ فيلمين : " انحراف " لتيسير عبود ، و " الحلال والحرام " لسيد سيف . الأول مأخوذ عن مسرحية " عربة اسمها الرغبة " لتنسى ويليامز ، وفيه تتزوج هدى ابنة الثرى أبو ماضي من سائقهم حسن ويرحلان إلى القاهرة ، أما أختها سميحة فهي تستسلم للقواد كرم وينتحر زوجها علاء الذى تسعى لتسديد ديونه ، فتدخل السجن في قضية آداب ، بعد الإفراج عنها تبحث عن عنوان هدى

وتتوصل إليها . ويتعلق كمال صديق حسن بسميحة ، ويتفقان على الزواج برغم تحذير حسن له . ويلتقى كرم بحسن ويبوح له بحقيقة سميحة فيواجهها ، فلا تتكر وتنهار وتصاب بالجنون .

فى الفيلم الثانى " الحلال والحرام " تعمل مواهب وسهام فى بيت يدار للدعارة . وتنجح سهام فى إيقاع صفوت فى شباكها وتخفى عنه ماضيها وتستقيم ، فى حين يحكم على مواهب بالسجن فى قضية آداب ، وتتخلى عنها سهام برفضها توكيل محام لها . ويجدد خليل حبه لسهام . وتنتقم مواهب بعد الإفراج عنها من سهام بأن تبوح لصفوت عن حقيقتها وعلاقتها بخليل . (وهكذا لا يفل الفساد إلا الفساد نفسه !!)

وشهد عام ١٩٨٦ أربعة أفلام : " ملف فى الآداب " لعاطف الطيب ، و " لا تدمرنى معك " لمحمد عبد العزيز ، و " وصمة عار " لأشرف فهمى ، و " الزيارة الأخيرة " لشريف حمودة .

فى " ملف فى الآداب " يطلب سعيد ضابط مباحث الآداب من القواد سيد أن يرشده عمن يشتبه فيه من رواد مطعمه ، فيبلغه عن الصديقات الثلاث مديحة وعايدة ورجاء اللاتى يقضين فترة الظهيرة بالمطعم . وتوافق مديحة على الزواج من زميلها كمال ، فيطلب منه رئيسهما رشاد أن يدعوه مع مديحة وصديقتيها لمنزله ، وينضم إليهم صديقه شريف ويراقبهم سعيد ، ويداهمون الشقة ويقبضون عليهم بتهمة الدعارة !!

فى " لا تدمرنى معك " تداهم شرطة الآداب شقة الخياطة لولا ، ويتم القبض على الجميع ، وتفاجأ هدى - إحدى المقبوض عليهن - بأن لولا تدير شقتها للدعارة . وعندما تفشل فى إثبات براءتها أمام وكيل النيابة فارس ، يطلقها زوجها ويطردها أبوها بعد الإفراج عنها فتصمم على الانتقام من فارس !! (وما ذنبه ؟! لقد كان يؤدى واجبه كوكيل نيابة ، ولم يكن ليؤذيها لو أنها أثبتت براءتها

أمامه !!!) . المهم أنها تحصل على شقة مجاورة لشقته ، وتتعرف عليه لكنه لا يتذكرها !! وتكون ثروة كبيرة من ممارسة الدعارة ، وتصبح على علاقة بشخصيات كبيرة ومسئولة . وتقنع فارس بالاستقالة وتدبر له عملاً بمرتب كبير في شركة صديقها توفيق ، ثم تلفق له تهمة تهريب ماس ، ثم تشجع صديقها هشام للتودد إلى ابنة فارس ثم يغتصبها وتحمل . وعندما تكشف عن شخصيتها لفارس يقتلها فى النهاية !!

فى " وصمة عار " يعيد اشرف فهمى إخراج رواية " الطريق " لنجيب محفوظ ، والتى قدمها حسام الدين مصطفى من قبل عام ١٩٦٤ بنفس اسمها الأصلى . وكل الأحداث والمواقف تنبع من شخصية القوادة عزيزة التى تطلب من ابنها قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة أن يبحث عن أبيه الثرى ، وتنتهى رحلة البحث بالحكم عليه بالإعدام .

فى " الزيارة الأخيرة " يقع شاب فى حب الفتاة سعاد إلا أنه ينهار عندما يكتشف أنها منحرفة . وينصحه جاره الأزهرى بأن يتزوجها لينقذها من مصيرها ، لكن أمه تحاول جاهدة منع زواجها فهم مفلسون ، وعندما يشتد المرض بوالد سعاد ، تلجأ إلى الاستدانة من فريد ، فيحاول الاعتداء عليها وهو مخمور فتقاومه ، وتحاول طعنه بسكينة إلا أنه يصيبها وتموت !!

فى عام ١٩٩٢ اخرج شريف يحيى فيلم " شفاه غليظة " الذى يلتقى فيه المحامى علاء بالنشالة ماجدة التى تضطرها ظروف مرض أمها لذلك ، فيتعاطف معها ويربط الحب بينهما ، إلا أن شقيقه رئيس المباحث يقف فى طريقهما بمنتهى الصلابة ، خاصة عندما يكتشف أن ماجدة متهمة فى قضية آداب . لكن عندما يتحرى علاء عن ذلك ، يتأكد من براءتها إذ أن مدير الشركة هو الذى استدرجها للشقة دون أن تعلم حقيقتها لأنها صدته برغم إعجابه بها . وأخيراً يتم الإفراج عنها ويبارك الأخ حبهما وزواجهما !!

وفى عام ١٩٩٣ أخرج طارق العريان فيلم " الباشا " الذى يتم فيه نقل ضابط المباحث حسام من إدارة مكافحة المخدرات إلى الآداب حيث يكشف شبكة للدعارة يديرها جو من ديسكو ، والذى يحكم عليه بالبراءة برغم كل الأشرطة المسجلة التى تدينه ، بل يستطيع أيضاً بنفوذه أن ينقل حسام فيقدم استقالته . ويحاول حسام أن يخترق هذا المكان المحصن بعلاقات صاحبه مع أصحاب النفوذ ، لكنه يفشل . ويكتشف أن المطربة سارة لا تعرف ما يدور حولها فى المكان ، وينجح حسام فى إنقاذها من الانحراف مما يعيد إليه توازنه وثقته بنفسه .

* * * * *

وبرغم كل هذا الاهتمام الذى أبدته السينما المصرية بقضية بنات الليل ودنيا الدعارة وتجارة الرقيق الأبيض ، فإنها ستظل قضية هامشية للغاية فى المجتمع المصرى ، لإيمان الناس بأن الجنس خارج إطار الشرعية حرام ومعصية ، لارتباطه فى الأذهان بالقيم الدينية التى تحض على الحلال وتنهى عن الحرام . وذلك على النقيض من الحضارة الغربية المعاصرة التى ترى فى الممارسة الجنسية إشباعاً حسياً لابد أن يتحقق ، مثله فى ذلك مثل أى إشباع آخر يطلبه الجسد . لكن تركيز السينما المصرية على حياة بنات الليل وتجارة الرقيق الأبيض ، وجعلهما عنصراً نمطياً إلى حد كبير ، كان من قبيل محاكاة السينما الغربية بصفة عامة والسينما الأمريكية بصفة خاصة ، واستغلال للتوابل التى ينطوى عليها هذا العنصر النمطى .

والظاهرة الجديرة بالرصد والتحليل أن معظم العناصر النمطية فى السينما المصرية ، كانت بمثابة قضايا هامشية للغاية بحيث لا تمس صميم المجتمع المصرى وجوهره . وبالتالى فإن ما ينطبق على موضوع الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً ، والانتقام والقتل والعنف ، وفقد

الذاكـرة والجنـون ، والعصابـات والمخـدرات ، والسـحر والشـعوذة ، واليـانصيب والـثروات المفاجئـة والوصايـا ، والنصـب والاحتيـال والـتزييف والتـآمر وتلفيـق التهـم ، والخطـف والابـتزاز والتهديـد ، والإدمـان والسـموم البيضـاء ، والانتحـار وغير ذلـك مـن العنـاصر النمطيـة التـى أدمنتهـا السـينما المصريـة ، وفـى الوقـت نفسـه أعاقتهـا عـن التفـاعل الحـى والمثمـر مـع جوهـر المجتمـع المصـرى الـذى لـم تبلـوره سوى الأفـلام غير النمطيـة التـى أفردنـا لهـا الفصـل الأخير مـن هـذه الدراسـة ، والتـى أثبتـت أن السـينما المصريـة تملـك من قـوى الدفـع والتطوير مـا يمكن أن تنطلـق بهـا إلـى آفـاق لـم تبلغهـا مـن قبـل، لـو حرصنـا علـى تدعيـم هـذه القـوى الإيجابيـة وتحويلهـا إلـى طاقـات خلاقـة ومتجـددة دائمـاً .

* * * * *



الظـلال عـلى الجـانب الآخـر سنة ١٩٧٤ م



الشـــوارع الخلفيـــة سنة ١٩٧٤ م

الفصل الرابع عشر

الانتحار والتضحية لوجه الله

يعتبر الانتحار فى المجتمع قضية هامشية لان الدين يحرمه ويرى فيه قتلاً للنفس . فمهما ضاقت السبل فى وجه الإنسان ، فإن إيمانه نادراً ما يتزعزع بأن الله عز وجل سوف يفرجها فى وجهه فى الوقت المناسب . وأمثالنا الشعبية عن الإيمان والصبر أكثر من أن تحصى ، وحتى أسمائنا مثل فرج ، وفرج الله ، وصابر ، وصبرى ، وصابرين ، وعبد الصبور ، وإيمان .... الخ تدل على هذه القيمة الدينية المترسخة فى وجداننا .

ولذلك فإن الشعب المصرى من آخر شعوب الدنيا لجوءاً إلى الانتحار ، لأن المنتحر مصيره النار . فقد منح الله الروح للإنسان وهو وحده فقط الذى يأخذها منه ، فلا تجرؤ الإرادة الإنسانية أن تتدخل فى الإرادة الإلهية .

وبرغم هذه القيم الدينية المترسخة فى وجدان الشعب المصرى ، فإن الانتحار يشكل عنصراً نمطياً فى السينما المصرية لا يمكن تجاهله . ولعل هذا يرجع إلى تأثر السينما المصرية بالسينما فى الغرب حيث يعتبر الكثيرون الانتحار قراراً من حق الإنسان أن يتخذه . أما من الناحية الدرامية والفنية ، فإن الانتحار يشكل ذروة مأسوية بل وميلودرامية مثيرة لابد أن يتابعها المتفرج وهو مستسلم لشتى الانفعالات المتضاربة والمشاعر المتناقضة التى تجتاحه ، وخصوصاً فى

مجتمع تندر فيه ظاهرة الانتحار ، ولا تعد خبراً من الأخبار العادية التى يتلقاها الإنسان فى حياته اليومية .

وظاهرة الانتحار فى الأفلام المصرية ترجع إلى عدة أسباب ، يأتى فى مقدمتها اليأس المطبق ، أو الهرب من رعب لا قبل للإنسان به ، أو التضحية بالنفس حتى لا يصبح الإنسان عقبة فى طريق من يحبهم ويخاف عليهم . لكن التضحية تتخذ عادة صوراً متطرفة وغير مقنعة ، وكأن حياة الإنسان لعبة بين يديه . بل يبدو السبب فى بعض الأحايين غير مقنع لكى يرتكب الإنسان مثل هذه التضحية المثالية .

وفى بعض الأفلام يبدو المؤلف وكأنه عاجز عن إنهاء الفيلم - خاصة فى عقدى الثلاثينيات والأربعينيات – فيلجأ إلى الانتحار أو التضحية الفادحة ، ليضع حداً لحياة البطل أو البطلة . وهى نهاية غير شديدة الوطأة على مشاعر جمهور هذين العقدين ، إذ لم تكن الحياة ضاغطة عليه بتعقيدها وإيقاعها اللاهث المثير للكآبة والضياع كما يحدث الآن ، ولذلك كان يستمتع بالدموع اللامعة فى عيونه الحمراء وهو خارج من دار السينما بعد انتهاء الفيلم . فقد كان الشجن فى ذلك الزمان رفاهية وجدانية يمارسها الإنسان كدليل على رقة مشاعره ورهافتها . لكن يظل مفهوم الانتحار فى السينما المصرية مفهوماً غربياً مادياً ، وعلى النقيض من مفاهيم الشرق الروحانى والأديان السماوية .

فى عام ١٩٢٩ أخرجت عزيزة أمير فيلم " بنت النيل " عن مسرحية محمد عبد القدوس " إحسان بك " ، وفيه تتدخل أمينة هانم فى مصير ابنتها مفيدة فتختار لها محمود بك خطيباً برغم أنفها . فهى تحب على بك عالم الآثار وترسل إليه خطاباً ، لكنه يصله متأخراً . وفى أثناء ذهابه إليها فى ليلة زفافها إلى محمود ، تصدمه سيارة وينتقل إلى المستشفى . وتعيش مفيدة حياة قاسية مع محمود الذى يبدد ثروتها . ويصلها خطاب من على يعلمها بما حدث ويذهب لمقابلتها . وعندما

يعلم الزواج بهذا اللقاء ، يطلقها ويحرمها من ابنتها . وتصاب مفيدة بالجنون . وبعد أربع سنوات تعود لابنتها التى لا تحتملها فتنتحر .

فى عام ١٩٣١ أخرج إبراهيم لاما فيلم " وخز الضمير " الذى يتزوج فيه أمين بك من الفتاة الأجنبية مارجريت التى تهيم حباً بابن أخى زوجها فؤاد . ويستنكر فؤاد حبها المحرم ويصدها ويسعى لإتمام زواجه من ابنة عمه سهام . وتشتعل الغيرة فى قلب مارجريت وتكيد لفؤاد الذى يشتبك فى عراك مع أحد الشبان ، فتطلق مارجريت الرصاص على الشاب فتقتله . ويقبض على فؤاد لكن ضمير مارجريت يستيقظ ، وتكتب رسالة تبرئ فيها فؤاد ثم تنتحر !!

فى عام ١٩٣٣ أخرجت عزيزة أمير " كفرى عن خطيئتك " الذى تتعرض فيه حياة ابنة أمير هندى فى الطريق للخطر ، فينقذها شاب مصرى ، ينال إعجابها ثم حبها . ويعلم شقيقها وخطيبها بهذه العلاقة ، فيقومان بحجزها إلا أنها تتمكن من الهرب وتلجأ إلى الشاب ليعيشا معاً . ويتمكن أخوها من التوصل إلى منزلها ويجبرها على العودة إلى البيت . ويموت أبوها فى فترة هروبها ، وهو الذى جاء من الهند للاستشفاء فى مصر . ولا تحتمل الفتاة بعدها عن حبيبها فتقرر الانتحار وتتناول السم وتموت .

فى عام ١٩٣٥ أخرج محمد كريم فيلم " دموع الحب " الذى يعيش فيه الشاب محمد فى غرفة بمنزل أحد الأثرياء . وينمو الحب بينه وبين نوال ابنة هذا الثرى ، ويتفقان على الزواج ، إلا أنه يفاجأ بها تخطب لصديقه الثرى . ويقترح عليها صديقه عفيف السفر إلى الشام للعمل على مسارحها . ويعود بعد فترة فيجد أن زوج نوال قد بدد ثروته على القمار وانتحر . ثم يتوفى والد نوال ، وتطلب منه أن يسامحها فيتردد ، فتنتحر بإلقاء نفسها فى البحر ، ليعيش هو على ذكراها !! (وكان من الممكن أن تتزوج من حبيبها الأول بعد وفاة زوجها ، لتعود المياه إلى مجاريها الطبيعية ، ويعيشا فى تبات ونبات ويخلفا صبيان وبنات ، لكن

يبدو أن هذه المجارى الطبيعية لم تكن مشبعة عاطفياً وانفعالياً فى ذلك الزمان ، ولذلك حلت محلها الأحداث الميلودرامية العنيفة وفى مقدمتها الانتحار . فمن الأفضل أن يعيش البطل على ذكرى حبيبته الراحلة من أن يلتئم شملهما !!!) .

فى عام ١٩٣٩ أخرج أحمد سالم فيلم " أجنحة الصحراء " الذى كان أول فيلم يضع تقاليد التضحية بالحب فى سبيل الواجب ، وهى عنصر نمطى سرى بعد ذلك فى أفلام كثيرة عندما يقف البطل بين شقى الرحى : العاطفة أم الواجب ؟ وعليه أن يختار بينهما فى لحظة مصيرية ! وغالباً ما كان اختياره للواجب مضحياً بمشاعره وعواطفه بل وحياته فى بعض الأحايين . فالبطلة فى الفيلم تقبل أن تحطم قلبها لتسعد من تحب ، وتعيش حياتها وفية ومخلصة لحبها الذى زال . فقد كان الحب فى تلك الأيام البعيدة قدراً لا يملك الإنسان سوى الرضوخ له !

فى عام ١٩٤٠ أخرج إبراهيم لاما فيلم " صرخة فى الليل " الذى يتزوج فيه رجل ثرى من امرأة ساقطة ، فلا تخلص له بل تدعو عشيقها إلى العزبة . وكان ناظر العزبة أقرب الشخصيات لزوجها لكنها تفرق بينهما . وتحدث مشاجرة بين العشيق وناظر العزبة . ويراقبها الزوج ويعلم بالحقيقة . ويعد وصيته ويرسلها لناظر العزبة بالبريد وينتحر . وتتهم الزوجة الناظر بقتله فيقبض عليه ولكن وصول الوصية يجلى الحقيقة !

(وهذا الانتحار لا معنى له ولا ضرورة ، كما أن حياة الزوج كلها لا لزوم لها ، فكل ما فعله أنه تزوج من ساقطة ثم تركها تمارس حياتها الفاجرة كما تشاء ، وبدلاً من أن يدافع عن كرامته ويمسك بزمام الأمور ، انتحر كأنه لم يكن !!!) .

فى عام ١٩٤٤ أخرج توجو مزراحى فيلم " نور الدين والبحارة الثلاثة " الذى يعيش فيه الفطاطرى عثمان عبد الباسط سعيداً مع زوجته إلى أن تزوره حماته التى توقع بينه وبين زوجته إلى درجة أصبح لا يطيق فيها مواصلة الحياة . ويصمم على الانتحار هو ومساعداه اللذان يعملان معه فى الدكان . (والسؤال

الطريف الذى يطرح نفسه هنا : ولماذا ينتحر مساعداه معه ؟!) المهم أن الثلاثة يذهبون لتنفيذ الفكرة ، لكنهم يجدون من يعرض عليهم العمل كبحارة فى مركب شراعى يملكه الأمير نور الدين . وتصل المركب إلى إحدى الجزر ، ويقع الأمير فى حب ابنة أمير الجزيرة ويتزوجها !!

فى عام ١٩٤٥ أخرج أحمد كامل مرسى فيلم " الجنس اللطيف " الذى يلتف فيه حول المطرب أمين بعض المعجبات حتى بعد زواجه . وتحاول زوجة راشد بك أن تغريه فتوصى زوجها أن يعينه فى شركته . ويعلم راشد بجب زوجته لأمين فينتحر بعد أن يعترف بذلك فى خطاب لكن زوجته تخبئه .وتحوم الشبهات حول أمين ، وتسرق إحدى المعجبات الخطاب ، وتحاول أن تغريه إلا أنها تفشل ، وبالفعل يأخذ الخطاب الذى يثبت براءته ويعود لزوجته . (وما ضرورة الانتحار هنا ؟! وخاصة أن أمين كان مخلصا لزوجته ولم يخنها مع زوجة راشد بك ؟! ألم يكن الطلاق كافياً للتخلص منها ؟! أم أنه ميل طبيعى للانتحار وفى انتظار أى دافع ، مهما كان تافهاً ، ليورد صاحبه موارد التهلكة ؟!) !

فى عام ١٩٤٥ أيضاً أخرج عمر جميعى فيلم " الأم " الذى رسخ فيه مفهوم التضحية التى تصل إلى ما يشبه الانتحار من خلال عائلة متوسطة الحال ، مكونة من زوج وزوجة وثلاثة أبناء . وفى مواجهة النفقات الباهظة يجد الأب نفسه مرغماً على سلوك طريق الحرام . وعندما يقبض عليه ، يلصق الابن الأكبر التهمة بنفسه . لكن الأب يموت ، ويتزوج باقى الأبناء ، وتبقى الأم وحيدة صابرة وراضية على قدرها إلى أن يفرج عن ابنها الذى حالفه الحظ عقب خروجه من السجن واستطاع أن يحقق لأمه السعادة التى افتقدتها فترة طويلة .

فى عام ١٩٤٦ أخرج فؤاد الجزايرلى فيلم " اليتيمة " الذى تبدأ فيه الأحداث بانتحار الفتاة التى خدعها حبيبها ، وترك طفلتها تحت رحمة المجتمع والقدر . وتمر السنوات وتصبح الفتاة ممرضة فى مستشفى عبد الستار بك ، وهو رئيس

عصابة لتهريب الذهب !!! وعندما يعلم أن ابنه قد وقع فى غرامهـا ، يكـاد يفصلهـا من عملها لولا تمسك ابنه بهـا والذى يتزوجها بعد أن يكشف أبـاه الـذى ينـال جزاءه .

وشهد عام ١٩٤٧ فيلمين من أفلام التضحية التـى أدمنتهـا السـينما المصريـة فى عقودها الأولى : " القنـاع الأحمر " ليوسـف وهبـى ، و " اليتيمـة " لمحمـد عبـد الجواد . فى الفيلـم الأول تجبر الظـروف فتـاة علـى أن تعمـل مغنيـة فـى كباريـه ، وتجمعها الصدفة بطبيب شـاب ، لكـن عندمـا يعلـم بمهنتهـا يهجرهـا ، ويسـافر إلـى الخارج لاستكمال دراسته . لكـن عندمـا تتدهـور حالـة والـده الماليـة ، تقـوم حبيبتـه بإمداده بالمال لاستكمال دراسته . وعندما يعود لبلاده ، يجرى عملية جراحيـة لهـذه الفتاة ، وتعود العلاقـة بينهمـا . ويحـاول أبـوه أن يبعدهـا عنـه ، لكـن عندمـا يعلـم بالتضحيـة النبيلة التى قـامت بها فى أثنـاء دراسته بالخارج ، يبارك زواجهـا من ابنه .

فى الفيلم الثانى " التضحية الكبرى " تلتحق مربية بخدمـة عائلـة ، وتخلـص لها لدرجة أن تضحى بنفسها فى سبيل الاحتفاظ بكيـان الأسـرة وسـعادتها ، إذ تتهـم بأنها على علاقة بابن الأسرة الذى فاجأه أبوه فى موقف غرامى مـع زوجـة أخيـه . فتنفى التهمة عن الزوجة وتجعل من نفسها ضحية ويتم طردهـا مـن المـنزل . لكـن الحقيقة تظهر فى النهاية كما يحدث فى جميـع الأفـلام المصريـة التـى تحـب وضـع النقط على الحروف !

وشهد عام ١٩٥٣ فيلمين :" حظك هذا الأسبوع " لحلمى رفلة ، و " شـريك حياتى " لإلهامى حسن . فى الفيلم الأول يلاحق سوء الحظ شاباً فلا يرى مناصاً من الانتحار . ويلتقى بفتاة تسعى هـى الأخرى للانتحار ، لكنـه يقنعهـا بجمـال الحيـاة ، ويتعاونـان معاً فى قهر سوء الحظ وتتحقق آمالها فى حياة سعيدة . وفى الفيلم الثـانى تحاول الأم الانتحار لزواج ابنها وتصاب إصابة خطيرة لأنها لا تحتمل أن تشاركها

امرأة أخرى فى ابنها ، ولا تخرج من أزمتها إلا عندما يدرك زوجها أنه سبب ما أصابها بسبب انشغاله بعمله وإهماله لها ، وفى النهاية تسعى للتعجيل بزفاف ابنها إلى عروسه .

وشهد عام ١٩٥٤ فيلمين : " جنون الحب " لمحمد كريم ، و " أسعد الأيام " لحسن رضا . فى الفيلم الأول يستطيع محمد أن ينقذ نادية التى كانت تعتزم الانتحار ، فيعلم أن وراء انتحارها شقيقتها التوأم سهير لأنها توهمها أنها تسببت فى موت والديها . وبعد محاولات محمد وصديقه الدكتور حسين يكتشفان أن الوالدين كانا يفضلان نادية على سهير التى كرهت أختها لهذا السبب . وفى الفيلم الثانى تجبر الظروف رب أسرة على التأمين على حياته ليضمن لأسرته حياة كريمة بعد وفاته ويقيم لابنته عرساً فخماً ، ويصمم ليلة زفافها على الانتحار ليستفيد ورثته من مبلغ التأمين . وتتدخل الصدفة العجيبة - كعادتها - فيلقى أبوه العجوز مصرعه فى حادث ، ويترك له بوليصة تأمين خاصة به ، ولذلك يستبعد الأب فكرة الانتحار ويعيش مع أسرته فى أمان .

وفى فيلم " عصافير الجنة " لسيف الدين شوكت عام ١٩٥٥ ، تنجح كذبة الانتحار فى عودة الأب لبناته الثلاث ، والتئام شمل الأسرة مرة أخرى بسبب هذه الخدعة . وفى فيلم " إسماعيل يس للبيع " لحسام الدين مصطفى عام ١٩٥٨ ، تشرع فتاة فى الانتحار تخلصاً من الحياة ، وينقذها رجل عاطل يائس . وتروى له قصتها مع أهلها الذين يعذبونها ويقتلونها قتلاً بطيئاً ، فيحاول الإصلاح بينهما ويتزوجها .

وقد شهد عام ١٩٥٩ فيلمين :" لن أعود " لحسن رضا ، " وهدى " لرمسيس نجيب . فى الفيلم الأول تلقى الزوجة بنفسها من أعلى الجبل وتموت ، ولا يعرف سر انتحار زوجته . وهذه ظاهرة نادرة فى الأفلام المصرية التى تحرص على تفسير كل الظواهر فى النهاية . وفى الفيلم الثانى تحب هدى الدكتور كمال ويبادلها

المشاعر ، لكن عندما تكتشف حالتها الصحية الميئوس منها ، تضحى بحبها لكمال ، وتوهمه أنها تخدعه حتى لا تظلمه . وقبل أن تموت يصله خطاباً منها تعترف فيه بإخلاصها وحبها الصادق له . أى نفس تضحية غادة الكاميليا وان اختلف السبب المؤدى إليها .

وشهد عام ١٩٦٤ فيلمين : " لعبة الحب والجواز " لنيازى مصطفى ، و " هارب من الحياة " لعاطف سالم . فى الفيلم الأول يتحول الانتحار إلى لعبة مسلية ومثيرة نتيجة للمعالجة الهزلية لموضوع الفيلم الذى تقرر فيه أميرة الانتحار بإلقاء نفسها فى النيل بعد أن سئمت من العودة إلى مطلقها لأنها لا تستطيع مقاومة إغرائه . وينقذها عباس سائق التاكسى فى آخر لحظة . وعندما تقرر الانتحار للمرة الثانية ، تتقابل مع عباس الذى يصارحها بحبه . وفى الفيلم الثانى يقرر الزوج محمود الانتحار ويوصى كمال بزوجته ومولودته المنتظرة . وبعد فترة يتزوج كمال منها ويعينها على تربية ابنها . ويتضح أن محمود لم ينتحر بل اثرى ثراء فاحشاً من تجارة المخدرات ، ويطالب كمال بزوجته وابنته ، وعندما ترفض يخطفها هى وابنتها ، غير أنه يتركهما يهربان فى آخر لحظة !!

فى عام ١٩٦٨ أخرج حسين حلمى المهندس فيلم " حواء على الطريق " وفيه تتزعم منى جمعية للمطالبة بمساواة المرأة مع الرجل ، ويتظاهر زوجها خالد بإيمانه بمبادئها . لكنه بمرور الوقت يتراجع مما يثير غضبها ، وتطالبه بالطلاق بعد كثرة الخلافات ، لكنه يرفض خاصة بعد أن رزقا بطفل . فتحاول منى الانتحار لكنها تفشل ، فيستجيب خالد لمطالبها ! (وكأن الانتحار هو الحل !!!)

فى عام ١٩٧١ أخرج حلمى رفلة فيلم " لمسة حنان " الذى يكتشف فيه أحمد أن أم نادية تعمل فى ملهى ليلى بلبنان . يتخلى عنها وتنهار نادية ، وتحاول الانتحار ، لكن راهبتين تنقذانها وتقومان برعايتها . وتعترف لهما بمشكلتها وتنجحان فى إقناع أحمد بأن نادية لا ذنب لها .

فى عام ١٩٧٢ أخرج محمود ذوالفقار فيلم " رجال بلا ملامح " الذى يتبلـور فيه السبب المأسوى المؤدى إلى الانتحار . فالأب الشرير ينجح فى الإيقاع بين ابنـه وليلى مدعياً أنه على علاقة بها ، فى حين تفشل فـى إقناعـه ببراءتهـا ٠ فيهجرهـا وينهار مما يثير قلق أبيه ، فيعترف له بما دبره ، فيسرع ليعيد ليلى لكنها تنتحر بعد أن أصبحت حياتها معه جحيماً من الشك .

وشـهد عـام ١٩٧٤ فيلميـن : " الهـارب " كمـال الشـيخ ، و " الأحضـان الدافئـة " لنجـدى حـافظ . فـى الفيلـم الأول يتمكـن السـجين فتحـى مـن الهـرب ويدخـل إحـدى الشـقق عـن طريـق الشـرفة ، ليفاجـأ بـرؤوف كـامل رئيـس تحريـر إحدى الجرائد وفـى أحضانـه امـرأة ، يهددهمـا بـالقتل إذا لـم يخفيـاه ، فيغافلهمـا رءوف وينتحـر خوفـاً مـن انتقـام زوجتـه والفضيحـة . وفـى الفيلـم الثـانى يربط الحب بين مديحـة وحسـن الـذى يرفض والـداه زواجـه منهـا لأنهـا مطلقـة وتعمـل مضيفـة . ويـتردد حسـن فـى تمسـكه بـالزواج منهـا بعـد أن تتـورط معـه فـى علاقتهمـا فتثـور عليـه ، إلا أنـه يعـاود إقنـاع والديـه ، فيوافقـان، ولكن بعد فوات الأوان إذ أنهـا تنتحـر يأسـاً !! (فـى حيـن أن شـاباً مثـل حسـن مجـرد ذيـل لأبويـه لا يستحق أن تنتحـر مـن أجلـه أبـداً !!) .

فى عام ١٩٧٧ أخرج عاطف سالم فيلـم " حافيـة علـى جسـر الذهـب " الـذى تهوى فيه كاميليا التمثيل ، وتلتقى بالمخرج المنتج أحمد سامح الذى يتفق معها علـى بطولة فيلمه الجديد . ويتقرب منها عزيز صاحب النفوذ لكنهـا تصـده وعندمـا تتفـق مع أحمد على الزواج ، يهددها عزيز بقتله . فتقرر التضحية بحبها ، فتعـامل أحمـد بجفاء وتصده ! (لعبة غادة الكاميليا !!) ويعتدى أعوان عزيز على أحمد ويصـاب ، فى حين تساوم كاميليا عزيز بـأن يسمح لأحمد بالسفر للخارج مقابل أن تهبـه نفسها ، فيوافق . وفى الطائرة يتسلم أحمد خطاباً من كاميليا لتعترف لـه بالحقيقـة . ثم تذهب إلى منزل عزيز لتقتله ثم تنتحر .

فى عام ١٩٧٩ أخرج نادر جلال فيلم " الوهم " المأخوذ عن فيلم " الدوامة " لهيتشكوك ، وفيه يتعرف على سعاد بعد أن ينقذها من محاولتها الانتحار . ويعترف له زوجها بأنه تعانى من حالة نفسية . وتتوطد علاقة مجدى بسعاد التى تضيق بحياتها مع زوجها وعندما يطلب مجدى منه أن يطلقها ، يرفض لأنه يطمع فى ثروتها . وتنتحر سعاد من الفنار ، ولا يستطع مجدى إنقاذها لعقدته من الأماكن العالية التى تصيبه بدوار عنيف .

فى عام ١٩٨٠ أخرج محمد خان فيلم " الرغبة " الذى يصاب فيه جابر فى حرب ١٩٦٧ ويطول غيابه ، ولذلك تتزوج خطيبته هالة من رجل الأعمال حسين . لكنه يعود بعد سنوات ويشترى قصراً !! بجانب منزل الزوجين ويسعى ليصادق حسين . وعندما يحاول جابر تجديد حبه ، تصده هالة برغم أنها تعانى من انشغال زوجها وعلاقاته النسائية ، لكنها تتحمل من أجل ابنها . وتعترف هالة لزوجها عن علاقتها القديمة بجابر الذى يحاول تحطيمه وإيهامه بأن هالة لا تزال تحبه ، لكنه يتحداه بدليل أنها اختارته هو . وينهار جابر لأنه لا يستطيع التخلص من ذكريات الماضى فينتحر .

فى عام ١٩٨٠ أخرج خليل شوقى فيلم " جنون الشباب " الذى تنضم فيه سلوى إلى شلة أصدقاء منهم عصمت وعلاء ، بحثاً عما يعوضها عن حنان والديها . وبمرور الوقت تكتشف سلوى أن مجموعة أصدقائها يرددون شعارات لا يؤمنون بها . وتنتحر عصمت لأنها فتاة معقدة وشاذة . ويهرب الجميع تاركين جثة عصمت قبل أن يصل رجال الشرطة . وتثور عليهم سلوى لموقفهم السلبى وعدم تحملهم المسئولية .

فى عام ١٩٨٩ أخرج عمر عبد العزيز فيلم " كراكيب " الذى كان اسماً على مسمى . ففيه يقرر سيد عمل بوليصة تأمين ، فيبيع سيارته ، ويدفع أول قسط من البوليصة على أن ينتحر وتستفيد زوجته وابنه من مبلغ التأمين الكبير !! (وهى

الفكرة التى استهلكت حتى الملل !!!) وتفشل محاولته فى الانتحار ، ويقترب الشهر من نهايته لدفع القسط الثانى الكبير ، فيصاب بالجنون ، وخاصة أن عبد العال صاحب البيت القديم الذى يقطنه سيد ، يحصل بالرشوة على إذن بإزالة العقار .

فى عام ١٩٩١ أخرج محمد عبد العزيز فيلم " الشيطان يقدم حلاً " الذى يعانى فيه سامح من عجز جنسى ، ومع ذلك يتزوج من هالة ويسافر إلى الخارج للعلاج الذى لا ينجح . ويلجأ إلى التلقيح الصناعى لكن المحاولة تفشل . ويرى الدكتور داود الحل فى اللجوء إلى بنك الحيوانات المنوية لتحمل هالة التى تلد بالفعل طفلاً أسود اللون . ويشك أبو سامح فى إخلاص هالة لزوجها لكن الأمر ينتهى ببراءتها . وينتحر سامح فينهار الأب وهالة !!!

* * * * *

ومهما ركزت الأفلام المصرية على الانتحار كعنصر نمطى متكرر فيها ، فإنه يظل من ابتكارها وليس من إنتاج المجتمع . ونحن لسنا ضد استخدام الانتحار كعنصر درامى أو حتى ميلودرامى له دلالات إنسانية ومأسوية عديدة ، لكننا ضد إقحامه كأداة مفتعلة لإثارة الانفعالات ، أو وضع حد لحياة الشخصيات ، أو التعامل مع المواقف بمبالغة لا تحتملها ، فلابد أن يأتى الانتحار نتيجة طبيعية وحتمية لأسباب منطقية ومقنعة ، وليس لأسباب واهية مثل تلك التى وردت فى أفلام كثيرة .

* * * * *

الفوارق الاجتماعية والتسلق الطبقى

الفوارق الاجتماعية والتسلق الطبقى من العناصر النمطية التى عالجتها السينما فى شتى أنحاء العالم وفى مختلف الأجيال ، خاصة فى المجتمعات الإقطاعية والرأسمالية التى تجعل من الانتماء الطبقى قدراً يصعب على الشخصيات أن تتحداه أو تتجاوزه . وكان الصراع بين القسر الطبقى والطموح الفردى مغرياً لسينمائيين كثيرين ، وخاصة أنه كان امتداداً لأعمال أدبية وروائية عديدة عبر قرون متتابعة ومنذ عصور السادة والعبيد . ولم تفقد شخصية الفرد الطموح اجتماعياً واقتصادياً بل وسياسياً جاذبيتها بالنسبة للجمهور الذى يمكن أن يتعاطف بل ويتوحد معه ، عندما يجد نفسه عاجزاً عن التسلق الطبقى الذى يجيده هذا الفرد الطموح والذكى الذى يعوضه عن مثل هذا العجز الذى يجبره على عدم تجاوز حدود طبقته .

ونظراً لأن السينما المصرية نشأت فى عصر الإقطاع والباشوات ، فقد كان من الطبيعى أن تتعرض لطابور من الباشوات أو كبار المسئولين فى مواجهة طابور من الطموحين والمتسلقين على السلم الاجتماعى . وبرغم قيام ثورة يوليو التى تبنت المبادئ الاشتراكية ، والمساواة الاجتماعية ، بل والتذويب للطبقى ، وظلت تهاجم من أسمتهم بالعاطلين بالوراثة ، فان الفوارق الاجتماعية والتسلق

الطبقى ظلت من العناصر المفضلة عند السينمائيين المصريين ، ولم تعترض الرقابة على هذه المعالجات ، إذ أن كثيرين من رجال الثورة اتخذوا من الثورة نفسها سلماً للتسلق الطبقى حتى قمة المجتمع .

وفى عهد ما قبل الثورة ، كانت السينما المصرية من الذكاء بحيث لم تركز على شخصية الباشا المثالى فحسب ، بل قدمت أيضاً الباشا " الهلاس " و "الفلاتى" والمتعجرف حتى تمتص احتمالات تجمع أبخرة الغضب ضد هذه الطبقة . كما أكدت مراراً أن الفقراء هم السعداء لأن ليس لديهم ما يحملون همه ، أما الأغنياء فهم يحملون الهم بالليل والنهار ، ويصابون بأمراض السكر والضغط والقلب ، أما إصابة الفقراء والفلاحين بالبلهارسيا والإنكلوستوما والجرب لعدم الاستحمام فهى من قبيل الفولكلور الطريف ! ولم يعترض الباشوات على إظهار بعضهم على الشاشة فى صورة " الفلاتى " أو " الهلاس " إذ أنهم وجدوا فى هذه الصورة نوعاً من الطرافة أو الفحولة الجنسية ، لأن الرجل لا يعيبه إلا جيبه .

وهناك أفلام تتغزل فى الفقر وتتغنى به كأنه حلم صعب المنال . وهبوط الثروة على فقير سواء عن طريق اليانصيب أو الميراث المفاجئ - كما عالجناه فى فصل سابق من هذه الدراسة - يشبه تماماً هبوط الكارثة عليه . وكأن المال مرادف للهم والغم والنزق والطيش والفساد والانحراف ، ونادراً ما نجد فيلماً يقول إن العيب ليس فى المال ، إذ أنه قوة محايدة ، ولكن العيب فى عقل من يستخدمه . فالمال لا يفسد إلا من هو قابل للفساد والانحراف ، أما الحكيم فيمكن أن يحوله إلى قوة للخير سواء فى حياته أو حياة الآخرين . لكن الزواج بصفته التيمة الأساسية والمفضلة فى السينما المصرية – كان له دور أكبر بكثير من اليانصيب والميراث فى ممارسة التسلق الطبقى وتجاوز الفوارق الطبقية لأنه وسيلة يمكن التخطيط لها واستغلالها على أفضل وجه ممكن ، أما مسائل اليانصيب والميراث المفاجئ فلا يد للإنسان فيها . ولذلك كان من أهم وظائف الزواج فى السينما المصرية

– وأيضاً فى المجتمع – القيام بدور السلم الاجتماعى الذى يمكن تسلقه من طبقة إلى طبقة أعلى وهكذا .

فى عام ١٩٣٤ أخرج روزييه لنجيب الريحانى فيلم " ياقوت أفندى " الذى رسخ فى السينما منذ مرحلة مبكرة تقليداً أو نمطاً سرى فى أفلام كثيرة بعد ذلك وهو أنه إذا كان الأغنياء يملكون القيمة المادية فان الفقراء يملكون القيمة الأدبية ، وذلك من خلال شخصية ياقوت المحصل بإحدى الدوائر ، والذى يتوجه إلى مسكن المستأجرة الثرية رودى ، فلا يجدها ، فينتظرها مدة طويلة حتى تحضر ، لكن تأخيره هذا يتسبب فى فصله من عمله . وتحاول رودى تعويض ياقوت بمبلغ من المال لكنه يرفض ! (لأن كرامته كفقير تأبى عليه أن يقبل العوض !!!) وتكون النتيجة أن تقع فى حبه ويتزوجان ويسافران إلى باريس ، إلا أن الحياة هناك بمباهجها ومباذلها لا تروق لياقوت ، فيقرر العودة إلى وطنه وفراق رودى برغم أنه لم يجد معها سوى كل حب ورفاهية . ولكى تتألق القيم الأدبية والأخلاقية التى يتمتع بها ياقوت فإن والد رودى ينتحر !!! فيشعر ياقوت بالواجب الذى يلزمه الوقوف بجانبها وليس لأنه يحبها ولم ير على يديها غير كل خير .

فى عام ١٩٣٨ أخرج الفيزى أورفانيللى فيلم " خدامتى " الذى يقع فيه المحامى شكرى فى حب خادمته فلة ، وتبادله مشاعره ، فى حين ترشح له أسرته فتاة تليق بأن تكون زوجته ، إلا أنه يختفى تارة ويهرب تارة أخرى من أسرته . لكن الخادمة لم تستسلم لهذه الضغوط ، بل كانت يقظة لكل هذه المواقف ، واستطاعت أن تشكل حلفاً مع شكرى فى مواجهة الأسرة التى لم تجد بداً فى النهاية من الموافقة على زواجهما .

فى عام ١٩٣٩ قدم حسين فوزى أول معالجة مصرية لمسرحية "بيجماليون" لبرنارد شو فى فيلم " بياعة التفاح " ، وهى المسرحية التى تحولت فى الستينيات إلى مسرحية موسيقية شهيرة باسم " سيدتى الجميلة " بطولة جولى أندروز وريكس

هاريسون ، ثم تحولت إلى فيلم موسيقى بطولة أودرى هيبورن وريكس هاريسون أيضاً . وكانت المسرحية قد قدمت فى الثلاثينيات فى فيلم درامى بطولة ليزلى هوارد . فى فيلم حسين فوزى ، يستعين شاب من الطبقة الأرستقراطية ببائعة تفاح ساذجة وجاهلة وفقيرة فى عقد رهان مع صديقه بأن يجعل منها سيدة أرستقراطية بمعنى الكلمة ، مقابل مبلغ كبير ، على أن يترك الحكم عليها للأوساط الأرستقراطية التى سيقدمها إليها . ويهيم الصديق حباً لها مع اقتراب موعد استلام الرهان . وفى إحدى الحفلات تعلن حقيقتها ، فيبدى الشاب الأرستقراطى الذى اكتشفها حبه ورغبته فى الزواج منها .

فى نفس العام (١٩٣٩) أخرج نيازى مصطفى فيلم " الدكتور " الذى يقرر فيه الدكتور حامد الزواج من إحسان برغم العقبات التى وضعت فى طريقه . ذلك أن أمها تضيق بأهل حامد ، وتعارض زواج إحسان من حامد لأنهم دون مستواهم . وتقرر إحسان الهرب والزواج منه ، لكنه يرفض هذا الأسلوب . ثم يلتئم الشمل مرة أخرى عندما تحتاج أمه المريضة لعملية نقل دم من نفس فصيلة إحسان التى ترحب بها ، ويتم إنقاذها ، وينتهى الفيلم بزواجهما .

فى عام ١٩٤٠ أخرج توجو مزراحى فيلم " قلب امرأة " الذى تضيع فيه ثروة فتاة مخطوبة لابن عمها ، فيفسخ الخطبة ويخطب ابنة جزار ثرى ، أما هى فتقبل الزواج من رجل مكافح جمع ثروته بعمله وكفاحه . لكن أسرتها لم تكن راضية عن هذا الزواج للفارق الاجتماعى بينهما . ويقع ما يعكر حياة الزوجين ويفرق بينهما ، لكن الكل يتنبه لأبعاد المحنة ، وتعود الزوجة إلى زوجها بعد أن عفا عنها .

فى عام ١٩٤١ أخرج أحمد بدرخان فيلم " انتصار الشباب " الذى يكافح فيه موسيقى شاب وأخته المطربة فى سبيل الرزق والمجد الغنى . ويعثران على عمل بأحد الملاهى ، لكن صاحبه يطردهما لأن المطربة امتنعت عن مجالسة الزبائن ،

ويعانيان من التشريد والعـذاب ، ثم تقع المطربـة فـى حب شـاب ثرى ، ويطلبهـا للزواج لكن أمه تقف ضد هذا الزواج . أمـا المطرب فيحـب فتـاة ثريـة . ويـتزوج الشـاب الـثرى مـن المطربـة غير عـابئ بأمـه فـى حين ينجح المطـرب فـى تقديـم الأوبريت التى يحلم بإخراجها .

فى عام ١٩٤٢ أخرج يوسف وهبـى فيلـم " بنـت ذوات " الـذى يحصـل فيـه إبراهيم ابن الخولى على دبلوم الهندسة ، ويتقدم لخطبة سـامية ابنـة الباشـا صـاحب العزبة ، لكنها ترفض للفارق الاجتماعى بينهما . ويعمل فـى مجـال العمـل الحـر ، ويحقق إنجازات رائعة ، فى حين يبدد الباشا ثروته ، فيوافق على زواج إبراهيم من سامية ، لكن سامية تظن أن هذا الزواج هو نوع من الانتقـام ، وهـو سـوء ظـن لـم يكن فى محله عندما اكتشفت فيه نبعاً من الحب والإخلاص .

فى عام ١٩٤٤ أخرج إبراهيم لاما فيلم " عريس الهنا " الذى يصل فيه حـامد أحد أثرياء الصعيد إلى القاهرة للزواج من وديعة التى توافق عندما تعلـم أن حبيبهـا عبد السلام كان يخدعها ولا يريد الزواج منها ، كما أن أمها تعانى من ديون باهظة عليها . ويتم الزواج لكن بعد فترة ترسل الخاطبة إلى حامد خطاباً تخبره أن وديعـة تزوجته لماله فقط . فيقرر حامد أن يختبرها فيأخذهـا إلـى عزبتـه ، ويهملهـا تمامـاً لكنها واصلت العمل بمنتهى الإخلاص كما لو كانت خادمة ، بحيث يتضح له حبهـا العميق لشخصه وليس لماله .

وفى نفس العـام (١٩٤٤) أخـرج يوسف وهبـى فيلـم " ابـن الحـداد " الـذى يعمل فيه طه فى ورشة أبيه الحداد برغـم دراسـته فـى أوروبـا . ويـتزوج طـه مـن زينات ابنة أحد الباشوات والتى تقيم فى منزلها الحفلات الكثيرة التى تضـايق زوجها ، خاصة عندما أهملت رعاية ابنها فى مرضه . وفجأة يدعى طه أنه خسـر كل أمواله فى البورصة ، فإذ بالباشا الأب يسعى إلى تطليقها من طه وتزويجها مـن أحد البكـوات ، إلا أنهـا ترفـض وتتمسك بزوجهـا ، بـل وتصبـح زوجـة صـالحـة ،

وتعيش حياة بسيطة مع زوجها مع رعاية كاملة لابنها . وفى النهاية يكشف طه أنه لم يخسر شيئاً ، وإنما فعل ذلك ليختبر إخلاصها ، وهو اختبار نجحت فيه بجدارة .

وفى عام ١٩٤٥ أخرج حسين فوزى فيلم " أحب البلدى " الذى يسافر فيه عادل الشمردلى باشا للخارج لإتمام دراسته ، تاركاً شربات ابنة الأوسطى إبراهيم والتى تعاهد على الزواج منها قبل سفره . وعندما يعود من غيبته الطويلة ، تحاول أسرته أن تمنع زواجه منها ، ويعلنون خطبته على نازك ابنه مجدى باشا لكنه يرفض . وتحاول نازك إقناع شربات أن زواجها من عادل سيقضى على مستقبله ، لكن الحب ينتصر فى النهاية ، ويتزوج عادل من شربات .

وفى نفس العام (١٩٤٥) أخرج أنور وجدى فيلم " ليلى بنت الفقراء " الذى تلتقى فيه الفتاة الفقيرة ليلى بوحيد ابن مختار باشا ، ويعتقد وحيد أنها ابنة درويش باشا ، فيقرر الزواج منها ، إلا أنها ترفضه فى البداية للفارق الاجتماعى بينهما لكنها لا تفصح عن شخصيتها الحقيقية . ويذهب أبو وحيد ليخطبها من درويش باشا ، فتتكشف الحقيقة ، ويظن وحيد أنها خدعته طمعاً فى ثروته ، لكن براءتها تظهر ويتزوجان .

فى عام ١٩٤٦ أخرج حسين فوزى فيلم " اكسبريس الحب " الذى يقرر فيه المجلس الأسرى لأسرة تركية محافظة زواج إحدى فتيات الأسرة بواحد من ثلاثة رجال أثرياء تقدموا لها . وترفض الفتاة هذا القرار ، وتحاول الهرب إلى عم لها يقيم بالقاهرة . وهناك تلتقى بأسرة فقيرة ، وتقع فى حب ابنها العامل الميكانيكى الذى يعرض عليها الزواج فترفض للفارق الاجتماعى الذى سيحول دون موافقة أسرتها . لكن العم يعطف عليه ، ويدبر معه طريقة ليخدعا بها مجلس الأسرة الذى يقرر حرمانها من الميراث ، لكن الحب ينتصر فى النهاية ويجبرهم على تغيير موقفهم ويتزوجان .

فى عام ١٩٤٧ أخرج هنرى بركات فيلم " الهانم " الذى تجبر فيه الظروف امرأة على ترك الشام والمجىء إلى مصر حيث تلتقى برئيس عصابة لتهريب المخدرات . وعندما تفاجأ بقرب حضور ابنتها للاحتفال بخطبتها لابن أحد الأعيان ، تلجأ لحافظ رئيس العصابة ليظهرها فى مكانة عالية بعد أن أوهمت ابنتها بثرائها ، فيستأجر لها فيلا ويحيطها بجو أرستقراطى ، فى حين كان رجال البوليس يراقبون حافظ ، ويقررون مهاجمة الفيلا ليلة عقد القران . وإذ بحافظ يضحى بنفسه فى سبيل إسعاد الأسرة ، ويطلب من البوليس عدم مهاجمة الفيلا مقابل إرشادهم عن مكان المخدرات ، ويتم هذا فعلاً ويفى بوعده .

فى نفس العام (١٩٤٧) أخرج عبد الفتاح حسن فيلم " بياعة اليانصيب " الذى يلتقى فيها الموسيقار الثرى ببائعة يانصيب تعيد إليه مبلغاً كبيراً كان قد فقده فى الطريق . ويعجب بأمانتها ويعرض عليها أن تعمل كخادمة فى بيته . وتحبها عائلة الشاب فيما عدا ابنة خالته التى ترى منه ميلاً للخادمة وهى تريده زوجها لها . وتدبر مؤامرة مع عشيقها لإبعاد الخادمة عن سيدها ، خاصة بعد أن اكتشف جمال صوتها ، فيسند إليها الدور الأول فى أوبريت من تأليفه ويستعد لإخراجه . وتنجح المؤامرة لكن الأمور تتضح وتعود للموسيقار ويستعدان للزواج .

فى عام ١٩٥١ كتب حسين فوزى وأخرج فيلم " فتاة السيرك " الذى يغرم فيه شاب أرستقراطى بفتاة تعمل فى السيرك ، ويقرر الزواج منها ، فيرفض أبوه الثرى ويهدده بحرمانه من الميراث إذا تم هذا الزواج الذى يسىء لمركز العائلة . وبعد سلسلة من الأحداث يتضح أن والد الفتاة ما هو إلا ابن أحد الباشوات ، وقد طرده أبوه لأنه تزوج بفتاة فقيرة لا تليق به . وتحل النهاية السعيدة التى تؤكد استحالة التذويب الطبقى ، فالأرستقراطى لابد أن يتزوج من ابنة طبقته ، كما يحدث فى السينما الأمريكية التى تحتم زواج الأبيض من البيضاء والأسود من السوداء .

فى عام ١٩٥٣ أخرج عز الدين ذو الفقار فيلم " ابن الحارة " الذى يغرم فيه المهندس الناجح جلال بجارته ليلى حفيدة أحد الباشوات ، لكنه يخفى حبه خوفاً من الفوارق الاجتماعية ، فى حين يشرف عمها المقامر على أموالها ، ويطمع ابنه الشاب المستهتر فى الزواج منها ليستولى على ثروتها خاصة بعد أن عرف بالصدفة حب جلال لها . فيوهمها بأن جلال خائن ، وتتزوج ليلى من أبن عمها الذى يستغلها ويسومها العذاب . ويتفرغ جلال لتنفيذ مشروع المساكن الشعبية لأهل الحى ، فى حين يسرق زوجها أموال المشروع ليقضى على مستقبل جلال ، ويتعاون أهل الحى فى القبض على أبن العم ، كما تتزوج ليلى من جلال . ومن الواضح رصد تأثير ثورة ١٩٥٢ على مضمون الفيلم الذى يحترم قيم الطبقات الكادحة و ينصرها على طبقات العاطلين بالوراثة .

لكن تأثير ثورة يوليو ١٩٥٢ كان تأثيراً سطحياً إلى حد كبير على السينما المصرية التى ظلت حريصة على عناصرها النمطية الأثيرة .هذا التأثير السطحى تجلى فى مواقف ملفقة وأحداث مفتعلة لمجرد مجاراة الحدث التاريخى . ففى نفس العام (١٩٥٣) أخرج حلمى رفلة فيلم "الحموات الفاتنات" وهو فيلم هزلى يصور الصراع المشتعل بين حماتين أقامتا فى شقة واحدة ، وعندما ينتهى الصراع بذهاب كل حماة إلى منزلها، ينتهى الفيلم والجميع يغنون نشيد الثورة فى ذلك الوقت : " على الإله القوى الاعتماد ... بالنظام والعمل والاتحاد " .

وفى فيلم " دستة مناديل " الذى أخرجه عباس كامل عام ١٩٥٤ ، يحاول عشاق الراقصة ، ومنهم باشا ثرى ، إبعاد المكوجى الذى تحبه عنها فيفشلون ، لأن الطبقات الكادحة أشرف من الطبقات الموسرة والأرستقراطية . ومع ذلك كانت هناك أفلام على مستوى رفيع من الفكر والفن ، مثل " رد قلبى " لعز الدين ذو الفقار ١٩٥٧ ، و " القاهرة ٣٠ " لصلاح أبو سيف .

فى عام ١٩٥٤ أخرج هنرى بركات فيلم " رسالة غرام " الذى يطلب فيه فنان شاب الزواج من فتاة أرستقراطية ، لكن أباها يرفض لأنه دون مستواهم الاجتماعى . ويكافح الفنان فى مجال الموسيقى والغناء من أجل أن يحقق ثروة لعله يفوز بها . وتتزوج من آخر لكنه يقضى أوقاته بين موائد القمار ، ثم يموت فى حادث ومعه الزوجة التى توصى الفنان خيراً بطفلتها ، فيعيش من أجل إسعادها .

فى عام ١٩٥٥ أخرج سيف الدين شوكت فيلم " أمانى العمر " الذى يطلب فيه شريف جارته ليلى للزواج ، لكن أباها يرفض للفارق الاجتماعى ، ويوافق على خطبتها للثرى فؤاد . لكن كالعادة يتضح فساد الخطيب الثرى الذى يتلاعب بأموال شركة والد خطيبته والذى يطرده من العمل وتفسخ ليلى خطبتها له . ثم تحاول التقرب من شريف لتجديد حبهما ، لكنه يصدها ، ويلحق بالفنانة التشكيلية التى أحبها ، وذلك قبل سفرها إلى الخارج ، ويتزوجان .

فى عام ١٩٥٦ أخرج حلمى حليم فيلم " القلب له أحكام " الذى تحب فيه فتاة فقيرة وطالبة فى كلية الطب ، زميلاً غنياً ، لكنه لا يشعر بها لانهماكه فى العبث . وتلجأ إلى صديقة لها فترسم لها خطة ناجحة تثير اهتمامه ، ويعرض عليها الزواج مدعياً لأبيه أنها ابنة مقاول كبير . ويحاول بعض الحاقدين إفساد الزواج إلا أن أصدقاء الفتاة من أهل الحى يتصدون لهم . ويوافق الأب على إتمام الزواج بعد أن تصارحه الفتاة بحقيقة وضعها الاجتماعى .

فى عام ١٩٥٧ أخرج عز الدين ذو الفقار فيلم " رد قلبى " الذى يعمل فيه رب الأسرة بستانياً فى قصر أحد أمراء الأسرة المالكة حيث يربط الحب بين ابنه على وإنجى ابنة الباشا . ويصبح على ضابطاً ، ويكتشف علاء شقيق إنجى العلاقة بين أخته وعلى ، فيقرر أبوه طرد أبيه من عمله . وتتظاهر إنجى بقبول خطبة أحد الأمراء لها لتحمى حبيبها مما جعل على يعتقد أنها غدرت به ، لكنه يكتشف بعد ذلك صدق حبها له . وتقوم ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ويرأس على لجنة مصادرة أملاك

الأمير ، وتلقاه إنجى التى تظن أنه جاء شامتاً ، لكنها تكتشف صدق عاطفته . ويطلق أخوها الرصاص عليه فيصيبه ، لكنه يفوز بحبيبته فى النهاية .

فى عام ١٩٦٠ أخرج يوسف شاهين فيلم "بين إيديك " الذى يعد من الأفلام الكاريكاتيرية القليلة فى السينما المصرية ، والتى تصور الشخصيات النمطية بهدف السخرية من نمطيتها ، من خلال أسرة متوسطة الحال ، تعيش فى أحلام الماضى بنفس العقلية القديمة التى لا تتمشى مع روح العصر ، وذلك بعد أن مات عميدها الباشا تاركاً وراءه زوجته المتعجرفة التى تدير شئون العائلة بتكبر وتجبر ، برغم أن عم الأسرة يقوم بالإنفاق عليها من ماله الخاص . ومع ذلك تسخر منه لأنه فى نظرها أقل مستوى منها . ويتعجل العم زواج الابنة حتى توفر فى التكاليف التى ينفقها عليهم ، فتضطر الفتاة إلى الزواج من نجار . ومن خلال المفارقات الكاريكاتيرية بين الأسرة المتغطرسة والزوج الفقير ، تجد فيه الفتاة فتى أحلامها الحقيقى ، تجسيداً لشعارات ثورة ١٩٥٢ التى رفعت من شأن الطبقات الكادحة .

فى نفس العام (١٩٦٠) أخرج سيف الدين شوكت فيلم " حب فى حب " الذى يعد المعالجة الثانية لمسرحية برنارد شو " بيجماليون " بعد فيلم حسين فوزى "بياعة التفاح " عام ١٩٣٩ ، ولكن يمزجها بتوجيهات ثورة ١٩٥٢ على أساس أن الطبقات الكادحة أشرف من الطبقات الأرستقراطية ! يدور الفيلم حول شيرين الصحفية التى تكتب باب المجتمع الراقى ، وتنافس مجدى الصحفى الذى يكتب باب بنت البلد ، ويؤمن بأن بنت البلد أشرف من الفتاة الراقية .

ويثبت نظريته بالتقاط نوسة التى تدور بالبيانولا فى الشوارع ويعمل على الارتقاء بها وتطويرها ، فيلقنها العلم واللغات ، ويعلمها أصول الاتيكيت ، وبالفعل يجعل منها فتاة أرستقراطية ، وتثبت جدارتها لدرجة أنها تفوز بلقب ملكة الأناقة .

فى عام ١٩٦١ أخرج حسن الإمام فيلم " التلميذة " الذى تعمل فيه الأم خادمة لتنفق على ابنتها نعمات ، وتعطف عليها ناظرة المدرسة فتضمها هى وابنتها

لمنزلها ، وتتربى نعمات مع منى ابنة الناظرة ، وتحب حسن الشاب الغني ، لكن أسرته لا توافق على زواجهما فتهرب من المنزل . وتعمل في شركة ، ثم خادمة في مستشفى ، ثم مطربة !! ثم يحاول ابن خالة حسن أن يظهرها في صورة المرأة الساقطة فيدعوها لشقته ، لكنها ترفض ، فيعترف لحسن أنه خدعه بعد أن فعل هذا بالاتفاق مع أمه ، وفي النهاية يتزوجان .

وفي عام ١٩٦٣ أخرج حسن الإمام فيلم "بياعة الجرائد " الذى تقوم فيه فتاة فقيرة ببيع الصحف . وتحب جارها بائع الصحف ويتزوجان ثم يتضح أنها ابنة باشا ترك لها كل ثروته بعد وفاته . وتصر أسرة الباشا على أن تستأثر لنفسها بالميراث في حين تنتقل إلى قصر أبيها الباشا ومعها زوجها . وتغير الثروة حال الفتاة كما يحاولون إدماجها في الجو الأرستقراطي ، لكن زوجها الفقير يضيق بسلوكها الجديد ويهجرها . وعندما تكتشف مكائد أقاربها ، تقرر العودة إلى زوجها البسيط . فقد أصبحت الثروة مرادفاً للسفالة في أفلام كثيرة .

في عام ١٩٦٦ ظهرت ثلاثة أفلام : " القاهرة ٣٠ " لصلاح أبو سيف ، و " كنوز " لنيازى مصطفى ، و " شقاوة رجالة " لحسام الدين مصطفى . في الفيلم الأول يرتضي محجوب عبد الدايم لزوجته أن تكون عشيقة للوزير قاسم مقابل أن يصبح مديراً لمكتبه ، إذ أنه لم يجد وسيلة أخرى تمكنه من تسلق السلم الاجتماعي . وفي الفيلم الثاني يحول الفارق الاجتماعي دون زواج كنوز ابنة الشيخ فواز الثرى ، من هارون الذى تعيش قبيلته في فقر ، وتدور صراعات ميلودرامية تنتهي بمصرع كنوز بطلقة نارية . وفي الفيلم الثالث يقع أحمد الشاب الثرى في حب زميلته بالجامعة فريدة التي تكافح أمها في سبيل ترتيبها ، وتدعي لها أنها من عائلة ثرية . وعندما يفاتحها في الزواج ، تبتعد عنه خشية أن ينكشف أمرها لكنه يتزوجها في النهاية لأخلاقها وشخصيتها القويمة .

فى عام ١٩٧١ أخرج حلمى حليم فيلم " عشاق الحياة " الذى يربط فيه الحب بين منى و أحمد الذى يحقق نجاحاً كبيراً فى عالم الموسيقى والغناء لكن أباها إسماعيل يرفض زواجهما للفارق الاجتماعى بينهما ، ويضغط على منى للزواج من عصمت ابن صديقه سيف الذى يطمع بدوره فى ثروة إسماعيل . ويحدث أن تصاب منى فى ليلة زفافها بالشلل بعد تعرضها لحادث بالسيارة . وتفشل محاولة سيف وابنه قتل إسماعيل الذى يصاب حين يصل أحمد إلى مكان الجريمة . وينقل إسماعيل إلى المستشفى ويتزوج أحمد من منى .

فى عام ١٩٧٥ أخرج حسن رمزى فيلم " الرداء الأبيض " الذى تبارك فيه الأم زواج ابنها كمال من دلال برغم الفارق الاجتماعى بينهما ، لكنهم يخفون الأمر عن أبيه عمر . ويرزقان بابنتهما صفاء ، ثم يلقى كمال مصرعه فى حادث سيارة ، ويكتشف عمر أمر زواجه فيثور ويطرد دلال ويحرمها من صفاء ليقوم هو بتربيتها . وتمر السنين ودلال تتابع أخبار صفاء من بعيد ، إلى أن تعلم بميعاد زفافها . فتضطر إلى السرقة لتشترى فستاناً لائقاً لحضور الفرح ، ويقبض عليها لكن صفاء تعرف حقيقتها ، ويندم عمر على ما فعله .

فى عام ١٩٧٦ أخرج يحيى العلمى فيلم " شلة الأنس " الذى يضيق فيه طالب الطب سعد من حياته فى الحارة ، ومن عمل أخته العالمة بسيمة ، فى حين يربط الحب بينه وبين زميلته نجوى ابنة الدكتور محمود ، دون أن يصارحها بحقيقة أهله . كما يتخلى عن جارته فاطمة التى تحبه بعد أن تورطت معه . ويتخرج سعد ويتزوج من نجوى لكنه يفاجأ بأنها ليست عذراء . وتواجهه بأنها لم تخف عنه شيئاً ، لكنه هو الذى خدعها ، فهى تعلم حقيقة أهله . وترفضه فاطمة عندما يعود إلى الحارة ويتودد إليها ، فيضطر إلى العودة إلى نجوى .

فى عام ١٩٧٧ أخرج هنرى بركات فيلم " أفواه وأرانب " الذى يفاجئ فيه محمود الثرى الأرستقراطى مدبرة منزله نعمت برغبته فى الزواج منها برغم

الفارق الاجتماعى بينهما . وبرغم التعقيدات والعقبات التى تقف فى طريقهما فانهما يتزوجان فى النهاية .

فى عام ١٩٨١ أخرج حسن يوسف فيلم " القطط السمان " الذى يقرر فيه نبيل الزواج من أحلام برغم اعتراض والده المقاول الهلباوى نظراً للفارق الاجتماعى بينهما ، بل يلفق تهمة سرقة لأحلام ، تدخل بسببها السجن . ويتزوج نبيل من سوسن ابنة حسين قدرى رجل المخابرات لكنه يضيق بحياته معها . ويكتشف ما دبره أبوه لأحلام فيثور عليه . ويعثر نبيل على مستندات خطيرة تدين حسين قدرى ، فتنتحر سوسن من الصدمة. وتنتهى مدة عقوبة أحلام ، وتحترف الدعارة ، لكن نبيل يبتعد بها عن طريق الخطيئة برغم تهديد أبيه . وتقوم ثورة التصحيح لتقضى على نفوذ الهلباوى !! (هكذا كانت السينما تركب الموجات السائدة فى حينها ، مثل تعبير " القطط السمان " الذى أثير فى مجلس الشعب عن الشخصيات التى أثرت بأسلوب غير شرعى ، وثورة التصحيح التى لم تكن سوى معركة شخصية تخلص فيها السادات من خصومه !! هذا على سطح الفيلم، أما فى أعماقه فكانت العناصر النمطية المضمونة هى الهيكل العام للأحداث كالعادة : الفارق الاجتماعى ، وتلفيق التهم ، ودخول السجن ، و اكتشاف المستندات الخطيرة ، والانتحار ، واحتراف الدعارة ، والتوبة) !

فى عام ١٩٨٧ أخرج حسن إبراهيم فيلم " البيه البواب " الذى يرحل فيه عبد السميع عن بلدته ويعمل بواباً بالقاهرة . وبمرور الوقت يصبح سمساراً لتأجير الشقق المفروشة ، ثم يتسع نشاطه ويدخل فى عمليات نصب واحتيال ، ويكون ثروة كبيرة . ثم يتزوج من إلهام ويستقيم ، لكنها تسرق خزانة عبد السميع وتهرب . وينجح مع زملائه البوابين فى إعادتها والقبض عليها ، ويقرر عبد السميع الاستقامة ويعود إلى بلدته حيث زوجته وأولاده .

فى عام ١٩٨٩ أخرج عاطف الطيب فيلم " قلب الليل " الذى يتزوج فيه جعفر من راعية الغنم مروانة مما يثير غضب جده الثرى سيد الراوى ويطرده من القصر !! وعندما يكون صديقه شكرون فرقة غنائية صغيرة ، يشارك فيها جعفر بالغناء !! ويطلق مروانة تحت ضغط أهلها ثم يتزوج من سيدة المجتمع الثرية هدى ويصبح محامياً !! ثم يؤلف كتاباً يطرح فيه نظرية جديدة ، لكن الأديب سعد يعرى جعفر الذى اختطف شذرات من مختلف النظريات والكتب ، فيثور عليه جعفر ويقتله !!! وبعد الإفراج عنه يصاب بالجنون ويسير فى الشوارع يهذى بشعارات !!! (والسؤال الآن : هل تحتمل رواية نجيب محفوظ كل هذا التلفيق والافتعال بحيث أعادت فى أواخر القرن العشرين نظرية " سمك . لبن . تمر هندى " التى سادت السينما المصرية لعدة عقود ؟ !!!) .

وهى النظرية أو المدرسة التى تجلت فى العام التالى (١٩٩٠) فى فيلم " كابوريا " لخيرى بشارة الذى يتصادف فيه مرور حسن هدهد الملاكم الفقير وصديقيه محمود و مصطفى أمام عوامة راسية يمتلكها المليونير الشاب سليمان و تدعوهم زوجته حورية لتسلى أصدقائها بهم ، فيقيمون فى العوامة لتقديم مباريات الملاكمة !!! ويبتكر حسن بعض الألعاب الأخرى التى تبهر السادة الذين يتسلون بالفرجة ويدفعون المقابل . فى النهاية يشعر هدهد بأنه سيفقد نفسه باستغراقه فى عالمهم ، ويرحل عائداً إلى بيئته الشعبية !!

فى عام ١٩٩٣ أخرج عبد اللطيف زكى فيلم " طعمية بالشطة " الذى يدل على أن الفكر السينمائى لم يتطور منذ الثلاثينيات أو الأربعينيات . ففى هذا الفيلم تلتقى غادة بالمهندس الزراعى عصام الذى يستصلح قطعة أرض ، فيعجب بها وتقع فى حبه ، لكن أباها يعارض علاقتهما للفارق الاجتماعى بينهما . وتتمسك به

غادة ويتزوجان دون موافقة الأب الذى يشرع فى محاربة عصام فـى رزقـه لـيرغم ابنته على تركه لكن بـلا جـدوى . وعندمـا تضـع غـادة طفلهـا تتغير مشـاعر أبيهـا ويبارك زواجها !!! (نفس الحدوتة المملة التى استمرت تفرض نفسها على السـينما المصرية زهاء سبعين عاماً !!! ألـم يحـن الوقت كـى يـدرك بعـض السـينمائيين أن هناك فضيلة اسمها الملل !!!)

* * * * *

إن مجـال الفـوارق الاجتماعيـة والتسـلق الطبقـى مجـال واسـع ، ومتعـدد الآفـاق ، وثـرى فـى مضامينـه وأفكـاره . وقـد آن الأوان لاستكشـاف هـذه الأفـاق ، وتجسـيد هـذه المضـامين والأفكـار ، إذ إن مجـرد تغـير الإطـار الزمنـى يمكن أن يضيـف أبعـاداً وأعماقـاً جديـدة إليهـا بحيث تبـدو جديـدة تمامـاً. أمـا اجـترار القديـم أو حتـى مجـرد تكـراره ، فمـن شـأنه أن يدخـل بالسـينما المصريـة فـى طـرق مسـدودة ، ومتاهـات جانبيـة ، ودوائـر مفرغـة سـتظل رهينتهـا ، فـى وقـت تخـترق فيـه السـينما العالميـة كـل الآفـاق التـى لـم تخطـر ببـال أحـد مـن قبـل ، سـواء علـى مسـتوى الفكـر أو الفـن أو التكنولوجيـا .

* * * * *



المهاجـر   إخراج / يوسف شاهين   سنة ١٩٩٤



لا تسألنى مـن أنـا   سنة ١٩٨٤

الفصل السادس عشر

الزواج العرفى والمحلل

كان الزواج العرفى والمحلل من العناصر النمطية التى أقبلت عليها السينما المصرية فى نهم ، لأنها فى البداية كانت تشكل نوعاً من التوابل الحريفة التى تثير شهية الجمهور . فهى وإن كانت مرتبطة بالزواج كتنظيم دينى واجتماعى وإنسانى ينطوى على كثير من الاحترام والتبجيل الذى يصل إلى حد التقديس ، فإنها ترتبط بصفة أكثر حميمية بالجنس كغريزة جامحة تنطوى على كثير من الغموض والإثارة والمآزق . ولذلك فإن معظم الأفلام التى دارت حول الزواج العرفى والمحلل نهضت أساساً على العلاقة الجنسية وليست على العلاقة الزوجية الأشمل والأبقى . لكن بمرور الوقت وبفعل التكرار ، فقدت هذه التوابل طعمها الحريف الفاتح لشهية الجمهور الذى حفظ التوليفة التقليدية والنمطية عن ظهر قلب . فالزواج العرفى هو فى حقيقته زواج سرى ، وتنهض قواعد اللعبة على الاحتفاظ بهذه السرية أطول مدة ممكنة أو إلى ما شاء الله . فى حين أن الطرف الآخر عندما يبدأ فى الشك أو تبلغه أنباء أو حتى شائعات عن هذا الزواج ، فإنه يشرع كل أسلحته لتمزيق ستار السرية وفضح المتزوجين فى الخفاء . وفى الشد والجذب بين الطرفين تتولد الإثارة التى يمكن أن تكون مأساوية أو كوميدية .

أما لعبة المحلل فقواعدها معروفة لدى الجميع . ذلك أن الزوج الأرعن يحب زوجته ويغير عليها أكثر من اللازم لدرجة أنه يطلقها ثلاث مرات ، ثم يقعد ملوماً محسوراً لأنه يتحتم عليه أن يحل محله كزوج رجل آخر ، حتى يمكن أن يستعيدها مرة أخرى . لكن الأمور لا يمكن أن تسير كما يشتهى ، لأن من يقبل أن يقوم بدور المحلل غالباً ما يكون من السوقة أو المرتزقة . وعندما يلمس جنون الزوج الأرعن وانتظاره المحرق لعودة زوجته إليه ، فإنه سرعان ما يفرض شروطه لأنه يملك عنصر المبادرة ، وتتعقد الأمور وتتولد المفارقات . وأحياناً يشتعل الغرام بين المحلل والزوجة ، خاصة عندما تشعر بمدى الإهانة التى لحقت بها من زوجها الذى فرط فيها ثلاث مرات ، أو عندما تلمس فى المحلل صفات من الرجولة والشهامة يفتقدها زوجها . وأحياناً تلعب الفحولة الجنسية دوراً فى هذا المجال الذى يمكن أن تتولد منه الكوميديا .

فى عام ١٩٤٥ أخرج حسن عبد الوهاب فيلم " قلوب دامية " الذى تعيش فيه ميمى حياة سعيدة مع زوجها لا يعكر صفوهما سوى عدم الإنجاب ، فى حين تتعرف أختها علية على شاب يعدها بالزواج على أن يكون عرفياً إلى أن يحصل على مبلغ من المال . وتحمل منه وتطالبه بالزواج الشرعى ، فيسخر منها . وعندما تضع طفلتها ، تدعى أن زوجها مسافر ، وتتنازل عن الطفلة بدافع الشفقة لأختها . ويطالبها الشاب بمبلغ كبير حتى يتكتم السر ، فتطلق عليه الرصاص لكنه تخطئه .

فى عام ١٩٤٧ أخرج أحمد بدرخان فيلم " فاطمة " الذى تعمل فيه فاطمة ممرضة ترعى أحد البشاوات الذى يقع شقيقه فتحى فى حبها ، ويحاول إغراءها ، لكنها تصده ، فيضطر لأن يتزوجها بعقد عرفى . ويعيش فى منزلها المتواضع بالحارة ، لكنه يضيق ذرعاً بهذه الحياة فيعود إلى قصر الباشا نادماً ، فيطلب منه أن يسترد ورقة الزواج التى تحتفظ فاطمة بنسخة منها . ويهجر فتحى فاطمة برغم

أنها حامل ، وتضع طفلاً لكنه ينكر نسبه إليه . عندئذ يجتمع أهل الحارة ويقررون رفع قضية على فتحى . وعندما يكتشف فتحى أن خطيبته ميرفت لها عشيق ، يعود إلى فاطمة طالباً الصفح معترفاً بزواجه وأبوته أمام أهل الحارة .

وفى نفس العام ١٩٤٧ أخرج إبراهيم لاما فيلم " البدوية الحسناء " الذى تحب فيه فتاة بدوية فتى بدوياً من قبيلة فى خصومة مع قبيلتها وتتزوج منه سراً . وتتسع شقة الخلاف ، إذ يقتل الزوج ابن عم الفتاة على أثر شجار ينشب بينهما . (على طريقة روميو وجولييت) ! ويرفع الأمر إلى مجلس القبيلة الذى يقضى بإعدامه لكنه يهرب . وتشاء الصدفة أن ينقذ الزوج الأمير من القتل فى حادث سرقة ، فيأمره بالعودة إلى دياره ويعلن زواجه من الفتاة .

فى عام ١٩٤٨ كتب أنور وجدى وأخرج وقام ببطولة أول فيلم مصرى يقدم شخصية المحلل ، وهو فيلم " طلاق سعاد هانم " الذى يطلق فيه شاب مستهتر لا يقدر على المسئولية ، زوجته للمرة الثالثة ، فتصبح محرمة عليه ، ولا تحل له إلا بعد أن تتزوج غيره . ويجدون المحلل الذى يقبل هذه المهمة فى شخص رجل فقير ، لكنه شاب ذو قيم فيرفض أن يطلقها ، ويلقن كل من الزوجين درساً فى الأخلاق ، بل إن الزوجة نفسها ترضى أن تعيش معه مفضلة إياه على زوجها السابق .

فى عام ١٩٥٠ أخرج نيازى مصطفى فيلم " قمر ١٤ " الذى يتزوج فيه شاب أرستقراطى سراً من ابنة صاحب بنسيون ، ويرسل لأبيه خطاباً يخبره فيه بعزمه على الزواج . لكن أباه يطلب منه الحضور لأنه اختار له زوجة أخرى هى ابنة تاجر سمك من أثرياء الحرب ، والذى يمكن أن يساعده للتخلص من وضعه المالى المتدهور . وتعرف الزوجة هذا الموضوع ، وتسافر إلى أسرة زوجها على أنها مربية . وتوقع والد زوجها وأخوه وتاجر السمك فى هواها ، وتتمكن فى النهاية من أن تنتزع من الأب موافقته على زواج ابنه منها .

فـى عـام ١٩٥١ أخرج حلمى رفلـة فيلم " فـايق ورايـق " الـذى يطلـق فيـه لمطرب رايق الراقصة أشواق للمرة الثالثة ، فتطلـب مـن فـايق أن يكـون المحلـل ، فيوافق لكنه يرفض أن يطلقها . ويحضر أبوه ليبارك زواجه فى الوقت الذى تترك فيه أشواق المنزل غاضبة ، فيلجـأ إلـى جارتـه سـعاد لتحـل محلهـا . وعندمـا تعـود أشواق ، يعجب بها الأب ، وعندما يسافر فايق فى مأمورية ، تتـاح لأشـواق مقابلـة رايق . ويحدث أن تغرق السفينة التى يستقلها فايق لكنه ينجـو مـن الغـرق . ويعـود لمنزله ليجد أشواق وقد تزوجت من رايق ، فيبلغ النيابة . وتقرر أشواق أن تنفصـل عنهما حتى لا تغضبهما . وعندما يحاول رايق الانتحـار ، ينسـحب فـايق مـن حيـاة أشواق لتنعم بالحياة مع رايق .

فــى عــام ١٩٥٢ أخــرج حســين صدقــى فيلــم " المســاكين " الــذى يقــرر فيـه ضـابط الجيـش ممـدوح أن يـتزوج سـراً مــن فتحيـة صديقـة الطفولـة والتـى عملت بعد أن فقدت ذويهــا راقصــة فــى كباريــه . وينجـب منهـا طفــلاً . ويشـترك ممـدوح فـى حـرب فلسـطين ، ويعتـبر مفقـوداً . وبرغـم عـدم رضـاء أم ممـدوح عـن زواجـه ، فـإن فتحيـة تلجـأ لأمــه لتعيـش فــى كنفهـا ، وتحتضـن الجـدة حفيدهـا ليعوضهـا فقـد ابنهـا . ثـم تكتمـل سـعادة الأسـرة عندمـا يعـود ممـدوح مـن الأسـر .

فى عام ١٩٥٣ أخرج السيد زيادة فيلم " اللقاء الأخير " الذى تتزوج فيه فتـاة شراً من شاب تحبه برغم اعتراض والديهـا . وعندمـا يسـافر الـزوج إلـى الصعيـد للتنقيب عن الآثار ، يقع لـه حـادث ويظـن أنـه مـات . وتصـاب الزوجـة بصدمـة ، ويعالجها طبيب يعرض عليها الزواج فترفض لأنها حامل . تضـع طفلتهـا وتسلمها عمتها لممرضة لترعاها . وتسافر الزوجـة مـع أبيهـا وعمتهـا إلـى أوربـا . ويعـود الزوج بعد سنوات من فقد الذاكرة ، وتتعرف عليـه الممرضـة وتتعلـق بـه الطفلـة . وعندما تعود الزوجة ، تذهب لتسترد طفلتها من المستشفى ، وهناك يقع لوح زجـاج

من النافذة ، فيسرع الزوج الغائب ليفتدى الطفلة ، ويسقط عليه اللوح فيسترد ذاكرته . وتفاجأ به الزوجة ويلتئم شمل الأسرة .

وشهد عام ١٩٥٤ ثلاثة أفلام : " العاشق المحروم " للسيد زيادة ، و " المال والبنون " لإبراهيم عمارة ، و " الأرض الطيبة " لمحمود ذو الفقار . فى الفيلم الأول يتزوج المهندس فؤاد من الممرضة أمينة زواجاً عرفياً ، فى حين يحقد عليه الباشا رئيسه ، ويحاول منع الزواج لغرامه بالفتاة . وعندما يفشل ، يتسبب فى وفاة الشاب غرقاً !!! ثم يتقرب من أمينة التى كانت حاملاً من زوجها ويتزوجها ويتبنى طفلها . وتهب أمينة حياتها لابنها ، لكنه يحقد عليها وينتقم منها فى شخص ابنها فيفسده ، ويترك له وصية يخبره فيها بعدم نسبه إليه . لكن أمه تشرح له الماضى ، ثم يظهر الأب الأصلى الذى أصيب بفقدان الذاكرة ويشفى .

فى الفيلم الثانى " المال والبنون " يجبر رجل ناقم على الحياة ، زوجته على تعاطى العقاقير لتجهض نفسها إذ يكفيه ابنة واحدة . وذلك على عكس صديقه الذى يفرح بما أنعم الله عليه . وتموت الابنة الوحيدة للزوج الأول . لكنه بعد فترة يصبح ثرياً ويلجأ للطب الذى يؤكد له أن زوجته أصبحت عاقراً ، فيتزوج من أخرى دون علم زوجته ، وتنجب له ابنة ثم تموت الزوجة ، فيوهم زوجته الأولى أنه عثر على الطفلة فى الطريق !! حتى يتسنى له رعايتها . وبعد سنوات تكتشف الزوجة الحقيقة ، لكن ذلك لا يغير من الأمر شيئاً .

فى الفيلم الثالث " الأرض الطيبة " تعيش فتاة فى عزبة أحد الأثرياء مع خالها ولا تعلم أنها ابنة الثرى من زواج سرى . ويكتب الثرى ثروته الكبيرة لابنته ويموت فتسافر إلى القاهرة لتسم ميراثها . لكن زوجة الأب تتآمر مع عشيقها للاستيلاء على الثروة بالحجر عليها . وبمرور الأيام تبدأ علاقة حب بينها وبين شقيق الزوجة الذى يعترف أمام المحكمة بتفاصيل المؤامرة فترفض دعوى الحجر ، وتعود الفتاة إلى العزبة لتوزع الأراضى على الفلاحين !! (لمجرد أن

الفيلم تم إنتاجه فى الفترة التى كانت فيها حمى تحديد الملكية والإصلاح الزراعى تجتاح مصر بعد قيام ثورة ١٩٥٢) !!!

فى عام ١٩٥٨ أخرج يوسف معلوف فيلم " الست نواعم " الذى تقع فيه الراقصة نواعم فى عدة مشاكل وخلافات مع زوجها فيطلقها ، ثم يبحث عن محلل لإعادتها لعصمته ، ويشترط أن يكون مريضاً وعلى وشك الموت . ويجرى لخادمة نواعم عملية جراحية ، تصبح بعدها رجلاً !! وتتنكر فى دور الرجل الكهل ، وتتزوج من نواعم . وينتظر الزوج وفاة المحلل دون جدوى إذ تتحسن صحته ويشعر بحب جارف نحو نواعم . ويقرر عدم طلاقها والاحتفاظ بها ، بل ويتخلى عن الماكياج الذى يظهره عجوزاً ، ويذهب لمقابلتها على أنه ابن زوجها . وتطمع الراقصة فى ثرائه لكنه يصارحها فى النهاية بأنه زوجها ، فترضى به بعد أن تطرد زوجها السابق .

فى عام ١٩٥٩ أخرج محمد كامل حسن فيلم " الحب الأخير " وفيه تقدم سميرة كل مساعدة ممكنة لجمعية الطفولة ، لكنها تقع فى غرام على ، مدير الجمعية برغم علمها بأنه متزوج وله أولاد . ويتماديان فى علاقتهما فيتزوجها سراً . وتذهب سميرة إلى الزوجة وتعترف لها بكل شىء . وعندما تنجب سميرة طفلاً تموت ، فتقوم الزوجة بتربية طفل الزوجة الثانية .

فى عام أخرج نيازى مصطفى فيلم " جوز مراتى " الذى تتزوج الفتاة المدللة ليلى فيه من ابن خالتها أحمد الشاب العاطل المتردد على البارات والنوادى . وتكتشف خيانته لها مع صديقة لها . وعندما يطلقها ثلاث مرات ، يلجأ أبوها إلى حسن السمكرى ليكون محللاً لابنته مقابل مبلغ من المال . وفى اليوم المحدد للطلاق ، يصل عم الفتاة الشيخ عبد السميع فيظن أن حسن هو الزوج أحمد ، فيعجب به وبأخلاقه . ويضطر والد ليلى إلى إخفاء الحقيقة عن أخيه الذى يعارض فكرة الطلاق . ويقيم حسن مع أسرة ليلى فيعجب بها ، ويتعلق بها ، ويرفض أن

يطلقها ، لكنها تلح ، فيقبل ويحرر له الأب شيكاً ، يرفضه حسن فى الحال لأنه لا يطمع فى ماله بل يوقع قسم الطلاق بلا مقابل . وتقدر ليلى شهامته وقناعته ، فتلحق به ، وتعتذر له ، وتبوح له بحبها ، وتعود الحياة مرة ثانية بينهما .

فى عام ١٩٧٢ ألف سعد عرفة وأخرج فيلم " بيت من رمال " الذى يقع فيه عصام الشاب الذى لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره فى حب أمينة التى تصغره بعام ، ويهربان إلى الإسكندرية ويتزوجان زواجاً عرفياً بعد أن يرفض الأهل زواجهما لصغر سنهما . وفى أثناء وجود أمينة على الشاطئ ، تشاهد مجموعة من الناس ، تقترب منها ، فتظن أنهم أفراد أسرتها جاءوا لعقابها . وتتراجع إلى الخلف لتقع فى البحر وتغرق !!! ويتضح أن المجموعة كانت تتكون ن المأذون ورجال الشرطة الذين جاءوا ليمنعوا زواجهما غير الشرعى !!!

فى عام ١٩٧٧ أخرج حسن الصيفى فيلم " الزوج المحترم " الذى تعانى فيه نعيمة من غيرة زوجها عليها لدرجة أنه يحبسها بالمنزل ويعطل التليفون . لكنها تتمكن من استدعاء العامل حنفى لإصلاح الجهاز فى نفس الوقت الذى يصل فيه الزوج فيظن أنها تخونه فيطلقها . وعندما يتأكد من براءتها ، يقرر أن يعيدها إلى عصمته ، ويتفق مع حنفى على أن يكون المحلل . وينمو الحب بين نعيمة وحنفى ويرفضان الطلاق مما يثير غضب المعلم ، فى حين تنجح زوجته الأولى فى إقناعه بالاكتفاء بها وترك نعيمة مع من تحب .

فى عام ١٩٧٨ أخرج أحمد السبعاوى فيلم " حساب السنين " الذى يحاول فيه نشأت إقناع نادية بالتخلص من الجنين لأنهما متزوجان زواجاً عرفياً ، إذ أنها شقيقة عباس العامل فى مصنعه . وترفض نادية فيطلقها . ويقود عباس مظاهرة عمالية ضد نشأت لظلمه وجبروته ، فيلفق له نشأت تهمة يدخل بسببها السجن ، إلا أنه يهرب ويتعارك مع نشأت فى وجود علاء الذى يصاب برصاصة قاتلة . وعندما يرفض نشأت الاعتراف بابنه بعد وفاة نادية ، يقتله عباس .

فى عام ١٩٧٩ أخرج حسن الإمام فيلم " سلطانة الطرب " الذى يتزوج فيه محسن ابن مدحت باشا بالفلاحة الفقيرة زكية زواجاً عرفياً . ويموت فى حادث بعد أن تلد زكية طفلتها . ويأمر الباشا بالتخلص من الطفلة لكن الشغال شلبى يعهد بها لأحد أصدقائه ليربيها ثم يعيدها لزوجة الباشا . وتحترف زكية الغناء وتشتهر وتغير اسمها إلى منيرة المهدية ، وتصبح من أشهر مطربات عصرها . ويتردد عليها الوزراء والبشاوات ومن بينهم مدحت باشا الذى يندم عما فعله فى زكية ، فيذهب إليها ومعه ابنتها لتبارك زواجها من الشاب الوطنى إبراهيم .

فى عام ١٩٨٣ أخرج أحمد يحيى فيلم " وداد الغازية " الذى يعجب فيه ضابط الشرطة حسن بالغازية وداد ويتفقان على الزواج . لكن أفندينا يلفق تهمة قتل لحسن ، ويعرض على وداد أن تستسلم له مقابل أن يفرج عنه فتوافق . لكن خالتها ناعسة تعترف لأفندينا أن وداد محرمة عليه لأنها أخته ، إذ إن أباه تزوج خادمته حسنة زواجاً عرفياً وهى تلد وداد . يقوم عبد البديع بقتل ناعسة بأمر أفندينا ، . وتضغط عليه وداد ، فيعترف بجريمته وببراءة حسن الذى يفرج عنه . وتهدد وداد أفندينا بالمسدس ، فيبوح لها بحقيقة علاقتهما لكنه يغافلها ويقتلها .

وفى عام ١٩٨٤ أخرج حسن الصيفى فيلمين " أنا اللى أستاهل " ، و " حادى بادى " . فى الفيلم الأول يختار إلهام وصلاح السايس الأبله جمعة ليكون محللاً حتى يتمكن صلاح من إعادة إلهام لعصمته ، ويتفقان معه أن يطلق إلهام فى اليوم التالى . لكن جمعة يرفض الطلاق لأنه يسعى لإنقاذ ممتلكات إلهام من الأطماع والضياع ، وإقناع صلاح أن يكف عن لعب القمار ، وبعد أن يصلح أحوالهما يطلقها ليعيدها صلاح إلى عصمته . وفى الفيلم الثانى يعود الدكتور صابر من الخارج بعد إتمام دراسته وترافقه زوجته الدكتورة ليلى التى يتفق معها على إخفاء زواجهما على أسرته ، فهو يتفق مع عمه خضر على زواجه من ابنته صبيحة خوفاً على صحته !! والفيلم بعد ذلك سمك ، لبن ، تمر هندى !!!

وشهد عام ١٩٨٥ أربعة أفلام " أيام فى الحلال " لحسين كمال ، و " الحلال يكسب " لأحمد السبعاوى ، و زوج تحت الطلب " لعادل صادق ، و " السيد قشطة " لإبراهيم عفيفى .

فى فيلم " أيام فى الحلال " يتزوج رجل الأعمال مجدى من سميحة بعد طلاقها من مدحت ، ويطلب من أسرتها أن يتكتموا الأمر حفاظاً على كيان أسرته . وعندما أدرك أن زوجته وابنته تعرفان ، جعل سميحة تقيم فى شقته بلندن على أن يسافر إليها شهريا . وبمرور الوقت لا تحتمل سميحة هذا الوضع مع مجدى ، كما أنها لا تريد أن تسبب له مشاكل فتنسحب من حياته .

فى فيلم " الحلال يكسب " يشرف الدكتور فؤاد على رعاية شمس بعد إجرائه لها عملية فى القلب . وتعترف له برغبتها فى الزواج منه ، لكنه يخشى الاعتراف لها بخطبته لنرجس خوفاً عليها من الانفعال !! يتزوجان بعد أن يقنع خطيبته نرجس بأنه عمل إنسانى !!! ثم يتزوج نرجس وتقيم معه فى منزل شمس على أنها أخته ، لكنها تضيق بحياتها وتطلب الطلاق ، فيعترف فؤاد لشمس بالحقيقة . ويتفق ثلاثتهم على العيش معاً فى نفس الشقة .

فى فيلم " زوج تحت الطلب " يعود المحلل بوجهه الممل المستهلك فى شخصية ممدوح الموظف البسيط بعد أن قرر الثرى نعيم الزواج مرة أخرى من مطلقته ناهد التى تلقن نعيم درساً فتتفق مع ممدوح على الاختفاء على أن تحدد هى موعد الطلاق . وينهش القلق نعيم لأنه كتب كل ممتلكاته باسم ناهد !! وبمرور الوقت ينمو الحب بين ناهد وممدوح ويقرران الاستمرار فى زواجهما وخاصة أنها حامل ، كما تعيد لنعيم كل ممتلكاته .

فى فيلم " سيد قشطة " لا يزال المحلل يفرض شخصيته المملة وفى نفس العام (١٩٨٥) ، وذلك من خلال الطالب الجامعى أحمد الذى يعمل فى محل عطارة السيد قشطة المتزوج من جمالات حبيبة أحمد ، بالإضافة إلى زوجته الأولى

شكرية العاقر . وتزداد الخلافات بين قشطة وجمالات فيطلقها للمرة الثالثة وتسوء حالته ، فتشترط أن يكتب الفيلا باسمها وأن يطلق شكرية . فيوافق ويختار أحمد ليكون محللاً ، لكنه يندم على تطليقه لشكرية ، ويقرر أن يعيدها لكنها تتزوج من آخر .

فى عام ١٩٨٦ أخرج عاطف الطيب فيلم " الحب فوق هضبة الهرم " الذى تتم فيه خطبة رجاء على زميلها فى الشركة على الذى يفشل فى الحصول على عقد فى إحدى الدول العربية . ويفقد الأمل فى تحسن ظروفه مع استحالة حل المشكلة السكانية . ويتزوجان ويخفيان الأمر عن أسرتيهما . وعندما يفشلان فى العثور على المكان المناسب للالتقاء يذهبان إلى هضبة الهرم حيث يقبض عليهما بتهمة ارتكاب فعل فاضح فى الطريق العام . وعندما يحكم عليهما بالسجن ، يطالبان بإقامتهما فى زنزانة واحدة لممارسة حقهما فى الحياة الزوجية . فلم تعد القضية هى مشكلة الزوج الذى يتزوج سراً للمرة الثانية ، خوفاً من زوجته الأولى التى لا تزال على ذمته ، وإنما تحولت إلى مأساة العريسين اللذين لا يستطيعان إعلان زواجهما لاستحالة العثور على منزل للزوجية ، وعندما يمارسان حقهما الطبيعى يقبض عليهما مثل مجرمين تعديا على القانون .

ولا يزال مسلسل الزواج العرفى أو السرى مستمراً ، ففى عام ١٩٨٧ أخرج يوسف إبراهيم فيلم " ده معقول " الذى تتورط فيه ليلى مع الثرى سامى ويتزوجها زواجاً عرفياً . وعندما تضع مولودتها ، يطلب من صديقه خلاف التخلص من الرضيعة ، ويدعى لليلى أنها ماتت ويمزق عقد الزواج ، وتعمل ليلى فى مصنع الثرى عبد الرحمن الذى يتزوجها برغم اعترافها له بماضيها !! وعندما يخسر سامى ثروته ، يندم على تصرفاته ، ويصارح خلاف ليلى بمكان ابنتها .

ويتكرر نفس العنصر النمطى الممل فى فليلم " لست قاتلاً " الذى أخرجه عبد الهادى طه عام ١٩٨٩ ، والذى تتزوج فيه أمل زواجاً عرفياً من تاجر المخدرات

خالد البسيونى لحاجتها للمال ، فهو يرفض الزواج الشرعى منها بعد أن تكتشف أنها حامل . لكنها تتعرف على المحامى الكبير كمال الذى يقرر مساعدتها ، فى حين يرفض خالد الاعتراف بابنه حمادة منها ، ثم يموت خالد بعد تناوله جرعة من المخدر . وهكذا تدخل الأحداث فى التيار الشهير باسم : سمك ، لبن ، تمر هندى !!

فى عام ١٩٩٠ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " الملك لله " الذى تفاجأ فيه الأرملة وفية بأن عليها تسديد مبلغ من المال ، وفاءً لدين زوجها للبنك . ويعرض أدهم الزواج على ابنتها فرحة مقابل تسديد المبلغ فتوافق ، على أساس أن يكون زواجهما سراً . ويموت أدهم ويصدم ابناه محمود وسعيد بأمر زواجه ، وينتظر المحامى لحين ولادة فرحة لتحديد تقسيم الميراث . ويتفق الأخان مع الداية على خنق المولود مقابل رشوة ، وتنجح فى مهمتها . لكن الصدفة العجيبة سرعان ما تنتقم من المجرمين ، إذ يلقى الأخان ومعهما الداية مصرعهم فى حادث بسيارتهم !! فى حين تحدث صدفة أشد سخفاً من الصدفة السابقة ، وتتمثل فى ظهور توأم للمولود المخنوق !! (فى حين يقول الطب أن التوأم يخرج للحياة بعد أخيه بدقائق معدودات ، وليس بعد أن تغادر الداية مسرح العمليات ، وتركب سيارة مع الأخين المتآمرين ، وتنطلق بهم إلى أن يقع حادث يودى بحياتهم جميعاً ، ثم بعد كل هذا ، يخرج التوأم الآخر إلى الحياة !! وذلك حتى ينتصر الخير هذا الانتصار الفج الساذج !!)

وفى العام التالى (١٩٩١) جاء مخرج جديد يفترض فيه أنه يبحث عن آفاق ورؤى جديدة ، لكنه تطرف عن سابقيه ممن تناولوا قضية الزواج العرفى ظناً منه أنه يلعب على المضمون الرائج تجارياً ، فجعل عنوان فيلمه " جواز عرفى " ، ومضمونه صورة مكررة وشائهة من الأفلام السابقة . ولذلك ظهر اسم سمير حافظ مع هذا الفيلم وبعد ذلك لم نر له فيلماً آخر ، بل ولم نسمع عنه أى خبر ، مما يدل على أن طاقة الجمهور فى احتمال التكرار والملل لها حدود لا يمكن تجاوزها .

ففى هذا الفيلم يعجب رجل الأعمال عزمى بالخادمة سهير ويتزوجها زواجاً عرفياً . وعندما تثور عليه زوجته ، يتنكر لسهير برغم أنها حامل . ويخفى عقد الزواج العرفى مع سائقه رياض . وعندما تنجب سهير طفلها ، يرفض عزمى الاعتراف به ، فتلجأ سهير إلى القضاء . لكن السائق يتوفى !!! فتتعقد القضية ، ويرفض القضاء دعوى سهير لأنها لا تملك أى دليل أو مستند فتنهار !!!

* * * * *

لكن صورة السينما المصرية الرائدة فى العالم العربى والشرق الأوسط بأسره ، ليست بهذه القتامة ، إذ أنها عرفت عبر مسيرتها الطويلة سلسلة من الأفلام غير النمطية التى تشكل علامات مضيئة بل وساطعة على طريقها . وإذا كانت هذه الدراسة بمثابة رصد وتحليل نقدى للمضمون الفكرى فى السينما المصرية ، فهذا يرجع إلى قدرتها على تصحيح مسيرتها بين الحين والآخر ، واستيعابها لكل الجهود النقدية الحريصة على تعميق مسيرتها وتطويرها وليس مجرد استمرارها . فهى ليست سينما وليدة وهشة ، يخشى عليها من معاول النقد التى يمكن أن تتحول إلى معاول لهدمها ، بل هى سينما وطيدة وراسخة وقادرة على الاستفادة من كل التوجهات النقدية . ولذلك فإن أية محاولة لاستغلال هذه الدراسة فى ضرب السينما المصرية والإقلال من شأنها ودورها الريادى ، مصيرها الفشل المحتوم . فالقوى لا يخاف من كشف سلبياته سواء أمام نفسه أو أمام الآخرين ، وذلك كى يتخلص منها ، طلباً للمزيد من الإيجابيات والإنجازات الجديدة ، أما الآخرون الذين يدارون سلبياتهم حتى يظهروا بمظهر الرواد الكبار ، فإن تاريخهم القصير فى الإنتاج السينمائى ، وأعمالهم المتناثرة التى لم تترك بصمات واضحة على مسيرة السينما العربية ، فكفيلة بفضح ادعاءاتهم الجوفاء . أما معالم الطريق التى شقتها السينما العربية فتتمثل فى الأفلام المصرية غير النمطية التى نتناولها بالتحليل فى الفصل الأخير من هذه الدراسة .



نشـــيد الأمـــل   سنة ١٩٣٧



أدهم الشرقاوى   اخراج / حسام الدين مصطفى   سنة ١٩٦٣



صـور ممنوعـة   إخراج / أشرف فهمى ، محمد عبد العزيز ، مدكور ثابت سنة ١٩٧٢



الجبــــــل إخراج / خليل شوقى   سنة ١٩٦٥

الفصل السابع عشر

أفـلام غـير نمطية

برغم العناصر النمطية التى سيطرت على السينما العربية منذ بدايتها حتى الآن والتى حاولنا رصدها وتحليلها فى الفصول السابقة ، فإن السينما المصرية – للحقيقة والتاريخ – كانت تملك من قوى الدفع والحيوية والتجدد ما جعلها تقدم أفلاما غير نمطية وتشكل علامات مضيئة على مسيرتها التى أوشكت على إتمام قرن كامل من عمرها ، وإضافات إيجابية وآفاقا جديدة للفن السينمائى بصفة عامة .

والمفارقة العجيبة الجديرة بالتسجيل أنه كلما اقتربت السينما من المجتمع المصرى وقضاياه الإنسانية ابتعدت عن النمطية التى تجبرها على اجترار أفلام سابقة سواء على مستوى المضمون الفكرى أو الشكل الفنى . ذلك أن المجتمع المصرى بكل حيويته وتناقضاته ومفارقاته يشكل نبضا لا يتوقف ونبعا لا ينضب من التيمات والمضامين والرؤى القادرة على تجديد الدماء السينمائية ، وإخراجها من الطرق المسدودة والدوائر المفرغة والمتاهات الجانبية التى غالبا ما تأتى نتيجة طبيعية لعناصر النمطية والتكرار والاجترار والقوالب الجاهزة والموضوعات المستهلكة ، ولذلك سنلاحظ فى هذا الفصل أن أكبر نسبة من الأفلام غير النمطية ، كانت من الأفلام التى تفاعلت تفاعلا حميما مع التيارات الساخنة والمتجددة للمجتمع المصرى .

وبرغم محلية هذه القضايا الاجتماعية والإنسانية فإنها لاقت صدى ملحوظا ومرموقا عند عرض هذه الأفلام خارج مصر والمنطقة العربية سواء فى المهرجانات أو أسابيع الأفلام المصرية أو السوق التجارية العالمية . وينطبق هذا أيضا على الأفلام التى أخذت عن أعمال أدبية لكتاب كانت هموم مجتمعهم وقضاياه وصراعاته الخفية والظاهرة تؤرقهم . ونظرا لأن المجتمع المصرى بطبيعته الحضارية وموقعه الجغرافى ، وتنوعه التراثى ، لا يمكن أن يتقوقع فى قوالب النمطية ، فإن الأفلام التى انفتحت عليه وتفاعلت معه وبلورته كانت أبعد ما تكون عن النمطية التى نتجت فى كثير من الأحايين عن محاكاة الفيلم الأمريكى على وجه الخصوص . أى أنها نمطية أمريكية باهتة ومشوشة أكثر منها نمطية مصرية أصيلة وراسخة . ولم تفلح معظم محاولات الاقتباس والتمصير فى القضاء على الروح الأجنبية والغربية الكامنة وراء الواجهات المصرية .

وقد أثبتت هذه الأفلام غير النمطية أن الطريق إلى العالمية لابد أن يبدأ بالمحلية . أما ادعاء العالمية منذ البداية فمن شأنه أن يؤدى إلى مسوخ مشوهة لابد أن تسقط فى الفجوة السحيقة التى تفصل بين المحلية والعالمية . ولذلك فإن كل سينما لابد أن تنسب إلى بلدها : سينما مصرية أو أمريكية أو إيطالية أو فرنسية أو إنجليزية أو يابانية ... الخ ، فإذا ما انسلخت السينما من هويتها القومية والمحلية فإنها تفقد شرعيتها الفكرية والفنية لأنها ستصبح حينئذ سينما لقيطة ، يتنكر لها أبوها الأمريكى أو الأجنبى بصف عامة ، ولا يتقبلها مجتمعها الذى لا يرحب بأبناء السفاح بصفة خاصة .

وبحكم أن الشكل لا ينفصل عن المضمون فى أى عمل فنى بل هما فى حقيقتهما كيان عضوى واحد ، فإن التخلص من نمطية المضمون لابد أن يؤدى إلى التخلص من نمطية الشكل . ذلك أن آفاق الفكر السينمائى المتجدد لابد أن تلهم الفنانين القائمين على إبداع الفيلم بأدوات وأساليب فنية مبتكرة . وهو ما ينطبق على

كل مراحل الإنتاج ابتداء بالقصة والسيناريو والحوار ومروراً بالإخراج والتمثيل والتصوير وهندسة المناظر ، وانتهاء بالمونتاج وإعداد الفيلم للعرض .

وإذا كانت السينما المصرية قد احتملت هذه الأعباء والأثقال والقيود النمطية التى كثيرا ما كانت تؤذن بدخولها فى دوائر مفرغة طوال ما يربو على ثلاثة أرباع القرن ، فإنها استطاعت أيضا أن تواصل مسيرتها الرائدة بل وأن تنتج أفلاما غير نمطية سجلتها الموسوعات السينمائية العالمية وكان لها صدى رائع عند الدول القائدة للسينما العالمية ابتداء بفيلم " العزيمة " عام ١٩٣٩ لكمال سليم ، وانتهاء بفيلم " المصير " عام ١٩٩٧ ليوسف شاهين . وبين هذا الفيلم وذاك تألقت أفلام غير نمطية عديدة كانت بمثابة علامات مضيئة وساطعة على معالم الطريق التى شقتها السينما المصرية ، واستطاعت بها أن تضع العالم العربى بأسره على خريطة السينما العالمية .

فى عام ١٩٣٠ أخرج محمد كريم رواية " زينب " لمحمد حسين هيكل كفيلم صامت ثم أعاد إخراجها عام ١٩٥٢ ولم يخرج فى الفيلم الثانى الناطق على البناء الأساسى للرواية الرومانسية التى تدور حول زينب الفتاة الريفية التى تحب الخولى إبراهيم لكن أباها يزوجها من الثرى حسن . وعندما يذهب إبراهيم لتأدية الخدمة العسكرية وتعانى زينب من فراق حبيبها إبراهيم ، وينال منها الحزن فتمرض وتلازم الفراش . وبنفس الروح الرومانسية المسرفة فى العاطفية يتألم إبراهيم أيضا من هذا الفراق وفى النهاية تموت زينب على فراشها وهى تحتضن منديل إبراهيم فى يدها . وقد نجح محمد كريم فى الربط الموحى والعضوى بين معانى الجمال والصفاء التى تجسدت فى شخصية زينب .

وعندما عرض فيلم " زينب " فى المهرجان السينمائى الدولى فى برلين عام ١٩٥٢ لاقى ترحيبا وإقبالا حماسيا من المسئولين عن المهرجان أو النقاد الألمان على حد سواء . فقد أرسل الدكتور باور رئيس بلدة برلين وكذلك رئيس اللجنة

المشرفة على المهرجان خطاب شكر وتقدير لجبرائيل نحاس منتج الفيلم قال فيه :

" انتهز هذه الفرصة لأشكركم باسم اللجنة المشرفة على المهرجان ، على الفضل الذى أسبغتموه على مهرجاننا بعرضكم فيلم " زينب " ولقد لمستم بنفسكم كيف استقبلت الصحافة واستقبل الجمهور " زينب " بإعجاب كبير . والنتيجة الرسمية حسب قرار اللجنة النهائى كالآتى :

٤٠,٩ ممتاز

٣٨،٤ جيد

المجموع ٧٩،١٣ صوتا إيجابيا وهذا معناه نجاح الفيلم نجاحا جديرا بالتسجيل .

وإنى أرى أن المساهمة المصرية فى هذا المهرجان ستستفيد منها العلاقات السينمائية بين بلدينا فائدة قصوى وإننا بمجرد انتهاء المهرجان ، سلمنا الدبلومات والميداليات إلى السيدة راقية إبراهيم نظير المساهمة المصرية فى مهرجاننا ونأمل أن تكون قد وصلتكم وأن تقع لديكم هذه الذكرى موقعا طيبا .

ومع أملنا فى اشتراك مؤسستكم فى المهرجان العالمى الثالث فى برلين لسنة ١٩٥٣ أرجو يا سيدى أن تتقبلوا أصدق عواطفى "

الإمضاء (الدكتور باور)

وكان الدكتور تيبورتيوس مدير إدارة المعارف ببرلين " قسم الفنون " قد أرسل خطابا إلى النجمة راقية إبراهيم قال فيه :

" إلى السيدة راقية إبراهيم

أوتيل توسكولوم – برلين

سيدتى ..

أرى لزاما على قبل أن تغادرى برلين أن أقدم لك شكرى الجزيل للمرة الثانية لمساهمتك فى مؤتمرنا السينمائى الدولى بعرض فيلمك " زينب " الذى نال

إعجاب الجمهور الألمانى وفاز بنجاح عظيم . فإن فيلمك الرائع يعتبر حدثا فنيا ناجحا فى سبيل توثيق الروابط الثقافية التى تجمع بين بلدينا .

وتفضلى يا سيدتى بقبول فائق احترامى وإخلاصى "

الإمضاء

(بروفيسير دكتور تيبورتيوس)

وكان الناقد الألمانى الشهير فالتر كاول قد كتب فى جريدة " دير كورير " فى أثناء مهرجان برلين السينمائى :

" وكان جميع الناس ينتظرون بفارغ صبر عرض أول فيلم مصرى فى ألمانيا – زينب – وكانت تجربة حازت رضاءنا وشجعت آمالنا . وموضوع الفيلم بسيط وواضح ومؤثر . وتبلغ الذروة فيه عند النهاية .

" وكانت للعادات والتقاليد نصيب الأسد فى هذا الفيلم الجميل .

ولكن واقعية تمثيل الفنانين المصريين تخرج من حيز التسجيل حتى تصل إلى شاعرية حقيقية . وكانت المناظر الغرامية المدهشة الطاهرة مما ذكرنى بأمثال التوراة القديمة أو بالأشعار الرائعة الخالدة لقصة ألف ليلة وليلة .

" إن راقية إبراهيم ويحيى شاهين قاما بتمثيل دور الحبيبين بمهارة ورقة أثرت فى تأثيرا عميقا .

" إن المخرج محمد كريم .. يبدو أنه لم يتلفه الخليط المشوش الذى يسود الإخراج فى العالم الآن .. فإنه أخرج فيلم " زينب " ، فجاء لحنا واضحا دقيقا بدون ملل ، وعرف كيف يقدمه بفن رفيع ، إنه لا يستجدى العواطف ولا يطيل فى المؤثرات .

وقد صفق الجمهور فى برلين لهذا الفيلم الإنسانى وصفق بحرارة للنجمة راقية إبراهيم . وقد شكرتهم بكل ود ووفاء .

وكان الفيلم الصامت الذى أخرجه محمد كريم عام ١٩٣٠ عن نفس القصة " زينب " وقامت ببطولته بهيجة حافظ ، وسراج منير ، وزكى رستم ، ودولت أبيض ، قد نال استحسانا كبيرا من الجمهور المصرى وغير المصرى الذى شاهده واعتبره فاتحة لمستقبل مشرق للسينما المصرية .

وفى عام ١٩٣٨ ألف يوسف وهبى وأخرج فيلم " ساعة التنفيذ " الذى ينتهى نهاية غير تقليدية وغير نمطية على الإطلاق ، برغم ارتباط الميلودراما النمطية باسمه سواء فى التأليف أو الأداء . فقد اعتادت السينما المصرية أن تجعل الغلبة فى نهاية الفيلم للقيم الأخلاقية السائدة حتى لو لم تكن مبررة دراميا فى ثنايا الأحداث ؛ لكن يوسف وهبى فى هذا الفيلم أوضح أن الطبيعة البشرية الجامحة يمكن أن تسود على القيم الأخلاقية . ففى الفيلم يعود رءوف من أوروبا ويفاجأ بأن خطيبته سامية قد تزوجت الثرى فؤاد بك ، لكنها لا تزال تحبه فيبادلها الحب . وتنمو الصداقة بين رءوف وفؤاد الذى يثق فيه كثيرا . وعلى الرغم من هذا الغرام الملتهب وإنجابها لطفلين فإن الزوج المخدوع يظل جاهلا للحقيقة . وعندما تكتشف الخادمة السر ، يستيقظ ضمير رءوف ويقرر قطع صلته بسامية لكنها تتصل به ، وإذا به يضعف مرة أخرى ويعاودان علاقتهما .

وفى عام ١٩٣٩ ألف كمال سليم وأخرج فيلم " العزيمة " الذى يعد علامة بارزة فى تاريخ السينما المصرية والعالمية ، لدرجة أن الرائد السينمائى الفرنسى الكبير جورج سادول اعتبره فى كتابه " تاريخ الفن السينمائى " ضمن أحسن مائة فيلم أنتجتها السينما العالمية ، وذلك بعد أن شاهده فى أثناء زيارته للقاهرة عام ١٩٦٤ . وهذا يرجع إلى تمكن كمال سليم من اللغة السينمائية ، وإيمانه بأن الفكر السينمائى يمكن أن يجب تأثير أى فكر آخر فى فنون أخرى ، من حيث قدرته على الانتشار الجماهيرى الواسع والمتجدد . فلم يكن يعبر بالكاميرا عن فكر غيره ، وإنما كان مفكرا وفنانا سينمائيا بمعنى الكلمة ، يرى فى الفيلم وحدة عضوية ،

بوتقة تتصهر فيها الفكرة والمعالجة السينمائية وكتابة السيناريو ، ثم التقطيع والديكوباج والتصوير والديكور والأزياء والمكياج والموسيقى ، وأخيرا يأتى المونتاج بصفته الكلمة الأخيرة فى بناء الفيلم .

ففى فيلم " العزيمة" يتخرج محمد ابن حلاق الحارة الأوسطى حنفى من الجامعة وعندما لا يوفق فى وظيفة حكومية يبدأ حياته بممارسة العمل الحر ، ويتفق مع عدلى زميل دراسته على افتتاح مكتب استيراد وتصدير ويبارك أبو عدلى الفكرة لكنه عندما يسافر إلى الخارج ثم يعود يجد أن عدلى قد بدد المال الخاص بالمشروع ، فيطرده من المنزل . ويتزوج محمد من فاطمة برغم طمع العتر الجزار فيها . لكن محمد يفصل من الشركة لجريمة هو برئ منها ، فيعمل بأحد المتاجر ليواجه أعباء معيشة أسرته دون أن يخبر زوجته ، فيبلغ الجزار زوجته بأن محمد خدعها ، فتطلب الطلاق . عندئذ يتقدم المعلم العتر للزواج منها . وعندما يكتشف مدير الشركة براءة محمد يعيده لعمله . ويلتقى بعدلى ويعيد إحياء المشروع كما تعلم فاطمة بالحقيقة ، فيسعى محمد لإعادتها لعصمته برغم إعلان زواجها من المعلم العتر وينجح فى ذلك لأن المدة القانونية لم تنته بعد ، ويلتئم شمل الزوجين مرة أخرى .

ولعل من أسباب خلود فيلم " العزيمة " فى الوجدان المصرى واقعيته المصرية الصميمة النابعة من صميم المجتمع المعاصر فوجد فيه الجمهور سماته وملامحه وعاداته وتقاليده ، ومشاكله وآلامه وآماله وأفراحه وأحزانه . فقد جسد الجو الشعبى الأصيل ممثلا بصفة خاصة فى الحارة المصرية ، وشخصيات الفران ، والحلاق ، والجزار ، والحانوتى ، والإسكافى ، والحداد ، والموظف الصغير ، وبنت البلد وغيرهم من أبناء المجتمع ، وأساليب حياتهم وتقاليدهم فى الأعياد والمواسم وليالى رمضان والموالد والاحتفال بالزواج ، ووقوفهم يدا واحدة وقلبا واحداً فى الملمات والأزمات ، وبلورة مشاكل الشباب فى الثلاثينيات ،

ومواقف الحب والكفاح والطموح ، وتحليل النفس البشرية بأسلوب زاخر بالتهكم والسخرية اللاذعة التى تدفع إلى التأمل والتفكير والتجاوب الحميم .

وكان كمال سليم يؤمن بأن الحس القومى والوطنى والمحلى والاجتماعى لدى الفنان هو بوصلته التى تهديه سواء السبيل ، وكلما كان ارتباط الفنان حميما بمجتمعه ، كان ارتباط المجتمع به بنفس الدرجة من الحميمية . فقد كان المدير الفنى لاستديو مصر هو المخرج الألمانى فريتز كرامب الذى أراد أن يتدخل فى أسلوب إخراج كمال سليم لفيلم " العزيمة " لكنه أوقفه عند حده خاصة بعد أن سبق له أن نحى زميله أحمد بدرخان عن إخراج فيلم "وداد " وقام هو بإخراجه بدلا منه . فقد صارحه بمنتهى الوضوح أن فيلم " العزيمة " فيلم مصرى لحما ودما ، فهو يصور البيئة المصرية الصحيحة فى جو بعيد عن ذوق وإحساس رجل ألمانى مثله. بحيث لا يستطيع أحد أن يقوم بتنفيذه سوى مخرج مصرى صميم .

من هذه الأفلام المصرية الصميمة كان فيلم " عاصفة على الريف " الذى أخرج وكتب السيناريو له أحمد بدرخان عام ١٩٤١ عن قصة ليوسف وهبى وحوار لبديع خيرى ، وفيه تجسيد الصراع بين العلم والوعى وبين الدجل والشعوذة ، أو بين مفتش الصحة وحلاق الصحة . فالدكتور أشرف يعمل فى الريف كمفتش صحة ، ويشكل عمله عقبة عاتية فى وجه حلاق الصحة ، وبالتالى أوجد عداء بينه وبين العمدة والعطار وكل رموز الجهل والدجل والشعوذة . ولم يكن أمامه إلا أن يحارب هذه العادات المنتشرة بكثرة فى الريف المصرى ، وأن يستخدم كافة الوسائل العلمية والإنسانية . وفى النهاية ينتصر عليهم بعد أن أثبت علميا لأهالى القرية قدرة العلم على تخليصهم من وباء الطاعون . وهو نفس المضمون المصرى الصميم الذى قدمه بعد ذلك توفيق صالح فى فيلم " صراع الأبطال " ١٩٦٢ .

وفى عام ١٩٤٥ قدم كامل التلمسانى من تأليفه وإخراجه فيلم " السوق السوداء " الذى صور فيه الحياة الاجتماعية فى أحد أحياء القاهرة الشعبية خلال الحرب العالمية الثانية وبلور فيه استغلال تجار الحى لظروف الحرب وإخفائهم للمواد التموينية ثم بيعها بأضعاف ثمنها فى السوق السوداء ، وصراع العمال والمثقفين من أبناء الحى لفضح تجار السوق السوداء والقضاء عليهم . وليس هناك موضوع يهم الشعب أكثر من الذى يمس قوته اليومى .

وبدأ تيار الأفلام غير النمطية فى التدفق عام ١٩٤٦ الذى شهد ثلاثة أفلام : " النائب العام " أحمد كامل مرسى ، و" أرض النيل " لعبد الفتاح حسن ، و" لعبة الست " لولى الدين سامح .

فى فيلم " النائب العام " يعمل صراف بإحدى المصالح الحكومية ويضطر لأخذ مبلغ بسيط من الخزينة لشراء دواء عاجل لأمه المريضة فيتهم بالاختلاس ويسجن عدة سنوات ويموت فى السجن . ويؤثر هذا الحكم القاسى فى نفسية أخيه الطالب الأزهرى فيهجر تعليمه الدينى ، ويتجه إلى دراسة القانون ليصبح بعد ذلك قاضيا يؤثر الرحمة فى أحكامه . وفى يوم ينظر قضية مقتل راقصة اتهم فيها شاب يعمل وكيل نيابة وهو ابن النائب العام ، وكان على علاقة بهذه الراقصة وعندما يدرك أن يد القانون توشك أن تطبق على رقبة المتهم يتنحى عن نظر القضية ويتولى الدفاع بنفسه ، إيمانا منه بأن الرحمة فوق العدل .

فى فيلم " أرض النيل " تعانى قرية مصرية من الفقر والجهل والمرض ، بالإضافة إلى وجود مراب يمتص قوت أهل القرية بمن فيهم الرجل الثرى رجب باشا الذى لا يرضى ابنه فؤاد عن هذه الحالة فيحث الأهالى على التعاون فى سبيل الإصلاح والتصدى لانتهازية المرابى . وتنجح أولى محاولاته ، ويقبل الفلاحون على المساهمة فى مشروعه ويتحسن حال القرية مما يؤدى إلى نقمة المرابى ، فيعمل على تدبير المؤامرات ضد فؤاد وذلك بحرق المخازن ونسبها إلى فلاح

مسكين ، يكشف براءة فؤاد ويساعدون البوليس فى القبض على المرابى الذى يسرع للفرار وهو يحاول إغراق القرية إلا أن فؤاد يتمكن من القبض عليه وتسليمه للبوليس . وبرغم أن الفيلم مقتبس عن قصة أندريه فينيو ، فإن سيناريو عبد الفتاح حسن وحوار يوسف جوهر قد جعلا منه قطعة نابضة من الوجدان المصرى .

فى فيلم " لعبة الست " يبلور نجيب الريحانى شخصية المصرى بكل أبعادها وأعماقها من خلال أدائه المتميز لشخصيتة حسن الرجل الفقير ، الذكى ، اللماح ، الساخر ، خفيف الظل ، الذى يقابله معظم المتفرجين فى معظم أرجاء مصر . فهو يعمل ساعيا فى محل إيزاك عنبر ويستأجر حجرة متواضعة فى منزل أم دعبس . وذات ليلة مثيرة فى أثناء غارة من غارات الحرب العالمية الثانية ، تطرق بابه فتاة هاربة من خطيبها المطرب بلاليكا . وتتوطد العلاقة بينهما ويتزوجان . وتمر الأيام وتصبح زوجته نجمة سينمائية ، وتتعرف على ثرى شامى ، ويعرض عليها الزواج معتقدا أنها لم تتزوج بعد ، وتطلب الطلاق من زوجها ويعلم الثرى فيسحب عرضه لأنه لا يريد أن يكون سببا فى خراب أسرة . ومع وصول روميل إلى العلمين يهاجر إيزاك ويتنازل عن محله لحسن الذى يصبح فجأة من الأغنياء . وينتهى الصراع بينه وبين زوجته بعودتها مرة أخرى إليه بعد أن ذاقت مرارة الفشل وانحسار الأضواء عنها .

فى عام ١٩٤٨ أخرج أنور وجدى فيلم " عنبر " الذى يعتبر من الأفلام الاستعراضية الرائدة التى رسخت تقاليد الاستعراض فى السينما المصرية التى لم تستفد منها كثيرا ولم تطورها فيما بعد . وعلى الرغم من سطوة العناصر النمطية التى لمسناها فى الفصول السابقة ، فإن جاذبية هذا الفيلم لم تشفع له بأن يصبح نمطا يحتذى ، وقد يكون السبب فى ذلك ارتفاع تكلفة الأفلام الاستعراضية مما جعلها لا تحتل مساحة كبيرة على خريطة السينما المصرية . فى فيلم " عنبر " تفقد عنبر أمها المغنية التى تزوجها

أبوها الثرى رغم معارضة أسرته . وعندما يمرض الأب ويصبح على شفا الموت ، تلتف أسرته حوله طمعا فى ميراثه فقد كان يضع أمواله ومجوهراته فى صندوق مدفون أسفل المنزل . ويأتى صاحب مسرح استعراضى لشراء ملابس أمها المغنية لاستخدامها فى استعراض وتتطور الأحداث فيرتبط صاحب المسرح بعلاقة حب مع عنبر مما يدخله فى صراع مع أسرتها من أجل الحصول على ميراثها وفى النهاية تنجح فى الحصول عليه ويقبض البوليس عليهم .

وفى العام التالى (١٩٤٩) أخرج أنور وجدى الفيلم الشهير " غزل البنات " الذى كتب له السيناريو عن قصة لبديع خيرى الذى اشترك مع نجيب الريحانى فى كتابة حواره ، والفيلم عبارة عن توليفة جذابة وخفيفة الظل من المواقف الكوميدية التى تسخر من الفوارق الطبقية ، والأغانى التى تجمع بين صوت ليلى مراد وموسيقى عبد الوهاب ، والاستعراضات التى تبدو طبيعية للغاية سواء فى قصر الباشا أو فى الكباريه ، والأحداث التى تجمعت وتفاقمت فى ليلة واحدة مما صعد من عوامل الإثارة . كل هذا من خلال الشخصية المصرية الصميمة التى عشق نجيب الريحانى تقديمها فى مسرحياته وأفلامه . وهى فى هذا الفيلم شخصية حمام المدرس الفقير الذى يعمل فى مدرسة خاصة . وتحت رحمة ناظرها الذى يطرده ، لكن الحظ يبتسم له فيصبح مدرسا خاصا لابنة الباشا ، التى يعجب بها فى صمت وهى بدورها تحب شابا آخر . ويكتشف حمام أن حبيبها ليس إلا نصابا يطمع فى ثروتها فيحذرها منه . وفى أحد لقاءاتها بحبيبها يصطحبها حمام ويواجهه بحقيقته بعد أن يستنجد بضابط طيار ليخلصها من هذا الأفاق . ويدعى الضابط للحبيب الأفاق أنه ابن عمها وينقذها منه فى حين يعجب بها وتبادله مشاعره مما يجعل حمام يدرك استحالة حبه لها . ولا شك أن فيلما يجمع نجيب الريحانى وليلى مراد وأنور وجدى ويوسف وهبى ومحمد عبد الوهاب لابد أن يكون فيلما غير نمطى .

فى عام ١٩٥٠ أخرج هنرى بركات فيلم " معلهش يا زهر " الذى استطاع فيه أن يقدم قطاعا حيا ونابضا من القطاعات الكادحة المكافحة التى يزخر بها المجتمع المصرى ، وذلك من خلال شخصية صابر الموظف الذى يرزح تحت عبئ المتاعب المادية . وتشاء الأقدار أن يعين رئيس عمل جديد فى شركته ، ويتضح فيما بعد أنه كان على صداقة قديمة بزوجته وتتوطد علاقته بعائلته كما يربط الحب بين ابنة صابر وجاره ابن البقال . ويرفض صابر زواجهما لأنه يطمع فى تزويجها من موظف تأمينا لمستقبلها ، إلا أن الابنة وحبيبها يتزوجان دون علمه . وتثير علاقة صابر بالمدير حقد الموظفين فيشيعون عن وجود علاقة بينه وبين زوجته ليعكروا صفو حياته ، لكنه يواجههم ويوقفهم عند حدهم ويندمون ويثور صابر على ابنته لكنه بعد حين يغير نظرته من العمل الحر ، ويستقيل من الشركة ويشارك البقال فى تجارته وتتسع أعمالهما . إنه فيلم يؤكد قيمة العمل الحر فى فترة كانت فيها الوظيفة الحكومية حلم كل الشباب لأنها رمز للاستقرار والطمأنينة برغم عائدها غير المجزى فى أحايين كثيرة .

فى عام ١٩٥٢ أخرج صلاح أبو سيف فيلم " الأوسطى حسن " الذى يصور شخصية الأوسطى حسن العامل البسيط والفقير الذى يعمل فى ورشة حدادة فى بولاق ويعيش حياة مستقرة مع زوجته وابنهما الصغير . ويذهب الأوسطى حسن إلى الزمالك لتركيب باب حديدى فى قصر إحدى الغانيات الأرستقراطيات التى سرعان ما تجذبها فحولته كرجل فتوقعه فى حبائلها ، ويعجز الأوسطى حسن عن مقاومة إغراء المال والجنس ، فيهجر بولاق ويقطع علاقته بهذا الحى وأسرته وأصدقائه . وبعد فترة تمل الغانية من معاشرته وتطرده من منزلها بعد أن أخذت منه كل ما كانت تريده بمالها فى حين يضيق زوجها المشلول بسلوكها ويعجز عن فعل أى شئ وهو يراها تتنقل من رجل لآخر . ويعود الأوسطى حسن إلى عالمه فى حى بولاق وأسرته وأصدقائه نادما وطالبا منهم الصفح .

وكان من السمات التى تميز بعض الأفلام غير النمطية أنها تستقى مضمونها من حوادث وقعت بالفعل فى المجتمع مثلما فعل كمال الشيخ فى فيلم " المنزل رقم ١٣ " ١٩٥٢ ، وصلاح أبو سيف فى فيلم " ريا وسكينة " ١٩٥٣ . فى الفيلم الأول يعتمد المضمون على حادثة نشرت فى الصحف عن طبيب نفسانى يوحى لمريضه وصديقه شريف بأنه قتل رجلا بعد أن ينومه مغناطيسياً ليتمكن مع راقصة من أن يستولى على مبلغ بوليصة التأمين لصالحها . وبعد قتله تكتشف أنه ينكر عليها المبلغ المؤمن به . ويتم القبض على شريف ليلة زفافه ، ويظهر فى النهاية أن الدكتور هو الفاعل الحقيقى ، وكان قد شرع فى قتل نادية خطيبة شريف بعد تنويمها ، ويتم إنقاذها ، ويقبض عليه البوليس ، ويتم زفاف شريف ونادية .

وفى فيلم " ريا وسكينة " يتخذ صلاح أبو سيف ومعه نجيب محفوظ (سيناريو) و السيد بدير (حوار) من جرائم ريا وسكينة الحقيقية مضموناً للفيلم ، بحيث يجمع الفيلم بين المصداقية الواقعية والإثارة الفنية . فهو مأخوذ عن تحقيق صحفى كتبه لطفى عثمان عن ظاهرة الاختفاء المتكرر للنساء بالإسكندرية ، وهى الظاهرة التى يتتبعها البوليس عندما يتولى الضابط أحمد التحقيق ، ويتنكر باسم دحروج ، ويتردد على خمارة لكى يصل إلى وكر ريا وسكينة .ويكتشف أحمد أن الصائغ عريضة هو المسئول عن تصريف الذهب الذى يتم الاستيلاء عليه ويلقى مصرعه . ثم يستدرج أمين الفتاة دلال إلى بيت ريا وسكينة ، كما يحضر لهما سعاد وشقيقها . ويتأزم الموقف تماماً أمام الضابط الذى يستطيع أن يسيطر عليه عندما يهرب شقيق سعاد ويبلغه عن المكان بل ويرشده إليه . عندئذ تحاصر الشرطة المكان ، ويلقى أمين مصرعه ، وأخيراً يتمكن البوليس من القبض عليهم .

فى عام ١٩٥٣ أخرج أنور وجدى فيلم " دهب " الذى واصل به ريادته فى مجال الأفلام الاستعراضية ، والذى تولد فيه طفلة فى الخفاء من أم فقيرة تموت فيأمر الأب منير بالتخلص من الطفلة ، ويطلب من ابنة أخيه دهب أن تلقى بها فى

النيل ، لكنها تتركها فى الطريق لعل أحداً يعطف عليها . وبالفعل يعثر عليها ألفونسو وهو فنان متشرد ويتعرف على دهب قبل أن تتصرف . يكتشف فيها مواهب فنية فيدربها ويقوم برعايتها ، ويخرجان معاً طلباً للرزق . يعملان فى أحد المسارح حيث تغنى وترقص ، وتتحسن أحوالهما المادية . وفى لقاء ثان بدهب تبوح لألفونسو بحقيقة الطفلة التى هى ابنة منير الذى اعتدى على أمها الخادمة وتخلى عنها ، ثم تدل عمها عن مكانها . يخسر منير كل أمواله فى القمار فيسعى إلى ضم الطفلة إليه حتى ينعم بثرائها . ويرفع قضية للضم . لكن القضاء يرى أن ألفونسو هو أحق بحضانتها ، ثم يتزوج من دهب ويعيش الثلاثة معاً .

وفى عام ١٩٥٣ أيضاً أخرج إبراهيم عمارة فيلم " ما ليش حد " الخالى تماماً من التلفيق النمطى المفتعل ، وذلك لوجود عمود فقرى يشد الأحداث كلها داخل بناء متسق ومتفاعل فى جزئياته من خلال سلسلة متصلة من الأسباب الموضوعية والنتائج المنطقية . ففى الفيلم يعيش رجل مع زوجته وابنتيه حياة سعيدة . وعندما تموت الزوجة ، يقع فى يد الزوج خطاب غرامى فيعتقد أن زوجته كانت تخونه . ثم يصور له الشك أن ابنتيه ليستا من صلبه ، فتتغير أخلاقه وطباعه ويقسو على ابنتيه . ويستسلم للخمر والميسر ، ويصبح مدمناً لهما ، بل ويفقد ثروته ومصانعه . وتضطر ابنتاه للهرب من قسوته عليهما . لكن فى النهاية تتأكد له براءة الزوجة الراحلة . ويندم ويسعى لإصلاح أخطائه العديدة ، ويلتئم شمل الأسرة مرة ثانية .

وفى عام ١٩٥٤ أخرج كمال الشيخ فيلم " حياة أو موت " الذى يعد فيلماً رائداً فى مجال التصوير الخارجى ، حيث المشاهد واللقطات تحل محل الحوار والكلمات إلى حد كبير من خلال توليد المواقف اللاحقة من المواقف السابقة . ففى الفيلم رجل يشكو من مرض القلب ، ويستغنى عنه صاحب العمل ، كما تتركه زوجته غاضبة لمنزل أسرتها بعد خلاف بينهما . أما طفلته فتفضل البقاء بجانبه . وعندما يصاب بأزمة قلبية ، تذهب الابنة الصغيرة إلى صيدلية بعيدة عن المنزل

لتشترى الدواء له . لكن الصيدلى يخطئ فى تركيب الدواء فيتصل بالبوليس لمساعدته من خلال تكثيف جهوده للعثور عليه . وعندما لم يعثروا على الطفلة لم يكن أمامهم سوى النداء عن طريق الإذاعة . وتسمع الأم النداء فتسرع إلى منزلها فى اللحظة التى كان الزوج يهم فيها بتناول الدواء .

فى عام ١٩٥٤ أيضاً أخرج يوسف شاهين فيلم "صراع فى الوادى" الذى بدأ فيه المنظور الفكرى الذى تردد بعد ذلك فى أفلام عديدة له ، وهو المنظور الذى يبلور به استغلال الإنسان للإنسان ، وبطش القوة المادية ، والصراع الطبقى الذى بلغ ذروته بعد ذلك فى فيلم "المصير" عام ١٩٩٧ . فقد كان كيان الإنسان وفكره ، الشغل الشاغل ليوسف شاهين من خلال تنويعات وتفريعات فنية ودرامية متعددة ، كانت تنبع من هذا المنظور فى بدايتها ثم تصب فيه عند نهايتها بعد أن تكون قد أضاءت زوايا وأركان معتمة هنا وهناك .

فى " صراع فى الوادى " الذى كان أول أفلام عمر الشريف الذى اكتشفه يوسف شاهين وقدمه للسينما المصرية ثم انطلق بعد ذلك إلى السينما العالمية ، مثل عمر الشريف دور مهندس زراعى وابن ناظر عزبة ، ينجح فى تحسين إنتاج القصب ، وعلى علاقة حب بابنة الباشا منذ الطفولة . ويثير هذا النجاح غضب الباشا إذ أنه المورد لهذا الصنف لمصانع السكر . وعندما يقع خلاف بين شيخ العزبة الأعمى وناظر العزبة ، يلقى شيخ العزبة مصرعه وتلفق التهمة للناظر الذى يصدر الحكم بإعدامه . ويبحث المهندس ابن ناظر العزبة عن شاهد الزور الذى كان سبباً فى إعدام أبيه ، لكن الشاهد يلقى مصرعه فى حادث ، فى حين يبحث ابن الشيخ عن المهندس ليثأر منه .ويختفى المهندس فى المعبد ، فى حين يلح قريب الباشا على الزواج من ابنته ، وحين يرفض يبلغ البوليس عن حقيقة أمر الباشا

الذى يقتلـه قريبـه الـذى يقبض عليـه البوليس ، ويـتزوج المهنـدس مــن حبيبتــه . وقد تبـدو النهايـة نمطيـة لكنهـا كـانت نتيجـة حتميـة للتفـاعلات والصراعـات التـى سـبقتها .

وشهد عام ١٩٥٥ فيلميـن غير نمطيين : " درب المهـابيل " لتوفيق صـالح ، و " عروسة المولد " لعباس كامل الذى اشتهر بأفلامه المرحـة النمطيـة ، لكنـه فـى هذا الفيلم حطم أسوار النمطية وخرج بفيلم يجمع بين العذوبة والرقة الفنية . فـى الفيلم الأول تدور أحداث القصة التى كتبها نجيب محفوظ ، ووضع لها الحوار عبد الحميـد جودة السحار ، وكتب لها السيناريو وأخرجها توفيق صالح ، تدور فى حى شـعبى حيث تعيش فتاة مع أبويها وتقتصد كل ما تستطيع أن تدخره لتساعد حبيبها الذى يعمـل عند عجلاتـى بخيل ، كى يتمكن من إتمام زواجهما . ويشترى العامل ورقة يـا نصيب لعلـه يفوز بالجـائزة الأول حتى يتمكن من إتمام زواجه . ويقدمها لحبيبته لتحتفظ بها لكن أباها الرجل المتدين يرميها لأن هذا مخالف للدين . ويلتقطها مجذوب الحارة ، ويشاء الحظ أن تكون هى الورقـة الرابحـة للجـائزة الأولـى . وينقلب هدوء الحـارة إلـى ضجيـج ، فيطارد كل فرد فيها المجذوب الذى يخبئ المال فـى بطن المعزة التـى تهرب مع قطيع من الماعز . وفى الخلاء يقوم المـاعز بتقطيع أوراق البنكنـوت المخبـأة فـى بطـن مـاعز المجـذوب . وبرغم أن حيلـة اليـانصيب من العنـاصر النمطيــة التــى اشتهرت بها السينما المصرية والتى عالجناها فى فصل سابق من هذه الدراسة ، إلا أن العبرة بالمعالجة الفنية والدرامية ، وليست بالعنصر النمطى فى حد ذاته . ولذلك كانت ورقة اليانصيب فى هذا الفيلم بمثابة المحك الذى عـرى دخـائل الشـخصيات ، وأشـعل الصـراع فيمـا بينهـا ، وسـرى بالمفارقـات الزاخـرة بالسـخرية والـدلالات المشبعة بالتهكم الذى يوحى بعبثيـة الرغبـات الإنسـانية التـى تنتهـى إلـى لا شـىء ، خاصة إذا كان هؤلاء البشر يسعون إلى ثروة لم يكدحوا فى تحصيلها .

فى فيلم " عروسة المولد " تتجسد الشخصيات على أشـكال عرائـس وفرسـان من حلـوى المولـد . وتتمنـى إحدى العرائـس أن تـدب فيهـا الحيـاة لـترقص وتغنـى

وتستمتع بمباهج الحياة . وبالفعل يتحقق حلمها وتقبل على حياتها الجديدة لكنها تذهل لما يجرى أمامها من مآس . فمن خلال هذه الرحلة تتكشف أمامها صور النفاق والرياء والخيانة وعدم الوفاء والحقد والاستغلال . وعندما تعجز عن أن تتكيف مع هذه الحياة الكئيبة البائسة تلقى بنفسها فى صهريج الحلوى لتصهر من جديد . والفيلم زاخر بالاستعراضات الجذابة وبالمواقف التى تعرى سلبيات الحياة ، بل ويمكن أن يلتقط فكرته مصمم للباليه يستطيع أن يقيم عليها عرضاً ممتعاً يمكن أن يتذوقه البشر فى أى مكان أو زمان برغم مصريته الصميمة ولا نقول النمطية .

ونظراً لأن المجتمع المصرى ، مجتمع غنى بالتعددية الثقافية والفكرية والفولكلورية والحضارية ، فإن الارتباط بقضاياه ومضامينه لا يضع السينما تحت رحمة النمطية الضيقة والخانقة ، بل يفتح لها من الآفاق الجديدة والأصيلة ما يجعلها قادرة على التجدد المستمر . ومن هناكان أكبر كم من الأفلام غير النمطية هو ذلك الذى تفاعل مع قضايا المجتمع المعاصر ، وهو الذى منح السينما المصرية القدرة على مواصلة مسيرتها الطويلة برغم أغلال النمطية التى كانت ترسف فيها فى أحايين كثيرة . فقد كانت الحياة دائما هى المصدر الحيوى والساخن والمتجدد للأعمال السينمائية المرموقة ، وليست الأعمال السابقة التى أغرت بنجاحها السينمائيين بمحاكاتها وتقليدها . فإذا كان الفن بصفة عامة يستمد أدواته من تقاليد الصنعة التى ترسخت بل ويضيف إليها ، فإنه يستمد مضمونه الفكرى والإنسانى من الحياة الأم وليس من الأعمال الفنية السابقة .

وشهد عام ١٩٥٦ فيلمين غير نمطيين : " شباب امرأة " لصلاح أبو سيف ، و " أين عمرى " لأحمد ضياء الدين . فى الفيلم الأول يصل الشاب الريفى إلى القاهرة ليلتحق بالجامعة . ويؤجر غرفة بأحد المنازل الملحق به سرجة ، وتعجب به صاحبة المنزل فى حين تتوطد علاقته بابنة عائلة صديق أبيه من خلال زياراته المتكررة لهم . لكن صاحبة المنزل والسرجة تنصب شباكها حول الشاب لفحولته

بحيث لم يستطع الفكاك من أسرها . وعندما يمرض الفتى ويقيم عند الأسرة الصديقة لترعاه ، تستشيط صاحبة السرجة غضباً وتتهمه بسرقة عقدها . وتخيره بأن تبلغ الشرطة أو يعقد قرانه عليها . وتحزن الأم وكذلك العائلة الأخرى . ولم ينقذه منها سوى كاتب السرجة الذى يدفعها أسفل الطاحونة لينتقم منها أيضاً بعد أن حطمت حياته هو الآخر .

فى فيلم " أين عمرى " تعيش ابنة مع أمها الأرملة التى تضيق عليها فى تصرفاتها . ويتقدم لخطبتها صديق العائلة عزيز الذى يكبرها بسنوات عديدة ، فتوافق على الفور لأنها ستجد حريتها كامرأة بعد الزواج ، إلا أنها تصاب بخيبة أمل إذ أن زوجها لا يختلف عن أمها . ويذهب بها ليعيشا مع أختيه فى عزبته وتعانى منهما . وهناك تتعرف على جارهم الطبيب ويحدث نوع من التقارب العاطفى بينهما . وحين يذهب لخطبتها يفاجأ بأنها الزوجة وليست ابنة الرجل ، مما يشعل الغيرة فى قلب زوجها ويعاملها بكل قسوة ، فتهرب من المنزل . ويحدث أن يموت الزوج وتعود إلى أسرتها ، لتنطلق من كل القيود التى كبلتها من قبل ، فتعيش حياة لاهية ، تكاد تنزلق بها إلى عالم الرذيلة لولا أن الطبيب ينقذها فى اللحظة الأخيرة . والفيلم زاخر بالصراعات المنطقية ، والدلالات الرمزية ، والمعادلات الموضوعية ، وبحث الإنسان عن كيانه الحقيقى وسط غابة من التساؤلات وعلامات الاستفهام ، مما يجعله متعة للعقل والوجدان .

فى عام ١٩٥٧ أخرج صلاح أبو سيف فيلمه الشهير " الفتوة " الذى جعل فيه السيادة للغة السينما الدرامية على لغة الحوار المباشر ، وذلك من خلال حركة الكاميرا الدائمة والتتابع السريع للمشاهد الخارجية على وجه الخصوص ، بحيث جعل سوق الخضر والفاكهة نابضة بالحياة والصراعات والأجواء الموحية ، وذلك منذ وصول هريدى من بلدته للعمل فى السوق مع بلدياته عبد التواب ، وإدراكه أن العمل يحتاج للقوة والجرأة ، خاصة فى مواجهة المعلم أبو زيد الذى يفرض نفسه

على الجميع ويتحكم فـى الأسـعار لرغبتـه المسـعورة فـى الربـح . ويقـرر هريـدى منافسة أبو زيد بالبيع بأسعار أقل إلا أنه يتعرض للأذى من أعوان أبو زيـد . لكنـه يتسلح بالمرونة وينضم للعمل فى خدمة أبو زيد ، بـل ويـتزوج مـن الأرملـة حسـنة التى أحبها من قبل ، والتى تتفق معه على العودة لمنافسة أبو زيد الذى يحكم عليـه بالسجن لمخالفاته العديدة ، مما يتيح الفرصة لهريـدى كـى يحـل محلـه ويتحكـم فـى السوق والأسعار . وعندما تنتهى مدة عقوبة أبو زيد ، تشتد المنافسة بينهما إلـى أن تنشب معركة أخيرة بينهما ، تنتهى بنهاية كل منهما .

ومـن الواضـح أن الفيلـم يضـرب علـى وتـر حسـاس ومشـدود ويهـم المجتمـع كلـه ، لأنـه يجسد الصراعـات الخفيـة التـى تتحكـم فـى أسـعار ووفـرة طعامـه اليومـى .

وشهد عام ١٩٥٩ فيلمين غير نمطيين : " دعاء الكروان " لهنرى بركـات ، و " احنا التلامذة " لعاطف سالم . فى الفيلم الأول ترحل الأم زهرة مع ابنتيهـا آمنـة وهنادى من قريتهم بعد موت الأب . وتعمل هنـادى خادمـة فـى مـنزل مهنـدس الرى ، فى حين تعمـل آمنـة فـى مـنزل المـأمور . وعندمـا يعتـدى المهنـدس علـى هنادى يصل خالها ويقتلها . وعلى سبيل الانتقام لمقتل أختها هنادى ، تعمل آمنة فى منزل المهنـدس لأنـه كـان السبب فيمـا جرى لهـا . لكن آمنـة تحس بـالحب تجـاه المهندس ، بـل وتواجهـه بالحقيـقة ودافعهـا للعمـل لديـه . وعندمـا يعـرض عليهـا الزواج ، يصل خالها لقتلها ، لكن المهندس يفتديها بنفسه ويموت بين ذراعيهـا فـى جو أثيرى شاعرى استطاع بركات أن يوفـره فـى الفيلـم ويغلـف بـه شـخصياته وأحداثه ، مما يثير التأمل عند المتفرج وذلك على النقيض من الأفلام النمطية التـى تتخذ من الانتقام عاملاً مثيراً للانفعالات الغليظة والفجة .

فى فيلم " احنا التلامـذة " ينهض المضمـون علـى حادثـة واقعيـة مشـهورة ، بحيث يتوغل منها إلى كل الثغرات والسلبيات التى تعتور بنية المجتمع المعـاصر ،

وتضع الجيل الجديد على طريق الضياع . وذلك من خلال ثلاثة من الشبان الجامعيين الذين لا يجدون الرعاية الكافية من ذويهم . فلكل منهم مشكلة تسد أمامه أبواب المستقبل . الأول تطارده أسرته القادمة من أعماق الصعيد للأخذ بالثأر حتى يشفى غليلها ، والثانى ضائع بين الأسرة الغائبة والراقصة اللعوب ، والثالث يعتدى على خادمته ، وعندما تبدو عليها آثار الحمل ، يخططون لإجهاضها فتلقى حتفها ، بعد أن أن كلفتهم عملية الإجهاض نقوداً دفعتهم للسرقة والقتل ، وفى النهاية يقدمون للمحاكمة بصفتهم مجرمين وليسوا ضحايا . لكن إصبع الاتهام تشير إلى المجتمع كما تشير إليهم .

وشهد عام ١٩٦٠ أربعة أفلام تدل على الثراء الفكرى والغنى الذى كانت تتمتع به السينما المصرية فى عصرها الذهبى . وهذه الأفلام هى " بداية ونهاية " لصلاح أبو سيف ، والمراهقات " لأحمد ضياء الدين ، و " البنات والصيف " لكل من عز الدين ذو الفقار ، وصلاح أبو سيف ، وفطين عبد الوهاب ، و " إشاعة حب " لفطين عبد الوهاب . وهى أفلام تجمع بين الاهتمامات الفكرية العميقة ، والقضايا الاجتماعية المأسوية ، والنماذج البشرية ، والشرائح الطبقية ، والمفارقات الكوميدية الرقيقة والراقية . بل إنها لم تفقد جدتها حتى الآن نظراً للمصداقية الفكرية والفنية والإنسانية التى تتمتع بها .

فى فيلم " بداية ونهاية " يتحتم على أم بعد وفاة زوجها أن تواجه مع أبنائها الحياة القاسية : نفيسة الأخت المخلصة المتفانية التى تساعد أمها وأشقاءها بالحياكة بالأجر ، وحسنين الشاب الطموح الذى يصر على أن يصبح ضابطاً ، وحسين الشاب المتواضع الذى يعمل بالتدريس . أما حسن الأخ الأكبر فيعمل فى تجارة المخدرات ، وينفق على حسنين حتى يتخرج ، فى حين تسقط نفيسة بعد أن يخدعها ابن البقال . ويطلب حسنين من أخيه أن يقلع عن الإجرام فيرفض ، بل ويفاجأ حسنين باستدعائه لقسم البوليس لاستلام أخته بعد أن قبض عليها بتهمة الدعارة ،

فيجبرها على الانتحار بأن تلقى بنفسها فى النيل ثم يلحق هو أيضاً بها . فقد قامت الضغوط الاجتماعية بدور الحتمية القدرية التى أحالت الشخصيات إلى شخصيات تراجيدية بالمفهوم الحديث للكلمة .

فى فيلم " المراهقات " تتواتر الشرائح الاجتماعية تحت أضواء فاحصة بحيث تبين إلى أى مدى كان الفكر السينمائى مهموما بقضايا الإنسان المعاصر المطحون تحت وطأة المجتمع الذى لا يرحم . فعلى الرغم من كل العناصر النمطية التى ورد رصدها وتحليلها فى الفصول السابقة من هذه الدراسة ، فإن الفكر السينمائى لم يندثر أبداً ، وإن كان قد عانى فى بعض المراحل من الخفوت والهزال . فهذا الفكر كان يتألق فى مراحل الازدهار السينمائى ، خاصة إذا شعر المتفرج بأن السينمائيين يحترمون عقله ويسعون إلى تنويره بالإضافة طبعاً إلى تسليته . ولذلك لم تتعارض جدية هذه الأفلام مع نجاحها الجماهيرى فى ذلك العصر الذهبى من تاريخ السينما المصرية . ففى هذا الفيلم تعيش ندى حياة صارمة متزمتة بين أمها وأخيها طارق . وفى المدرسة تتقابل مع ثلاثة نماذج إنسانية : صفاء الفتاة المنطوية ، وسناء الفتاة المتحررة ، وصفية التى تعيش حياة قاسية مع زوج أمها السكير . وتعيش ندى فى دنيا الأوهام لتعوض الكبت الذى تعيشه ، فتدعى لهن أن لها علاقة بشاب وتبرز صورة أخيها لتدلل على هذه العلاقة . أما صفية فيعتدى عليها أحمد ابن زوج أمها ، فتتعاطى حقنة لإجهاض نفسها إلا أنها تموت فى لحظة عودة حبيبها أحمد ليتزوجها . ثم تبدأ قصة حب حقيقية بين ندى والطيار عادل الذى ترفض الأسرة زواجه منها ، لكنها تقدم على الانتحار فيرضخون لرغبتها خاصة بعد أن يتأكدوا من أخلاقه الحميدة .

أما فيلم " البنات والصيف " فكان تجربة رائدة فى مجال إنتاج الأفلام التى تشتمل على ثلاث قصص منفصلة ، وإن كان هناك خط مشترك على الأقل فيما بينها . وهو اتجاه برز من قبل فى السينما الأمريكية التى قدمت فيلم " قصص

مانهاتن " فى الأربعينيات ، ثم تلتها السينما الإيطالية والفرنسية . ولم تشأ السينما المصرية أن تتخلف عن الركب فكان أول فيلم لها فى هذا المجال هو فيلم " البنات والصيف " . والقصص الثلاث من تأليف إحسان عبد القدوس ، ولكن من إخراج ثلاثة مخرجين .

القصة الأولى من إخراج عز الدين ذو الفقار وتدور حول امرأة شابة مسلوبة الإرادة ، وزوجة لرجل لا شخصية لـه ، ويثق فى صديقه ثقة مطلقة ، ويستسلم لسيطرته عليه . ويشتهى الصديق الزوجة ويغتصبها . وتقرر المقاومة لكنها لا تلبث أن تتخاذل . وتحاول أن تثير غيرة زوجها وشكوكه لكنه كان حالة فريدة فى الغفلة والغباء لدرجة أن صديقتها تدبر لها موقفاً بحيث يضبط الزوج زوجته فى أحضان صديقه ، وتنتظر ثورة زوجها لكن لا يحدث فتقتل الصديق وتنتحر .

أما القصة الثانية فمن إخراج صلاح أبو سيف وتدور حول خادمة شابة مغرية تعمل عند أسرة ، ويشتهيها رب الأسرة لكنه لا يقدر أن يقربها فكان يصب جام غضبه عليها ، فى حين كان قلبها موزعاً بين المكوجى الذى يحبها وحارس الشاطئ الذى يستهويها بقوته ورجولته ، والذى يوحى لها بسرقة الأسرة لكى يتزوجا ، فى حين تغريها صديقتها بالانحراف لتجنى ما تريده من مال . ولا تنتهىالقصة النهاية النمطية التى تنصر الخير بطريقة مفتعلة ، بل تبرر هذا الانتصار من خلال الحب الذى يطهر الخادمة وينقى معدنها فتأبى السرقة كما تأبى الانحراف وتتزوج من حبيبها المكوجى .

أما القصة الثالثة فتدور حول شاب شديد الحياء ويحب بنت الجيران وهى فتاة طموح فى حبها ، ومتحررة فى سلوكها ، وتعيش فى جو من الأحلام والمغامرات . وعندما يتقدم لخطبتها ، تعتذر له . ثم يغريها بحديثه فتستجيب له ، ويذهب بها إلى شاليه خاص حيث يحاول الاعتداء عليها ، لكنها تقاومه حتى ينقذها الشاب وأخوها والذى يصارحها بحبه تمهيداً للزواج منها .

أما فيلم " إشاعة حب " الذى اقتبسه على الزرقانى ومحمد أبو يوسف عن رواية " قصة مدينة " لإيمرسون ، وأخرجه فطين عبد الوهاب ، فيعد نموذجاً للكوميديا الراقية والرقيقة التى تثير الضحك من خلال توليد المفارقات الكوميدية التى تعتمد على الموقف أكثر من اعتمادها على الكلمة . بل إن تحطيم الأطر النمطية بلغ حداً جعل فطين عبد الوهاب يكتشف فى يوسف وهبى نجماً كوميديا من الطراز الأول ، وهو الذى اشتهر بأدائه الميلودرامى والتراجيدى . ففى الفيلم يلعب يوسف وهبى دور عبد القادر ، الرجل المسن الذى لا يزال قادراً على مغازلة النساء ، بل ويحاول أن يجعل من ابن أخيه المتزمت نسخة منه حتى يستطيع الفوز بابنته سميحة . وبعد أن ييأس منه يطلق إشاعة مفادها أنه على علاقة بممثلة مشهورة . وبالصدفة تحضر هذه الممثلة إلى حيث يقيمون . وبعد عدة مواقف كوميدية ومفارقات زاخرة بالسخرية ، تتضح الحقيقة للجميع ولسميحة التى ترى فى ابن عمها مميزات تجعله جديراً بالارتباط بها .

فى عام ١٩٦١ أخرج كمال عطية فيلم " رسالة إلى الله " بأسلوب شاعرى مرهف جعل منه نوعاً من القصيدة السينمائية الزاخرة بالدلالات الإنسانية واللمسات الرقيقة التى تبلور عذوبة الضعف الإنسانى . صحيح أن هناك عناصر نمطية مثل فقد الذاكرة والإصابة بالشلل ، لكن أسلوب المعالجة سواء على المستوى الواقعى أو المستوى الرمزى نفى عنها صيغة النمطية التى قمنا برصدها وتحليلها فى الفصلين الخامس والسادس من هذه الدراسة . ففى الفيلم تصعد الطفلة عائشة إلى مئذنة الجامع لتطلب من الله أن يجعل عروستها تتكلم فتقع عروستها . وعندما تحاول أن تستردها تسقط هى الأخرى ، وتفقد الذاكرة . ويعانى الأطباء فى علاجها . وينهار والدها حسين الذى يشغل وظيفة كمسارى فى السكة الحديدية . وتمر السنوات ولا تصلح عائشة للزواج بسبب مرضها الذى ترك شللاً فى شفتيها وإحدى

عينيهـا . لكـن جارهـا ميـدو لا يتخلـى عنهـا ويصبـح صحفيـاً ، بـل ويـتزوج منهـا وتنجب طفلـة ويتم استبدالها بالعروسـة التى كـانت دائمـا تحملهـا ، وبهـذا تشـفى مـن مرضهـا .

وشهد عام ١٩٦٢ ثلاثة أفلام غير نمطية : " اللـص والكـلاب " لكمـال الشيخ ، و " صراع الأبطـال " لتوفيق صـالح ، و " إجـازة نصـف السـنة " لعلـى رضـا . وهى أفلام تلتحم بـالمجتمع المعـاصر وتبلـور قضايـاه السـاخنة فقد استلهم نجيب محفوظ رواية اللص والكلاب من حادثة السفاح محمـود أميـن سـليمان الـذى لقى مصرعه برصاص الشرطة فى يناير ١٩٦٠ بعد اغتيـالات ومطـاردات عديـدة شغلت الرأى العام أكثر من شهر . وقـد استطاع نجيـب محفـوظ أن يبلـور الجـانب الإنسانى والمأسوى ويستخلصه من المادة الصحفية المؤقتة ، بحيث تحول بطله مـن مجرم سفاح إلى بطل تراجيدى قهره المجتمع والقدر فاضطر أن يقاوم لكن ضرباته طاشت . ذلك أن سعيد مهران شاب فقير يعمل فـى بيت الطلبـة ، ويضطـر لسـرقة أحد الطلبة لحاجته للمال اللازم لعلاج أمه . ويصادقه الصحفى رءوف علوان الـذى يؤثـر فـى تصرفاتـه وأفكـاره . ويصبـح سـعيد رئيـس عصابـة تنتقـم مـن الأغنيـاء بسرقتهم ، ويتزوج من نبويـة الفتـاة التـى يحبهـا عليـش الـذى يغـدر بـه ويبلـغ عنـه ويقبض عليه . ويحصـل عليـش لنبويـة علـى الطـلاق ويتزوجـان . وعندمـا يصبـح رءوف من وجوه المجتمع الأثرياء ، يتنصل من سعيد ويؤلب عليه الرأى العام فـى مقالاته . وعندما تنتهى مدة عقوبة سعيد ، يحاول قتل عليش فيقتل بـدلاً منـه سـاكناً بريئاً . ثم يحاول قتل رءوف لكنه يقتل البواب بدلاً منه . ويعيـش مـع الغانيـة نـور التى تحبه وتحاول إسعاده وحمايته بعد أن يصبح مطارداً . وعندما يسـتدل البوليـس على مكانه يطارده ويحاصره حتى يلقى مصرعه برصاصه .

فى فيلم " صراع الأبطال " يـدور الصـراع بيـن العلـم والجهـل عندمـا يفتتـح الدكتور رشدى عيادته فى قرية ، ويحاول إقناع الإقطاعى عادل برفع أجور فلاحيه

كوسيلة لمساعدته فى علاجهم من البلاجرا الناجمة عن سوء التغذية . ويثق الفلاحون فيه ، لكن عندما تحدث بعض الوفيات فى القرية ، تروج أم هلال الداية شائعات عن عدم كفاءته ، لكنه يكتشف أن السبب فى هذه الوفيات وباء خبيث ينتشر بين الفلاحين ، كما تجاهد زوجته عفاف المدرسة لإقناع الناس بصحة نظرته العلمية . وينبش الدكتور شكرى فى مقابر الموتى كى يخرج أمعاءهم ويحللها . ويثور الفلاحون لإهداره حرمة موتاهم لولا نتيجة التحاليل التى تنقذه من أيديهم عندما تثبت وجود وباء الكوليرا فى القرية ، بحيث تعود ثقتهم فيه ويعاونونه على القضاء على الوباء .

أما فيلم " أجازة نصف السنة " فيشكل اتجاهاً متفرداً فى مسيرة السينما ، لم يتكرر بعد ذلك سوى فى فيلم " غرام فى الكرنك " عام ١٩٦٧ . وهو اتجاه يتميز بالاستعراضات الراقصة المتقنة ، والأغانى الجماعية المطورة للأحداث بعيداً عن التطريب النمطى ، والمواقف والمفارقات الكوميدية ، والروح الشبابية التى تبحث عن طريق لتحقيق ذاتها ، والمواقف العاطفية التى تتميز بالنبل والسمو . ولولا إمكانات فرقة رضا فى الاستعراض والرقص والغناء لما كان فى الإمكان إنتاج هذين الفيلمين غير النمطيين . ففى فيلم " أجازة نصف السنة " تشرف زينب بنفسها على زراعة قطعة أرض تمتلكها ، بحيث تسدد من إيرادها مصاريف الجامعة لشقيقها حسين . وفى أجازة نصف السنة يحضر حسين ومعه مجموعة من زملائه وزميلاته لكى يستمتعوا بأجازة هادئة فى جو ريفى وفى الوقت نفسه يتدربون على الاستعراض الذى يشتركون به فى مسابقة المسرح الجامعى . وتقع زينب فى حب أحمد المشرف على الفرقة . ويفوزون بكأس الجامعة السنوى ، ويتزوج حسين من فريدة الراقصة الأولى فى الفرقة كما تتزوج زينب من أحمد .

وشهد عام ١٩٦٣ ثلاثة أفلام من تلك التى تبلور تيارات المجتمع المصرى المعاصر بأسلوب يجمع بين الجدية والمرح ، بين التأزم والانفراج ، بين الحدة

والعذوبة . وبرغم مصريتها الصميمة فإن القيم الإنسانية والمعاناة البشرية التى جسدتها ، جعلتها تحطم أسوار النمطية المحلية وتخاطب الإنسان بصرف النظر عن اختلاف الزمان أو المكان . وهذه الأفلام هى : " أم العروسة " لعاطف سالم ، و " الأيدى الناعمة " لمحمود ذو الفقار ، و " عائلة زيزى " لفطين عبد الوهاب . وهى زاخرة بالشخصيات التى تتسلل إلى قلب المتفرج وعقله بيسر وسهولة ، والمواقف المنطقية والمتطورة والنابعة من نبض المجتمع المصرى دون أى افتعال أو تزييف ، والمصداقية الفنية والفكرية التى تجعلها من قبيل السهل الممتنع .

فى فيلم " أم العروسة " الذى كتب قصته وحواره عبد الحميد جودة السحار ، ينجب حسين الموظف البسيط سبعة أبناء . وهو سعيد بهم على الرغم من أعبائهم الثقيلة . وتتم خطبة ابنته الكبرى فتتضاعف التزاماته فى حين تواصل أم العروسة إرهاق زوجها بالطلبات التى تحتمها التقاليد الموروثة ، فيجد نفسه غارقاً فى الديون . ويقدم طلب استبدال معاش حتى يمكن أن يسدد هذه الطلبات ، لكن الروتين الحكومى يؤخر صرفه ، فيأخذ مبلغاً من عهدته على أن يسدده فيما بعد . ويقوم صديقه بتسديد قيمة العجز حتى لا يتسبب فى اتهامه بالتبديد .

فى فيلم " الأيدى الناعمة " المأخوذ عن مسرحية توفيق الحكيم المعروفة بنفس الاسم ، تتبلور مراحل المعاناة والألم والضياع التى مرت بها الطبقة المالكة والإقطاعية والأرستقراطية فى أعقاب قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ومحاولاتها المأسوية واليائسة التى تتروح بين الرفض والقطيعة ، وبين السعى للمسايرة والتأقلم ، وذلك من خلال أحد الأمراء الذى أصبح فقيراً لا يملك شيئاً بعد أن تمت مصادرة أملاكه لحساب الشعب ، ولم يترك له سوى قصره الفخم . فاضطر إلى الاستغناء عن جميع خدمه ، ورهن كل الأشياء الثمينة التى كان يملكها . ثم يتعرف على شاب حاصل على الدكتوراة لكنه متعطل لا يملك قوت يومه . ويتفق على

استغلال القصر دون تأجيره . ومن الطريف أن له ابنتين ينكر وجودهما لأنهما خرجتا على تقاليد أسرته وقيمها العريقة !! إذ أن الأولى تزوجت من مهندس شاب يدير ورشة لصيانة السيارات ، والثانية تعمل رسامة وتعيش من عملها . أما شقيقة زوج البنت الكبرى فقد ترملت وهى تحب الأمير . ثم يحدث أن تحب البنت الثانية الشاب العاطل ، وبعد أحداث متتابعة تتقارب القلوب ، لكن الفتاتين لا تقبلان الزواج منهما إلا بعد البدء فى حياة جديدة زاخرة بالعمل والكفاح ، وتؤهلهما لكسب قوتهما ، لدرجة أن الأمير نفسه يعمل مرشداً سياحياً . فقد كانت السينما فى تلك الفترة حريصة على أن تبث فى نفوس الشباب هذه القيم الإيجابية التى تجعل من العمل المثمر والجاد شرطاً ضرورياً لتحقيق الذات .

فى فيلم " عائلة زيزى " تتجلى العذوبة وخفة الظل والسخرية التى تميزت بها الشخصية المصرية وذلك من خلال حياة أسرة مصرية صميمة ، لكنها قادرة على الضرب على الأوتار الإنسانية خارج الحدود المحلية . فى هذه الأسرة نقابل سبعاوى المهندس الذى يكرس حياته لاختراع آلة نسيج ، وأخاه سامى الطالب الذى لا يشغله شيئا سوى مطاردة الفتيات . أما الأخت الثالثة فهى سناء الفتاة الجميلة التى تحلم بالتمثيل والشهرة والنجومية ، فى حين أن الرابعة هى طفلة صغيرة وهى التى سمى الفيلم باسمها(زيزى) لأنها تعد من التوابل التى تضفى على الشخصيات والمواقف مذاقاً ممتعاً سواء من خلال تعليقاتها علـى الأحداث أو مشاركتها فيها . ويحدث أن تتعرف سناء بالمخرج السينمائى يوسف حسين الذى تقنعه بمنحها فرصة التمثيل فى السينما ، لكنها تكتشف أنه يطمع فيها ، كما ترفض الأم أن تنحرف ابنتها إلى عالم السينما . ويقع سامى فى حب جارته الحسناء ، كما تتظاهر سناء بالانتحار ، لكن مشكلتها تحل عندما يحضر يوسف ليعلن أنها لا تصلح للسينما بل كزوجة ، وهو ما كانت تتمناه بالفعل , فى حين ينجح سبعاوى فى اختراع آلته والزواج من فتاة تتمكن من إخراجه من انطوائه ومشاغله .

فى عام ١٩٦٥ أخرج خليل شوقى فيلم " الجبل " عن قصة وسيناريو وحوار فتحى غانم ، والذى يدور حول صراع بين مهندس شاب متحمس لبناء مساكن جديدة لسكان جبل إحدى القرى بدلاً من حياتهم داخل المغارات وذلك قبل ثورة ١٩٥٢ . ويحاربه العمدة ومعه الأهالى المتمسكون بتقاليدهم ، وكذلك تجار الآثار ولصوصها الذين أثروا على نهبها وتهريبها . وتحت إشراف العمدة يواصل الأهالى نحت الصخور ليصلوا إلى كنوز مقبرة أثرية . وبمرور الوقت ينضم بعضهم إلى المهندس ، لكنهم يتراجعون عندما تقيم إحدى الأميرات حفلاً ماجناً فى المساكن الجديدة . ويواصلون بحثهم عن الكنز لكنهم لا يصلون إلا إلى سراب . وهى دلالة رمزية تشير إلى الطريق المسدود الذى سارت فيه الطبقة المتحكمة فى المجتمع قبل الثورة .

فى نفس العام ١٩٦٥ أخرج هنرى بركات فيلم " الحرام " عن قصة يوسف إدريس ، وسيناريو وحوار سعد الدين وهبة ، والذى صور فيه البؤس المأسوى الذى تعيشه الطبقات المعدمة ، وذلك من خلال حياة عمال التراحيل الذين يمثلهم عبد الله وزوجته عزيزة . فيصاب عبد الله بالمرض الذى يقعده عن العمل ، ويشتاق ذات يوم إلى البطاطا فتذهب عزيزة لتقتلعها من الأرض ، لكن أحد شباب القرية يفاجئها ويعتدى عليها وتحمل . وتنجح فى إخفاء حملها عن الأعين لأن الجميع يعرفون أن علاقتها الزوجية معدومة بسبب مرض زوجها . وعندما تلد طفلها تخاف أن يفضحها صراخه فتقتله دون وعى وهى تحاول أن تسكته . وعندما تعود إلى العمل متحملة آلامها المبرحة ، تصاب بحمى النفاث وتموت .

وشهد عام ١٩٦٦ فيلمين كانا بمثابة قطعتين نابضتين بدقات قلب المجتمع المصرى : الأول " القاهرة ٣٠ " عن رواية نجيب محفوظ " القاهرة الجديدة " وإخراج صلاح أبو سيف ، الثانى " مراتى مدير عام " عن قصة عبد الحميد جودة السحار ، وإخراج فطين عبد الوهاب . الأول يعالج قضية التسلق الطبقى الذى

يفرض على الإنسان تنازلات تمس كيانه وشرفه ، فى مجتمع يمارس الضغط والقهر فى كل صوره المباشرة وغير المباشرة ، والفيلم الثانى يعالج بأسلوب كوميدى ساخر الحساسيات والعقبات والعقد الاجتماعية التى تعتور طريق المساواة بين الرجل والمرأة عندما تكون الكفاءة هى الفيصل .

فى " القاهرة ٣٠ " يعيش ثلاثة طلبة فى منزل واحد : على الشاب المثالى الذى يؤمن بالمبادئ والقيم ، وأحمد الذى يرى أن الشهرة أقصر طريق لتحقيق آماله . أما محجوب عبد الدايم فهو انتهازى ومتسلق وناقم على المجتمع . وعندما يتخرجون ، يخطط على لمستقبل سياسى ، ويعمل أحمد بالصحافة ، ويلتحق محجوب بمكتب وكيل الوزارة قاسم . ويدفع الفقر الفتاة إحسان لأن تصبح عشيقة لقاسم الذى يصل إلى منصب الوزير . ويتزوج محجوب من إحسان ويوافق على استمرار علاقتها بقاسم فى مقابل أن يصبح مديراً لمكتبه . ففى مجتمع مثل هذا يصبح شرف الإنسان وكيانه سلعة خاضعة لقانون العرض والطلب .

فى " مراتى مدير عام " تصل عصمت إلى منصب مدير عام ، وتعين فى الشركة التى يعمل بها زوجها حسين مهندساً . وتبدأ المشاكل بين الزوجين ، ويقع الصدام بينهما فى العمل . ولذلك فهى تطلب نقلها إلى فرع آخر حفاظاً على استمرار حياتها مع زوجها ، وذلك بعد المتاعب والمشكلات التى تسبب فيها خصومها الذين يرون فى المرأة مجرد مخلوق عليه أن يلزم عقر داره لزوم الحمل والولادة والطهى والغسيل والتنظيف . ولذلك لم يتقبلوا أبداً فكرة أن تكون عليهم مديراً عاماً . لكنهم يندمون لفراقها عندما يتم نقلها طبقاً لرغبتها ، إذ أن الشركة فى عهدها نجحت فى إنجاز مشروعاتها على أكمل وجه . أما زوجها حسين فيطلب أن ينقل هو الآخر إلى نفس فرع شركة زوجته معترفاً بجدارتها كمديرة .

وشهد عام ١٩٦٧ ثلاثة أفلام تمس نبض المجتمع من زوايا مختلفة: " الزوجة الثانية " لصلاح أبو سيف ، و " غرام فى الكرنك " لعلى رضا ،

و " النصف الآخر " لأحمد بدرخان . فالفيلم الأول المأخوذ عن قصة لأحمد رشدى صالح يجسد العلاقة بين سطوة الرجل والعجز عن الإنجاب فى الوقت نفسه ، وذلك من خلال شخصية العمدة الجشع عثمان الذى يعجز عن الإنجاب من زوجته رقية طوال عشرين عاماً ، وهو الذى يتحرق شوقاً لإنجاب طفل يحمل اسمه . ويمارس جبروته عندما يتزوج من فاطمة بعد أن يجبر زوجها على طلاقها ، لكنه لا يستطيع أن ينال منها شيئاً . بل ويصاب بالشلل عندما يفاجأ بأنها حامل ، إذ أنها لا تزال على علاقة بزوجها . وعندما تنجب فاطمة لا يتحمل العمدة الصدمة فيموت .

أما فيلم " غرام فى الكرنك " فقد جاء تأكيداً للتقاليد الفنية والاستعراضية التى أرساها على رضا من قبل ومعه فرقة رضا فى فيلم " أجازة نصف السنة " عام ١٩٦٢ لنفس الكاتب السينمائى المتمكن محمد عثمان . لكنها تقاليد لم تجد لنفسها امتداداً بعد ذلك ، إذ يبدو أن تيار الأفلام النمطية كان أقوى من أن يقاومه على رضا الذى جرفه فى أفلام نمطية سبق أن تناولناها بالرصد والتحليل فى هذه الدراسة . فى هذا الفيلم تسافر إحدى الفرق الاستعراضية لتقديم عروضها فى الأقصر ، و تواجه فى البداية بعض العقبات لكنها تتغلب عليها ، مع قصة حب موازية بين صالح مدرب الفرقة وراقصها الأول وبين الراقصة الأولى أمينة . والفيلم زاخر بالاستعراضات الراقصة الرشيقة والمبهجة ، والألحان والأغانى الجماعية التى وضعها على إسماعيل ، والمفارقات الكوميدية ، والمواقف العذبة ، والمفاجآت المثيرة . ولذلك نجح الفيلم فى الجمع بين قيم الفن الرفيع وجذب الرواج التجارى بل والسياحى أيضاً .

أما فيلم " النصف الآخر " فهو قصة وحوار عبد الحميد جودة السحار الذى يحلل العلاقة بين الأنا والآخر . والحاجة المتجددة للنظرة الموضوعية التى تعدل بينهما ، لأن النظرة الذاتية تنفى الآخر تماماً فى سبيلها لتحقيق رغبات الأنا . ففى

الفيلم يعيش الأب بعد وفاة زوجته فى فراغ مخيف وملل كريه لأن أولاده مشغولون عنه . فيتزوج من أرملة شابة تتشابه ظروفها مع ظروفه . لكن أبناءه يعارضون هذا الزواج ، خاصة ابنته التى تتفرغ لخدمته كمحاولة منها للتفرقة بينه وبين زوجته ولكن عبثاً . وفى النهاية يقتنعون بحق أبيهم بالتمتع بالاستقرار والأمان وبمن تؤنس وحدته ، وخاصة أن الابنة تمر بتجربة مريرة مماثلة عندما يلقى خطيبها مصرعه فى حادث سيارة ويترك لها الفراغ والوحشة .

وبعد ذلك توالت الأفلام المأخوذة عن أعمال روائية لكبار الأدباء بحيث سادت الساحة السينمائية تماماً ، واستطاعت أن تجمع بين القيمة الفنية الرفيعة والرواج التجارى الجماهيرى . فقد استطاعت أن تبلور قضايا المجتمع وتلمس نبضه الحقيقى فى قالب فنى متسق ولغة سينمائية راقية ، فوجد الجمهور نفسه فيها ، خاصة أنه شعر بحرص مبدعى هذه الأفلام على احترام عقله ، والتفاعل الحميم مع اهتماماته الإنسانية الجوهرية .

فقد شهد عام ١٩٦٨ ثلاثة أفلام هى : " قنديل أم هاشم " لكمال عطية ، و " البوسطجى " لحسين كمال ، والفيلمان عن قصتين ليحيى حقى ، وكذلك " الرجل الذى فقد ظله " لكمال الشيخ والمأخوذ عن رواية لفتحى غانم . ويعالج الفيلم الأول الصراع الذى فرض نفسه طويلاً على الثقافة المصرية ، وهو الصراع بين العلم والجهل ، بين المعرفة والخرافة ، بين الثقافة والدجل ، وذلك من خلال شخصية الدكتور إسماعيل الذى يعود من الخارج بعد إتمام دراسته ليجد أهل الحى غارقين فى بحر متلاطم من الخرافات التى تتجلى فى استخدام قطرات من زيت قنديل أم هاشم فى علاج عيونهم . ويفاجأ بأن أمه تعالج عينى خطيبته فاطمة بنفس الطريقة . ويفشل فى إثنائهم عن تصرفاتهم الجاهلة لتغلغل هذه المعتقدات فى نفوسهم . وفى غمرة انفعاله وثورته يحطم القنديل مما يثير غضب أهل الحى عليه ويعانى من عزلة شديدة عنهم . لكن تسنح له الفرصة عندما تفقد فاطمة بصرها ،

فيوهمها بأنه سيعالجها بزيت القنديل ، لكنه يستخدم أساليبه العلمية وأدواته الطبية فتتماثل للشفاء .

فى فيلم " البوسطجى " يتابع المتفرجون أحداثا تدور فى إحدى قرى الصعيد حيث يقوم موظف البريد عباس بالتلصص على خطابات الأهالى ، فيكتشف علاقة حب آثمة بين فتاة وشاب يرسل إليها خطاباً يطمئنها بعزمه على الزواج منها بعد أن حملت منه . ويضطر عباس لحرق الخطاب بعد أن يقع عليه أثر يجعل علاجه متعذراً ، وبذلك ينقطع الأمل فى حل مشكلة الفتاة . وتتفاقم الأمور فيكتشف الأب فضيحتها فيقتلها .

وفى فيلم " الرجل الذى فقد ظله " تتوغل الأحداث فى أغوار الحياة السياسية والصحفية من خلال شخصية يوسف السويفى الصحفى الانتهازى والوصولى الذى يبيع نفسه فى محاولة لتحقيق طموحه وكل ما يمكنه من المكاسب الاجتماعية . ويسعى للزواج من سعاد الفتاة الأرستقراطية . أما شوقى الرسام الصحفى فهو ثورى وينتمى إلى نفس طبقة يوسف ، لكنه يتمسك بالقيم الإنسانية ، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بقضايا الشعب ومصالحه ، كما يحرص على انتمائه إلى طبقته الكادحة . أما الخادمة مبروكة التى تجسد مأساة فئة مطحونة فيعتدى عليها أبو يوسف الذى يتزوجها وتضع مولودها . وعندما يموت الأب يطردها يوسف الذى يفقد مكانته عندما تسقط الوزارة التى كان يعول عليها .

وشهد عام ١٩٦٩ أربعة أفلام مأخوذة عن أعمال أدبية هى : " شىء من الخوف " لحسين كمال عن قصة لثروت أباظة ، و " يوميات نائب فى الأرياف " لتوفيق صالح عن قصة لتوفيق الحكيم ، و " السيد البلطى " لتوفيق صالح أيضا عن قصة لصالح مرسى ، و " الناس اللى جوه " لجلال الشرقاوى عن قصة لألبير قصيرى .

وقد ثار لغط كبير حول فيلم " شيء من الخوف " على أساس أن ثروت أباظة كان يقصد جمال عبد الناصر بشخصية عتريس الطاغية الجبار . وسواء أكان هذا اللغط يدور حول إسقاط رمزى متعمد من الكاتب، أو أن عتريس هذا قصد به الطاغية فى أى زمان ومكان . فإن الفيلم كان من إنتاج المؤسسة المصرية العامة للسينما والتى كانت مملوكة للدولة . ولابد أن يُحسب لعبد الناصر رحابة صدره وسعة أفقه الفنى والثقافى عندما أتاح الفرصة لعرض الفيلم بمنتهى البساطة ، وكان فى وسعه أن يمنعه من مجرد إشارة بيده ، لو كان يعتقد أنه المقصود شخصياً بهذا الفيلم ، خاصة فى حالة الطوارئ التى كانت البلاد تعيشها فى أعقاب نكسة ١٩٦٧ وتحت وطأة حرب الاستنزاف . فالفيلم يدور حول عتريس الرجل القاسى الذى يزرع فى قلب حفيده عتريس الحقد والانتقام . وعندما يلقى مصرعه برصاصة ثائر ضد بطشه ، يصمم حفيده عى الانتقام ، وخاصة أنه أصبح يمتلك القرية ، ويسيطر على أهلها ، ويفرض الإتاوات، إلا أنه يفشل فى حبه لفؤادة التى تقف أمام جبروته وتتصدى له . لكن أباها يوافق على زواجه منها خوفاً من بطشه ، ولا ترضخ فؤاده له بل ترفضه ويصبح زواجها باطلاً ، ويشعل صمودها وموقفها الإيجابى ثورة الأهالى بقيادة الشيخ إبراهيم الذى ينتقم منه عتريس بقتل ابنه الوحيد . وتزداد ثورة الأهالى تأججاً ويحاصرون قصره بالنيران التى تحرقه داخله .

فى فيلم " يوميات نائب فى الأرياف " يلقى قمر الدولة علوان مصرعه عندما يطلق عليه الرصاص ، وقبل أن يلفظ أنفاسه ينطق باسم ريم شقيقة زوجته الراحلة . ويبدأ النائب العام فى التحقيق معها ، لكنها تهرب ، ويكتشف النائب أن زوجة قمر الدولة لم تمت ميتة طبيعية . ويثبت التقرير الشرعى بعد إخراج الجثة

أن بها كسراً في عظام الرقبة . ثم ينشغل المأمور والمركز كله بالانتخابات . وعندما يثور النائب على فساد إجراءات العدالة ، تظهر ريم جثة هامدة في ترعة المركز ، غريقة أو مقتولة ، لا يهم فقد ماتت وانتهت قضيتها .

في فيلم " السيد البلطي " تفاجأ جماعة من الصيادين بالصياد القديم عبد الموجود الذي يشترى مركباً كبيراً يعمل بالبخار مما يؤدي به إلى الاستيلاء على النصيب الأكبر من الصيد وبالتالي تحكمه في أرزاق صغار الصيادين . ويشير عليهم ابن السيد البلطي أقدم الصيادين بالعمل معاً كشركة وإرسال كل ما يصطادونه من الأسماك إلى القاهرة حيث يوجد عمه ليبيعه ثم يقسم الربح بينهم بالتساوي إلى أن يتمكنوا من شراء مركب ينافسون به عبد الجواد ، فالحل الواقعي العملي المحدود خير من الثورة التي لا تبدو بلا حدود لكنها في حقيقتها جوفاء لا تملك قوة دفع حقيقية .

في فيلم " الناس اللي جوه " تدور الأحداث الأساسية في منزل قديم تسكنه نماذج بشرية مختلفة : عربجي تخونه زوجته ، وآخر سائق أتوبيس يعيش مع أخته اللعوب ، وتاجر أنتيكات عجوز يتشدد في معاملة زوجته الشابة التي يحاول سائق الأتوبيس أن يعتدي عليها ، وسمكري يستعد للزواج من فنانة ، وفنان يصنع التماثيل . والبيت القديم الذي يرمز إلى المجتمع به شرخ يهدده بالسقوط ، لكن صاحبه يرفض إصلاحه . وعندما يشعر السكان المشتتون الشاردون ببوادر الكارثة التي تهدد حياتهم في الصميم ، فإن شملهم يلتئم في النهاية ويتفقون على إصلاحه من مالهم الخاص .

وشهد عام ١٩٧٠ ثلاثة أفلام مأخوذة عن روايات منشورة أيضاً هي : " الأرض " ليوسف شاهين والمأخوذ عن رواية عبد الرحمن الشرقاوي المعروفة بنفس الاسم ، و " السراب " لأنور الشناوي والمأخوذ عن رواية نجيب محفوظ ، و " غروب وشروق " لكمال الشيخ والمأخوذ عن رواية جمال حماد . في الفيلم الأول

تدور الأحداث فى مصر عام ١٩٣٣ فى ذروة سيطرة الإقطاع على مقدرات الكادحين والفقراء . وهى السيطرة التى تتمثل فى محمود بك أحد الإقطاعيين الذى يحدد للفلاحين عشرة أيام فقط لرى أراضيهم ، ثم يخفضها إلى خمسة حتى يستحوذ على باقى الأيام لرى المزيد من أرضه . ويرفض الفلاحون هذا القهر وعلى رأسهم محمد أبو سويلم الفلاح الثائر . لكن الإقطاعى المتجبر يزداد عنداً ، وينزع ملكية أرض بعض الفلاحين لإنشاء طريق يصل قصره بالطريق العمومى . وتسانده الحكومة فترسل قواتها من الهجانة لتأديب الأهالى وإخماد ثورتهم . ويصاب أبو سويلم أثناء تصديه لهم ، ويجره المأمور على الأرض أمام أهل القرية حتى يكون عبرة لهم ، وليرغمه على الاستسلام لكنه يصر على تمسكه بأرضه شأنه فى ذلك شأن أى فلاح أصيل .

أما فيلم " السراب " ١٩٧٠ فيشكل مع فيلم " القاهرة ٣٠ " ١٩٦٦ ظاهرة فريدة من نوعها وجديرة بالتسجيل فيما يتصل بالعلاقة بين الرواية المنشورة والسيناريو السينمائى . إذ جرت العادة أن يكون السيناريو أكثر تسطيحاً وخفة من الرواية المطبوعة ، على أساس أن السيناريو موجه إلى الجمهور العريض العادى وليس إلى جمهور القراء المثقفين . لكن فى هاتين الروايتين اللتين كتبهما نجيب محفوظ ، حرص كاتب السيناريو على الزرقانى فى " السراب " ، كما حرص كاتب السيناريو والمخرج صلاح أبو سيف ومعه على الزرقانى أيضاً ووفية خيرى فى " القاهرة ٣٠ " ، على البناء الدرامى المحكم حتى يتجنبوا بعض الثغرات وعناصر الإطناب والبانوراما الاجتماعية المباشرة أو التحليل النفسى غير الدرامى ، وغير ذلك من العناصر غير البصرية التى يمكن أن تشكل عالة على البناء الفيلمى .

ويعتبر فيلم " السراب " من الأفلام القليلة التى تعالج العقد النفسية على أساس علمى . فالثرى كامل يتزوج من رباب التى تكتشف عجزه

الجنسى فيلجأ إلى الدكتور أمين لعلاجه . ويتضح له أنه شاب خجول ويعانى من الانطواء نتيجة حياته كمراهق وشاب مع أمه بعد أن تنفصل عن أبيه ، فالتصق بها التصاقاً كاملاً ، مما رسب فى عقله الباطن ارتباط الجنس بالجريمة والمحرمات . ويلتقى الدكتور أمين برباب ويطلب منها أن تساعده فى العلاج ، لكن بمرور الوقت تتوطد علاقة الزوجة بالطبيب ويتورطان فى علاقتهما وتحمل . وينتهى الفيلم بشفاء كامل تماماً فى نفس الوقت الذى تموت فيه الزوجة من عملية إجهاض تجرى لها .

فى فيلم " غروب وشروق " تدور الأحداث عقب حريق القاهرة حيث يعيش عزمى باشا رئيس البوليس السياسى مع ابنته مديحة التى تتزوج من الطيار سمير . وتدب الخلافات بينهما لضعف شخصيته ، مما يدفعها إلى خوض تجربة عاطفية مع صديقه عصام دون أن يعلم حقيقتها . وعندما يكتشف سمير خيانتها ، يطلقها فيدبر الباشا لقتله ، ويرغم عصام على الزواج منها تجنباً للفضيحة . ويستغل عصام فرصة وجوده بالقصر فيصور وثائق سياسية هامة ، إذ إنه عضو فى تنظيم سياسى ، مما يتسبب فى استقالة عزمى . ومع ذلك يعترف عصام لمديحة بحبه الصادق، لكنها تطلب منه الابتعاد عنها ، فهناك من الكسور أو الشروخ ما لا يمكن أن يلتئم .

وشهد عام ١٩٧١ فيلمين مأخوذين أيضاً عن عملين أدبيين : ثرثرة فوق النيل " لحسين كمال والمأخوذ عن رواية نجيب محفوظ ، و " البعض يعيش مرتين " لكمال عطية والذى كتب قصته عادل كامل الروائى الذى بدأ حياته مع جيل نجيب محفوظ بروايته الشهيرة " مليم الأكبر " والتى أنبأت بروائى ضليع ، لكنه لم يواصل المسيرة بعد أن جرفته دنيا الأعمال الحرة . ويبدو أن صديقه كمال عطية قد أغراه بكتابة هذه القصة لإخراجها فى فيلم .

فى فيلم " ثرثرة فوق النيل " تلتقى مجموعة من الأشخاص فى عوامة ، يهربون فيها من حقيقة واقعهم بتدخين المخدرات ! والتهكم على المبادئ ، وإعادة النظر فى كل المسلمات . منهم الموظف والممثل والصحفى والمحامى والقصصى والصحفية والطالبة الجامعية ، ويجتمعون كل ليلة ليمارسوا كل أنواع الملذات الحسية وأحياناً الفكرية ، خاصة عندما تدور رءوسهم بالمخدر ، ويتخيلون عالماً وهمياً ومجتمعاً خاصاً بهم . لكن يقع لهم حادث عندما يصدمون بالسيارة فى ظلام الليل إنساناً مجهولاً ، وبرغم هروبهم من المسئولية التى لم تثبت عليهم ، فإن الأحوال لا تعود سيرتها الأولى ويتحول الوهم الجميل إلى كابوس واقعى .

فى فيلم " البعض يعيش مرتين " تمتزج الواقعية بالفانتازيا من خلال أسرة تبلور ملامح حيوية من المجتمع المعاصر . فالأبوان أحمد وزهيرة ينشغلان بعملهما عن أبنائهما . فهو عالم آثار وهى مديرة بالتعليم . وهذا الإهمال ينعكس على الأبناء . فثريا تستغل الحرية بطريقة سيئة ، وسميرة تصبح ضعيفة الشخصية . أما الصغير هشام فيتجه إلى السرقة . وعندما يموت الأب من الصدمة ، تتفكك الأسرة التى تفاجأ باختفاء جثته . ويتضح أن روحه قد تجسدت فى الجعران الملكى الذى اكتشفه بحكم عمله كعالم آثار . وينجح طوال أربعين يوماً فى تقويم أبنائه ، ثم تفارقه روحه إلى الأبد . وفى العقيدة المصرية القديمة كانت روح الميت تظل تحوم حول جثته طوال الأربعين يوماً التالية لوفاته ، إلى أن يتم التحنيط الذى يستغرق هذه المدة ، ثم تنطلق إلى العالم الآخر . ومن هنا كان الشعب المصرى هو الشعب الوحيد الذى يحتفل بذكرى الأربعين . أى أن عنصر الفانتازيا فى الفيلم لا ينهض على محض خيال ، بل يتخذ من العقيدة المصرية القديمة قاعدة انطلاق له .

أما عام ١٩٧٢ فقد شهد ميلاد اثنين من المخرجين : أحدهما غير نمطى إلى حد كبير فى معظم أفلامه وهو على عبد الخالق الذى دخل الحلبة بفيلم " أغنية على

الممر " ، ومدكور ثابت الذى لم يحطم حواجز النمطية فحسب ، بل بلغ آفاق الطليعية فى فيلمه " حكاية الأصل والصورة " عن قصة لنجيب محفوظ . ويبدو أن التجربة بما تحمله من تنظير تقنى وفلسفى ، كانت تعتبر دليلاً عملياً على قدرة السينمائى المصرى على مواكبة نظيره فى الدول ذات الباع الطويل فى الريادة السينمائية ، مثله فى ذلك مثل شادى عبد السلام فى فيلمه الطليعى الرائد "المومياء" . ولابد أن نذكر هنا بكل التقدير والاحترام الدور الحضارى العظيم الذى نهض به القطاع العام الذى أنتج هذه الأفلام التى نفخر بها جميعا ، والتى كان من المستحيل أن يقبل على إنتاجها القطاع الخاص الذى يفضل دائماً اللعب على المضمون النمطى بعيداً عن التجريب الطليعى .

وينطوى فيلم " أغنية على الممر " على تجسيد درامى لملامح الفترة المأسوية التى عاشتها مصر فى أعقاب نكسة يونيو ١٩٦٧ وفى أثناء حرب الاستنزاف التى تلتها . وقد كتب السيناريو والحوار له مصطفى محرم عن مسرحية لعلى سالم بنفس الاسم ، والتى تدور حول خمسة جنود محتجزين فى ممر بالصحراء بعد أن يستشهد جميع زملائهم فى أثناء حرب ١٩٦٧ . وينقطعون عن العالم بعد أن يتلف جهاز اللاسلكى . وكان أكبرهم سناً الشاويش محمد الفلاح الذى ترك أرضه ليزرعها أولاده ، ليشارك من قبل فى حرب ١٩٥٦ . وهناك أيضاً حمدى الفنان الذى يحلم بالارتقاء بالأغنية بعيداً عن التفاهة والسطحية ، وشوقى الذى ينشد المثالية، ومسعد العامل البسيط الذى يحلم بالاستقرار مع زوجة . أما منير فهو انتهازى . أى نماذج من المجتمع تم وضعها فى بوتقة النكسة لتنصهر وتكشف عن نوعية معدنها . وقد بلغ الانصهار قمته عندما يتعرضون لهجوم بطائرات العدو ليستشهد ثلاثة منهم ، رمزاً للضريبة التى يتحتم على مصر أن تدفعها من دماء أبنائها .

وكانت المؤسسة المصرية العامة للسينما قد أنتجت عام ١٩٦٩ فيلم " حكاية الأصل والصورة " الذى أخرجه مدكور ثابت عن قصة نجيب محفوظ بعنوان "صورة" ، وكتب له السيناريو والحوار أيضاً . وعرض لأول مرة عرضاً جماهيرياً بسينما ميامى عام ١٩٧٢ ضمن ثلاثية فيلم " صور ممنوعة " . وكان الفيلم بمثابة صدمة فكرية وفنية لجمهور لم يتعود على تقبل التيارات الطليعية والتجريبية بسهولة . فقد كتب مدكور ثابت السيناريو والحوار وقام بإخراج الفيلم عن قصة نجيب محفوظ " صورة " المنشورة فى مجموعة " خمارة القط الأسود " ١٩٦٩ ، ليس لمجرد إثبات وجوده كسينمائى جديد فى الساحة ، ولكن من منطلق تنظير تجريبى طموح ، بل وطليعى بدرجة لا تحتملها السينما المصرية التى رسفت فى أغلال النمطية منذ بدايتها وحتى الآن ، والتى لم تكن تتقبل ببساطة كسر الإيهام بالواقع الذى هو صعب فى السينما بطبيعتها القائمة أساساً على الإيهام بالواقع . ومع ذلك كان مدكور ثابت من الجرأة بحيث كسر الإيهام بالواقع ، ضارباً بعرض الحائط احتمالات النجاح التجارى النمطى .

وقد تركزت طليعية مدكور ثابت فى توظيفه للمنهج الملحمى البريختى فى المسرح ، على فيلمه منذ بدايته حتى نهايته ، مما منحه اتساقاً فكرياً وفنياً حطم به كل أطر النمطية التى سادت السينما المصرية . فالفيلم يدور حول جريمة قتل ، يعترف أكثر من شخص بأنه ارتكبها . لكن عنصر التغريب الملحمى يبدأ منذ اللحظة التى ندرك فيها أن الاعتراف لم يعد سيد الأدلة ، إذ يقف رجال الشرطة فى حيرة من القضية ، ويعجزون عن التوصل إلى القاتل الحقيقى . فالبطلة الفعلية فى الفيلم هى مجرد صورة لقتيلة فى الصفحة الأولى من الجريدة ، وبالتالى فإن الجمهور لا يستطيع أن يندمج أو يتوحد معها . بل إن ملامح الشخصية ليست محددة على الإطلاق . وحتى اسمها يتغير بتغير الشخصية التى عرفتها وتعاملت معها بطريقة أو بأخرى . وقد عمد مدكور ثابت إلى الرسم التجريدى لملامح

الشخصيات بحيث لا يمكن للجمهور أن يتعرف عليها معرفة تجعلـه يتوحد معهـا . فهى عبارة عن لمحات اجتماعية وسيكولوجية سريعة بل وخاطفة تحرص علـى جعل الجمهور متفرجين من خارج نطاق الأحداث ، وغير مسموح لهم بتجاوز هـذا النطاق .

وعلى سبيل الإصرار والتأكيد على كسر الإيهام بالواقع ، كان ظهور مدكور ثابت شخصياً عدة مرات على الشاشـة . فـالمتفرج يتـابع مخـرج الفيلـم وهـو يحسم بنفسه سوء التفاهم بين راشد وماجدة (الصحفى والصحفية) . بل إنـه يعلـن بنفسـه أيضاً بداية الفيلم ويدعو المتفرج للاشتراك فى التحقيق . وفى موقع آخر فى السياق يظهر مرة أخرى ليعلن رأيه الشخصى فى التهمـة التـى تنسـبها إحدى الشـخصيات إلى نفسها فى ضوء القصة والسيناريو . ويعود للظهور فى نهاية الفيلم ليعلـق علـى الحدث بطريقته كمؤلف ومخرج سينمائى عبر جو عبثى ساخر ينضم إليـه فيـه كـل الفنيين العاملين فى الفيلم .

وكمـا يحـدث فـى مسـرح بريخـت عندمـا تتجـه الشـخصيات لمخاطبـة الجمهـور مباشـرة ، فـإن بعـض شـخصيات مدكـور ثـابت تتجـه بنظرهـا إلـى الكـاميرا وكأنهـا تخـاطب المتفـرج أو تـروى لـه مـا حـدث . بـل إن الـراوى الملحمـى التقليـدى لا يظهـر بشـكله النمطـى بـل يقـوم مدكـور ثـابت بتوزيـع دوره على لسان مختلـف الشـخصيات كلمـا تطلـب الموقـف ذلـك . ومـن هنـا كـان تعـدد أصـوات الـرواة وبالتـالى تعـدد زوايـا السـرد السـينمائى . وهـذه الأصـوات وتكرار تدخل المخرج فـى الأحـداث كـان بمثابـة دعـوة للمتفرجيـن لإبداء الرأى فيما يجـرى دون الاندمـاج فيـه أو التعـاطف معـه . أى أن الفيلـم دعـوة للتفكـير والتحليـل وليـس دعـوة للانفعـال والاندمـاج ، ولذلـك خـلا المونتاج من المزج والاختفـاء والظهـور التدريجـى ، بـل اعتمـد علـى القطـع المفاجئ الذى يستشعره المتفرج بسهولة ، بل وأحياناً يـأتى القطـع كأنـه قفـزة

أو صدمة لم يتم التمهيد لها . فليس هناك تسلسل مريح أو تدفق سلس للأحداث والمشاهد حتى يظل المتفرج على يقظته المحايدة أو الموضوعية فى متابعته للفيلم .

وكسر الإيهام عند مدكور ثابت ليس كسراً مطلقاً ونهائياً ، بل يطبق هو نفسه عليه مصطلح الكسر النسبى فى الإيهام السينمائى ، وهو عنوان كتابه العمدة فى هذا المجال . فالإيهام ليس معياراً ثابتاً بل هو أداة أو وسيلة أو مساحة نسبية ، يستطيع المخرج أن يحددها ويسيطر عليها طبقاً لمنظومة العوامل والعناصر الداخلة فى صناعة الفيلم وإبداعه . وخاصة أن الفصل التام مستحيل بين التفكير والانفعال ، وبين التحليل والاندماج . والفنان الذى يدرك هذه الحقيقة ويعرف كيف يتعامل معها ، فى إمكانه أن يعلم المتلقى وأن يمتعه فى الوقت نفسه .

إن هذه التجربة الرائدة والطليعية التى لم تجد امتداداً لها ، ستظل إحدى العلامات المضيئة والمميزة للطريق التى شقتها السينما غير النمطية فى مصر ، والتى يجب أن تكون إلهاماً لطموحات تجريبية جديدة تجنب السينما من السقوط فى هاوية النمطية . وخاصة أن مدكور ثابت كأستاذ للإخراج فى المعهد العالى للسينما ، وكرائد للتنظير السينمائى ، لم يبدع هذا الفيلم لمجرد التواجد فى الساحة او لإشباع هوايته ، بل بناء على نظرية فكرية وفنية وجمالية متبلورة العناصر ومتسقة الملامح ، سجل كل أبعادها وأعماقها فى كتابه الموسوعى " النظرية والإبداع فى سيناريو وإخراج الفيلم السينمائى " ١٩٩٣ ، والذى ألحقه بكتابه العمدة " الكسر النسبى فى الإيهام السينمائى " ١٩٩٤ . ذلك أن التطبيق عنده هو الوجه الإبداعى للتنظير الفكرى والفنى ، ولذلك فإن هذين الكتابين الرائدين مع فيلمه الطليعى ، بمثابة قاعدة للانطلاق المقنن صوب آفاق التجريب والتجديد ، والتى أصبحت السينما المصرية فى أشد الحاجة إليها بعيداً عن

تهويمات الحداثة وشطحات ما بعد الحداثة التى لا تحتملها السينما المصرية التى عاشت طويلاً تحت وطأة التنميط .

وشهد عام ١٩٧٣ أربعة أفلام : " حمام الملاطيلى " لصلاح أبو سيف ، و "الشحات" لحسام الدين مصطفى ، و " السلم الخلفى " لعاطف سالم ، و " ليل وقضبان لأشرف فهمى . وتدور أحداث الفيلم الأول فى الجو الشعبى الذى عشقه صلاح أبو سيف . ففى حمام الملاطيلى يقيم أحمد حيث المبيت به أرخص . وهناك يتقابل بالفتاة نعيمة الهاربة من أهلها ، والتى تعيش ببيع جسدها ، ويستسلم لها . كما يتردد على الحمام رءوف بك البرجوازى الذى يجد فى الحمام الشعبى عالماً غريباً ، ويعجب بأحمد ويحكى له همومه وضياعه . وتتوطد العلاقة بين نعيمة وأحمد . كما تعجب به فى الوقت نفسه زوجة المعلم أمين صاحب الحمام فتشاغله وتوقع فى شباكها ، فينصرف عن نعيمة ، ثم يفاجأ بأهل نعيمة الذين يتوصلون لمكانها ويقتلونها ليمحو عارها .

أما فيلم " الشحات " فيدور حول المحامى المرموق عمر الحمزاوى الذى تثقله الهموم وينصحه الطبيب بالراحة . لكن حالته النفسية تزداد سوءاً ، فيقرر أن يغير مسيرة حياته . فينغمس فى عالم النساء والجنس ويهجر منزله . وتحاول ابنته بثينة المرهفة العاشقة للشعر أن تعيده لوضعه الأول ولكن عبثاً . ويهرب عمر من أزمته النفسية التى تزداد سوءاً ، إلى التصوف وقراءة الروحانيات . وعندما تنتهى مدة عقوبة عثمان صديق عمره ، يتزوج من بثينة ويواصل المناداة بأفكاره الثورية . وعندما يطارده البوليس السياسى ، يهرب ويلجأ إلى عمر فى صومعته ، فيصاب عمر برصاصة ويقبض على عثمان .

أما فيلم " السلم الخلفى " فيستخدم بعض السكان السلم لغرض فى نفس يعقوب . فمثلاً يستخدم سامى ابن صاحب العمارة والطالب الفاشل بالثانوية العامة السلم لعودته متأخراً . كما تستخدمه فرقة موسيقيين تشغل إحدى الشقق ، وتتجنب

مقابلة البواب الذى يطالبها بالأجرة ، فى حين تتردد عليهم الشغالة نوسة عن طريق السلم الخلفى أيضاً ، فهى تهوى الرقص والغناء ثم تنضم إلى الفرقة . وعن طريق السلم نفسه تنتحر الشغالة الصغيرة بعد أن تضيق بمعاملة سيدتها القاسية . كما يقوم سامى مع أصدقائه بسرقة شقة أبيه ، لكنهم يقعون فى قبضة رجال الشرطة .

فى فيلم "ليل وقضبان " يعامل فتحى مدير أحد السجون ، مسجونيه معاملة قاسية ، كما يعامل زوجته سميرة معاملة النزيل فى سجنه . وعندما ينقطع التيار الكهربائى من منزل فتحى ، يرسل لإصلاحه السجين أحمد طالب الهندسة الذى زج به فى السجن ظلماً . وتعجب به سميرة لدرجة أنها تتعمد قطع التيار حتى تستطع رؤيته فى أثناء غياب زوجها ، وينمو الحب بينهما . وعندما يكتشف فتحى خيانة زوجته له ، يدبر مع رئيس الحرس الشلقامى لقتل أحمد . وتستدعى سميرة السجين بحجة انقطاع التيار ، فيصحبه الشلقامى ، ويعود بمفرده مدعياً أمام الجميع بأن السجين هرب ، فيأمر فتحى بإطلاق الكلاب خلف السجين وتمزقه حتى الموت .

وشهد عام ١٩٧٤ فيلمين : " العصفور " ليوسف شاهين ، و " الحفيد " لعاطف سالم . فى الفيلم الأول يسافر ضابط الشرطة رءوف إلى الصعيد للقبض على المجرم الخطير أبو خضر . ويلتقى بالصحفى يوسف الذى ينشر تحقيقات عن الفساد الداخلى من خلال مصنع تابع للقطاع العام ، أنشئ منذ ست سنوات ، ولم يكتمل بناؤه بسبب سرقة وتهريب أجهزته وماكيناته ليلاً بواسطة أبو خضر ، وبيعها إلى مصانع القطاع الخاص . ويتعاون يوسف مع رجال الشرطة ومع بعض الأصدقاء لمعرفة الجهة التى تسرق المعدات . وفى النهاية تلحق بمصر هزيمة ١٩٦٧ كنتيجة للفساد الذى سرى فى هيكل النظام كالسوس فى الخشب .

وفى فيلم " الحفيد " المأخوذ عن قصة عبد الحميد جودة السحار ، تتزوج أحلام وشفيق الذى يرفض فكرة الإنجاب فى بداية حياتهما الزوجية . وتصر الأم على أن تقيم الابنة الكبرى نبيلة معهم لحين موعد ولادتها ، مما يثير قلق الأب

لأن هذا يعنى مزيداً من الضغوط المادية عليه . وعندما تكتشف أحلام أنها حامل ، يثور شفيقويخيرها بين حياتها معه أو التخلص من الجنين ، فتترك له المنزل وتلجأ إلى أبويها . وعندما تلد نبيلة ، يذهب زوجها إلى شفيق لإقناعه بوجهة نظره الخاطئة ، ويصطحبه للمشاركة فى السبوع ، ويعود الصفاء بينه وبين أحلام .

. أما عام ١٩٧٥ فشهد فيلمين : " أريد حلاً " لسعيد مرزوق ، و " المومياء " لشادى عبد السلام . ويعتبر الفيلم الأول صرخة فنية ودرامية ضد القهر الذى ترزح المرأة المصرية تحت وطأته ، وقصته مأخوذة عن قصة حقيقية ، تعد نموذجاً لقصص ومواقف عديدة لا يعلم عنها أحد شيئاً . فالحياة تستحيل بين درية وزوجها الدبلوماسى مدحت ، فتطلب منه الطلاق ، لكنه يرفض . وتضطر للجوء إلى المحكمة ورفع دعوى الطلاق ، فى حين تعمل مترجمة فى إحدى الجرائد . وينمو الحب بينها وبين رءوف صديق أخيها . وتدخل درية فى متاهات المحاكم ، وتتعرض لسلسة من المشكلات والعقبات التى تهدد كرامتها . وتتعقد الأمور عندما يأتى الزوج بشهود زور يشهدون ضدها فى جلسة سرية . وتصل المأساة قمتها عندما تخسر قضيتها بعد مرور سنوات طويلة من العذاب المتواصل .

ثم نأتى للفيلم المعجز " المومياء " الذى يعتبر درة السينما المصرية . وفيه تعيش عائلة الحربات على سرقة ما فى بطون الجبل من مومياوات فراعنة مصر . ويتم تنصيب ونيس زعيماً للعائلة بعد موت أبيه ، ويكتشف مع أخيه الصغير أحمد حقيقة مصدر رزق القبيلة . وعندما يتمرد أحمد على العائلة ، يقتلونه . ويصل مندوبو الآثار للتحقيق فى سر سرقة المومياوات . وتتنازع ونيس مشاعر متناقضة بين الوفاء لعائلته وبين واجبه الوطنى الذى ينتصر ، فيعترف لكبير أفندية البعثة عن مكان المخبأ ليتم نقل المومياوات تحت حراسة مشددة من الشرطة .

ولا شك أن عبقرية شادى عبد السلام تنهض على استيعابه الكامل للعلاقة العضوية بين الإبداع التشكيلى والإبداع السينمائى ، وبالتالى العلاقة بين الشكل

البصرى بكل جمالياته وثرائه ورصانته وبين المضمون الفكرى بكل أبعاده وأعماقه ومفرداته ، وأيضاً العلاقة المتبادلة بين الإنسان والمكان الذى لعب دوراً درامياً لا يقل فى أهميته وحيويته عن الدور الذى قام به الإنسان . فقد كان الحوار مجرد وسيلة ضمن وسائل تعبيرية وتشكيلية وبصرية يصعب حصرها . ذلك أن شادى عبد السلام استخدم الفراغ المحيط بالشخصيات وشحنه بقدرات تعبيرية قل أن نجد لها نظيراً فى السينما المصرية بصفة عامة . فكان الكادر عنده بمثابة البوتقة التى انصهرت فيها البورتريه والمنظر الطبيعى والطبيعة الصامتة التى تعبر كلها عن الحياة والبيئة فى ثراء عجيب .

كان فيلم " المومياء " ثورة حقيقية ، فنية وفكرية ، على القيود النمطية التى كبلت مسيرة السينما المصرية ، ونأت بها عن بلورة الجوانب الحضارية والثقافية للشخصية المصرية . ففى مجال تشكيل الكادر ، جعل للكتلة الجبلية الراسخة إيقاعاً يتردد مع صدى الرياح التى تخلق جواً عاماً للفيلم ، لا يستطيع المتفرج أن يفك نفسه من أسره ، خاصة أن عينه أيضاً لا تستطيع الإفلات من الخطوط الحادة التى حرص شادى عبد السلام أن ينطلق بها إلى السماء ، بحيث أوشكت أبعاد الكادر عنده أن تحتوى الكون بأسره . فالمكان كله ينبض ويتنفس من خلال حركة الكاميرا الموحية ، والتوزيعات الضوئية التى تسلط على مساحات معينة ذات دلالات فكرية وشعورية ، فى حين تغرق مفردات أخرى فى عتمة لا تظل كما هى ، بل تخترقها انعكاسات الضوء وظلاله على الزوايا . وهى الانعكاسات التى ابتكرها وبرع فيها مدير التصوير الرائد عبد العزيز فهمى . فكان الضوء يخاطب عين المتفرج فى حين تتلاعب العتمة بمشاعره .

كذلك حرص شادى عبد السلام كفنان تشكيلى ومخرج سينمائى على تقنين المساحات والأعماق التى تحتلها الشخصيات داخل أبعاد الإطار ، مما أظهرهم فى صراعهم الضيق غير الحضارى كأقزام فى مواجهة الجبال الشامخة والراسخة التى

توحى بشموخ الحضارة المصرية ورسوخها فى وجه كل من يحاول المساس بهـا . فالفيلم لا ينهض على مضمون تاريخى فحسب ، بل يحتوى على إشـعاعات تغرق الواقع وتعريه ، وتدعو إلـى تغييره إلـى الأفضـل دون أيـة دعايـة مباشـرة أو غـير مباشرة لذلك .

وتتجلى عبقرية شادى عبد السلام التشكيلية فى حرصه على رسم تكوينـات معظم كـادرات الفيلـم ، حتـى يخضـع لرؤيتـه القدرات اللونيـة ، وتـأثيرات الضـوء والظـل علـى سـطح الكـادر ، والتضـاد بيـن الألـوان الدافئـة أو السـاخنة كـالحمراء والبرتقالية والصفراء ، وبين الألوان الفاترة أو الباردة كالزرقاء والرماديـة . وكـان مدير التصوير عبد العزيز فهمى خير معين لـه فـى توزيـع تلـك المسـحة الزرقـاء الرقيقـة التـى تغلـف معظـم مشـاهد الفيلـم . فقد ابتكر عبد العزيـز فهمـى أسـلوب التصوير فى ضوء السماء بعيداً عن ضوء الشمس المباشر ، كلما استدعت الحاجـة الدرامية والجمالية لهذا الأسلوب الذى كان يتضاد بدوره مع ضوء الشمس المباشر والسـاطع فـى جنـوب الـوادى ، ممـا جعـل الفيلـم سـيمفونية مـن الأضـواء والألـوان والظلال .

وعلى الرغم من الإيقاع الهادئ الذى تميز به الفيلم ، فإن بعض المشاهد كان يتقاطع بسرعة مع السـياق العـام ، ممـا منـح الإيقـاع حيويـة متدفقة ، وكذلك أتـاح الفرصة للمتفرج كى يتجه بعينه مباشرة إلى محـور الحركـة البطيئـة التـى ارتبطـت بالألوان الباردة والمعتمة خاصة فيما يتصل بملابس الممثلين والتى كانت تتحول فى مشاهد كثيرة إلى كتل قاتمة راسخة ، خاصة فى لحظات سـكونها . ولابـد أن يذكـر تاريخ السينما المصرية لعبد العزيز فهمى أنـه لـم يحطـم أسـاليب التصوير النمطـى فحسب ، بل تجاوز قوانين التصوير الضوئية والفيزيائية والكيماوية حتـى أخضعهـا للرؤية الدرامية للمخرج ، وذلـك لكـى تصـل اللغـة السـينمائية إلـى أقصـى طاقاتهـا البلاغية فى التعبير .

ولم يستأثر فيلم مصرى باعتراف السينما العالمية مثلما فعل " المومياء " . فمثلاً يقول الناقد البريطانى ديفيد روبنسون عنه عندما عرض لأول مرة فى لندن فى مارس ١٩٧٢ :

" كان فيلم " المومياء " أو " ليلة حساب السنين " من إنتاج الهيئة العامة المصرية للسينما ، أول فيلم مصرى فى التاريخ يجتذب اهتماماً عالمياً واحتفاءً من كبار النقاد . إنه حدث فريد من نوعه للغاية فى سينما طالماً كرست نفسها لإنتاج أفلام ذات صيغ نمطية للاستهلاك المحلى ، لدرجة أن الفيلم لم يعرض فى موطنه برغم مضى عامين على إنجازه . وبالفعل فإن عرضه فى لندن هو أول عرض له، خارج عروض المهرجانات السينمائية العالمية " .

وقالت صحفية " التايمز " اللندنية فى ٢٧ مارس ١٩٧٠ فى تغطيتها لعرض الفيلم فى المهرجان :

" يتميز الفيلم بسلاسة فائقة ، وبإيقاع يسحر المشاهد حتى يجعله يرحب بهذا الإيقاع المتمهل بصفة خاصة . أما التصوير والتكوين فبديعان ، وبرغم تقشفها فإنهما غنيان فى استخدامها لمناظر الأطلال القديمة والتلال والنيل والملاحة فيه ، إذ تتمتع كل لقطة بتكوين ديناميكى يربط حركتها باللقطة التالية " .

أما صحيفة " مورننج ستار " فقد كتبت فى ٣٠ مارس ١٩٧٠ ، تقول : " إذا كانت الأفلام المصرية ذات طابع تجارى ونمطى فج ، فإنه فى الأعوام الماضية تحققت بعض الإنجازات الفنية المثيرة للاهتمام . من أبرزها فيلم " المومياء " الذى حصل على جائزة جورج سادول فى عام ١٩٧٠ . ففى أسلوب شاعرى قوى يحكى المخرج وكاتب السيناريو شادى عبد السلام محنة ابن زعيم قبيلة معتد بنفسه ، بعد أن علم أن رخاء القبيلة أعتمد على مدى أجيال على نهب المقابر الملكية القديمة " .

وفى ٣٠ مارس ١٩٧٢ كتب الناقد دريك مالكولم فى مجلة "آرتـى جارديـان" يقول :

" إن ما يجعل الفيلم رائعاً هو أولاً وقبـل كـل شـىء خصائصـه البصريـة، حيث تتتابع اللقطات ذات التكوين البديع ، واحدة إثر أخرى، فى تكامل تام فيما بينها ، وتحت السيطرة الكاملة للمخرج . وهناك تناول صوفى للسـرد يحرص على أن يعطى معنى أعمق كثيراً من السطح المرئى . إنـه يشـبه متابعة طقس ، تأمل أن يفضى بك فى النهاية إلى سر مهم " .

وفى ٣٠ مارس ١٩٧٢ أيضاً كتبت صحفيـة " ديلـى تليجـراف " البريطانيـة تقول :

" ما من مخرج يملك عيناً سينمائية يمكن أن يطمح إلى تحقيق أعظـم ممـا حققه شادى عبد السلام الـذى اسـتغل مهارتـه كمهنـدس منـاظر فـى تقديم معـابد الفراعنـة المهدمـة وسـط تـلال الرمـل فـى الصحـراء ، والجـدران المحفورة عليها نقوش هيروغليفية ، والمتاحف الهائلة مـن الممـرات التـى تنتصب فيها مبان من الحجر المنحوت مازال الناس يعيشون فيها ، والنيل وهو يشق طريقه وسط الرمال ، وجبل الموتى العظيم يرتفـع مـن خلفـه ، ورجـال القبيلـة ونسـاؤها وأرديتهـم السـوداء ، بحيـث يكتمـل لديك مشـهد غريب وجميل فى الوقت نفسه ، تصفر فـى جنباتـه الريـح لتضيـف أيضـاً مؤثراً موسيقياً غريباً .

أما الناقد المسرحى والسينمائى الكبير جـون راسـل تيلـور فيقـول فـى مجلـة "سايت آند ساوند" عـدد ينـاير ١٩٧١ : " إن أول مـا يخـرج بـه المتفـرج هـو تـأثره بروعة المرئيات إلى حد خيالى فى هـذا الفيلـم . وأغلبهـا لقطـات فرديـة لا تنسـى ، مثل لقطة جنازة والد البطل حيث تنثر البتلات الأرجوانية على الأرض حتى تتحول الشاشة جمعيها إلى اللون الأرجوانى ، أو لقطة اقتراب الشاب من جـدران المعبـد ،

وهى مصورة من أعلى مباشرة بحيث يصبح هو الجزء الوحيد المتحرك وسط هذا التشكيل الرائع من الحجارة الذهبية . إلا أن هذا فيلم لمهندس مناظر ، وإذا كان الأمر قد اقتصر على هذا الجانب لأصبح الفيلم مجرد تمرين خاو ، لكن ما يلفت النظر أكثر من هذا ، هو كيفية استخدام هذه المؤثرات . فهناك شد كهربى بين كل لقطة واللقطة التى تليها ، بحيث مهما طالت مدة أية لقطة ، فإننا لا نفقد أبداً الإحساس بالتتابع المستمر . ويبدو أن هناك تحت هذا السطح الرائع ، أشياء أخرى أكثر مما يقال بأسلوب مباشر " .

فى عام ١٩٧٦ أخرج سعيد مرزوق فيلم " المذنبون " وهو عن قصة لنجيب محفوظ تنطوى على الجو البوليسى الذى اشتهرت به الروائية البريطانية أجاثا كريستى ، لكن الاسقاطات السياسية والاجتماعية كانت الهدف وليس مجرد الإثارة البوليسية ، إذ يقوم أحمد بإبلاغ الشرطة عن جريمة قتل خطيبته الممثلة المعروفة سناء فى حفل عيد ميلادها . ويبدأ رئيس المباحث التحقيق مع الموجودين ، فتتكشف انحرافات عديدة يقوم بها عدد من المدعوين الذين يشتركون جميعاً فى علاقاتهم بسناء التى تستفيد فى المقابل من كل فى تخصصه وينهار أحمد بعد أن يضيق عليه ضابط المباحث الخناق ، ويعترف بأنه القاتل بعد أن ضبطها مع أحد عشاقها . ويتم القبض عليهم جميعاً ، كل لجريمته .

فى عام ١٩٨١ أخرج على بدرخان فيلم " أهل القمة " عن قصة لنجيب محفوظ ، وفيه يعمل النشال زعتر لدى زغلول صاحب إحدى شركات الاستيراد والتصدير ، والذى يستغل إمكانات اللص زعتر ، ويكلفه بمهام مشبوهة تتعلق بتهريب بضائع من الجمرك . ويتعرف زعتر على سهام شقيقة ضابط المباحث محمد ، ويربط الحب بينهما ، مما يثير غضبه . ويستقل زعتر عن زغلول ويبدأ منافسته . ويتقدم زغلول للزواج من سهام ويرحب محمد . يكشف له زعتر عن حقيقته لكنه لا يصدقه وتهرب سهام مع زعتر ليتزوجا . ويتأكد محمد من حقيقة

زغلول ، لكن مكالمة تليفونية له من مسئول كبير يـأمره بحفظ التحقيـق ، بـل ويتـم نقل محمد إلى أسيوط لأن طوفان الفساد أقوى من أن يعترضه أى محارب من أجل القيم والأخلاق .

فى عام ١٩٨٢ أخرج يوسف شاهين فيلم " حدوتة مصرية " الذى يصاب فيه المخرج السينمائى يحيى شكرى مراد بأزمـة قلبيـة فـى أثنـاء إخـراج أحـد أفلامـه . ويضطر للسفر إلى الخارج ليعرض نفسه على الطبيب الأخصـائى مجـدى يعقـوب المقيم فى لندن . وتتم له جراحة قلب ناجحة ، وفى أثناء العملية تتراءى لـه بعـض أحداث ماضية تمثل أهمية خاصة فى حياته كفنان وإنسان ومواطن مصرى . وتأخذ التجربة شكل محاكمة تتم فيهـا مواجهـة بيـن المخـرج النـاجح وبيـن الطفـل الكـامن داخله . وينتهى الفيلم بالصلح بينهما . وبرغم أن الفيلم ينهض على تجربـة شـخصية ليوسف شاهين نفسه ، فإن الدلالات الإنسانية التى تثيرها أشمل بكثـير مـن حدودهـا الشخصية .

وفى عام ١٩٨٢ أيضاً أخرج محمد خان فيلـم " الثـأر " الـذى يسـتوحى فيـه قصة انتقام الكونت دى مونت كريسـتو التـى تكـررت كثيراً فـى أفـلام مثـل " أمـير الانتقام " ، و" أمير الدهاء " و " دائـرة الانتقـام " ، و " دعونـى أنتقـم " ، و " المـرأة الحديديـة " ، إلا أن محمـد خـان يمنـح القصـة دلالـة جديـدة تمامـاً وزاخـرة بـالتهكم والسخرية المريرة التى أخرجته من حيز الأفلام النمطية ، والتى تمثلـت فـى نهايتـه التى منحته معنى جديداً . ففى الفيلم يقوم أربعة أشـخاص باختطـاف نـدا وهـى فـى الطريق مع زوجها أحمد الذى يلتقط رقماً واحداً مـن أرقـام السـيارة ويبلـغ الشـرطة وتعود ندا وهـى منهـارة بعد أن تتعـرض للاعتـداء الوحشـى منهـم وتفقـد جنينهـا . ويصمم أحمد على الانتقام منهم بنفسه . وبعد بحـث محمـوم يعثـر علـى سـيارة بهـا نفس المواصفات ، ويقوم بقتل ثلاثة أشخاص ويتم القبض عليه قبل ارتكابه الجريمة الرابعة ، ثم يفاجأ بأن رجال الشرطة قد قبضوا على الجناة الحقيقيين . وهى النهاية

التى تنقل الاهتمام من دائرة الانتقام النمطى والإشباع التقليدى المترتب عليه إلى خطورة الحكم على البشر بمجرد الشبهات .

فى عام ١٩٨٣ أخرج عاطف الطيب فيلم " سواق الأتوبيس " الذى اشترك فى كتابة قصته محمد خان وبشير الديك ، والتى تدور حول حسن أحد أبطال حرب أكتوبر ، والذى يصاب أبوه بالاكتئاب نتيجة تراكم الضرائب على ورشة الخشب التى يمتلكها مما يهدده ببيعها . وعلى طريقة " الملك لير " لشكسبير ، فإن ابنتيه تتخليان عن مساعدته برغم ثراء زوجيهما . وتبيع ميرفت مصاغها لتشترى سيارة أجرة يعمل عليها زوجها حسن فى أوقات فراغه لتحسين أحوالهما المادية . ثم تصل الابنة وفاء وزوجها رزق من الكويت ، ويدفعان جزءاً من المبلغ . ويبيع حسن السيارة برغم تهديد زوجته بطلب الطلاق . ويستكمل المبلغ من زملائه بالجيش ، وعندما يسرع بالمبلغ لأبيه يفاجأ بوفاته . والفيلم مشبع بجو متميز من خلال الإيحاءات والدلالات البصرية والصوتية ، شأنه فى ذلك شأن معظم الأفلام غير النمطية التى تستوعب فكر المتفرج ومشاعره ، وتتحول هى نفسها إلى تجربة سيكلوجية ممتعة وراسخة فى وجدانه .

فى عام ١٩٨٤ أخرج نادر جلال فيلم " جبروت امرأة " المأخوذ عن رواية نبيل راغب المعروفة بنفس الاسم . وهو ينهض على منطق صارم وقاس مفاده أن الإنسان إذا لم يجد ما يبيعه إلى الآخرين كى يواصل حياته ، فإنه يبيع نفسه وروحه وجسده . فالقيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية دون قاعدة اقتصادية واجتماعية تنهض عليها ، هى مجرد شعارات براقة وشفافة كسحابات الصيف . ففى الفيلم يتزوج سيد اليتيم الفقير من نرجس التى تتطلع للثراء ، ولذلك تقنع زوجها بأن يعملا مع المنجلاوى تاجر المخدرات ، فتطلب من مساعده سنارة أن يعرفها بالشخصيات الهامة التى يتعامل معها المنجلاوى . بل وتتفق معه أيضاً على أن تهبه نفسها مقابل أن يقتل المنجلاوى التى استشعرت خطره عليها وعلى زوجها . ويذهب

الأربعة إلى رحلة صيد فى بحيرة قارون بالفيوم ، وتسمع نرجس طلقات نارية ، لكنها تنهار عندما تكتشف أن سنارة كان قد أفشى سر اتفاقهما للمنجلاوى الذى دفعه إلى قتل سيد .

وشهد عام ١٩٨٥ سبعة أفلام غير نمطية دفعة واحدة : " خيوط العنكبوت " لعبد اللطيف زكى ، و " الكيف " لعلى عبد الخالق ، و " هنا القاهرة " و " الشقة من حق الزوجة " لعمر عبد العزيز ، و " خرج ولم يعد " لمحمد خان ، و " الموظفون فى الأرض " لأحمد يحيى ، و " الحكم آخر الجلسة " لمحمد عبد العزيز .

فى فيلم " خيوط العنكبوت " المأخوذ عن رواية نبيل راغب المنشورة باسم "البطانة" ، تتبلور مقولة " إن الطريق إلى الجحيم ممهد بالنوايا الطيبة " فالنية الطيبة وحدها لا تتحول إلى واقع فعلى إذا لم تتسلح بالعلم والخبرة والوعى والإرادة والقوة واليقظة . ففى غياب هذه الطاقات والإمكانات يحيط أفراد البطانة بأية شخصية قيادية فى أى موقع ويحيلونها إلى مخلب فى أيديهم ، تماماً مثل خيوط العنكبوت التى تلتف حول الضحية فلا تستطيع منها فكاكاً . وغالباً ما يكون أفراد البطانة هم رجال كل عصر لأن قواعد اللعبة واحدة ، والنفس الأمارة بالسوء واحدة، حتى لو كانت تظن أن نواياها طيبة وشريفة ، وفى المقابل فإن الشرفاء والصرحاء والأنقياء مكروهون ومنبوذون بل ومعاقبون لأنهم يطلبون من الشخصية القيادية أن تسلك الطريق الوعرة والصعبة حيث لا امتيازات شخصية ، ولا عمولات ولا إكراميات ... الخ . ففى هذا الفيلم يعين المهندس خالد رئيساً لمجلس إدارة الشركة التى يعمل بها ، فيسعد كل العاملين بهذه الخطوة ، خاصة أنه ملتزم بالمبادئ والمثل . ويتوقع الجميع أن يخلص الشركة من آثار الفساد التى تركها الرئيس السابق . لكن البطانة القديمة تصمم على الحفاظ على نفوذها ، فيتآمر فايق مع أحلام التى تنجح فى الإيقاع بخالد فى شباكها لدرجة أنه يطلق زوجته . ثم يقوم بتحريض منها باختلاس جزء من المبلغ المدفوع لشراء أرض خاصة بمشروع

جديد للشركة ، وذلك لشراء شقة لها ليتزوجها . وتثبت النيابة الإدارية على خالد تهمة الاختلاس ، وعندما يكتشف علاقة أحلام بفايق ، يكون قد فات الأوان حين لا ينفع الندم .

فى فيلم " الكيف " يفشل الدكتور الكيماوى صلاح فى إبعاد أخيه جمال عن إدمان المخدرات . ويتمكن من تخليق تركيبة من مواد كيماوية بدلاً من الحشيش وتؤدى نفس وظيفته ولكن بدون مخدر . وتنال التركيبة إعجاب مروجى المخدرات. ويطلب المعلم البنط من جمال إمداده بطن مقابل مليون جنيه . لكن عندما تؤكد الأبحاث أن مادة التركيبة تؤدى إلى الإصابة بالسرطان ، ينهار صلاح، فى حين يضطر جمال إلى أن يبوح بشخصية صاحب التركيبة بعد أن ينال ألواناً من العذاب الرهيب . ثم يصطحب أعوان البنط صلاح ويحقنونه بالمورفين ، ويرغمه البنط تحت تأثيرها على كتابة المكونات ويشرف على انتهاء الكمية المطلوبة . ومن الواضح أن الثنائى غير النمطى الذى تكون من على عبد الخالق مخرجاً ، ومحمود أبو زيد مؤلفاً سينمائياً ، قد أبدع أفلاماً غير نمطية مثل "العار" ١٩٨٢ ، و " جرى الوحوش " ١٩٨٧ ، و " البيضة والحجر " ١٩٩٠ " ، وغيرها من الأفلام التى تمزج الإثارة بالخيال العلمى والتحليل النفسى والإسقاط الاجتماعى.

أما عمر عبد العزيز فقد أخرج فيلمين فى عام ١٩٨٥ وهما :" الشقة من حق الزوجة " و " هنا القاهرة " ، برغم أنه مخرج مقل . وكانت توقعات النقاد والسينمائيين تؤكد أنه سيخلف فطين عبد الوهاب فى مجال الأفلام الكوميدية التى تمزج النظرة الاجتماعية الثاقبة بالمواقف الضاحكة والساخرة دون افتعال ، لكن إنجازه انحسر ولم يحقق هذه التوقعات . ففى فيلم " الشقة من حق الزوجة " وهو من تأليف فراج إسماعيل ، يتم الطلاق بين سمير وكريمة . وتحكم له المحكمة بمشاركتها فى الشقة ، فهو لم يطلقها طلاقاً بائناً ، فى حين تقيم معها أمها نازلى التى تختلق المشاكل ليترك سمير الشقة ولكن بدون جدوى . وفى لحظة صفاء

تعترف كريمة لسمير بحبها ، فيطلب إعادتها لعصمته ولكنها تتردد . يترك سمير الشقة ويقيم فى فناء أحد المقابر . تضيق كريمة بأمها وتندم لانقيادها لها . وتستدل على مكان سمير ، وتعرب له عن أسفها ، وتطلب منه أن يعود إليها ، وتعده بالابتعاد عن تأثير أمها .

وفى فيلم "هنا القاهرة" يعمل سنوسى مهندساً فى إحدى الشركات بالأقصر ، ويتوصل إلى إنجاز بحث علمى يمكنه من تحسين رغيف الخبز ، وتوفير مبالغ كبيرة سنوياً على الدولة . ويقرأ فى الصحف أن الوزير المختص سوف يوقع على عقد مماثل لاكتشافه مع أحد الوفود الأجنبية ، فيقرر السفر إلى القاهرة ليلحق بالوزير قبل توقيع العقد . ويصل سنوسى مع زوجته ، وتقابله المشكلات والمعوقات التى تحول دون الوصول فى الموعد المناسب . والفيلم – على النقيض من معظم الأفلام المصرية – يعتمد فى معظم مشاهده على التصوير الخارجى الذى يستعرض بانوراما زاخرة بمتاعب المدينة الحديثة وتعقيداتها التى تستغرق الإنسان تماماً وتبعده عن تحقيق آماله وأهدافه .

أما فيلم " خرج ولم يعد " فهو من الأفلام التى تحرص على خلق جو زاخر بالإيحاءات المرئية والتشكيلية ، والأصوات والأصداء بل ولحظات السكون التى تجعل الفيلم تجربة سيكولوجية ممتعة للمتفرج وهو الجو الذى حرص عليه محمد خان فى معظم أفلامه ، وإن كانت خلفياته تختلف من فيلم لآخر طبقاً لطبيعة مضمونه . ففى الفيلميسافر عطية إلى بلدته ليبيع أرضه حتى يتمكن من الزواج من خطيبته ولا يخبرها بسفره . ويعجب كمال أحد أعيان البلدة به ويحاول إقناعه بالبقاء لأنه يحتاج لصحبته . وبالفعل يعتنى عطية بمزارع كمال . وبمرور الأيام يشعر عطية بالراحة بعيداً عن ضجيج القاهرة ومشاكلها ، بل ويعجب بخيرية ابنة كمال التى تبادله نفس مشاعره ، لكنها تكتشف دبلة خطبته ، فيؤكد لها أنه موضوع انتهى بالفعل ، ويقرر البقاء فى البلدة ويباشر الأرض ويتزوج من خيرية . والفيلم

عبارة عن سيمفونية سينمائية ريفية إذا استعرنا اسم السيمفونية السادسة لبيتهوفن . إنه حنين جميل للريف ، ودعوة للارتباط بالأرض ، برغم المتغيرات السلبية التى طرأت على الريف المصرى مع هجرة أبنائه إلى المدن ، أو تشبهه بالمدينة المستهلكة بعد أن كان طاقة إنتاجية مثمرة .

ونفس التحولات الاجتماعية والاقتصادية تفرض نفسها على فيلم " الموظفون فى الأرض " من خلال شخصية كامل عبد الشكور المدير العام بإحدى شركات وزارة الصناعة والمعروف بنزاهته ، لكن فايد مدير عام العقود بالشركة يحاول إقناعه بالحصول على عمولة . فيرفض برغم ظروفه المادية الصعبة ، فى حين تتم خطبة ابنته سماح وصلاح الميسور الحال ، كما تتم خطبة أختها فاطمة لأستاذها فى الجامعة شوقى . وتزداد ضغوط كامل المادية ، ولا يجد سبيلاً للخروج من أزمته الطاحنة سوى احتراف التسول . ويكتشف أنه عملية مربحة تمكنه من تجهيز فاطمة فى حين يدعى أنه يعمل فى شركة استثمارية . لكن أمره ينكشف بعد حين، ويتم القبض عليه ، ويتخلى شوقى عن فاطمة .

فى فيلم "الحكم آخر الجلسة " تعترف المحامية بثينة لأوصاف زوجة شقيقها سعيد بأن مرض الجنون متفش فى عائلة أبيها همام . وتفاتح أوصاف زوجها فى رغبتها للتخلص من الجنين ، فهى طبيبة فى علم الوراثة ، لكنه يرفض فتجرى العملية بناء على نصيحة أستاذها . ويثور عليها زوجها ويقدم همام بلاغاً ضدها بسبب جريمة الإجهاض . وتقرر بثينة الدفاع عنها ، وتقدم المستندات التى تثبت تفشى المرض فى عائلة أبيها . وتشترط أوصاف على سعيد عدم الإنجاب لتستمر حياتهما ، فيساندها فى محنتها وينتظران النطق بالحكم .

وشهد عام ١٩٨٦ ثلاثة أفلام تعرى بقسوة سلبيات المجتمع المعاصر ، وبأسلوب زاخر بالنظرة الثاقبة غير النمطية ، وهى : " الحب فوق هضبة الهرم " لعاطف الطيب ، و " عودة مواطن " لمحمد خان ، و " كركون فى الشارع " لأحمد

يحيى . ففى الفيلم الأول تتم خطبة رجاء على زميلها فى الشركة على الذى يفشل فى الحصول على عقد فى إحدى الدول العربية ويشعر بالإحباط مع رجاء . فلا أمل فى تغيير ظروفه وتحسنها مع استحالة حل المشكلة السكانية . ويتزوجان ويخفيان الأمر عن أسرتهما . وعندما يفشل فى العثور على المكان المناسب للالتقاء ، يذهبان إلى هضبة الهرم حيث تقبض عليهما شرطة الآداب ، وتفاجأ الأسرتان بما حدث . ويتم ترحيلهما لمحاكمتها على ارتكاب فعل فاضح فى الطريق العام . ويتفق المحبان على المطالبة بإقامتهما فى زنزانة واحدة لممارسة حقهما فى الحياة الزوجية .

أما فى فيلم " عودة مواطن " يعود شاكر بعد عمله لسنوات فى الدوحة ليستقر مع أخوته . وبمرور الأيام يشعر بالمتغيرات التى حدثت طوال سنوات الغربة والتى أدت إلى تفكك أسرته . وتقرر أخته فوزية استغلال مهارتها فى صنع الحلويات لتفتح محلاً ، فيقدم لها شاكر المبلغ المطلوب وتصبح سيدة أعمال . ويدخل أخوه إبراهيم المستشفى للعلاج من الإدمان ، فى حين يتم القبض على الأخ الأصغر مهدى لانضمامه إلى تنظيم سياسى . وبعد تردد يقرر شاكر العودة إلى الدوحة بعد تجديد الشركة لعقدها معه . وينتهى من إجراءاته فى المطار ، لكن الطائرة تقلع وهو يجلس فى مقعد بالاستراحة ساهماً ومجسداً لمدى الحيرة التى تجتاحه . ذلك أن الفيلم غير النمطى لا يحسم الأمور بإصدار حكم مطلق ونهائى ، بل يمنح الفرصة للمتفرج كى يشارك بالرأى ، فيتحول من متلق سلبى إلى مفكر إيجابى .

أما فى فيلم " كركون فى الشارع " فتبرز أزمة المساكن مرة أخرى بوجهها الكئيب الذى لا يخفف من كآبته سوى المعالجة الكوميدية الساخرة لها . فالمهندس شريف يذهب بأسرته ليعيشوا فى مساكن الإيواء بعد أن يتصدع منزلهم ، ولكنهم يضيقون بالحياة فيها ، فينتقلون ليعيشوا فى فناء مقبرة العائلة . ويصمم شريف

عربة سكنية بعد أن يبيع أثاث المنزل وينتقل بأسرته ليعيشوا فيها . تلد سعاد مولودها كركون ، ويتم القبض على شريف بتهمة إشغال طريق . وينصحه المحامى بتزويد العربة بحمار على ألا يكون له مكان ثابت . ويتحمس المسئولون لحل أزمة المساكن ، وتصدر أوامر السلطات العليا بتمكين الشباب من امتلاك منطقة صحراوية لإقامة عرباتهم السكنية فيها بعد أن أثبت المهندس شريف كم كانت فكرته عملية وسهلة التطبيق !! فأصبحت خميرة لمشروع كبير !

وشهد عام ١٩٨٧ ثلاثة أفلام :" البيه البواب " لحسن إبراهيم ، و " أربعة فى مهمة رسمية " لعلى عبد الخالق ، و " القرداتى " لنيازى مصطفى . ففى الفيلم الأول يرحل عبد السميع عن بلدته ويعمل بواباً بالقاهرة . وبمرور الوقت يصبح سمساراً لتأجير الشقق المفروشة ، ثم يتسع نشاطه ويشترك مع فرحات ساكن إحدى الشقق فى عمليات نصب واحتيال بحيث يكون ثروة كبيرة . ويتزوج من إلهام فى حين يتركه فرحات ويستقيم . وعندما تسرق إلهام خزانة عبد السميع وتهرب ، ينجح مع زملائه البوابين فى إعادتها ويتم القبض عليها . وفى النهاية يقرر عبد السميع الاستقامة والعودة إلى بلدته لزوجته وأولاده . وهكذا استطاع الروائى والسيناريست الكبير يوسف جوهر أن يجعل من البواب بطلاً شعبياً جذاباً لفيلمه ، ومن خلاله استطاع أن ينقد ويعرى كل المتغيرات السلبية التى قلبت الهرم الاجتماعى رأسا على عقب .

فى فيلم " أربعة فى مهمة رسمية " يتم تكليف أنور عبد المولى الموظف فى بيت المال بالأقصر ، بمهمة السفر بتركة قرداتى توفى ، لتسليمها إلى بيت المال بالقاهرة . والتركة عبارة عن قردة وماعز وحمار . وتقابله المشاكل والعراقيل فى مهمته . وتتأزم مشكلة أنور عندما تعترض القردة موكباً رسمياً لأحد الرؤساء الأجانب . ويتم القبض عليه ، بل ويشك رجال الأمن فى اتجاهاته السياسية ، ويوضع تحت المراقبة . وعندما يعمل أنور فى السيرك مع عهدته ، يتأكد رجال

الأمن من براءته ، وأنه لا يشكل أية خطورة على الأمن والنظام . والفيلم بانوراما متجددة من المشاهد الخارجية التى تغلب على المشاهد الداخلية ، بالإضافة إلى الدلالات الناقدة لسلبيات المجتمع .

أما فيلم " القرداتى " الذى وضع له ناجى فوزى القصة والسيناريو والحوار ، فيلقى أضواء فاحصة على الوسائل المريبة والغامضة التى تتكون بها الثروات الهائلة فى زمن قياسى . فاللص فتوح يقوم بتدريب القرد سمسم ليساعده فى سرقاته ، فى حين تتورط جارته سنية معه فى علاقتها ويماطلها فى الزواج . ثم يهرب من الحى بعد أن يكون ثروة كبيرة. ويقلع عن السرقة ويعمل بالاستيراد ويتوسع فى نشاطه ، فى حين يقوم القرد بمفرده بالسرقة . ويفاجأ صاحب أحد المنازل بالقرد وهو يسرقه ، فيبلغ الشرطة ، ويبدأ رجالها مراقبة عزبة القرود . وينتاب فتوح القلق لأن شقيق سنية يعلم بسره ، ويفاجأ برجال الشرطة فيلجأ إلى سنية ليختفى عندها فتطعنه بسكين . وعندما يلحقون به ، يبرئ سنية مدعياً أنه سقط على جسم صلب ويقبضون عليه ، لكن شعوراً بالتطهر النفسى المريح يسرى داخل المتفرج الذى استمتع بالدور المثير والشيق الذى قام به القرد الذى كان بلا شك أحد أبطال الفيلم ، وذلك من خلال آخر أفلام المخرج الرائد نيازى مصطفى .

وشهد عام ١٩٨٨ خمسة أفلام :" غرام الأفاعى " لحسام الدين مصطفى ، و " زمن حاتم زهران " لمحمد النجار ، و " زوجة رجل مهم " لمحمد خان ، و " يوم مر ويوم حلو " لخيرى بشارة ، و " سرقات صيفية " ليسرى نصر الله . وهى أفلام تجمع بين الكلاسيكية أو الواقعية الرصينة وبين الابتكارات الطليعية سواء على مستوى المنظور الفكرى أو الشكل الفنى .

فى فيلم " غرام الأفاعى " المأخوذ عن رواية نبيل راغب المنشورة بنفس الاسم ، تبدو ضغوط المجتمع كالقدر الذى يحيل حديقة الحب المزدهر إلى وكر للأفاعى السامة . ففى الفيلم يرفض رجل الأعمال الثرى عبد الرحمن زواج ابنته مهجة من زميلها الصيدلى الفقير وجدى . فتضطر للزواج من المليونير يسرى وتفتح صيدلية وتأتى بوجدى ليعمل بها . وعندما يكتشف يسرى خيانتها له مع وجدى ، يرفض أن يطلقها إمعاناً فى إذلالها حتى يقضى على كيانها وهى لا تزال على قيد الحياة . عندئذ يستغل وجدى براعته فى الصيدلة ويقوم بتحضير سم قاتل مفعوله بطىء ولا يظهر أثره فى التحليل . ويتفق مع مهجة على قتل زوجها خاصة بعد أن هددها بقتلها فى النهاية . وبعد تردد تضع له السم فى الشاى ويموت ، ثم تتزوج من وجدى برغم ثورة أبويها . وإذا كان الفساد لا يلد سوى الفساد ، وإذا شق طريقه دون رادع أو عائق ، فإنه لا يتوقف إلا بالقضاء على صانعيه ، ذلك أن الفساد يقضى على نفسه بنفسه فى النهاية إذا لم يجد من يقضى عليه ، حتى تستقيم موازين العدالة ، إذ يبدأ وجدى فى ابتزاز نقود مهجة ، ويتمرد عليها ، فتنتقم منه فتضع له نفس السم فى نفس الوقت الذى يضعه لها فى طعامها ، ويموتان .

فى فيلم " زمن حاتم زهران " يذكرنا البطل حاتم زهران بشخصية المواطن كين فى فيلم أورسون ويلز الشهير بهذا الاسم . لكن توغل الفيلم فى كهوف المجتمع المعاصر جعله يبدو مصرياً صميماً . فحاتم زهران شاب انتهازى ، يهرب من أداء الخدمة العسكرية ، ويسافر إلى أمريكا . وهو على النقيض من أخيه يحيى الشاب الشهم الوطنى الذى يستشهد فى حرب ١٩٧٣ . ويعود حاتم ومعه ثروة كبيرة ، ويبنى مصنعاً لأدوات التجميل ، وتدير مروة أعمال الصيدلية . ويتزوج من عشيقته هالة ليستغل نفوذ والدها . وتلد فاطمة أرملة يحيى ، فيحاول حاتم حرمانها من

الميراث ، لكن والده يتصدى له . ويطلق زوجته بعد أن يتعرف على مسئول أكبر يستفيد منه . ويستبدل مروة بأخرى لكنها تستفيد من تجربتها العملية معه . فقد دخل الجميع فى الدائرة الجهنمية للمصالح المتبادلة والقيم المهدرة .

فى فيلم " زوجة رجل مهم " تتزوج منى من العميد هشام بمباحث أمن الدولة ، والذى يلفق الاتهامات لمئات من الأبرياء فى أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ بحجة الحفاظ على أمن الدولة وهيبتها . ويوافق على أن تستكمل منى دراستها بالجامعة ليستغلها فى معرفة ما يدور داخل الجامعة وإبلاغه بمعلومات عن زملائها دون أن تعرف نواياه . وعندما ينكشف أمرها ويقاطعها زملاؤها ، تثور عليه لكنها تظل رهينته . ويفرج عن المعتقلين لبراءتهم ، ويحال هشام إلى المعاش ، فتبقى منى هى الوحيدة التى يمارس عليها سلطته ويحيل حياتها إلى جحيم . وعندما يقرر أبوها أخذها إلى منزله ، لا يحتمل هشام آخر هزيمة له فيقتل الأب ثم ينتحر .

فى فيلم " يوم مر ويوم حلو " تعول الأرملة الفقيرة عائشة أولادها الستة . وعندما يماطل عرابى فى إتمام زواجه من ابنتها سناء ، ترضخ لكل مطالبه ويعيشان فى إحدى حجرات المنزل . ويضيق الجميع بعرابى الذى يعتدى على لمياء شقيقة سناء . أما سعاد فتهرب من المنزل بعد أن يصر عرابى تزويجها من أحد أصدقائه . وتتزوج من جارهم الأبكم حربى دون علمهم ، كما يهرب أيضاً الصغير نور . ويملأ الهم قلب وحياة عائشة ، ولا يبدده سوى عودة حربى الذى يخبرها بزواجه من سهاد التى تنجب مولودها ، وعودة نور إلى المنزل ، ورحيل عرابى بلا عودة . والفيلم يمتاز بلغة سينمائية راقية ، جعلت السيناريو والحوار اللذين كتبهما فايز غالى ينبضان بالحياة والحيوية .

أما المخرج التجريبى يسرى نصر الله فيمثل ظاهرة فريدة من نوعها فى تاريخ السينما المصرية . فهو لم يخرج سوى فيلمين : " سرقات صيفية " ١٩٨٨ ،

و " مرسيدس " ١٩٩٣ ٠ وهو يمتلك لغة سينمائية راقيــة ورقيقـة ومرهفـة للغايـة ، ومتمكـن مـن أدواتـه التعبيريـة والجماليـة ، لكنـه لا يعبأ علــى الإطــلاق بــالرواج الجماهيرى ، وكأنه يبدع لإشباع إحساسه الذاتى بالجمال والفكر ، فإذا تجاوب معـه المتفرج فأهلاً وسهلاً ، وإذا عجز عن هذا التجاوب ، فالمخرج ليـس علـى استعداد للوصول إليه بأية وسيلة . ومخـرج بهـذا التوجـه نحـو الصفـوة لا يغـرى أى منتـج بالتعاون معه إلا إذا كان منتجاً من طراز يوسف شــاهين الفريـد تمامـاً فـى نوعـه ، والسائر على نهجه فى الإبداع السينمائى ، وإن كان يوسـف شـاهين نفسـه حريصـاً أيضاً على الرواج التجارى .

وبرغـم حـرص يسـرى نصـر اللـه علـى الارتبـاط الحميم بقضايـا المجتمــع المعاصر ، إلا أن عدم تركيزه على الحدوتة التقليدية والنمطية التى أدمنها الجمهـور العادى ، جعل جمهوره قاصراً على الصفوة التى تستطيع اسـتيعاب جماليـات اللغـة السينمائية وتذوقها . فى فيلم " سرقات صيفية " يقدم المخرج سيرة ذاتية تبدأ أحداثها فى يوليو ١٩٦١ حين أعلن جمـال عبـد النـاصر القـرارات الاشـتراكية التـى أثـرت على أسرة الطفل ياسـر الإقطاعيـة ، وموقفهـا الرافض تمامـاً لهـذه القـرارات التـى أفقدتهم الكثير من ثروتهم . وتربط الصداقة بين ياسر والطفـل ليـل الفـلاح الفقيـر . وتمر السنوات ويسافر إلـى القـاهرة ليتـم تعليمـه ، ثـم يعمـل كمصـور صحفـى فـى بيروت . وعندما يعود ياسر إلـى الضيعـة ، يجد بيـت العائلـة قـد تهـدم ، ثـم يلتقـى بصديقه ليل الذى يستعد للسفر من أجل العمل فى العراق حيث تمتد الأحـداث حتـى سبتمبر ١٩٨٢ .

أما فى فيلم " مرسيدس " فتتزوج وردة من ثـرى عجـوز بترشـيح مـن الأم ، حتى تتخلص من مأزق علاقتها العابرة بأحد الدبلوماسيين ، وهى العلاقة التى تثمـر توبى الذى ينجح فى تحقيق ذاته ، سواء بعلاقتـه بعفيفـة أو اسـتعادة شـقيقه جمـال ، وهو أخ غير شقيق ، وثمرة علاقة أمــه بعمـه بعـد وفـاة أبيـه . وتمـر حيـاة الأسـرة

بأحداث هزيمة ١٩٦٧ ووفاة عبد الناصر حتى تصل إلى عودة جثث المصريين من العراق مغلقة على سرها ، وانتشار الإدمان ، وغياب المستقبل ، وأحداث الفتنة الطائفية والإرهاب وضحاياه . ومن الواضح انه لولا إنتاج يوسف شاهين لهذين الفيلمين ، لظلا فى ضمير الغيب . وهذا دليل على أن السينما المصرية ليست قادرة على تحطيم القوالب النمطية فحسب ، بل تستطيع الانطلاق إلى آفاق التجارب الطليعية لو أتيحت لها الفرصة . فقد أتاح يوسف شاهين أيضاً فرصة هذا الإخراج التجريبى لأسماء البكرى فى فيلم " شحاتين ونبلاء " ١٩٩١ ، ولخالد الحجر فى فيلم " أحلام صغيرة " ١٩٩٣ على سبيل ترسيخ أو إبراز هذا التيار التجديدى فى عروق السينما المصرية .

وشهد عام ١٩٩٠ فيلمين :" البيضة والحجر " للثنائى المتميز على عبد الخالق ومحمود أبو زيد ، و " سوبر ماركت " لثنائى متميز آخر هو : محمد خان وعاصم توفيق . فى الفيلم الأول يؤجر مدرس الفلسفة مستطاع حجرة فى أحد المنازل . ويعتقد سكان المنزل أنه على صلة بعالم الجن مثل ساكنها القديم ، وهو الاعتقاد الذى أكدته لباقته فى التوفيق بين زوجين تتكرر خلافاتهما . عندئذ يسعى أهل الحى للتبرك به ، ويستغل مستطاع ذلك فيتعلم أمور الشعوذة كى يستفيد بهذه الدراسة فى علاجهم وحل مشاكلهم . وتتسع دائرة تعامله ويثرى ثراءً كبيراً . وعندما يضيق بتصرفاته ، يسلم نفسه لرجال الشرطة ويطالب بمحاكمته . لكنهم يفرجون عنه وإن كانوا قد وضعوه تحت المراقبة .

فى فيلم " سوبر ماركت " تعيش أميرة مع أبيها ، وتقوم برعاية طفلتها ناهد بعد طلاقها من خالد الذى يتزوج من أخرى ، ويثرى ثراء كبيراً من عمله بالكويت. أما جارها وصديق طفولتها رمزى فيعزف على البيانو فى أحد الفنادق الكبرى ، حيث يتعرف على المليونير الدكتور عزمى الذى تؤدى صداقته له إلى تقديم تنازلات كبيرة . وعندما يعود خالد من السفر ، يبدأ فى استمالة ناهد التى

تنبهر بثرائه . ويتعرف عزمى على أميرة ، ويطمع فيها . يموت أبوها وتضطر تحت إغراء المادة ومشروع السوبر ماركت الذى يعرضه عليها عزمى لأن تستسلم له . وعندما يكتشف رمزى علاقتهما ينتابه الاكتئاب والإحباط وهو يرى كل القيم والمبادئ والمثل التى عاش على نورها ، تنطفئ تباعاً .

وشهد عام ١٩٩١ فيلمين : " الكيت كات " لداود عبد السيد ، و "شحاتين ونبلاء" لأسماء البكرى . فى الفيلم الأول يبرز أمامنا الشيخ حسنى الرجل الكفيف الذى يحرص على أحلامه وخيالاته ، ويهوى التلحين والطرب ، ويتحدى عاهته ، ويعتز بقوته وإرادته على ذلك . ويبيع منزله الذى ورثه عن أبيه للمعلم هرم تاجر المخدرات مقابل نصيبه اليومى من الحشيش ، كما يحلم ابنه الوحيد يوسف بالسفر إلى الخارج . وفى أحد الأيام يموت أحد سكان الحى بعد انتهاء تلاوة القرآن ، وينسون مكبر الصوت مفتوحاً ، ومن غير قصد يتحدث الشيخ حسنى عن فضائح بعض أهل الحى : المعلم الذى يخون صديقه مع زوجته ، والصائغ الذى هربت منه زوجته ، وعلاقته هو نفسه الماضية بأم روايح ، وعلاقة يوسف بجارته فاطمة ... الخ .

فى فيلم " شحاتين ونبلاء " المأخوذ عن قصة لألبير قصيرى ، تدور الأحداث فى فترة الأربعينيات من خلال مجموعة من الأصدقاء : جوهر الشاب المثقف والمحبط للغاية ، ويعيش حياة الصعاليك فى الحوارى المصرية ، والكردى الذى يجمع أيضاً بين الثقافة والصعلكة لكنه أكثر واقعية ، ويكن المؤمن بعبقرية جوهر الذى يرتكب بعد ذلك جريمة قتل إحدى العاهرات . وتتوالى التحقيقات ويعترف جوهر للضابط أنه هو القاتل ، لكنه لا يجد الدليل الكافى للقبض عليه . وفى النهاية يترك الضابط عمله ليعيش مع الثلاثة فى جو من الضياع والصعلكة وهو فيلم يحطم القالب النمطى للفيلم المصرى لكنه لا يبتكر بديلاً عنه .

فى عام ١٩٩٢ أخرج شريف عرفة فيلم " الإرهاب والكباب " الذى يتوجه فيه أحمد إلى مجمع التحرير من أجل اتخاذ الإجراءات لنقل ابنه إلى مدرسة . وهناك يصطدم بالعقبات الإدارية ، ويجد نفسه متورطاً فجأة فى حمل سلاح ، وإشهاره فى وسط المواطنين . وتتولد المواقف ويتخذ بعض الرهائن ، وينضم إليه بعض الموجودين . وسرعان ما تأتى قوات الشرطة لتحاصر المكان . وتتم المفاوضات فى حضور وزير الداخلية الذى يتابع الموقف ، ويفاجأ بأن مطالبهم شخصية بحتة . وعندما ينصرف أحمد مع رفاقه ، يدخل رجال الشرطة المبنى فيجدونه فارغاً من أى إرهابى .

وشهد عام ١٩٩٣ خمسة أفلام :" أرض الأحلام " لداود عبد السيد ، و " ليه يا بنفسج " لرضوان الكاشف ، و " الباشا " لطارق العريان ، و " أحلام صغيرة " لخالد الحجر ، و " مجانينو " لعصام الشماع .

فى فيلم " أرض الأحلام " تستعد نرجس للسفر ، كآخر فرصة لها إلى أمريكا . لكنها تفقد جواز سفرها قبل السفر بساعات ، وكان عليها أن تعثر عليه فى الأماكن التى ذهبت إليها ، أو على الأشخاص الذين قابلتهم . فتلتقى بساحر يجوب ملاهى المدينة ، وتتعرض لمجموعة من المتاعب فى ليل القاهرة . وعندما تعثر على جواز السفر قبل الرحيل بساعة تكون قد غيرت رأيها وقررت البقاء فى بلدها فى لحظة تنوير جعلتها تدرك أكذوبة الجنة المزيفة التى يتصور عشاق الهجرة أنها فى انتظارهم بمجرد وصولهم إلى أمريكا .

وفى فيلم " ليه يا بنفسج " يعمل أحمد خادماً فى أحد القصور ، ويتم طرده بعدما يتجاوز حدوده ويبدى إعجابه بإحدى فتيات السادة . ومع ذلك يظل متعلقاً بحبها ، ويفشل فى إقامة علاقة مع فتاة أخرى ويرث عن عمته عربة طعام متجولة. ويشاركه صديقاه سيد وعباس نفس الحجرة وحياة الفقر والحرمان . ويمارسون هواية العزف والغناء ويعملون فى إحياء الأفراح . وعندما يعجب سيد

بجارتهم سعاد ، يكتشف أنها متعلقة بأحمد ، ولذلك فهى تهرب من الحى عندما يرهقها حبها المستحيل له . وتتزوج نادية من عباس لتكون بالقرب من أحمد الذى تحبه . وعندما تفشل فى استمالته ، تنجح فى الإيقاع بينه هو وسيد وبين زوجها وتنهار صداقتهم ، إلا أنها ترحل إلى عشيقها السابق ، وينكشف خداعها لهم فيعود الصفاء بينهم .

وفى فيلم " الباشا " يتم نقل ضابط المباحث حسام من إدارة مكافحة المخدرات إلى الآداب . ويكتشف حسام شبكة للدعارة يديرها جو من خلال نادى للديسكو ، والذى يحكم عليه بالبراءة برغم كل الأشرطة المسجلة التى تدينه ، بل ويستطيع أيضاً بنفوذه أن ينقل حسام فيقدم استقالته . ويحاول حسام أن يخترق هذا المكان المحصن بعلاقات صاحبه مع أصحاب النفوذ لكنه يفشل . ويكتشف أن المطربة سارة لا تعرف ما يدور حولها فى المكان ، وينجح حسام فى إنقاذها من الانحراف . ويعيد إليهنجاحه فى مهمته هذه توازنه وثقته بنفسه ، فلا يزال الإنسان قادراً على صنع الخير .

وفى فيلم " أحلام صغيرة " نرى الأحداث المصيرية ونقاط التحول التى مرت بها مصر فى الخمسينيات والستينيات من خلال عين وقلب الصبى غريب . ففى السويس عام ١٩٥٤ وقبل حرب ١٩٥٦ بعامين ، يستشهد والد غريب أثناء اشتراكه فى أعمال المقاومة . ويلتحق غريب بالمطبعة التى يمتلكها صلاح الذى يسىء معاملته فى محاولة منه للضغط على أمه هدى لقبول الزواج منه . ويساند هدى صديق الأب محمود الذى يرى فى غريب امتداداً لأبيه الشهيد . وفى النهاية يلقى غريب مصرعه تحت إحدى سيارات الجماهير التى توجهت لمطالبة عبد الناصر بالعدول عن استقالته . وهى نهاية غير نمطية على الإطلاق لأنها تثير فى داخل المتفرج الكثير من الحيرة والتساؤلات التى يصعب حسمها ، وإن كانت

تدفع المتفرج إلى التفكير والتأمل بحيث يصبح دوره أكثر إيجابية واعمق تفاعلاً مع الفيلم .

وفى فيلم " مجانينو " يرفض دكتور آدم الظواهر التى يراها من حوله لدرجة أن تصرفاته تبدو للعقلاء اقرب إلى المجانين . فهناك حلمى النويشى الذى حول الجميع إلى مجانين عن طريق حبوب الهلوسة التى يضعها فى الشاى لزبائنه ، ودكتورة مرام المديرة المتسلطة التى تود أن تكون إمبراطورة لهذا العالم ، وبهجت الاشتراكى الذى تطارده فكرة المخابرات الأمريكية ، وجلال الحارس الوفى الذى يتحول إلى خادم السيدة ، ورجل الأمن الذى ينظر إلى ما يحدث داخل المستشفى من وجهة نظر أمنية ضيقة . ويتحول التمرد إلى ثورة حقيقية لا يستطيع بعدها الخضوع لمطالبها بعد فشل محاولاته فى اختراق التمرد ، وتحدث المواجهة الحاسمة .

وشهد عام ١٩٩٤ فيلم " المهاجر " ليوسف شاهين ، والذى أثار عاصفة من الهجوم والنقد الذى افترض أنه يؤرخ لسيرة النبى يوسف ، والتى تسجل أن يوسف كان أول من هاجر إلى مصر من بنى إسرائيل . وكانت حجة المهاجمين أن البطل الإسرائيلى رام قد عبر عن العبقرية اليهودية التى لم يسأم الإسرائيليون من المناداة بها وترسيخها عبر العصور . والبطل شخصية متكاملة تجمع كل الفضائل والمهارات ، أما المصريون فهم مشغولون عن الحياة بالموت ، وعن الدنيا بالآخرة، وحاكمهم الفرعون غير متزن عقلياً ، وقائد جيشهم عاجز جنسياً ، وكبيرة كهنتهم – التى ترمز فى رأيهم لمصر – فاجرة تراود الرجال عن أنفسهم . ولا ينقذهم من المجاعة سوى الإسرائيلى . لكن يوسف شاهين ليس بهذا التسطيح أو البساطة ، فليس فى الفيلم ما يشير إلى أن رام قادم من فلسطين ، أو أنه من بنى إسرائيل ، وقومه كما نراهم على الشاشة أجلاف بدائيون ، تحركهم المشاعر المضادة لكل القيم الإنسانية ، وفى مقدمتها قتل الأخ لأخيه . كما أن البطل يبدو

محباً لمصر ، ومقدراً لمكانتها ، وهو ما يؤكده سياق الفيلم بصفة عامة . ومع ذلك يظل الرأى النهائى عند المتفرج الذى يحب يوسف شاهين دائماً أن يشركه بتكوين رأى خاص به حتى لا يلتزم دور المتلقى السلبى .

وشهد عام ١٩٩٦ فيلم " رومانتيكا " لزكى فطين عبد الوهاب الذى يقدم بانوراما شيقة لمجتمع قلب المدينة من خلال شريحتين : الأولى : شريحة المثقفين ، ويمثلهم بطل الفيلم المخرج حسن ومساعده وصديقه خالد ، والثانية : شريحة شباب وسط المدينة المتصلين بالأجانب السياح أو المقيمين والذين يطلق عليهم " الخرتية " والفيلم يبدأ باتصال حسن بهؤلاء ، مقترحاً مساعدتهم له فى تصوير فيلم عن حياتهم، ومن خلال رحلته معهم يتعرف على فتاة تدعى صباح ويرتبط بها فى علاقة حب من طرف واحد . فهو يحبها ويقبل عليها وهى تصده حيناً وتستغله حيناً آخر . كما أن علاقة حسن بمجموعة الخرتية ككل لا تخرج هى الأخرى عن هذا الخط . فهو يقبل عليهم وينشغل بقضاياهم ، وهم يستغلونه فى أغلب الأحيان ويسخرون منه فيما بينهم . والفيلم لا يعبر عن عالم مكتمل فى ذهن المخرج قبل أن يشرع فى تصويره وإخراجه ، وإنما يعبر عن عالم مبعثر ومتناثر ومفتت ، ولا يكتمل مبناه ومعناه إلا من خلال مراحل إخراجه بالفعل : بدءا من كتابة السيناريو إلى تطور الأحداث التى تتم صياغتها من خلال تفاعل المخرج بالمواقف والشخصيات . ولعل الاتجاه الطليعى الذى يتبدى فى هذا الفيلم يكمن فى أنه يفضح صناعة السينما وآليات إنتاجها فى وقت نحن فيه فى اشد الحاجة لهذا النقد الذاتى الذى أثبتت السينما المصرية أنها قادرة عليه بلا حرج أو حساسيات .

وشهد عام ١٩٩٧ فيلم " المصير " ليوسف شاهين ، والذى يبدأ بمشهد يدور فى القرن الثانى عشر ، فى أوربا العصور الوسطى عندما قررت الكنيسة تحريم مؤلفات ابن رشد وحرقها ، مع مترجمها إلى الفرنسية جيرار بريل الذى هرب ابنه يوسف إلى الأندلس للقاء ابن رشدى الذى ظل يناديه طوال الفيلم بلقب " عمى "

ويتزامن وصول يوسف إلى قرطبة مع عودة الخليفة " المنصور " منتصراً على الجيوش القشتالية ، حين شرعت الجماعات المتطرفة فى دعم وتأييد الخليفة عبر فقهائها المسيطرين على العامة . وهو ما سيفرض على الخليفة فيما بعد التضحية بابن رشد نفسه فى مقابل هذا الدعم . والفيلم يؤكد أن صعود الجماعات المتطرفة يبدأ عادة مع اختيار السلطة للفقهاء لحشد العامة ، وإشعال جذوة الزهو لدى هذه السلطة بأفعالها . ومع تضخم ذات الخليفة وانشغاله بها ، فإنه ينسى أو يتجاهل ابنيه الناصر وعبد الله ، فيلوذ الأول بابن رشد ، فى حين ينصرف الثانى إلى خان مانويلا الراقصة ، حيث يبدأ برهان سعيه لتجنيد عبد الله بأمر من أمير الجماعة المتطرفة . وهو ما تحاول ما نويلا ومعها مروان المغنى أن يحولا دون وقوعه ، لكنهما يفشلان ، وينجح المتطرفون فى تجنيد ابن الخليفة ،بادئين بغسيل مخه وتضخيم ذاته ، وهو ما لم يجده عند أى إنسان آخر ، ثم يمسخون روحه وينتزعون إرادته ليتحول إلى مجرد لعبة أو أداة فى أيديهم. ولم تترك الجماعات المتطرفة وسيلة إلا واتبعتها لتحقيق أهدافها الغريبة أو البعيدة. فهى توظف غناء ورقص الدرويش أملاً فى قطع أية صلة بين أتباعها والحياة المعاشة ، وصولاً إلى الذات العليا. وفى الوقت نفسه تسعى للتخلص من مروان عبر ضربه أولاً بسكين فى رقبته ، ثم القضاء عليه نهائياً برمح يخترق جسده ، كما تعمل على بلبلة العامة تجاه ابن رشد عبر زرع عناصر مدسوسة فى حلقته الدراسية. ومع تزايد سطوة المتفقهين والمتكلمين ، تكون الجماعات المتطرفة قد تمكنت من فرض نفسها كسلطة داخل السلطة ، استعداداً للإمساك بزمام الأمور بعد ذلك كسلطة وحيدة. ولم يكن فيلم "المصير" بمضمونه التاريخى سوى شهادة يوسف شاهين على عصره الذى لم يفقد صلته الحميمة به أبداً .

وأخيراً شهد عام ١٩٩٩ فيلم " الآخر " ليوسف شاهين أيضاً ، والذى ينطلق فيه إلى الآفاق الرحبة للنفس البشرية ، متخطياً حدود الدين والعرق واللون ، إلى

الحب كقيمة إنسانية مهددة فى الصميم لأول مرة فى التاريخ. فالحب هو الجسر الذى يسير عليه الإنسان وهو فى قمة اطمئنانه ونشوته نحو الآخر الذى يمر بنفس التجربة الممتعة عندما يتحرك نحو الإنسان وهكذا. إنه القيمة التى تزداد كلما تم توزيعها على الآخرين ، لكن الضغوط الآلية المعاصرة تحاصرها وتهددها بالانقراض . ولذلك يتناول يوسف شاهين قضايا العولمة والتكنولوجيا والإرهاب ويجسد تربصها بالحب فى هذا الزمن الصعب ، ويربط الوقائع والأحداث ببعضها البعض ، ويسلط الضوء على إشارات تنبه إلى مخاطر حب السلطة والتملك. وهذه الدوافع تتجسد فى شخصية مارجريت الطاغية التى تعتبر هى نفسها ضحية حب التملك والسيطرة. وهى لا تعترف بالآخر لأن أنانيتها تدفعها إلى التسبب فى موت عاشقين لا ذنب لهما سوى أنهما أعلنا الحب فى وجه الأنانية والنرجسية . وكانت شخصية بهية هى القطب المعادل لمارجريت. فالحياة لا تزال فيها أمثال بهية حتى تستطيع المواصلة والاستمرار برغم وجود أمثال مارجريت. إن بهية هى تجسيد للحب والعطاء والشفافية ، وبدونها تتحول الحياة إلى جحيم مقيم. ولا جدوى من أى تقدم تكنولوجى إذا خسر الإنسان روحه . فماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ فالكمبيوتر مثلاً اختراع مذهل وفوائده لا يمكن حصرها ، لكنه سلاح خطير يمكن تحويله من وسيلة تواصل مع الآخر إلى وسيلة للتجسس عليه وطعنه فى ظهره وإهدار كيانه . ومن هنا كانت رسالة يوسف شاهين فى أفلامه الأخيرة تتمثل فى الاختيار بين الحب أو الدمار ، ولا بديل ثالث لهما ، بين أن نكون أو لا نكون !

من هذا الرصد التحليلى للأفلام غير النمطية التى أنتجتها السينما المصرية عبر تاريخها الذى يناهز ثلاثة أرباع القرن ، نجد أن عدد هذه الأفلام يربو على مائة وأربعين فيلماً ، أى بمعدل فيلمين كل عام على وجه التقريب . وهذه نسبة لا يستهان بها بحكم أن السينما – فى العالم أجمع – صناعة وتجارة تستخدمان الفن

كوسيلة لجذب الجماهير . وإذا ما قمنا بإحصائية مشابهة للأفلام غير النمطية أو التجريبية أو الطليعية التى تنتجها البلاد ذات التاريخ العريق فى الإبداع السينمائى سنجد أنها لا تزيد كثيراً عن نسبة الأفلام المصرية غير النمطية ، لأن السينما فى النهاية تخاطب جماهير عريضة بكل مستوياتها الثقافية وطبقاتها الاجتماعية .

والملاحظة الجديرة بالتسجيل أن معظم الأفلام غير النمطية كانت مأخوذة عن قصص وروايات لأدباء كبار ومرموقين ، أو من تأليف كتاب سينمائيين متمكنين من أصول الدراما السينمائية سواء فى مجال التراجيديا أو الكوميديا. فقد كانت أفلاماً متألقة بالفكر السينمائى المصرى الصميم والذى يمنح السينما المصرية شخصيتها الأصيلة المتميزة ، والذى يجمع بين القيمة الفنية والرواج التجارى دون أى تناقض مفتعل بينهما ، أى يثبت أن مقولة " الجمهور عاوز كده " هى حجة السينمائيين العاجزين عن تقديم أفلام تحترم عقل الجمهور وتمتعه فى الوقت نفسه. فالجمهور لا يمكن أن يرفض فيلماً ينير عقله ، ويشحذ ذهنه ويمنح لمشاعره وأعصابه التناغم الذى يفتقده فى الحياة ، بعيداً عن التكرار الممل والأنماط المستهلكة .

وقد أثبتت هذه الدراسة أن هذه العناصر النمطية التى فرضت نفسها على أفلام كثيرة ، كانت نتيجة مباشرة لاقتحام بعض السينمائيين مجال التأليف دون أن يكونوا مؤهلين له . فقد كتبوا للسينما لمجرد تواجدهم فى هذا الوسط ، فمنهم من كان مخرجاً أو منتجاً أو مصوراً .. الخ . وهذا لا يعنى أنهم محرومون من ممارسة التأليف السينمائى ، بل يعنى أنه يتحتم عليهم أن يملكوا الفكر السينمائى الذى يمكن أن يقدموه للجمهور ، وأن يكونوا متمكنين من أصول كتابة القصة وحرفيات السيناريو وأسرار الحوار الدرامى . لكن نظراً لأنهم لم يملكوا هذه الأسلحة الفكرية والفنية فلم يجدوا مفراً من اللجوء لمحاكاة الأفلام السابقة ، خاصة تلك التى حققت نجاحاً ملحوظاً . ومن المعروف أن النمطية هى النتيجة المباشرة

للمحاكاة واللعب على المضمون . فقد تصور هؤلاء السينمائيون أن الالتزام بالأنماط التى اعتادها الجمهور ، هو بمثابة الضمان الأكيد لتجنب الخسائر غير المتوقعة التى يمكن أن تنتج عن مغامرات فكرية وفنية قد تكون بمثابة قفزات فى الظلام غير مأمونة الجانب . ولم يدركوا أن هذا الالتزام بالأنماط كفيل بإدخال السينما المصرية فى طرق مسدودة ودوائر مفرغة ومتاهات جانبية عندما تفقد القدرة على التجدد والابتكار واستكشاف الآفاق البعيدة .

ويجب أن نسجل للدولة أو القطاع العام دوره الرائد فى دفع عجلة إنتاج الأفلام غير النمطية والطليعية مثل فيلم " المومياء " لشادى عبد السلام . ذلك أن القطاع الخاص يهدف فى معظم الأحوال إلى الربح ثم تأتى القيمة الفنية فى المرتبة التالية ، وبحكم أن رأس المال جبان ، فإنه لا يقدر على إنتاج الأفلام غير النمطية سوى منتجين من قامة وإمكانات يوسف شاهين على سبيل المثال. لكن شاهين استثناء من هذه القاعدة بكل المقاييس . ولذلك فنحن لا نزال نصر على عودة القطاع العام إلى مجال الإنتاج السينمائى ، خاصة فى مجال إنتاج الأفلام القومية التى يمكن أن ترصع الطريق التى يتحتم على السينما المصرية فى القرن الحادى والعشرين أن تشقها بثقة ووعى . يكفى أننا عاجزون حتى الآن عن إنتاج فيلم كبير يليق بحرب أكتوبر المجيدة برغم مرور أكثر من ربع قرن عليها .

ولم تقتصر النمطية على محاكاة الأفلام المصرية السابقة سواء فى المواقف أو الشخصيات أو الحبكة أو مواقع التصوير ، بل تمثلت الطامة الكبرى فى محاكاتها للأفلام الأمريكية التى تصور مجتمعاً يختلف عنا مظهراً وجوهراً فى كل التفاصيل الدقيقة والعامة على حد السواء . ولذلك كانت هذه النوعية من الأفلام بمثابة تسلية عابرة وفجة بالنسبة للجمهور الذى لم يستشعر مصداقيتها الفكرية أو الاجتماعية أو الفنية خاصة عندما يكون قد رأى الأفلام الأمريكية الأصلية التى تم اقتباسها ، وهى غالباً ما تكون متفوقة فى الحرفية الفنية المتقنة التى قد يصعب على الفيلم المصرى أن يصل لمستواها .

والمفارقة العجيبة التى يجب أن ترصد أيضا أن الأفلام التى ارتبطت بقضايا المجتمع المصرى المعاصر ، وجسدت نبض الجمهور تجاهها ، كانت - على عكس ما يتوقع الكثيرون - غير نمطية ، وذلك نظراً لعناصر التنوع والتعددية التى يتمتع بها المجتمع المصرى ، والتى يمكن أن تشكل منبعاً متدفقاً من التيمات والموضوعات والمضامين الجديدة دائماً . فهناك محاور من الاختلاف لا يمكن حصرها ، سواء فى الفوارق الطبقية أو المناطق الجغرافية والإثنية ، أو المواقع التاريخية والسياحية ، أو المفارقات الاجتماعية والفردية ... الخ . بل إن الأسرة المصرية كمنظومة اجتماعية يمكن أن تقدم لكتاب السينما ثروة فكرية وفنية متجددة ، وتجنبهم الوقوع فى هاوية التكرار واجترار الأنماط المستهلكة والمضامين التى حفظها الجمهور عن ظهر قلب .

ولا شك أن نمطية المضمون أدت إلى نمطية الشكل ، بحكم أنهما وجهان لعملة واحدة هى الفيلم ذاته . ونحن بهذه الدراسة لا نفرض تيمات معينة على كتاب السينما بحجة أنها تيمات غير نمطية ، ذلك أنه لا جديد تحت الشمس فيما يختص بالأفكار والمضامين ، فالعبرة بأسلوب المعالجة الفنية الذى يجعل كل الأفكار والمضامين القديمة والمستهلكة تبدو جديدة تماماً وكأننا نلمسها لأول مرة. فالفن بطبيعته هو إعادة صياغة للحياة بحيث يتجدد فهمنا واستيعابنا لها باستمرار ، وبذلك نستطيع مواكبتها بل وتوجيهها نحو أهدافنا الحضارية. وقد أثبت الفصل الأخير من هذه الدراسة قدرة السينما المصرية على القيام بهذه المهمة من خلال أفلامها غير النمطية التى يصل بعضها إلى الآفاق التجريبية والطليعية . ولذلك كان تحليلنا النقدى للأفلام النمطية عبر فصول هذه الدراسة ، من منطلق حبنا لهذا الفن الجماهيرى الذى ملأ حياة المصريين والعرب على حد سواء بالنور

والبهجة ، ومن منطلق اعتزازنا بالدور الرائد الذى نهضت به السينما المصرية منذ الربع الأول من القرن العشرين ، ليس على المستوى العربى فحسب بل على المستوى العالمى أيضا ، إذ أنها سبقت بلاداً كثيرة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . ولذلك فنحن نملك رصيداً سينمائياً تغبطنا عليه بلاد عديدة ، وما نقدنا لهذا الرصيد الضخم والتاريخ العريق سوى أحد مظاهر اعتزازنا بهما ، ولثقتنا فى قدرتها على الاستفادة من هذا النقد والتحليل ، والانطلاق بالسينما المصرية إلى الآفاق والمستويات الرفيعة الجديرة بها .

* * * * *

أ. د. نبيل راغب

سجل بالمؤهلات والمناصب والمؤلفات

المؤهلات :

١- ليسانس اللغة الإنجليزية وآدابها - جامعة القاهرة - ١٩٦٠.

٢- ماجستير في الأدب الإنجليزي في موضوع "مفهوم الحب في مسرح برنارد شو" ١٩٦٧.

٣- دبلوم في اللغويات الإنجليزية التطبيقية - جامعة لانكستر - إنجلترا - ١٩٧٢.

٤- دكتوراه في الأدب الإنجليزي في موضوع "مفهوم الطبيعة في أعمال جورج ميرديث" - ١٩٧٦.

المناصب :

١- مدرس الأدب الإنجليزي بكلية الألسن (١٩٦٠-١٩٧٥)

٢- مستشار وزير الثقافة (١٩٧٢-١٩٧٤)

٣- مستشار السيد رئيس الجمهورية (١٩٧٤-١٩٨١)

٤- مدير تحرير مجلة "الجديد" (١٩٧٤-١٩٨١)

٥- أستاذ مساعد النقد الفني بالمعهد العالي للنقد الفني بأكاديمية الفنون (١٩٧٥-١٩٨١)

٦- أمين لجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة (١٩٧٨-١٩٨٢)

٧- أستاذ النقد الفني بأكاديمية الفنون (١٩٨١-١٩٨٦)

٨- أستاذ زائر بجامعة اكستر بإنجلترا لتدريس الأدب المصري المعاصر (١٩٨٦-١٩٨٩)

٩- أستاذ وعميد المعهد العالي للنقد الفني بأكاديمية الفنون (١٩٨٩-١٩٩٤)

١٠- رئيس قسم النقد الأدبي بالمعهد العالي للنقد الفني (١٩٩٤- ١٩٩٨)

١١- عميد المعهد العالي للنقد الفني (١٩٩٨-   )

١٢- عضو اتحاد الكتاب ونقابة المهن السينمائية ونقابة المهن التمثيلية.
١٣- عضو فى مؤتمرات الأدباء العرب ومؤتمرات المستشرقين فى الخارج .
١٤ - عضو لجنة تحكيم جوائز الدولة للأدب فى الكويت - ١٩٩٨ .

المؤلفات :

الدراسات :

١- قضية الشكل الفنى عند نجيب محفوظ - دار الكاتب العربى - ١٩٦٧
٢- فن الرواية عند يوسف السباعى - مكتبة الخانجى - ١٩٧٢
٣- مدارس الأدب العالمى - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٧٤
٤- أنور السادات - رائداً للتأصيل الفكرى - دار المعارف - ١٩٧٥
٥- المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية - مكتبة مصر - ١٩٧٧
٦- معالم الأدب العالمى المعاصر - دار المعارف - ١٩٧٨
٧- أدباء القرن العشرين (جزءان) - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٧٩
٨- موسوعة أدباء أمريكا (جزءان) - دار المعارف - ١٩٧٩
٩- مستقبل الديموقراطية فى مصر - الهيئة العامة للاستعلامات - ١٩٨٠
١٠- التفسير العلمى للأدب - المركز الثقافى الجامعى - ١٩٨٠
١١- الاشتراكية والحب عند برنارد شو - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٠
١٢- دليل الناقد الأدبى - مكتبة غريب - ١٩٨١
١٣- دليل الناقد الفنى - مكتبة غريب - ١٩٨١
١٤- فن المسرح عند يوسف إدريس - مكتبة غريب - ١٩٨١
١٥- النقد الفنى - دار المعارف - ١٩٨١
١٦- الدراما الواقعية عند نعمان عاشور - الهيئة المصرية - ١٩٨٢
١٧- القواعد الذهبية لإتقان اللغة العربية - مكتبة غريب - ١٩٨٣
١٨- موجز قواعد اللغة الإنجليزية - مكتبة مصر - ١٩٨٤
١٩- لغة المسرح عند ألفريد فرج - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٥

٢٠- هدى شعراوى وعصر التنوير - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٧
٢١- فن الدراما عند رشاد رشدى - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٧
٢٢- موسوعة الفكر الأدبى (جزءان) - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٨
٢٣- أعلام التنوير المعاصر - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٨
٢٤- أعمدة الأسرة السبعة - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
٢٥- الخوف من المجهول - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
٢٦- شرف الكلمة - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
٢٧- سجن القلق - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
٢٨- بئر الإدمان - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
٢٩- العنف يجتاح العالم - مكتبة المحبة -١٩٨٨
٣٠- موسوعة الفكر القومى العربى (جزءان) - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٩
٣١- مسرح التحولات الاجتماعية - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٠
٣٢- الملحمة الإلهية - دار الثقافة - ١٩٩٠
٣٣- الشخصية المصرية بين الحزن والمرح - دار الثقافة - ١٩٩٢
٣٤- زواج العلم والأدب - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٢
٣٥- فن التأليف الروائى - مكتبة مصر - ١٩٩٢
٣٦- عصر الإسكندرية الذهبى - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٣
٣٧- نقاد الأدب : رشاد رشدى - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٣
٣٨- عزف علىأوتار مشدودة - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٣
٣٩- تجربة مبارك الديموقراطية - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٤
٤٠- العلم تجربة روحية - دار المعارف - ١٩٩٥
٤١- أصول الريادة الحضارية - مؤسسة الثقافة أبو ظبى - ١٩٩٥
٤٢- أصول التنوير الفكرى - دار انتصار بجدة - ١٩٩٥

٤٣- شباب اليوم -المشكلات والحلول- المجلس الأعلى للشباب والرياضة - ١٩٩٥

٤٤- فن العرض المسرحى - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - ١٩٩٥

٤٥- أساسيات النقد الفنى - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - ١٩٩٥

٤٦- فنون الأدب العالمى - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - ١٩٩٦

٤٧- موسوعة الإبداع الأدبى - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - ١٩٩٦

٤٨- المصطلحات الأدبية والفنية - دار النديم - ١٩٩٦

٤٩- أصول الكوميديا الراقية - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٦

٥٠- محمد تيمور: رائداً للتحديث الأدبى - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٦

٥١- أصول الصنعة الأدبية - المجلس الاعلى للشباب والرياضة - ١٩٩٦

٥٢- الشخصية الزئبقية - الدار المصرية اللبنانية - ١٩٩٧

٥٣- ناصر ٦٧ : شهادة إسرائيلية - مكتبة مدبولى - ١٩٩٧

٥٤- غسيل المخ - دار غريب - ١٩٩٨ .

٥٥- الحب الأفلاطونى - دار غريب - ١٩٩٨ .

٥٦- لغة التعبير بالجسد - دار غريب - ١٩٩٨ .

٥٧- أسرار المطبخ السياسى - دار غريب - ١٩٩٨

٥٨- العمل الصحفى - المقروء والمسموع والمرئى - لونجمان - ١٩٩٩

المترجمات:

١- الليلة الأخيرة فى القرن العشرين - دار كتابات معاصرة - ١٩٦٩

٢- ثورة الصيادين (رواية ألمانية) - دار كتابات معاصرة - ١٩٧٠

٣- معالم الثقافة الأمريكية (دراسة موسوعية) دار المعارف - ١٩٨٠

٤- أرض الضياع : ت. س. إليوت (ترجمة ودراسة) الهيئة المصرية - ١٩٨٧

الروايات :

١- الوصمة - مكتبة غريب - ١٩٧٨

٢- البطانة - مكتبة غريب - ١٩٧٩

٣- جبروت امرأة - مكتبة مصر - ١٩٨٠

٤- توابل الحب - مكتبة مصر - ١٩٨١

٥- سور الأزبكية - مكتبة مصر - ١٩٨١

٦- سوق الجوارى - مكتبة مصر - ١٩٨١

٧- عصر الحريم - مكتبة مصر - ١٩٨١

٨- الجيل الضائع - مكتبة مصر - ١٩٨٢

٩- غرام الأفاعى - مكتبة مصر - ١٩٨٣

١٠- شق الثعبان - مكتبة مصر - ١٩٨٣

١١- قلعة الكبش - مكتبة مصر - ١٩٨٤

١٢- درب الشوك - مكتبة مصر - ١٩٨٥

١٣- الكودية - مكتبة مصر - ١٩٨٦

١٤- بنات مصر الجديدة - مكتبة مدبولى - ١٩٨٧

١٥- بحر الظلمات - مكتبة مصر - ١٩٨٨

١٦- زمن الجنون - مكتبة غريب - ١٩٨٨

١٧- أبناء الرعد - مكتبة مصر - ١٩٩٠

١٨- البصرة حبيبتى - مكتبة مصر - ١٩٩٠

١٩- عاشقة الخريف - مكتبة مصر - ١٩٩١

٢٠- دماء غجرية - مكتبة مصر - ١٩٩٣

٢١- نزوة نوبية - مكتبة مصر - ١٩٩٣

٢٢- شجرة العواصف (مدجموعة قصص) - مكتبة مصر - ١٩٩٣

٢٣- سرقة توت عنخ آمون - دار ميدلايت للنشر - ١٩٩٣

٢٤- شمهورش الجبار - دار ميدلايت للنشر - ١٩٩٣

٢٥- موسم ذبح الإناث - دار ميدلايت للنشر - ١٩٩٣

٢٦- سفاح المعادى وقصص أخرى - دار الأمين - ١٩٩٥

٢٧- امرأة بلا قلب وقصص أخرى - دار الأمين - ١٩٩٥

٢٨- كرسى السلطان - لونجمان - ١٩٩٨ .

٢٩- بدر البدور - لونجمان - ١٩٩٨ .

المسرحيات :

١- هكذا تكلم على بابا - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٧

أنشطة أخرى :

١- مقالات فى الأدب والثقافة والحضارة فى مختلف الصحف المصرية والعربية .

٢- مشاركة فى البرامج الثقافية فى الراديو والتليفزيون .

٣- أفلام سينمائية ومسلسلات تليفزيونية مأخوذة عن الروايات والقصص .

المخرج والكاتب السينمائى الدكتور / مدكور ثابت

* أستاذ بقسم الإخراج بالمعهد العالى للسينما بالقاهرة ، وقد ظل رئيسا للمركز القومى للسينما فى مصر منذ يونيه ١٩٩٣ حتى أكتوبر ١٩٩٩ . ويشغل حاليا منصب رئيس الرقابة على المصنفات الفنية فى مصر .

* من مواليد قرية كوم أشقاو بطما / سوهاج فى ٣٠ / ٩ / ١٩٤٥ .، وتلقى مراحل تعليمه بشبرا فى القاهرة .

* تخرج ضمن الرعيل الأول من المعهد العالى للسينما بحصوله على بكالوريوس قسم الإخراج دفعة يونيو ١٩٦٥ ، وكان ترتيبه الأول بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف ، فعين معيدا بالمعهد فى يناير ١٩٦٦ ، ثم مدرسا فى مارس ١٩٧٢ ليكون من أوائل أعضاء هيئة التدريس بالمعهد .

* يتولى تدريس مواد : تاريخ السينما العالمية ، وبناء السيناريو ، وحرفية الإخراج السينمائى ، ويشرف على مجموعة سنوية من أفلام التخرج لقسمى الإخراج والسيناريو ، وأستاذ الورشة الإبداعية فى الإخراج السينمائى ، وحلقة أبحاث قمم المبدعين السينمائيين بالدراسات العليا ، كما يشرف على حلقة الأبحاث التمهيدية الخاصة برسائل الدكتوراه فى جميع تخصصات المعهد .

* كان عضوا بارزا فى حركة السينمائيين الشبان بمصر فى الستينيات .

* كتب وأخرج أول أفلامه " ثورة المكن " فى يونيو ١٩٦٧ ، وحصل على الجائزة الأولى فى إخراج الأفلام التسجيلية من مهرجان الإسكندرية ١٩٦٩ ، كما حاز شهادات التقدير فى العديد من المهرجانات العالمية .

* فى أغسطس ١٩٦٩ بدأ يمارس تبنيه لاتجاه السينما التجريبية ، فكتب وأخرج "حكاية الأصل والصورة فى إخراج قصة نجيب محفوظ المسماة صورة"

(٦٠ دقيقة) والذى عرض الجـزء الثـالث مـن فيلـم "صـور ممنوعـة" كـأول فيلـم روائى للمخرجين الثلاثة الجدد حينئذ : أشـرف فهمـى ، محمد عبد العزيـز ، مدكـور ثـابت ، فتم اختيـاره للاشـتراك فـى مهرجـان كـارلو فيفـارى السـينمائى الدولى ١٩٧٢ .

* عمل مراسلا حربيا سينمائيا على طول جبهة القتال فى فترة حرب الاستنزاف ، أثناء خدمته بالقوات المسلحة المصرية من يناير ١٩٦٨ وحتى أكتوبر ١٩٧٣ .

* فى ١٩٧٥ أخرج الفيلم الكوميدى "الولد الغبى" بطولة محمد عوض وناهد شريف وصلاح قابيل ، واعتبره درسا قاسـيا فـى التنـازلات الفنيـة ، فركـز علـى كتابـة وإخراج الأفـلام التسـجيلية ، ومـن أهـم أفلامـه : علـى أرض سـيناء (١٩٧٥) ، الشمندورة والتمساح (١٩٨٠) وفيلميه الكبيرين (٦٠ دقيقة) السـماكين فـى قطـر (١٩٨٥) ، ومذكرات بدر ٣ (٨٩ / ١٩٩٢) وسلسـلة أفـلام تطويـر الـرى فـى مصـر (تعليمية) ، وسحر الوثائق – فى تاريخ مصر من نهايـة القـرن ١٩ حتـى نهاية القرن ٢٠ (١٩٩٨ – ١٣٥ دقيقة) .

* فى ١٩٨٠ اختير لعضوية أول لجنة لسينما الطفل بوزارة الثقافة ، وأشرف علـى إخراج وإنتاج أول ثلاثة أفلام كرتون للأطفال هى : (الحـوت ، الأرقـام ، الفـم) وفـى ٩٠ / ١٩٩١ مقـررا للجنتيـن التأسيسـيتين لمنـاهج شـعبتى السـيناريو والإخـراج السـينمائى بـالمعهد العـالى لفنـون الطفـل ، وعضـوا بجميـع اللجـان التأسيسـية لبقيـة أقسـام المعهـد ، كمـا اختـير عضـوا للجنـة التحكيـم الدوليـة فـى مهرجان القاهرة الدولى لسينما الطفل (سبتمبر ١٩٩٢) .

* شـارك لسـنوات عديـدة فـى لجـان الأنشـطة السـينمائية المتخصصـة ، مثـل لجنـة السينما بالمجلس الأعلى للثقافة ، واللجنة العليا للمهرجانات ... الـخ ، كمـا يتـم اختياره لعضويـة لجـان تحكيـم جوائـز السـينما ، وجـائزة الدولـة التشـجيعية فـى

السينما . وقد ساهم فى التخطيط والإعداد والتنظيم لكثير من المؤتمرات والندوات والمهرجانات .

* رأس وفد مصر ومثل مصر فى العديد من المهرجانات والمؤتمرات السينمائية العالمية والمحلية .
* تم اختياره رئيسا للجنة التحكيم الدولية فى مهرجان فريبورج السينمائى الدولى بسويسرا فى مارس ١٩٩٦م . وشارك فى عضوية لجنة تحكيم مهرجان باليزو الدولى الثالث عشر للفيلم العلمى بفرنسا عام ١٩٩٧ وتم اختياره رئيسا للجنة التحكيم الدولية فى مهرجان أزمير السينمائى بتركيا عام ١٩٩٨ .
* دأبت المراكز العربية خارج مصر على الاستعانة بخبراته فى التدريس لتطوير مستويات المحترفين بالتليفزيونات العربية ، كما يستعان به كخبير قضائى للفصل فى المنازعات السينمائية التى تنظر أمام المحاكم المصرية .
* تولى العمل " مقرر لجنة تطبيق اللوائح الجامعية بأكاديمية الفنون " .
* عمل كخبير استشارى فى لجان قراءة السيناريو بأكثر من جهة للإنتاج والتوزيع السينمائى والتليفزيونى .
* كتب ونشر العديد من الأبحاث والدراسات المتخصصة فى علم الجمال السينمائى ، والسينما المعاصرة ، والفيلم التجريبى ، كما عمل مديرا لتحرير فصلية " الفن المعاصر " التى كانت تصدرها أكاديمية الفنون ورئيسا لتحرير " دراسات سينمائية " التى أصدرها المعهد العالى للسينما .
* صدرت من تأليفه عدة كتب : "النظرية والإبداع فى سيناريو وإخراج الفيلم السينمائى" (عام ١٩٩٣ م) و " الكسر النسبى فى الإيهام السينمائى " (عام ١٩٩٤ م) والفنان السينمائى (١٩٩٧) وكتاب " ثلج فوق صدور ساخنة " (١٩٩٧) وهو سيناريو سينمائى صدر ككتاب قبل أن ينتج سينمائيا .

* تولى تطوير وتكثيف أنشطة المركز القومى للسينما فى الإنتاج والثقافة السينمائية وأهمها تأسيس ونشر "ملفات السينما" التى أصدر منها ثلاثة عشر مجلداً تضمنت مقدمات بحثية بقلمه ، بالإضافة إلى تقديم إنتاج المخرجين والسينمائيين الجدد ضمن ما أشرف على إنتاجه من أفلام قاربت المائة فيلم (تسجيلى وقصير) مع تنظيم " أسابيع الأفلام التسجيلية والقصيرة " لأول مرة فى تاريخ السينما المصرية ، وتوسيع دائرة المشاركة المصرية فى الأنشطة السينمائية على المستوى الدولى .

* آخر تقدير له فى مجال الإبداع السينمائى كان حصوله على الجائزة الدولية الأولى فى إخراج الأفلام التسجيلية من مهرجان قرطاجنه الدولى لأفلام البحر (الدورة ٢٢ عام ١٩٩٣) وذلك عن فيلمه الكبير : " السماكين فى قطر " (٦٠ دقيقة) . وهى المرة الثانية لمصر فى الحصول على هذه الجائزة (كانت الأولى عام ١٩٧٨ للفيلم الكبير "ينابيع الشمس" من إخراج جون فينى) .

* * * * *

Dr. Nabil Raghe and his

Research in a Fifth Hypothesis

By: Prof. Dr. Madkour Thabet

This is the fifteenth research in our "Cinema Files" written by Prof. Dr. Nabil Ragheb . These files have aimed at filling the gaps in academic studies in order to re-write the history of the Egyptian cinema .

Dr. Nabil Ragheb has set a great example in finishing this work in all its stages within the frame of the strategy of files which have proved that stereotypes are the main characteristics of Egyptian Films .

The four hypotheses which have preceded this hypothesis are different angles or variations on one main theme : the various intellectual, technical, and dramatic treatment of the dominating stereotypes .

Our first hypothesis deals with Egyptian films (file 4 by Samir Seif) . It is considered a prelude to other hypothesis and studies of the different aspects of Egyptian films . Its dramatic effects : suspense, paradox and surprise are very common since the early beginnings of Egyptian cinema .

The second hypothesis treats the image of religions (File 7 Mahmoud Kassim) through the same vision of various stereotypes, especially that of the part played by fate in melodramatic terms .

The third hypothesis is concentrated on the axis of Heikal and Karim through the trend created by their film : "Zeinab" . It shows the romantic and impressionistic treatment of Egyptian themes , especially that of rural life . Even when films became more realistic, they never lost their lyrical attitude towards life .

The fourth hypothesis casts lights on the vaudeville cinema of comedy and singing, as a result of Egyptian theatre which had been popular among different social

classes. Its stereotyped treatment have never become exhaustible .

This new file presented by Prof. Dr. Nabil Ragheb on stereotypes in Egyptian cinema is a direct analysis or criticism or documentation of these types. It completely depends on successive evidences and examples in order to trace the early roots of these types and the causes lying behind their long continuation . He points out in his introduction :

"It is easy to trace most of the stereotypes in Egyptian films . They are evident either in contents or forms or characters or themes or locations .....etc. But this does not mean that Egyptian films have nothing to do with , except stereotypes."

It is clear that there are five elements which bother Dr.Nabil Ragheb as main trends or difficulties in his study. He is so conscious of them that he referes to them in his introduction. These stereotypical elements are intermingling to the extent that separating them, one from the other, seems sometimes to be an impossible task.

The second trend shows how it is so difficult to divide the history of the Egyptian cinema into clear-cut stages since its beginning in the twenties. It is possible to trace the elements or aspects started by Aziza Amir, Wedad Orfy, Ebrahim Lama and Togo Mezrahi, to the films produced in the last decade in the 20th century . This means that this stereotypical and melodramatic stage has been going on for three quarters of a century without any boredom. But the bells of alarm have lately rung to announce the fatal crisis of Egyptian cinema after the ebb of movie buildings, and the supremacy practised by the television, video and international nets .

The third trend emphasizes the crucial situation which the Egyptian cinema is facing now. It is impossible to start the 21st century with these intellectual and melodramatic stereotypes as effective tools. The world has become a small village in which the spectator can push a button and then enjoy watching marvellous films all over the world. Now the Egyptian cinema has to decide whether to be or not to be . There is no other choice. Luckily enough, it owns

the capacities, abilities. talents and experiences to accept this challange, if they are properly used.

The fourth trend is rather optimistic because the Egyptian cinema has shown its capacity to produce avant-garde and experimental films. For this season, the last chapter in this study stresses on the various incentives which prove that the Egyptian cinema has been a real pioneer, not only on the Arab level but also on the international level because it started in the twenties of the 20^{th} century . It can surpass all these stereotypes , especially when it takes its contents from its society, and looks for new horizons, away from naive mimicry of American cinema .

The fifth trend shows the cruelty of a critic who loves Egyptian cinema and believes in its capacity to stand his criticism and improve its tools and weapons. The image is not so dull as it seems at the first glance, or as its foes try to spoil its glories . It has many great landmarks and turning points since its early beginnings. It has produced about 140 avant-garde and experimental films in 75 years . This

critical study proves that it has enough corrective forces due to its genuine traditions and deep foundations .

So, any attempt to make use of this study to attack or destroy our cinema, or to belittle its avant-garde role, is ultimately a failure. The strong does not fear facing his points of weakness, in order to get rid of them and look for new achievements and innovations .

Thus, Dr. Nabil Ragheb is a cruel critic of the Egyptian cinema , but a great lover of it at the same time. This objective point of view embodies the dreams of our cinema lovers who look for a glorious future in a new century .

Last but not least, we expect this study to stir thrilling discussions and debates on this vital subject, in order to reach new evaluations which can eliminate the difficulties and solve the problems which may face our new expectations .

By: Prof. Dr. Madkour Thabet

January 2000

INTRODUCTION

It is easy to trace most of the stereotypes in Egyptian films. They are evident either in contents or forms or characters or themes or locations... etc. But this does not mean that Egyptian films have nothing to do with, except stereotypes. The Egyptian cinema has the potentialities to produce not only non-stereotyped films, but also experimental and avant-grade ones. In addition to this, it has proved that such stereotypes are not so in themselves if they are handled from a different or new point of view. By its nature, art is against repetition. It always seeks innovation through new styles of intellectual and dramatic approaches.

But stereotyped approaches have led to conventional and typical techniques in film structure. Such techniques are repeatedly represented in prolonged scenes and dialogues, direct preaching; co-incidences and illogical surprises in order to develop the dramatic context in an artificial way, happy endings which are not the effects of previous causes, imposed defeat of evil, however strong it may be; conventional conflict between desire and necessity; misunderstanding between the speaker and listener, double meanings, puns and verbal jokes; farcical situations which turn good actors into clowns using stereotyped means of exciting laughter; melodramatic situations which

exaggerate, either by movement or speech, in order to arouse the pity or sorrow of the spectators; belly-dancing and songs which stop the development of events for a while, imitations of American films, especially their stereotyped elements ...etc.

Stereotyped characters dominate the scene in Egyptian films. They are ready to be recalled either by the writer or by the director from previous films in order to play the same role, or to repeat the same mannerisms in movement and elocution. Among such characters are the types of the villain, insincere lover, spoilt girl, presecuted woman, lover's friend, step-mother, sexappeal girl, romantic lover, servant, strict or demoralized pasha, naïve farmer, mayor, policeman, officer, Maazoon, official, teacher, bully, gangster, bedouin, drunkard, addict, berber, prostitute, belly dancer, composer, Greek settler, judge, attorney general, detective, imposter, independent woman, frustrated woman, widow, teenager, blind, idiot, dumb, artist, Darwish, Sheikh, innocent defendant, busy husband, illegitimate son, pander, cruel father, businessman, millionaire, evil company, divorced woman, lunatic, unlucky, mother-in-law, profiteer, feudalist, hostage, orphan, opportunist, liar ... etc.

It has been natural for such stereotyped characters to live or move in stereotyped locations: the alley, palace, night-club, brothel, jail, prison, hotel, police-station, train, field, garden, beach or sea shore, monuments, the Nile, desert, village, city, poor or aristocratic

district, basement, roof, tombs, cottages, caves, orphanage, lunatic asylum, juvenile house, law-court, hospital, coffee-shop, club, governmental office, university, school ... etc.

Such locations are stereotyped because they nearly appear the same in most films, although different and new points of view either in writing or directing, may show them to the spectators as if they see them for the first time. In fact, stereotypes lead to more stereotypes while innovations lead to more innovations.

The same criterion can be applied to stereotyped themes and ideas such as rape and adultery, revenge, murder, violence, disease and disability, complexes, loss of memory, madness, conjugal infidelity, gangs, narcotics, addiction and drugs, dreams and visions, ghosts, conjury, tricks of the villain, prostitution, suicide, sacrifice, social distinction and social climbing, secret marriage ... etc.

In spite of all these stereotypes, this study has proved in its last chapter that the Egyptian film production is still capable of creating experimental or even avant-grade films, which seek new horizons either in form or content. They make full use of the potentialities of the language of image and movement, whether from the intellectual or aesthetic point of view. They embody the vital issues of the contemporary Egyptian society on a human and dramatic level in order to be comprehended and appreciated by man everywhere, apart from the limits of time and place. They do not imitate previous films,

however successful and popular they might be. Imitation is the first step within the limits of stereotypes. They make use of the cinema as a tool for thought as well as entertainment.

This study tends to ring the alarm bell against the dominance of stereotyped elements in Egyptian films. Egypt is a country of talents, capacities, abilities, experiences, experiments, ancient civilization and great heritage, which enable her to go on with her leadership in the Arab area. The Egyptian film makers are not supposed to waste their energies in repeating the same contents and forms while Egyptian society always provides them with fresh conceptions and newly discovered themes. It is a cosmopolitan society with great social, economical, cultural and intellectual varieties, which are to be artistically embodied in our films.

No one can ignore the great influence practised by films on the way we think and behave. They form an organic part of our thought, behaviour, culture and civilization. If our thought becomes stereotyped, this simply means that we become unable to have thoughts and ideas of our own. It is commercially known that these stereotypes are popular spices , but even when spices are mechanically or automatically repeated, they lose their taste. Thus, they lose the motive to attract new spectators, while the regular ones lose their appetite bit by bit, and the final result is a complete loss whether commercially or artistically or intellectually.

Such conventional spices are not only found in Egyptian films, but in films all over the world. Film makers know that the spectators live a monotonous and boring life, and such spices are some kind of a compensation for them. They practise the thrill of life on the screen. But the way of thrill has to be changed every now and then, it may be physical, psychological, intellectual, spiritual, sensual, ... etc. If it is nearly the same all the time, it does not become a thrill any more. For this reason, subtle film makers in advanced countries are fully conscious of the public need to change the mood. They produce new trends, stages, waves or movements. But in the Egyptian cinema the trends are nearly the same since its early beginnings, with the exception of about 140 experimental or avant-grade films.

This is a good sum, anyway, but because we have great confidence in Egyptian film-makers and their ability to look for new horizons, we ask for more innovations to cope with the needs and prospects of the twenty-first century. If Egyptian producers cannot afford high expenses or big budgets for their films, subtle artistic techniques can make up for such financial drawbacks. The Italian realistic cinema movement after the second world war is a good example for this. Art must have the priority over money.

All what Egyptian films need is new techniques, conceptions, visions, forms, dimensions, depths and meanings in order to find their our language. Fortunately enough, the cinema language has limitless

means of expression, by making use of hints, lights, colours, shadows, shades, voices, sounds, melodies, harmonies, images, symbols, metaphors, analogies, paradoxes, dimensions, depths, ... etc. The language of theatre or music or plastic art, is not that limitless. In fact, they are mere tools in the hands of films makers. It is unreasonable to neglect such artistic riches and dramatic affluence in order to stick to poor or hackneyed stereotyped forms and contents.

This study has proved that scientific analysis, intellectual interpretation, cultural foresight and social insight, are the main tools to find new themes and conceptions, while dramatic techniques, artistic innovations, new usages of picture and sound, can affonew forms and structures. Fortunately enough, Egyptian film makers own these tools, and what is only needed is to make full use of them.

1st July 1999 NABIL RAGHEB

Dr. Nabil Ragheb

(C. V.)

NAME : Nabil Ragheb
DATE OF BIRTH : 2nd January 1940, Tanta, Egypt
DEGREES :

1- B. A., English Literature 1960.
2- Diploma in Applied English Linguistic, Lancaster University, Britain, 1972.
3- M. A., English Literature, 1967
4- Ph. D., English Literature, 1976.

JOBS :

1- Lecturer of English Literature, Faculty of Languages (Alson), (1960-1975).
2- Assistant Professor of Art-Criticism (1995 -1981).
3- Adviser of Minister of Culture, (1972 -1974).
4- Adviser of the President (Sadat), (1974 -1981).
5- Professor of Art-Criticism, Academy of Arts, (1981-1986).
6- Dean of Higher Institute of Art-Criticism, Academy of Arts, (1986-1994).
7- Head of Art-Criticism Department, Academy of Arts, (1994 -).
8- Dean of Higher Institute of Art-Criticism (1998-).

WORKS : [Selected]
PUBLISHED STUDIES:

1 - Art-form in the Novels of Naguib Mahfouz, 1967.
2 - Art-form in the Novels of Yousef Es-Sibai, 1972.
3 - Schools of World Literature, 1975.
4 - Anwar Es-Sadat, An Intellectual Pioneer, 1975.
5 - From Classicism to the Abourd, 1977.
6 - Aspects of Contemporary World Literature, 1978.
7 - The 20th Century Writers, 2 Vols., 1979.
8 - Encyclopedia of American Writers, 2 Vols., 1979.
9 - The Future of the Democracy in Egypt, 1980.
10 - The Scientific Interpretation of Literature, 1980.
11 - Socialism and Love in Shaw's Plays, 1980.
12 - Art-form in the Plays of Youssef Idris, 1980.

13 - A Guide for Literary Critics, 1981.
14 - A Guide for Art-Critics, 1981.
15 - Art-criticism, 1981.
16 - Realism in the plays of Nooman Ashour, 1982.
17 - A Manual for Arabic Grammar, 1983.
18 - A Manual for English Grammar, 1984.
19 - The Dramatic Language in Alfred Farag's Plays.
20 - Hoda Sharawi and the Age of Enlightenment, 1986.
21 - The Dramatic Elements in Rashad Rushdy's Plays, 1987.
22 - Encyclopedia of Literary Thought, 2 Vols., 1988.
23 - Pioneers of Contemporary Enlightenment, 1988.
24 - Encyclopedia of National Arabic Thought, 1989.
25 - Social Themes in the Plays of Saad Wahba and Lotfy El Kholy, 1990.
26 - The Divine Epic, 1990.
27 - The Sad and Happy Elements in the Egyptian Character, 1992.
28 - Science and Literature, 1992.
29 - The Art of Novel-Writing, 1992.
30 - The Golden Age of Alexandria, 1993.
31 - Science as a Spiritual Experience, 1994.
32 - Mubarak's Democratic Experiment, 1995.
33 - The Art of Dramatic Performance, 1995.

PUBLISHED ARABIC TRANSLATIONS:

1- The Last Night in the 20th Century, A Book of a Short Stories, 1969.
2- The Revolt of Fisherman, A Novel, 1970.
3- Landmarks of American Writings, 1980.
4- T.S. Eliot's "The Waste Land", 1985.

PUBLISHED NOVELS:

1- The Mark.	1978.
2- Entourage,	1979.
3- A Woman's Tyranny,	1980.
4- The Spices of Love,	1980.
5- Slaves' Market,	1981.
6- Azbakia Fence,	1981.

7- The Age of Harem,	1981.
8- The Lost Generation,	1982.
9- The Lust of Snakes,	1983.
10- The Serpent Crack,	1983.
11- The Ram Citadel,	1984.
12- Road of Thorns,	1985.
13- Queen of Zar,	1986.
14- The Heliopolis Girls,	1987.
15- The Sea of Darkness,	1988.
16- The Age of Madness,	1988.
17- Sons of Thunder,	1991.
18- The Kidnapping of Tut-Ankh-Amoun	1992.
19- The Great Shamhurish,	1992.
20- The Sesson of Females' Slaughter,	1993.
21- The Autumn Lover,	1993.
22- Gipsy Blood,	1994.
23- The Tempest Tree,	1995.
24- Capricio Nubiana,	1995.
25- A Heartless Woman,	1995.
26- The Sultan's Throne,	1998.
27- Badr El-Bidoor,	1998.

Prof. Dr. Madkour Thabet

(C. V.)

* Film Director and Writer.

* Professor of Film Direction at the Higher histitute of Cinema in Cairo ... Actually President of Audio-visual Sensorship authority.

* Born On 30 / 9 /1945

* One of the early film graduates in Egypt he obtained the Bachellor degree in direction in June 1965 .. Was the first of his class with Excellent distinction.. was appointed as a lecturer at the Cinema Institute in 1966 then was promoted as a senior lecturer in March 1972 tobegin his career as an academician and join the first generation of the Cinema Institute Faculty members.

* He lecturers on : History of World Cinema, Script Structure, Craftmanship of film direction .

* He supervises an annual group of graduate films of script-writing and direction Departments .

* He supervises also : the creative workshop of cinematographic direction, the top filmmakers' postgraduate research seminar, the preliminary seminar for PH. D. researchers of all departments of the Institute.

* In the Academy of Arts he was responsible of many positions since 1986, the most importants are : reporter of the Committee of applying University regulations to the Academy of Arts; Managing Editor of "Al Fan Al Muassir" magazine (issued by the Academy of Arts quarterly); Editor in Chief of "Cinematographic Studies" issued by the Cinema Institute ; Member of Supervising Committee of Cinematographic publications issued by the Academy.

* Was one of the leading members of the Young Film-Makers' Movement in Egypt in the 1960 .

* Directed and wrote the script of his first film "MACHINERY REVOLUTION" in June 1967.

* Obtained the First Prize in directing documentary films from Alexandria Film Festival in 1969.

* Was granted Merit Diploms from several International Festivals.

* In August 1969 he started his trend towards experimental Film-Making so he wrote and directed "Story of the original and the copy" (Story of Naguib Mahfouz titled "PHOTO" (60 minutes) which is the third part of film "BANNED PHOTOS": the first feature film of the new three film-makers - Ashraf Fahmy, Mohammed Abdel Aziz, Madkour Thabet ... So,, this film has been selected for participating in Karlovy Vary International Film Festival in 1972.

* Worked on the war front as Cinematographic Military Corresponder during his military service from January 1968 till October 1973.

* Directed in 1975 the comic feature film "STUPID BOY" starring Mohammed Awad, Nahed Sherif & Salah Kabil. He considered this film as a severe lesson - in the field of artistic relinquishments. So, he concentrated in writing & directing the documentary films; the most importants are: "ON THE EARTH OF SINAI" (1975);"THE SHAMANDOURA AND THE CROCODILE" (1980)and his two long films (60 minutes) : "FISHERMEN IN QATAR' (1995) -MEMOIRS OF BADR 3" (1989/1992) and series of educational films on updating irrigation in Egypt.

* In 1980 he was selected as member of the first Committee by the Ministry of Culture for Children's films. He supervised the and of the first three Cartoon films for children "THE WHALE, THE NUMBERS, The MOUTH). In 1990/1991 he was selected as secretary of the two Committee for the programmes of both sections of Script & Direction is the Higher Institute of Children's Arts and member of all the fondamental Committees-in all the other Institute's Sections. He was selected also as member of the Jury of Cairo International Festival for Children's Films (September 1992).

* Took part, for several years in the Committees concerned of specialised film activities such as the film committee of the Supreme Council of Culture and the Higher Committee of Festivals .. etc. ... He is also selected as a member of the Arbitrary Committee granting film awards and the State Award of Encouragement in Cinema.. He contributed to the planning Organization and arrangement of numerous Conferences, Symposiums and Festivals.

* Headed the Egyptian Delegation and represented Egypt in many International and Local Film Festivals and Conference, He was elected as the President of the International Jury of Fribourg International Film Festival in Switzerland in March 1996 .. He was also a member of the International Jury of Palaiseau Film Festival in France (in 1997). Was elected as president of the international Jury of the Izmir international film festival-Turkey in 1998.

* The Arab Centers, out of Egypt, have always used his experiences in giving courses of raising qualification for the Arab TV professionals.. He has been also invited as a Judicial expert in front of the Egyptian Courts for the setlement of Cinematographic disputes.

* Worked as Consultative expert for the script reading Committees of many film and TV production and distribution authorities.

* Wrote and published many specialised researches and studies in the fields of film aesthetic, contemporary Cinema and Experimental film.

* Two of his books have been published : "Theory and creativity in Script writing and directing of the film'(in 1993) & "An Experiment of A Filmic Partial Anti-Illusion" (in 1994) published by the General Egyptian Organisation of Book.

* One of the latest appreciation he received in the field of Cinematographic creativity was when he received the "First International Prize in directing documentary films" from Cartagena International Festival for Maritime Films (22 nd Edition in 1993) for his long film "FISHERMEN IN QATAR" (60 minutes) . This was the second time for Egypt to obtain this prize (The first was in 1978 when the long documentary film "FOUNTAINS OF SUN" by John Feiny was awarded).

* Is actually concentrating the Egyptian Film Center's activities in production and Cinematographic Culture, the latest is the foundation and publication of "Cinema Files" : the first five books have been published including introduction written by him. Thus in addition to the presentation of the new filmmakers' production and the organization of "Weeks of Documentary & Short Films" as the first time in the History of the Egyptian Cinema.

CONTENTS



EGYPTIAN FILM CENTER

President
of the centre
Prof. Dr. Mohamed Kamel El-Kalioby

Supervisor Found of cinema files
Prof. Dr. MadKour Thabet

Lay Out :
Mohamed El Saied

Cover :
Joussef Ragheb

Executive Swcretary :
Joussef Hassen

Arabic Hand-writing :
Abdel Rahim Shehata

Financial & Administrative Affairs :
Abdel Maboud Elnefily

City of Arts - PYRAMIDS Ave Guiza, Egypt- Cable : Cunefilm - Fax (202) 5854701 - Tel. : 5854801

STEREOTYPES
IN
EGYPTIAN FILMS

By : Prof. Dr. **Nabil Ragheb**
Introduction by :
Prof. Dr. **Madkour Thabet**